سوريا ولبنان في الحرب العالمية

عزيز بك

تعريب فؤاد ميداني

بيروت : الاحرار، 1932



المؤلف عزيز بك

مدير الامن العام في السلطنة العثمانية

كلمة للمعرب

نضع بين ايدي القراء السلسة الثالثة من المذكرات التي نشرناها على صفحات «الاحرار» الغراء .

الاولى « كيف دخلت تركيا الحرب العالميـة » موضحة لمتتبعي تاريخ تركيا الحديث المناورات السياسية التي قام بها الالمان لاجبار تركيا على دخول الحرب العالمية وما كان من فتن ودسائس حاكها جماعة حزب الاتحاد .

والثانية (كيف جلت القوات العثمانيـة عن بلاد العرب) حاملة تفاصيل المعارك الحربية التي دارت في هذه البلاد اثناء الحرب العالمية وما تخللها من خطيئات حربية وتطاحن بين ضباط الترك والالمـان قضت على الدولة وافقدتها نفوذها واضطرتها للجلاء عن بلاد العرب بصورة معيبة لم يرو التاريخ افظع منها .

وجاءت هذه السلسلة الجديدة المنشورة في هـذا الكتاب موضحة الاسرار السياسية ، ومناورات بعض الاشخاص ، ودعايات الحلفاء والترك والالمان ، وحوادث الجواسيس متممة للكتابين السابقين عن هذه البلاد .

لماذا طبعنا المذكرات

ان الاقبال الذي لقيه الجزآن الاولان — رغم الازمة الماليـة الحاضرة — ومئات التحارير التي تلقيناها من مواطنينا هي التي اهابت بنا لطبع هـذه السلسلة من المذكرات، لانتوخى منها الا اضافتها الى السلسلتين السابقتين لتكون منها كلها مجموعة يعرف منهـا المطالع جميع الادوار التي مرت بهذه البلاد منذ بدء الحرب العالمية الى انتهائها .

المؤلف؟

وقد لاقت هذه المذكرات استحسانا عظيما من القراء لاننا لا نكاد نتلقى رداً على احد الاقسام حتى تردنا عشرات الكتب من الاهلين يشجعوننا على متابعة نشرها و يؤيدوننا فيها حتى اننا لما جمعنا امس الكتب الواردة الينا من المؤيدين وجدناها ٢١٧ كتابا هي بمجموعها خير تشجيع ولم نر من القراء من يرغب في معرفة اسم المؤلف الا شخص واحد هو الامير شكيب ارسلان الذي استفزته الحقائق الواردة في الكتاب فقام يرد عليها بصورة لا تتفق مع الحقيقة قط .

ومع ذلك فاننا الآن نصارح القراء باسم المؤلف وهو عزيز بك الذي تولى في اواخر سنة ١٩١٧ مديرية الامن العام في السلطنة العثمانية .

الردود

وقد ادرجنا في نهاية هذه المذكرات بعض الردود التي وردتنا على المذكرات وكان بودنا ان ننشر كل الردود الا انها تستوعب صفحات كثيرة تستدعي مصاريف باهظة ليس في مقدورنا القيام بها ولكننا على استعداد لطبعها في كتاب خاص نلحقه بهذه المذكرات ونوزعه على المشتركين اذا تفضل اصحاب الردود وارسلوا قيمة طبعها خصوصاً وان الملزمة الواحدة تكلفنا مع ثمن الورق ليرتين عثمانيتين ذهبا .

توطئة للمؤلف

ليس في السلطنة العثمانية دائرة خاصة للجاسوسية السياسية والعسكرية كما هي الحالة في بقية بلدان العالم فدوائر الاستخبارات عندنا خلقت للوشاية والتنكيل ، و يمكنني وصفها انها اداة اتخذها المسيطرون على مقدرات البلاد للبطش بخصومهم ولهذا ترى الجواسيس الذين استخدموا لهذه الغاية ، لاهم لهم الا تطمين رؤسائهم بنقل الافتراءات المختلفة عن خصومهم واذا اراد الحاكم ان يحصل على معلومات حقيقية عما يجري في البلاد صعب عليه الامر ، وارتد الى الوراء مكتفيا بالوشايات التي كثيراً ما عرقلت سير اعمال الدولة وتركتها في حالة فوضى شديدة

هذا من الوجهة الداخلية اما من الوجهة الخارجية فيمكنني ان اؤكد انه ليس هناك شبكة خارجية للجاسوسية في الخارج حتى ان سفراءنا في العواصم الاوربية يجهلون اكثر ما يجري هنالك ونرى ان الصحافة اسبق منهم في استقاء المعلومات المتعلقة ببلادهم العثمانية والجاسوسية لم يقل نفوذها بعد اعلان الحرية العثمانية عما كانت عليه قبله ، بل ان هؤلاء الجواسيس الذين كانوا يخدمون السلطان عبد الحميد من ناحية واحدة ما لبثوا ان وسعوا منطقة وشاياتهم فتفرقوا الى اقسام كل منها يخدم احدى الشخصيات و ينقلون اليها الوشايات التي توزعت بين زعماء الادارة المركزية ولهذا رأينا القوات المتحدة المجابهة للسلطان عبد الحميد تنقلب في السنة الثانية الى عشرين جبهة اخذت تتوسع بتمادي القتال حتى اضعفت من القوات الرئيسية القابضة على زمام الحكم في السلطنة العثمانية فانصرفت الى محاربة بعضها البعض و بذلك تركت المجال للعدو فتقاسمها من هنا وهناك ورأينا كيف فقدنا في خلال عام اعلان الحرية ، بلغاريا والبانيا ثم سلانيك و بعض مدن البلقان فالبوسنه والهرسك ثم جزر الارخبيل فطرابلس الغرب وكان آخر ذلك ضياع السلطنة العثمانية وتلاشيها وحدث ذلك كله في خلال مدة لا تتجاوز العشر سنوات . هذه المصائب كان سببها الجاسوسية السافلة التي كانت متسلطة على سائر انحاء السلطنة العثمانية

الفصل الاول

حادث ٢٨ اذار

في اليوم الثاني من شهر نيسان سنة ١٩٠٩ دعيت لمقابلة الدكتور ناظم بك عميد الاتحاديين فلبيت الدعوة وذهبت الى قصره

وكانت الوضعية حرجة في البلاد والافكار مضطربة على اثر حادث ٣١ اذار، ذلك الحادث المشؤوم الذي ثار فيه بعض الجنود الموجودين في الاستانة قصد احداث انقلاب في تركيا ولهذا ما كدت ادخل عتبة القصر حتى بادرني وجيهي بك من رجال الدكتور وقال:

— ان مولاي بانتظارك وقد سأل عنك ثلاث مرات

— ولكنه عين لي موعداً لمقابلته الساعة العاشرة ونحن الان في العاشرة الاربع

وقد دلتني هذه المحاورة القصيرة على ان الدكتور المشهور برويته وصبره شديد الاضطراب في ذلك اليوم وان هناك امراً هاما يشغل افكاره ولهذا عجلت الدخول عليه في مكتبه فوجدته يقطع الغرفة ذهاباً واياباً وعلائم الاضطراب بادية على محياه وما كاد ينظرني حتى صاح قائلا :

— ماذا ترى في حوادث هذين اليومين ؟

— ارى انها دسيسة مدبرة

— نعم ومن السلطان عبد الحميد

— كلا

— ماذا تقول اليس السلطان عبد الحميد مدبر هذه المؤامرة ؟

— ...

— لماذا لا تجب ، والتقارير الموجودة لدي تثبت ان المؤامرة دبرت من قبل السلطان عبد الحميد الذي يقصد بها هدم نفوذنا واعادة سيادته الاستبدادية كما كانت في الماضي

ولم ارض معارضة السياسي الطبيب في نظريته هذه لانني لم ادخل في درس هذه القضية بعد الا ان اعتقادي كان وطيداً بانه ليس هناك من دخل للسلطان عبد الحميد واذا كان السلطان قد اظهر سروره من الحادث فلانه كان يريد ان يظهر للعالم وللرأي العام العثماني صحة نظريته بان الدولة العثمانية لا يمكن ان تدار بالنظم النيابية الدستورية بل بالنظم الاوتوقراطية التي وضعها

وبعد ان هدأت ثائرة الدكتور ناظم بك عاد الى هدوئه المعتاد وقال:

— انني شديد الثقة بمقدرتك واريد منك الان معرفة مقدار تدخل السلطان عبد الحميد في هذه القضية . اي ان تدخل الى قصر يلدز وتأتيني بالمعلومات الحقيقية عن موقف السلطان

— ان لكم عشرات الجواسيس في قصر يلدز

— ان هؤلاء الجواسيس ادنياء فهم ينقلون الينا الاخبار المثيرة لاعصابنا ، واليك بعض تقاريرهم

وتناولت هذه التقارير وعددها ١٨ فقرأتها كلها ملياً وكان اسمي في خمسة منها مع اسماء اربعة اشخاص آخرين من اننا اجتمعنا مع السلطان عبد الحميد حتى ان اثنين منهم تجاسرا ونقلا نص حديث دار بيني وبين حسين ماهر بك والسلطان عبد الحميد فالقيت هذه التقارير جانباً وقلت :

— هل تريد مثالا على دناءة هؤلاء اكثر من هذه التقارير التي يذكرون لكم اسمي واسم ماهر بك فيها مع انني كنت معك في نفس الوقت الذي يقولون فيه انني كنت مع السلطان عبد الحميد

— لهذا انا شديد التأثر وراغب في معرفة الحقيقة

في قصر يلديز — لم يكن قصر يلديز في تلك الايام ذلك الحصن الحصين الذي يخشى ولوجه كما انه لم تبق في ذلك القصر التدابير الشديدة التي تحول دون دخول القصر ومع هذا فانه يصعب جداً دخول دائرة السلطان الذي زادت مخاوفه في ذلك الوقت فهو كان يخشى دائماً ان يكون عرضة لمؤامرات دعاة الحرية ومع هذا فقد تمكنت من تذليل الصعوبات ودخول دائرة المابين ثم ولوج الدائرة الخاصة حيث سمعت السلطان عبد الحميد يحادث احد اركان المابين زكي بك في موضوع ثورة ٣١ اذار معلناً تأثره من الحادث طالباً اليه الذهاب باسمه الى مجلس النواب والى عائلات الشهداء وابداء تأثره من هذه الفاجعة . وقد خاطبه زكي بك قائلا :

— الا ترون جلالتكم ضرورة حل مجلس النواب في هذه الظروف الحرجة

فاجابه السلطان فوراً :

— كلا كلا فانا كثيراً ما حاولت اعلان الدستور الذي اوقفته في بدء حكمي الا ان وزرائي كانوا يمانعون في ذلك اما وان الامة قد نالت ما تريده الان فلا بأس من ان نجرب هذه اللعبة من الحكم

ثم سكت السلطان عبد الحميد برهة وقال :

— .. ومع هذا ! فانا كنت ارغب ان لا تكون فاتحة الحياة الدستورية هذه المأساة المحزنة والمآسي المتعددة التي سبقتها ومع هذا فقد تكون هذه الامور خير رادع لرجال الحكم الحاضرين فيعرفون كيف يتصرفون في مقدرات الامور

عندما عدت الى قصر ناظم بك وجدت عنده بعض اركان الاتحاديين وفي مقدمتهم طلعة بك ، يتحادثون في الموقف الحاضر وما كاد يراني ناظم بك و يفهم مني الحقيقة حتى قال :

— ان بقاء السلطان عبد الحميد على العرش ليس من اللائق ومن الضروري وضع حد لحكمه

وقد كانت هناك فكرة ترمي الى تنفيذ هذا المشروع بالقوة فالاتحاديون رغم استلامهم مقدرات الامور في البلاد ورغم ادعائهم الحرية والمساواة كانوا يخشون السلطان عبد الحميد كثيراً و يعتقدون ان خلعه سيقودهم الى مصائب جمة وان السلطان قد يعمد الى الفرار اذا هم تركوه وشأنه فاقترح احدهم تدبير مؤامرة لاغتياله كما قتل السلطان عبد العزيز والسلطان مراد وولي العهد يوسف عز الدين فيما بعد و كما قتل غيره من سلاطين آل عثمان ولكن كيف ينفذون هذه المؤامرة ؟؟ انهم اذا وضعوا له السم صعب عليهم تنفيذ هذه المؤامرة والسلطان شديد اليقظة وارسال من يقتله قد يفضح امرهم ويؤدي والحالة هذه الى ويلات عميمة فماذا يصنعون ؟

لقد طالت المذاكرة حول هذا الامر وفي النهاية قرروا خلعه وتوقيفه وارساله الى المحاكمة على الجنايات التي ارتكبها مدة و كان هذا الامر من اقتراح احسان جودة بك ولكن طلعة بك (باشا) عارضه في هذا الامر قائلا :

— ان توقيف السلطان عبد الحميد امر لا يمكن ان يكون الا في حالة الثورة والغاء السلطنة ولما كانت البلاد في غير هذه الحالة فهو يقترح الاكتفاء بخلع السلطان ونفيه الى خارج العاصمة

فوافق الدكتور ناظم بك على هذه الفكرة على ان يوضع السلطان هناك تحت المراقبة الشديدة حتى اذا وجدوا في حركاته ما يتنافى مع موقفهم الحاضر وسياستهم عمدوا الى قتله او محاكمته بتهمة المؤامرة ضد سلامة الدولة

وانا على اعتقاد وطيد انه لو لم يقفه طلعة باشا يومئذ ذلك الموقف الهادىء العاقل لكان المجتمعون قرروا اغتياله ولكانت نفذت مؤامرة قتله التي كان في الامكان ان تؤدي الى حوادث مؤلمة ودامية في البلاد العثمانية

وفي هذه الجلسة وقعت حادثة ثانية فان الكل كانوا مجمعين على ان السلطان محمد رشاد كان ضعيف البنية قد انهكت جسمه الخمرة والموبقات وبات في حالة لا يصلح معها لادارة احكام البلاد ورجل مثل هذا لا يصح ان يكون

سلطانا واقترح البعض اصدار نشرة تتضمن عـدم امكانه تولي العرش والمناداة
بيوسف عز الدين سلطانا على تركيا الا ان الدكتور ناظم بك وطلعة بك عارضا
هذه الفكرة لانهما لا يريان في يوسف عز الدين ذلك الرجل المستسلم لارادتهما وان
وجوده على العرش خطر على حزبهما وان الاوفق والحالة هذه ان يكون الملك
المريض المستسلم لارادتهم ولهذا اقترحا تاليف لجنة موءلفة من ثلاثة منهم يكون
على رأسها الدكتور ناظم بك لتفحص صحة الرجل وقواه العقلية فوافق المجتمعون
على هذه الفكرة وذهبت هذه الهيئة وعادت تملي تقريرها كما نصه عليها الدكتور
ناظم بك الذي رأي في السلطان المقبل خير من يعتمد عليه في تصديق مشاريعهم
الواسعة وهكذا كان حيث خلع السلطان عبد الحميد وولي العرش مكانه محمد
رشاد واستلم الاتحاديون مقدرات امور الدولة مكان عبد الحميد

مؤامرة ضد السلطان

في اليوم الرابع من شهر ايلول سنة ١٩١٠ تلقيت اشعاراً سريا من نظارة
الضابطة يشير الى ان المعارضة تدبر موءامرة جديدة ضد الحكومة ويطلبون مني
القيام بتحقيقات دقيقة عن الامر ، فقصدت فوراً ناظر الضابطة اتلقى معلوماته
فقال : لقد تلقى السلطان محمد رشاد اشعاراً سريا من مجهول يقول فيه ان
الحكومة الحاضرة تتآمر على سلامته وان هناك خطة تدبر ضد العائلة المالكة ،
وقد وصلتنا هذه العريضة قبل وصولها الى السلطان ولهذا ارغب منك معرفة
مرسلها وعلى اعتقادنا انها مدبرة من قبل اعداء الحكومة الحاضرة فطلبت منه
العريضة فاذا هي مكتوبة بلغة عالية وبعبارات منمقة وخط جميل وعلى ورق ابيض
من المعروف باسم «اثر جديد» والعريضة اودعت في ادارة بريد غلطة كبقية
التحارير العادية وليس فيها اقل ميزة تمكننا من معرفة مرسلها

بصمات الاصابع — وفن بصمات الاصابع لم يكن منظما في دوائرنا يومئذ
ومع هذا فقد كان في امكاننا معرفة شيء من هذا لو ان هذا التحرير حفظ دون

ان يمس الا ان الذي علمته ان التحرير بعد ان فتح من قبل احد رجال المابين
سلمه الى رئيس الكتاب ثم الى الصدر الاعظم ثم الى وزير الداخلية فوزير الخارجية
فوزير العدلية ثم الى ناظر الضابطة وبذلك تلقفته ايد عديدة وبات من المستحيل
معرفة حقيقة بصمات اصابع اليد التي كتبته والتي وضعته في ادارة البريد وقد
ابدت فكرتي هذه مصلحة الادلة حيث انه عندما عرض عليها التحرير وجدت
عدة بصمات لم تمكنها من معرفة بصمة مرسل التحرير ولهذا فكرت في تحري
الامر من جهة ثانيه فقصدت ادارة البريد لمعرفة مرسل هذا التحرير من الموظفين
لعل احدا منهم رأى واضع التحرير ولكن دون جدوي لان احداً لم يتمكن
من معرفة الرجل الذي وضع هذا التحرير

وفي اليوم الثالث لهذا الحادث دعيت ثانية لمقابلة ناظر الضابطة فاطلعني على
سبعة تحارير واردة الى رئيس كتاب المابين والى الصدر الاعظم والوزراء
تتضمن تهديدهم بالقتل لانهم حالوا دون وصول التحرير الذي ارسله الى السلطان
ويعلنهم بانه مطلع على كل الادوار التي يلعبونها وانه على استعداد تام لان يوصل
اخبارهم جميعها الى السلطان وانه لهم بالمرصاد يحول دون محاولتهم اغتيال السلطان
وفي اليوم الثاني تلقى ناظر الضابطة مثل هذا التحرير وفيه يهدده بالقتل اذا اصر
على مساعدة الحكومة والتآمر معها ضد جلالة السلطان

وقد دلتنا هذه التحارير على ان الرجل اما ان يكون معتوها لانه في الحقيقة
ليس هناك موءامرة تدبرها الحكومة ، او ان الخصوم يمازحون الحكومة ويهزأون
بها في تلك الصورة الشائنة وكان لا بد لنا والحالة هذه من معرفة مرسل هذه
التحارير باي وجه كان من الوجوه .

مراقبة دقيقة — ولم يحن اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول حتى بلغت
التحارير التي ترد الى اركان الحكومة المركزية العشرات والذي اهاب
بالحكومة للاهتمام بها انها كانت تنقل اليهم بعض احاديثها وبعض التدابير السياسية
والادارية التي يتخذونها الامر الذي يدل على ان مرسل هذه التحارير شخص

مطلع على ما يجري في مجلس الوزراء وعلى علاقات الوزراء مع ومفاوضاتهم القصر السلطاني .

وقد ذهبت الجهود التي بذلتها في سبيل معرفة الرجل عبثا لانه كان يتمكن من ارسال هذه التحارير الى ادارة البريد دون اقل مقاومة ودون ان يتمكن احد من الاطلاع على شخص مرسلها

ورأيت بعد استفحال امر هذه التحارير ان اشتغل موظفا في ادارة البريد وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول كنت جالسا على نافذة بيع الطوابع في شعبة غلطه اراقب بدقة الذين ياتون لمشترى الطوابع فلفت نظري عبد اسوداتي في خلال هذه المدة واشترى طوابع وذهب دون ان يلصقها على المغلفات اشتبهت به واردت ان اوءيد شبهتي فوضعت اشارة على بضع طوابع بعته اياها في اليوم التاسع والعشرين من شهر ايلول وفي اليوم الثاني وردت التحارير ولم تكن حاملة هذه الاشارة فتريثت للمرة الاخرى وفي يوم اول تشرين الاول وردت تحارير اخرى ولشد ما كان سروري عظيما عندما رأيتها حاملة هذه الاشارة حيث اعتقدت بانني نجحت في مهمتي هذه .

وفي اليوم الثالث اتى هذا العبد واشترى الطوابع المذكورة وذهب

وفي المساء كنت في ادارة الضابطة حيث اعلمني الناظر ان العبد يدعى الماس آغا وهو من رجال مرجان آغا رئيس اغوات السلطان عبد الحميد والذي ظل في خدمة السلطان محمد رشاد وفي الحال قصدت مع ناظر الضابطة الى دائرة مرجان آغا وكان متغيبا عن دائرته فتحرينا فوجدنا فيها الطوابع التي وقعها الناظر وعندها اعلنا السلطان محمد رشاد بالامر فطلب اخفاء هذه الحقيقة واكتفى باخراج مرجان آغا من الخدمة

سياسة فرنسا في الشرق

قبل ان ابدأ في بحث الادوار التي لعبتها في السياسة السورية العربية ارى الضرورة توجب ان اصور للقراء السياسة الافرنسية في الشرق لان الابحاث التي سأخوضها في هذا السبيل توجب ذلك

ان السياسة الافرنسية الشرقية لاقت تبدلات خطيرة عقب الثورة الكبرى وكانت الحكومة الافرنسية تسير من السلطنة العثمانية على سياستين متناقضتين

الاولى — سياسة الاستيلاء والاستعمار في ولايات سوريا وافريقيا العثمانية

الثانية — سياسة الصداقة والمحافظة على بقية اقسام السلطنة العثمانية

في اواسط القرن التاسع عشر تزايد نفوذ الافرنسيين في القطر المصري حتى باتت سوريا وجبل لبنان على وشك السقوط في ايديهم وكان في امكانهم في ذلك الوقت لو مدوا ايديهم الى سوريا ان يستولوا عليها غنيمة باردة

ولهذا فانه ما كاد نابوليون الثالث يجلس على عرش فرنسا حتى عادت الى الاذهان فتوحات نابوليون الاول في وادي النيل ومحاولاته فتح لبنان ومصر

ويقول « آلبر واندال » عن المنافع الافرنسية يومئذ ما نصه:

« وقد بات يومئذ في مقدور فرنسا ان تستعمل الاسطول العثماني ضد اعدائها كما انه كان في امكانها بواسطة الحماية التي بسطتها على الكاثوليك المتوطنين في تركيا ان ترفع مكانها في العالم المسيحي اما علائقها التجارية فكانت السائدة على الكل في سائر انحاء السلطنة العثمانية »

وقد كان لاقوال البرواندال هذه النصيب الوافر من الصحة حتى ان نابوليون الاول الذي كان يعرف هذه الحقيقة ما لبث ان تمكن من ايجاد علاقات ودية بينه وبين السلطان سليم وحمله على تجهيز حملة سنة ١٨٠٦ لمحاربة الروس الذين كانوا يحاربون قواته

و بعد مرور نصف قرن ، لولم تقع الحوادث المفجعة التي اسرعت في سقوط نابوليون الثالث لكان في امكان فرنسا ان تستفيد من معاونة السلطنة العثمانيه التي استمرت لها منذ عهد فرنسوا الاول ضد الحكومة الالمانية

ان نابوليون الثالث استناداً الى العهود القديمة التي منحت دولته حق حماية الكثلكة في الشرق عمد الى زيادة نفوذها في الشرق وعلى الاخص في المحيط المسيحي وكان من جراء ذلك ان وقعت بين قواته وقوات نقولا الاول القيصر الروسي لحماية الارثوذكسية المعارك الدامية في القريم حتى ان الكردينال فيلوري في كتابه قال :

« ان المحافظة على حدود السلطنة العثمانية بات من السياسة الرئيسية التي تتمشى عليها الحكومة الافرنسية »

وهذا دليل على مقدار تدخل الافرنسيين في الشؤون العثمانية

ولكن هذا الدور المملوء بالسعد والرفاهية لم يدم طويلا حيث كتب الصدر الاعظم عالي باشا لايحة بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٨٤ (١٨٦٦) الى السلطان عبد العزيز خان يقول فيها :

« ... وقبل ان تجف معاهدة باريس التي وقعناها مع الامبراطور نابوليون نراه يعمل على تقليص نفوذ النمسا عن ايطالية باستمالة روسيا الى جانبه كي لا تعمد الى مساعدة النمسا غير حافل بالمعاهدة المنعقدة فيما بيننا سائراً في طريق حافلة بالمسائل المختلفة المضرة بسياستنا وسيادتنا قصد معاونة روسيا

وكان كل هذا لم يكفه فعمد الى سياسة التدخل في شؤوننا الداخلية والمسائل المتعلقة في صربيا ولبنان وكريد . وقد زاد في المدة الاخيرة في تحريض اللبنانيين على الثورة مدخلا في عقلهم ان كل امة لها الحق المطلق في اختيار الحاكم والحكومة التي تريدها وانه ليس لاي كان اجراء الحكم على امة لا ترغب في حكمه » .

الطوائف المسيحية

هذا نص التقرير المرفوع الى جمال باشا عن الطوائف غير الاسلامية الموجودة في البلاد

الى صاحب الدولة احمد جمال باشا القائد العام للجيش الرابع :

بيروت في ١٠ اذار سنة ١٣٣٢

الارثوذكس — ان القسم الاعظم من مسيحيي الشرق تابعون الى الكنيسة الارثوذكسية ويستعملون في عباداتهم اللغة العربية الا ان رؤساء الرهبنة الذين يشكلون اكثرية اجنبية يونانية ما لبثوا ان اثروا على اللغة العربية وبدأوا في استعمال اللغة اليونانية التي اخذت تتكاثر في الطقوس الدينية ، وللارثوذكس اليوم بطريركيتان الاولى في القدس والثانية في انطاكيه ، ومركزها الحالي دمشق

والروم يكرهون ويحقدون على اللاتين اكثر من حقد البروتستانت عليهم ونراهم شديدي التعصب ضد اللاتين ولغاية اعلان الحرب العالمية الحاضرة تمكن هؤلاء الاروام بواسطة الدعايات التي كانت تقوم بها « الجمعية الروسية الفلسطينيه » من التمتع بنفوذ كبير في البلاد وتأمين سيادتهم الدائمة

وابناء هذه الطائفه هم اكثر اخلاصا للدولة العثمانية من بقية الطوائف

الكاثوليك واللاتين — ان رئيس الرهبنة الحائز على الوكالة البابوية يقطن اليوم في بيروت وقد اودعت تحت عهدته ادارة الكنائس اللاتينية الروحية في بيروت ودمشق وحلب

ولهذه الطائفة الدينية في البلاد عدة جمعيات مذهبية عرفت باسم الفرنسيسكان جزويت ، لازاريست ، سور دي سان جوزيف ، وردي لازاريست وهذه الجمعيات تمكنت منذ القديم من التحكم في حياة الطوائف النصرانية وعلى الاخص الكاثوليكية حتى المادية منها

وقد بدأت هذه الجمعيات حتى الحرب العالمية الحاضرة بما كانت تتناوله من

اموال من الدول الكاثوليكية الكبرى في اوربا من القيام بتلقينات ودعايات سياسية كانت سببا لمضار عظيمة اصابت الجامعة العثمانية والامة الاسلامية وسببا للتفرقة بين عناصر الامة جمعاء

الموارنة — ان هذه الطائفة التي تقطن المنطقة الممتدة من نهر الكلب الى نهر البارد ككتلة متكاتفة والتي يقطن قسم قليل منها في بيروت واللاذقية وطرابلس معروفة باسم الموارنة و بلغ عدد افرادها ما يقارب الـ ٣٥٠ الفا اعتنقت المذهب الماروني في القرن السادس للميلاد بناء على تلقين الراهب حنا مارون الذي مكنها من ان تظل حرة مستقلة وقد تمتعت باستقلالها التام للعصر الثاني عشر للميلاد

وقد تمكنت الدولة العثمانية في القرنين الاخيرين من اظهار قوتها وسطوتها عليهم حتى تمكنت من ان تنشىء بعض القرى الدرزية في المناطق المارونية البحتة

وليس في امكان الموارنة ان يصلوا في وقت من الاوقات الى الكرم المعروف عند العرب باكرام الضيف واحترام الغريب (كذا) وقد كانت نساؤهم لغاية النصف الاخير من القرن التاسع عشر يخرجن متحجبات الا انهن ما لبثن ان خلعن هذا الحجاب و بتن يخرجن سافرات و باتت السيدات المارونيات في وقتنا هذا لا يفرقن قط عن السيدات الاوربية في سائر مظاهرهن الخارجية

والهيئة المارونية الروحانية التي تملك زهاء ربع الاراضي في الجبل لديها اكثر من مئتي دير والكاهن الماروني وان كان يملك حق الزواج الا ان هذا الامر محرم عليه فيما اذا توفت زوجته الاولى

والمطارنة هم الذين لهم الحق في انتخاب البطريرك الماروني الذي يشترط تصديق انتخابه من المقام البابوي و ينتخبون هم ايضا بدورهم من قبل الرهبان في القرى

وعباداتهم تجري في اللغة السريانية التي لا يعرفها احد من الموارنة

وفي السنوات الاخيرة تمكنت الجمعيات الكاثوليكية وفي مقدمتها الجيزويتية من احداث مئات المدارس في المناطق المارونية عاملة على تعميم اللغة الافرنسية ، والشبيبة في المدن الكبيرة باتت عارفة اللغة الافرنسية ومتقنة سائر العلوم بها اكثر

من لغة آبائها واجدادها

الموءسسات الاجنبية الكاثوليكية — ان الغاية الاساسية من الحروب الصليبية هو انقاذ البلاد المقدسة من ايدي الاسلام ولهذه الغاية عملت الجمعيات المسيحية والموءسسات الكاثوليكية التي انشئت لاجل نشر وتعميم النصرانية في البلاد تعمل عندنا لهذه الغاية من جهة ولنشر الدعايات السياسية لامة اخرى من جهة ثانية .

والحكومات الاجنبية التي ترى هذه العناصر الدينية مضرة لسياستها في بلادها نفسها تدعو لها في بلادنا بالنجاح وتصرف لها المبالغ المالية الطائلة في سبيل تعزيز سياستها حتى انتشرت هذه الموءسسات في القدس و بوجه خاص في بيروت وسائر السواحل السورية حتى قل ان تمر بالشارع ولا ترى فيه عشرات الرهبان والراهبات وغيرهن من مرتدي الملابس الدينية وفي امكاننا اليوم نقول ان عدد البعثات الدينية الكاثوليكية يبلغ الثلاثين واليكم نصا رسميا

يبلغ عدد الرهبان الموجودين في الموءسسات الكاثوليكية في القدس ٨٦٠ راهبا و ٤٢٠ راهبة وفي مدارس الرهبنة ٢٤٠٠ طالب و ٢٨٠٠ طالبة وفي دار الايتام ٣٦٠ ذكرا و ٤٣٠ انثى »

و بلغ عدد المرضى الذين دخلوا المستشفيات التابعة لهم مجانا في خلال سنة ١٩١٤ ستة آلاف شخص ، والذين عوينوا واخذوا وصفات ٣٠٠ شخص

فاذا قسنا هذه الارقام بحالة البلاد ادركنا مقدار تأثيرها على الرأي العام وانتشار دعاياتها في البلاد .

اليسوعيون — تاسست الطريقة الجزويتية سنة ١٥٤٠ من قبل اغناطيوس دي لويولا الاسباني وقد حضر هؤلاء منذ ثلاثة عصور الى سوريا الا انهم لم يفلحوا فنزحوا عنها ثم عادوا الى بيروت ثانية سنة ١٨٣١ وفي سنة ١٨٤٣ شيدوا اول مدرسة لهم في غزير التابعة للبنان وفي سنة ١٨٧٦ شيدوا المدرسة اليسوعية

في بيروت مع الدير الكبير ثم شيدوا معابد ومدارس نهارية في بكفيا ، المعلقة ، زحلة ، شام ، حلب ، تعنايل ، جزين . وقد بدأوا بواسطة هذه المعابد في نشر دعاياتهم الدينية لتنصير الاهلين ، والسياسية لاخراج ابناء البلاد عن محبة الدولة العثمانيه وتأييد السياسة الافرنسية في هذه البلاد

الفرنسيسكان — تأسست هذه الطريقة سنة ١٢١٠ ب . م .

وكانوا منذ الحرب الصليبيه يقطنون في سوريا والاراضي المقدسة وفي القرن الاخير اي في سنة ١٨٤٨ نشطوا دعاياتهم فعمدوا لاكثار عدد اديرتهم من جهة واقامة المآوي للزوار الذين يؤمون الاراضي المقدسة وهؤلاء في القدس نفسها ستة اديرة وستة مآوي وواحد في بيت لحم وآخر في عين كريم ، فطبريا فالناصرة ، عكا ، صور ، صيدا ، بيروت ، حريصا «من اعمال لبنان» ، طرابلس ، لاذقية ، شام ، حلب ، اسكندرون ، عينتاب ، نصيبين ، بتي قلعه ، ولهم عدا ذلك مكتب في حلب ويعرفون في سوريا باسم (الآباء الفرنسيسكان) ويعمل هؤلاء في الدرجة الاولى على نشر الدعاية بين الزوار ضد الجامعة العثمانية

الاباء الكرميليون — تقطن هذه الشيعة في اعالي جبل الكرمل ولهذا اطلق عليهم اسم الاباء الكرميليين نسبة لهذا الجبل وكان هؤلاء قد نزحوا عن البلاد مع آخر قافلة من قوافل الصليبيين عن جبل الكرمل الذي يعتبرونه مقدساً ثم عادوا اليه في سنة ١٦٣٦ فانشأوا فيه ديراً وداراً للضيافة ولهؤلاء اديرة في حيفا ، طرابلس ، عكار ، القبيات . ورغم انه ليس من عادات هذه الرهبنة الاشتغال بالشؤون التعليمية فقد انشأوا مدرسة في بشري

وهذه الارسالية وان كانت لم تتدخل بعد في شؤون الدولة السياسية الا انها على كل حال لا تعد خطرة على سلامة الدولة بالنسبة الى بقية الارساليات الدينية الاجنبية

راهبات سان جوزيف — نزحت راهبات سان جوزيف من مرسيليا الى القدس في سنة ١٨٤٨ وقد عرفن في سوريا باسم الراهبات اليوسفيات ولهن في

فلسطين ١٣ موسسة و ٣ مستشفيات في القدس ويافا والناصرة و ٣ دور للايتام ومكتبان نهاريان وخمس مدارس دينية تحوي الف طالبة

وعدا ذلك فلهن في بيروت مدرسة ليلية نهارية وفي صيدا دير ومدرسة نهارية وفي دير القمر دير ومدرسة نهارية وفي حلب دير ومدرستان ليليتان ومستشفى وفي الاسكندرون دير ومكتب

وهذه الارساليات تعمل بكل قواها في سبيل تعزيز الدين النصراني وتعليم امهات الغد الكره الشديد للدولة العثمانية والمسلمين وتملك نفوذاً كبيراً على بنات المستقبل وتعد شديدة الخطورة على سيادة الدولة العثمانية ومستقبلها

راهبات الناصرة — انشأت هذه الارسالية في بادئ الامر في الناصرة لغاية دينية بحتة ولكنها ما لبثت ان سارت ضد رفيقاتها وانشأت مدرسة نهارية في حيفا واخرى في شفا عمر وثالثة في عكار ولها دير عظيم في بيروت يعرف باسم دير الناصرة

وهن شديدات الكره للدولة العثمانية وكن في مقدمة المساعدات على تقليص ظلها عن المناطق المقدسة

الراهبات الكرمليات — اسست هذه الرهبنة الاخت تاريز في روما سنة ١٥٧٠ ونزحن الى فلسطين سنة ١٨٧٣ حيث شيدن في جبل الزيتون في اعالي القدس ديرهن المشهور ولهن دير في بيت حمدة وآخر في حيفا وثالث على سفح الكرمل وهن منصرفات الى الشؤون السياسية

الفرير — تأسست هذه الارسالية في فرنسا سنة ١٨٢٤ بمساعي جان بانيست ولاسال ونزحوا الى سوريا سنة ١٨٧٨ وعرفوا باسم «اخوة المدارس المسيحية» ولهم تشكيلات واسعة جداً حيث توجد لهم مدارس في القدس وحيفا والناصرة وبيت لحم وكليات منظمة في طرابلس وبيروت واسكندرون ليلية ونهارية وهذه الارساليات شديدة الخطر على السياسة العثمانية يعمل اركانها كل ما في

في قواهم في سبيل تعميم المبادىء النصرانية وغرس محبة الفرنسيين و كره الدولة العثمانية في قلوب ابناء البلاد ، وليس بين طلاب هذه المدارس من يفكر بوطنه او لغة ابائه .

و يوجد عدا هؤلاء « رهبان مار يوحنا الالهي » وهؤلاء نزحوا الى البلاد سنة ١٨٧٩ حيث اسسوا على طريق بيت لحم في (طنطور) مستشفى ومثله في الناصرة وهؤلاء اقل من الاولين تقربا من الشؤون السياسية وليس من وراء وجودهم اقل خطر في الوقت الحاضر يهدد سياسة الدولة العلية

راهبات الفرنسيسكان — امت هذه الارسالية القدس سنة ١٨٨٥ واسست في القدس مؤسسة تستوعب ٦٠ يتيما فقط ثم عادت واسست مدرسة اخرى في يافا للبنات تستوعب مئة طالبة ثم اسست في السنوات الاخيرة مؤسسة في دمشق

وليس لهذه البعثة اقل تأثير في الوقت الحاضر على سياسة السلطنة العمومية

راهبات المحبة — تأسست هذه الجمعية في فرنسا سنة ١٦٣٢ من قبل الاب دي بول ونزحت الى القدس سنة ١٨٨٦ و يعمل راهبات هذه الارسالية في مساعدة الايتام ، الفقراء والعجزة والعميان و يشتغلن ايضا في مستشفيات الحكومة ولهن في بيت لحم مستشفى ودار للايتام وفي حيفا مستشفى ومدرسة وفي الناصرة مستشفى وفي بيروت مستشفى كبير ودار للايتام ودار للصنائع خاص الفتيان والفتيات وعدا هذا لهن ثلاث مدارس صغيرة في بيروت وفي طرابلس دار للايتام ومدرسة صنائع وفي اهدن و بحنس سنانور يوم ومدرسة في برج البراجنة

وهذه البعثه وان كانت لا تتدخل مباشرة في الشؤون السياسية الا انها تعمل بكل قواها على نشر النصرانية حتى تمكنت من ان توجد من الايتام المختلفي الاديان مسيحيين يدينون بدينها و وجود هذه المؤسسة خطر شديد يلزم وضع حد له بايجاد مراقبة عليا عليها

العازاريون — نزح هؤلاء الى القدس سنة ١٨٩٠ وشيدوا اول مدرسة في الباب الشرقي وهؤلاء هم الالمان

اما الافرنسيون منهم فقد انشأوا مدارس في ازمير وطرابلس وعين طورا في جبل لبنان واهدن ودمشق ور يفون

ولما كان هؤلاء يشتغلون في الامور التحريريه ايضا فهم شديدو الخطر على الدولة و كثيرو الدعاية الى الافرنسيين

الآباء الساليزيون — نزح هؤلاء سنة ١٨٩١ الى القدس من ايطاليا وانشأوا مؤسسات في بيت لحم و بيت جمال وقرد ميزان والناصره ودارا للايتام في بيت لحم وليس هناك من خطر منهم ما داموا تابعين الى الدولة الايطالية الصديقة للدولة العلية ومع هذا يحسن جداً وضع مراقبة عليهم ما داموا مشتركين فعلا مع بقية الارساليات و يخشى ان يكونوا على مخابرة مع الخارج

اما الراهبات الساليزيات فقد نزحن ايضا مع الاولين الى القدس

الطرق المسيحية — هذه هي المعلومات التي استقيتها عن البعثات الدينية المسيحية و هناك بعض طرق مسيحية هي :

اولا — لادام دوسيون ، نزح رجال هذه الطريقة التي تاسست في ته كسيهومو الى القدس سنة ١٨٥٦

ثانيا — الآباء البيض ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٧٨ واسسوا فيها كاتدرائية سان آن و كاتدرائية به تاسدا

ثالثا — آباء القلب المقدس في بيت لحم ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٧٩ وشيدوا مؤسسة لهم بالقرب من بيت لحم

رابعا — الراهبات الورديات ، مؤلفة من الراهبات الوطنيات

خامسا — آباء نوتر دام ده سيون ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٥٤

سادسا — رهبان مار عبد الاحد او الدومينيكان ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٨٤

سابعا — الصعوديون ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٨٧ و يديرون اليوم مأوى (نوتر دام ده فرانس)

ثامنا — الآباء الترابيون ، نزحوا الى البلاد سنة ١٨٩٦ ولهم موءسسة في البترون يشتغلون في الزراعة وتربية الماشية

تاسعا — البندكتيين ، نزحوا سنة ١٨٩٦ يسكنون جبل الطور وهم موءلفون من ١٣ راهبة فقط

عاشراً — الراهبات الكاثوليكيات الاميركيات ، وهوءلاء نزحوا الى القدس من اميركا سنة ١٩٠١ واسسوا في بيت لحم ديراً لهم

الفصل الثانى

مساعي العرب في تركيا

في اليوم الثاني من شهر ايلول سنة ١٩١١ تلقت وزارة الخارجية اشعاراً من سفيرها في باريس يقول فيه :

« لقد قابلت وزير الخارجية الافرنسية و باحثته بصدد موقف دولته تجاهنا في البلقان فاجاب ان الحكومة الافرنسية على استعداد لمعاضدة الحكومة العثمانية في سياستها البلقانية هذه على شرط تنفيذ اللائحة التي قدمها سفيرها في الاستانة المسيو ده بومبادور بتاريخ ٧ تموز سنة ١٩١٠

وقد اجبت الوزير اني مستعد لان اعرض شروطه هذه على حكومتي والذي علمته من بعض المصادر الخاصة ومن التقارير السرية الواردة الي ان الحكومة الافرنسية بعثت بتعليمات سرية الى سفيرها في الاستانة والى قناصلها في بيروت ودمشق والقدس تتعلق بخطة العمل الواجب ان تسير عليها في السياسة المقبلة

وهذه الخطة تلخص بضرورة الاعتماد على العنصرين الكاثوليكي والماروني في اثارة شغب في سوريا ولبنان يدفع الافرنسيين لان يتدخلوا فعليا في شوءون تلك المنطقة ، و يدير هذه الحركة مباشرة السفير الافرنسي في الاستانة ونقل الرقابة حول السفارة — وفي اليوم الثاني لورود هذا التقرير الى الخارجية دعيت لمقابلة ناظر الضابطة الذي اطلعني على نص هذا التقرير وطلب الي مراقبة السفارة الافرنسية ومعرفة الاشخاص الذين يترددون اليها من سائر الطبقات

العثمانية فرضخت للامر وذهبت و كان اول من شهدته يدخل السفارة الافرنسية اكثر الجميع ترددا عليها ، شفيق المؤيد وقدزارها في الساعة الثانية من بعد ظهر ٦ منه وهو الموعد الذي يمتنع فيه السفير عن استقبال اي كان ومع هذا فقد استقبل الرجل بحفاوة زائدة وظل في السفارة الى الساعة الرابعة والدقيقة ١٥ ثم قصد على اثر ذلك الى داره ومكث فيها الى الساعة السادسة والنصف فحضر الى زيارته الشيخ عبد الحميد الزهراوي وموسى كاظم باشا ونافع بك نائب حلب وظلوا مجتمعين الى الساعة التاسعة مساء وفي صباح اليوم الثاني قصد شفيق بك المؤيد بنفسه دار البريد الافرنسية ووضع فيها تحريرا لم اتمكن من من معرفه عنوانه ، وكان شفيق بك وغيره من الذين يشتغلون ضد الدولة العثمانية ويرسلو تحاريرهم بواسطة البريد الافرنسي لاعتقادهم بعدم امكاننا الحصول عليها وانه يمكنهم معها ارسال هذه التحارير بحرية دون ان يخشوا افشاء امرها

ومع هذا فقد تمكنت بعد الظهر من الحصول على احد تحاريره وهو مرسل الى باريس بالعنوان التالي

باريس ٠ طالب بك النقيب

شارع هوسمان رقم ٦٩

وقد تضمن هذا الكتاب الذي حرر باللغة العربية معلومات خطيرة عن السياسة العربية ، حيث اشار فيه شفيق بك الى ان (جمعية الاخاء العربي العثماني) لم تحل لان الحكومة العثمانية وان كانت قد حلت هذه الجمعية رسميا الا انها في الوقت نفسه قائمة تعمل في سبيل تحقيق اماني العرب ثم قال :

— ان الجمعية القحطانية التي طلبت مني افادتك عن مصيرها فهي قد تلاشت تقريبا لان مؤسسها خليل باشا حماده لم يحسن اختيار الوقت والخطة الواجب عليه ان يسير بموجبها ومع هذا فقد كان لها الفضل في توطيد كلمة العرب وجمعها في حلقة واحدة ، ولست لا شك في ان كل حركة يمكن ن تصدر من ابناء العرب

تأتي بالفائده المرغوبة لنا »

وهنا فصل شفيق بك في كتابه هذا الحركة وانتقد بشدة عزيز علي المصري الذي ترك اليمن دون ان يتمم مهمته في طرابلس الغرب

المؤلف : سنأتي في فصول قادمة على ذكر موقف عزيز علي والاسباب التي دعت انور باشا لارساله للديوان العرفي

ثم انتقل الى النقطة الهامة من الموضوع فقال :

وقد قابلت السفير الافرنسي وتحدثت اليه عن الاجتماعات التي تعقد في القاهرة لتأليف حزب اللامركزية العثماني الذي باحثتم بشأنه الرفاق عند مروركم بالقاهرة فاجابني :

ان الضرورة توجب تكوين وحدة عربية من مختلف العناصر في منطقة غير مصر وهو (اي السفير الافرنسي) يحاول من وراء ذلك افهامي اننا نحن العرب اذا ما عقدنا مؤتمرا في باريس واتخذنا فيه بعض المقررات وتوسطنا فرنسا لمساعدتنا عليها فهي لا تتأخر في ذلك ولهذا اري ان تعملوا وانتم في باريس للاتصال مع الخارجية الافرنسية لتهيئة جو صاف الى مؤتمر عربي يعقد في باريس

هذه خلاصة ما جاء في التقرير الذي بعث به شفيق بك المؤيد الى طالب بك النقيب وفيه ما يوضح لنا حقيقة اتصال الرجل بالسفارة الافرنسية وفي مساء اليوم الذي تناولت فيه منه هذا التحرير بالصورة التي بيناها آنفا حضر هنده الدكتور اسعد بك حيدر وتوجها معا في الساعة السابعة مساء الى السفارة الافرنسية ثم تكررت الزيارات

وقد كانت شبهة نظارة الضابطة منحصرة في العرب المسلمين دون غيرهم لاعتقادهم ان العناصر غير المسلمة سوف لا تعاضدهم قط وانها ستظل متأثرة من الدعايات القائمة في البلاد بواسطة الافرنسيين ورسلهم من اركان الهيئات لا كليركية .

عزيز علي المصري — وكانت هناك شخصية ثانية موضع اهتمام الاندية التركية وهي شخصية عزيز علي بك فان هذا الضابط الشاب الذي تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩٠٤ كان عثمانيا محضا فقد عرف ببطولته في مقاومة العصابات المقدونية وفي سائر المعارك التي نشبت مع اليونان ومع العصابات البلغارية والالبانية حتى انه كان في مقدمة القواد الذين داهموا الاستانة بعد حادثة ٣١ اذار سنة ١٩٠٩ عندما اتت قوات الخلاص بقيادة محمود شوكة باشا فلمع اسمه يومئذ حتى بات بعد بعد محمود شوكة باشا

وكان يومئذ برتبة بنباشي وبعد هذه المعركة رقي الى رتبة قائمقام كان حرب وكان الى ذلك الوقت شديد الاخلاص لجمعية الاتحاد والترقي حتى انهم كانوا يعتبرونه من اركانها ويروي بعض الكتاب ان عزيز علي بك عندما اشترك مع جماعة جون ترك اشترط عليهم لتأييدهم في حركتهم هذه اعطاء العرب بعض الامتيازات مع ان امراً من هذا لم يكن خصوصا وانه كان معروفا لدى الجميع انه تركي من اهالي القوقاس وهو كان دوما يفتخر باصله القوقاسي لان والده وجده نشآ في القوقاس « كذا » وما كان الضباط الترك ليعتبرونه غير تركي خصوصا وانه ما كان ليتحدث قط بالعربية وقد بدأت فكرته العربية بعد تعيين عثمان باشا قائداً للقوات في دمشق

لقد بدأت انفعالات عزيز علي بك من الاتحاديين منذ الوقت الذى عين فيه الغازي عثمان باشا مشيراً للقوات العثمانية في دمشق وعزيز بك رغم انه قائد شديد حازم فانه كثير الغرور بنفسه شديد العصبية ، ففي سنة ١٩٠٦ عندما كان الغازي عثمان باشا يستعرض القوات العثمانية في اسكوب وضواحيها قام بتفتيش القوات التابعة للالاي الرابع عشر المعسكر في (قرشانه) الذي كان بقيادة عزيز علي بك الذي نظمه خير تنظيم وتركه في حالة حسنة يحق له في الحقيقة ان يفتخر به جد الافتخار

ولكن الغازي عثمان باشا الذي كان ضابطا قديما شديداً اراد ان يكسر

قليلا من غرور عزيز علي بك الذي اراد ان يظهر له انه قائد مجرب فقال :

— ايه يا عزيز هل تعتقد ان تخرجك من المدرسة الحربية كاف لان تتفوق على بقية رفاقك من ضباط الالاي

— نعم يا سيدي القائد ومفرزتي امامك خير دليل حيث تراني افوق بتدريبها غيري من كبار القواد الذين لا يحسنون العمل

— ماذا أيها الوقح اتتجاسر على مثل هذا القول

— انت هو الوقح

وقد دارت هذه المحاورة امام الجنود في حفلة التفتيش الرسمية فالقائد عزيز علي بك كان على حق في عدم قبوله الكلمة الجارحة التي وجهها الغازي عثمان باشا كما ان الغازي ساءه ان يرد عليه ضابط بسيط وهو القائد العام الاهانة امام اركان حربه وعلى ملاء من الجنود فامر فوراً بتوقيفه وسجنه

وهذه الحادثة كانت سببا في سخط الضابط الدائم على المشير وازدياد حقده حتى اذا جاء الى الاستانة على رأس قوات الخلاص التي انقذت العاصمة من ثوار ٣١ اذار سنة ٩٠٩ اعتقد انه بات ذا نفوذ بين رجال جمعية الاتحاد والترقي ولهذا ما كاد يبلغه نبأ اعداد مشروع بتعيين الغازي عثمان باشا مشيراً للجيش الخامس في دمشق حتى ثارت ثائرته وسعى في الحيلولة دون تحقيق هذا المشروع حتى وصل به الامر الى مصارحة وزير الحربية قائلا :

— انني بصفتي عربيا اعارض في تعيين هذا الرجل لمشيرية الجيش الخامس

— ولكن ما وجه الاعتراض يا حضرة القائد ؟

انتم لا تعرفون يا حضرة الوزير مقدار استياء العرب من التتر فالمشير الذي هو من سلالة هولاكو الذي حارب بغداد والبلاد العربية رجل يكره العرب ويعتبرونه عدواً لهم فتعيين هذا الرجل في القيادة العامة في دمشق يعد تحديا للعرب ومشيراً لاستيائهم وسخطهم ولهذا ارى ان الضرورة توجب استبداله

— اظن انك تعارض في ذلك للحادثة التي وقعت بينك وبينه

هذه المخالفة هي دليل على كرهه للعرب فهو لم يعمد الى تحقيري الا لانـه عرف انني عربي وما دام هذا شأنه معي وانا الضابط القائد فكيف يكون شأنه مـع بقية افراد العرب

— ولكن الضرورة توجب اسناد ذلك المركز اليه

— ان هذه الضرورة ستفرق حتما بين العرب والترك

— انك على خطأ

ولما لم يجد عزيز علي بك من وسيلة لاقناع وزير الحربية برأيه هذا تركه وانصرف وقد اجتمعت به على اثر انصرافه في دار الدكتور ناظم بك حيث بين له هذه المحاورة واضاف اليها قائلا :

— ان هذه الخطة التي تسيرون عليها ستوجد هوة بين صفوف الاتحاديين لان العرب الذين عملوا معكم الى هذا الوقت ما عاد في امكانهم متابعة عملهم هذا الى النهاية وانتم تسيرون على هذه الخطة وتصدمونهم في اعز امانيهم القوميـة بارسالكم مثل هذا القائد العدو الى بلادهم

وقد تدخلت عند ذاك في الحديث وقلت :

— انك على خطأ في هذا القول يا بك فاذا كان هناك حقد على الباشا فليس معناه ان الترك يحقدون على العرب و يضمرون لهم العداء

— كلا ليس لحقد لي على الباشا اقول ذلك فنحن امة ليس في امكانهـا السكوت على الاهانات المتوالية التي نلقاها من الترك و كان من الواجب ان يعرف كل حده و يقف عنده ،

اليس من العار ان نسمع رجالكم ينادون الكلاب السوداء باسم «عرب»

اليس انتم الذين تصفون المسائل المعقدة الحل بقولكم « عرب حاجي كبي » الستم انتم القائلين « نه عربك يوزي ، نه شامك شكري » و بعد كل هـذه الامور ماذا تريدون منا ؟

وهنا ازدادت حدة عزيز علي بك وقال :

— الم تكفكم كل هذه الامور حتى تعمدوا الى ارسال هذا الرجل العدو الى بلادنا لحكمها ان التمادي في هذه الامور معنـاه توسيع شقة الخلاف بين الترك والعرب وفي هذه الحالة ماذا تكون النتيجة ؟

سفر عزيز علي الى اليمن -- وهذه المحاورة الاولى التي وقعت بيني و بين عزيز علي دلتني على ان الرجل هو اشد خطراً على السياسة العثمانية من شفيق بك المؤيد وغيره من الشبان الذين يشتغلون في القضية العربية وعندها اعلمت فكرتي هذه ناظر الضابطة وطلبت اليه حصر الرقابة في عزيز علي بك لانه اذا ظل يبث افكاره هذه بين ابناء قومه تمكن من ان يؤلف حولها قوة كبيرة تكون ذات خطر على سيادتنا وتحول دون تنفيذ السياسة الرئيسية التي تعمل لها في القضاء على الفكرة العربية التي تزايدت بعد اعلان الحريه العثمانية والتي باتت تهددنا بمخاطر تزيد على المخاطر الارمنية

وكانت المعارك شديدة في المنطقة اليمنية والتقارير الواردة من عزة باشا قائد قواتنا في تلك المنطقة تدل على ان الموقف شديد الخطورة خصوصا بعد معركة « جيزان » التي ذبح اليمنيون فيها عدداً كبيراً من جنودنا فقررت وزارة الحربية ارسال عزيز علي الى اليمن كرئيس لاركان حرب عزة باشا قصد التخلص منه .

وما كاد يبلغني الخبر حتى اسرعت الى نظارة الضابطة ابين لها الخطأ الذي ترتكبه الوزارة في ارسال هذا القائد الى منطقة عربية خصوصا وان التقارير الواردة الي من جواسيسي العديدين تدل على ان الرجل يواصل الاجتماع بأركان الحركة العربية وانه قد يغتنم فرصة وجوده في اليمن للاتصال مع القبائل الثائرة فيشتغل ضدنا فعرض الناظر هذه الملاحظات على وزيري الداخلية والحربيـة اللذين لم يعيراها اقل اهمية لان همهما الوحيد ان يتخلصا من الرجل فيبعدانه عنهما ولا فرق أكان وهو في اليمن في صفوفهما ام في صفوف الاعداء، ولست اشك في انهما كانا يفضلان ان يقتل او ينضم الى الاعـداء من ان يعود الى الاستانـة سالما منتصراً على الاعداء

لم تسفر المساعي التي بذلتها في سبيل اقناع انور بك بضرورة عدم ارسال عزيز علي بك الى اليمن عن فائدة بل انهما ما لبثا ان استصدرا ارادة بتعيينه في اركان حربية عزة باشا وارسلاه الى اليمن

وفعلا فقد صحت مخاوفي بالرجل فانه ما كاد يذهب الى اليمن حتى قام بعض المسائل المقلقة للترك واليك نص ما قاله لي بهذا الشان القائد سليمان بك العسكري (المعرب : ان سليمان بك العسكري قائد خبير انتحر على اثر انخذال في المعركة الشعبية العراقية خلال الحرب العالمية) — « ان عزيز علي بك لم يكن بالرجل المخلص للقضية العثمانية بل كان عربيا بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، يكره الترك كثيراً وكرهه للترك لم يكن لدافع وطني محض بل لان الترك لم ينزلوه المرتبة الرفيعة التي كان يطمع بها فهو كان راغبا في ان يتولى مركزاً رفيعاً اي ان يولى قيادة احد الجيوش فعدم ترقية الترك له لهذه المرتبة حوله الى قائد عربي املا منه ان هذا المسعى سيحمل الترك على توليته مركزاً ساميا او ان ينال هذا المركز السامي عن يد العرب فعندما جاء الى اليمن بذل جهوده في سبيل تعزيز موقفه لدى عزة باشا وان يكون الباشا تابعا له الا ان الباشا ما لبث ان ادرك حقيقة نياته فاجتنبه وعند ذاك عمد الى مفاوضة الامام يحيى على مداومة القتال

وفي احد الايام دخلت (اى سليمان بك) على عزيز علي فوجدت عنده احد رجال الامام يحيى فسالته عنه فاجاب :

— انه رسول من الامام يحيى بعث الي به يفاوضني في عقد الصلح

الا ان الحقيقة التي علمتها ان الرجل لم يكن في الحقيقة الا وسيط المخابرات بين الامام والقائد وهو يرمي بعمله هذا الى ان يحمله على مداومة القتال وان يوسع دعاياته الى النهاية وقد نصحت يومئذ عزيز علي بك بضرورة الاقلاع عن هذا العمل الذي يضره كثيراً »

هذا ما رواه العسكري اما انا فلا اعلم عن حوادثه في اليمن شيئا الا انه عندما

نشبت الحرب الايطالية التركية سافر عزيز علي بك الى طرابلس الغرب عن طريق مصر وقد تلقيت يومئذ تقريرا من احد رجالي في القاهرة هذا نصه :

« وصل عزيز علي بك الى القاهرة في الساعة العاشرة من هذا الصباح وقابل في اليوم الثاني الخديوي عباس حلمي باشا ، وقد كانت هذه المقابلة بناء على طلب الخديوي نفسه الذي دعاه الى العدول عن الذهاب للقطر الطرابلسي

وقد صرح لي شوقي بك ان الخديوي يرى ان من العبث ارسال القوات العثمانية لمقاومة الايطاليين الى النهاية خصوصا وان الطريق منقطعة بين البلدين وانه ما دام الامر هكذا فليس من المفيد للبلاد اراقة دماء جديدة وانه بين فكرته هذه الى عزيز علي بك المصري الذي وعده بدرس الموقف هناك واقناع رفاقه بما يراه مفيداً ، وطلب الخديوي من عزيز علي بك ان يكون على اتصال دائم معه »

وفي اليوم نفسه تلقيت تقريراً ثانيا من الرجل المذكور يقول فيه ما نصه :

« ان المعلومات الاخيرة التي تلقيتها تدل على ان المقابلة التي تمت بين الخديوي عباس حلمي باشا وعزيز علي بك المصري ترمي الى امرين :

الاول — ان الخديوي الطامع في ضم منطقة ليبيا الى مملكته او توسيع المملكة المصرية الى البلاد المجاورة رغب في ان يستميل عزيز علي بك اليه حتى اذا كان في مقدور القوات العثمانية الوقوف تجاه اعدائها عمد عزيز علي الى استلام مقدرات الامور في البلاد واعلن ضم هذه المنطقة الى الخديوية المصرية .

الثاني — في حال عدم امكانه تحقيق هذا المشروع يعمد الى مفاوضة الايطاليين بواسطته ، اي بواسطة الخديوي عباس حلمي باشا ، على ان تسلم هذه المنطقة الى الايطاليين مقابل الاعتراف بتوسيع الحدود المصرية من جهة ليبيا .

والذي علمته ان الخديوي عباس حلمي باشا قد تمكن من ان يستميل الرجل الى صفوفه

هذان هما التقريران اللذان تلقيتهما وسلمت نسخا منهما الى ناظر الضابطة ونوزيري الحربية والداخلية اللذين وان كانا قد تأكدا من حقيقة هذه الاقوال الا انهما سكتا عنها مكتفيين بالاشارة الى ضرورة مداومة المراقبة

الا ان هذه المراقبة الخارجية لم تدم طويلا لان عزيز علي المصري ما لبث ان عاد الى استمبول واخذ يعمل في تأليف حزب سياسي هذا ما وردني من معلومات بشأنه من الجواسيس العديدين

التقرير الاول — في الساعة التاسعة من مساء اليوم (١٠ ايلول — ٢٣ ايلول سنة ١٩١٣) عقد اجتماع في منزل عزيز بك وحضره .... وعددهم احدى عشر شخصا واخذوا بتنظيم المواد الاساسية للحزب الذي اعتزموا تأسيسه وفيه يعترفون بان الحزب سيكون سريا يعمل على تحقيق اماني العرب وسلخها عن السلطنة العثمانية

التقرير الثاني — « لقد شرح لي الضابط نوري افندي ان الغاية من هذه الاجتماعات تأسيس حزب عسكري يعمل على استقلال البلاد العربية وان هذا الحزب سري سيعمل على ادخالي به

التقرير الثالث — ويقول التقرير الثالث : « ان عزيز بك ورفاقه اقسموا ان لا يبوحوا ببنود الحزب الذي يعمل على استقلال البلاد العربية »

وهناك عشرات التقارير التي تلقيتها حول هذا الامر لا فائدة منها وفيها معلومات بسيطة عن حركات هذا الحزب

منهاج حزب العهد — والى القراء نص منهاج حزب العهد السياسي التي عرفتها

المادة الاولى — ان جمعية العهد سياسية سرية انشئت في الاستانة وغايتها السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على ان تكون متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا

المادة الثانية — ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بايدي ال عثمان

المادة الثالثة — تهتم هذه الجمعية بامر سلامة الاستانة من مطامع الدول الاجنبية اهتماما خاصا لاعتقادها ان الاستانه رأس الشرق فلا يمكن ان يعيش اذا اقتطعتها احدى الدول الغربية الاستعمارية منه

المادة الرابعة — على رجال العهد ان يفرغوا قصارى جهدهم في انماء المزايا المحمودة وبث الدعوة للتمسك بالاخلاق الفاضلة لان الامة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالاخلاق الصالحة .

هذا هو البرنامج الذي وضع لحزب العهد والذي اعتبر مرعي الاجراء بتاريخ ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣ وقد سعى عزيز بك الى تنفيذه حتى اوجد حوله كتلة كبيرة وعندها اشتد الخلاف بينه وبين انور باشا الذي كان في وزارة الحربية الامر الذي دعاه لتقديم استقالته بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٩١٤ وبعد تقديمي هذا التقرير صدرت الاوامر في شباط ١٩١٤ باعتقال عزيز علي المصري الذي اثار اعتقاله ضجة شديدة في الاندية العربية وغير العربية اسفرت عن اخلاء سبيله وابعاده نهائيا عن العاصمة وهكذا انتهت رواية عزيز علي بك المصري .

الفصل الثالث

مراسم تحية القيصر

جرت العادة ان توفد الحكومة العثمانية كل سنة وفداً من قبلها لتحية القيصر الروسي حين قدومه الى ساحل البحر الاسود لتمضية فصل الصيف وحين ذهابه منها .

وكان الوفد هذه المرة مؤلفا برئاسة وزير الداخلية طلعت باشا

فقبل سفر الوفد بيومين اي في اليوم الرابع من شهر نيسان ١٣٣٠ (١٩١٤) دعيت لمقابلة الوزير فلبيت الدعوة فقال :

ان التقارير السرية الواردة الي تدل على ان العصاة يدبرون مؤامرة لاغتيالي فهل علمت بذلك ؟

وكنت في الحقيقة جاهلا تفاصيل هذه المؤامرة خصوصا وقد كنت اجهل من هم الاشخاص الذين يلقبهم الوزير « بالعصاة » وليس في البلاد يومئذ ثورة فابديت دهشتي من الامر فقال :

عقد اجتماع في قصر نظام الدين بك تقرر فيه اغتيالي قبل سفري الى « ليفاديا » ولهذا انا راغب في ان اتعرف ادوار هذه المؤامرة خصوصا وانه لم يبق لسفري هذا الا يومين

قال طلعت باشا ذلك وسلمني التقارير الواردة اليه ثم وقف فودعته وانصرفت

تقارير الجواسيس — والتقارير المذكورة لا تحوي معلومات مفصلة فالاول منها وهو مؤرخ في ٢٠ نيسان يشير الى ان اجتماعا عقد في قصر نظام الدين بك

حضره بعض الائتلافيين الذين لم يذكر اسماءهم فقرروا فيه اغتيال طلعت باشا

والثاني مؤرخ في اليوم نفسه يشير الى زيارة نظام الدين باشا للسفارة البريطانية عند الساعة العاشرة

والثالث مؤرخ في ٣١ نيسان وفيه ان مهندسا بلجيكيا يدعى كارل فون شميد قد شوهد يتردد حول وزارة الداخلية ثم حول وزارة الحربية

مهارة الشرطي — وليس في التقارير الاربعة اقل حادث يستلفت الانظار لولا معرفة طلعت باشا بحقيقة نوايا نظام الدين ضده والجملة الواردة من ان هناك محاولة لاغتياله وسلسلة حوادث الاغتيالات التي وقعت بعد اعلان الحرية العثمانية تركت طلعت باشا يخاف من كل شيء و يعتقد ان حياته باتت مهددة بالخطر ولهذا استدعاني اليه ليتأكد من حقيقة هذه المؤامرة و يؤمن على حياته قبل ركوبه الباخرة ومع هذا فقد استلفت التقرير الثالث لتعلقه بذلك المهندس البلجيكي حيث وجدت في نفسي رغبة تدفعني لالقاء التقارير الثلاثة جانبا والاحتفاظ بالتقرير المتعلق بالمهندس البلجيكي اتأمله واحاول ان استنتج منه شبح المؤامرة الوهمية المدبرة لاغتيال الباشا

ولهذا دعوت اثنين من رجالي للتحقيق في صحة الاجتماعات التي تعقد في قصر نظام الدين وانصرفت انا للتحقيق عن الحادث من وجهته الثانيه وقد كانت الحقيقة كما حدثتني بها نفسي والى القراء ذلك

زواج لا مؤامرة — ذهب رجال يتحققون عن حقيقة الاجتماعات التي عقدت في قصر نظام الدين وسرعان ما عدوا لي بالحقيقة التي تدل على دناءة الجواسيس فان نظام الدين شاب في العقد الثاني من عمره يدعى عمر ممتاز بك احب كريمة احمد زكي باشا واراد الزواج منها فقبل الفريقان بالامر وعقدوا ليلة ٢٠ نيسان اجتماعا تذاكروا فيه بالمهر و كيفية اجرائه ثم عقدوا اجتماعا ثانيا للغاية نفسها ، ولكن رضوان نافذ بك وهو من المولعين بالفتاة ساءه ان يحصل عليها عمر ممتاز فاوعز الى احد الجواسيس بكتابة ذلك التقرير وقد اوقفنا في اليوم نفسه

ذلك الجاسوس فاعترف لنا بالحقيقة فاكتفى طلعت باشا بعزله لانه اطمأن انه ليس هناك اقل خطر على حياته

موءامرة ضد القيصر — ولكن هذا التقرير الوهمي الذي ارسله الجاسوس الواشي وان كان وشى به الا انه كان في الحقيقة سببا في تاخير الحرب العالمية عدة اشهر فان طلعت باشا لولم يتلق هذا التقرير و يوعز الي في التحقيق فيه لما وقع بيدي التقرير العادي الذي وقع صدفة مع بقية التقارير عن المهندس البلجيكي فان نفي رجالي وجود موءامرة في قصر نظام الدين لم يحولني عن معرفة حقيقة هذا الرجل كارل شميدن لهذا قصدت مساء ٢٤ نيسان سنة ١٣٣٠ — ١٩١٤ — محلة بشكطاش حيث قيل انه يقطن في بانسيون مدام فيتالي فعلمت من ربة المنزل ان الرجل حضر لعندها في اليوم الثالث من شهر شباط من السنة نفسها واعلنها انه مهندس في فن الميكانيك وكان يلازم غرفته ليلا ونهاراً فلا يخرج الا بضع دقائق لمشترى حاجيات لا تعرفها حيث كانت تأتيه هي بطعامه وظل عندها شهراً ونصف ومنذ عشرة ايام حضر اليه رجل طويل القامة حليق الشارب ابيض الوجه وطلب مقابلة المهندس الذي استقبله في حجرته وظل عنده مدة ثلاث ساعات سمعت خلالها انفجاراً خفيفا فطرقت الباب تسأله عن ذلك فاجابها ان سلكا كهربائيا قد انتزع بالقوة فاحدث هذا الصوت وانه لم يفتح لها الباب فسالنها عن هيئة الرجل الغريب فاجابت :

— لقد حادثني بالافرنسية الا ان لهجته الي كانت روسية لهذا حادثته بها فسكت وابتسم دون ان يجيبني وراح ورائي الى غرفة المهندس

— والمهندس الشاب كيف كانت اخلاقه ؟

— هادئة تماما فهو جد منهمك في عمله يكتفي عند روءيتي بتحيتي فقط وقد رفض السماح لي بدخول الغرفة لتنظيفها فعلمنا انه يقوم باختراع آلة يخشى عليها فاكتفيت منه بذلك خصوصا وقد كان كريما من جهة المال

— متى غادرك ؟

— منذ عشرة ايام اي ثاني يوم قدوم ذلك الرومي المشوءوم

التحقيقات السرية — وكانت معلومات السيدة « فيتالي » قيمة جداً بنظري لانها دلتني على ان ذلك الشاب البلجيكي كان يقوم بتوضيب احدي الآلات الميكانيكية ومع انه قال للسيدة فيتالي انه يعمل على توضيب اختراع حديث له الا انني كنت معتقداً بانه يدير غير ذلك وسرعان ما تبادر الى ذهني القذيفة الميكانيكية وكنت وانا اصغي الى السيدة فيتالي اتمثل ادوار الموءامرة التي دبرها الارمن لاغتيال السلطان عبد الحميد سنه ١٩٠٤ واتساءل عما اذا كانت هناك موءامرات ارمنية جديدة ، ولكن سرعان ما نبذت هذه الفكرة جانباً اعتقاداً مني انه ليس هناك ما يوجب على الارمن تدبير مثل هذه الموءامرة خصوصا وان الاتحاديين لا يزالون اصدقاء لهم كما انه ليس في الامكان الاقدام على اغتيال السلطان محمد رشاد ذلك الرجل الوديع المسالم الذي يبتعد عن اذى اي كان

اذا ماذا يعمل هذا الرجل ؟،

وهل يدبر حقيقة قذيفة ميكانيكية ؟

وما غايته من هذه الموءامرة ؟

هذه هي الاسئلة التي كانت تتبادر الى ذهني وانا قاصد نظارة الضابطة لروءيه الجاسوس الذي وضع تقريره عنه وبالصدف اجتمعت به هناك وسالته الغاية من ارساله هذا التقرير وكان في الحقيقة نبيها قال :

— كنت يوم ٢٥ شباط منتدباً لمراقبة مهربي الاسلحة الممنوعة عندما رأيت هذا الرجل يقترب من احد المهربين كريم ضيا و يتناول منه شيئاً لم اتبينه فتعقبته دون ان اترك احداً منهما يشعر بامري حتى رأيته يدخل بانسيون مدام فيتالي فتركته وعدت مفتشاً عن كريم ضيا حتى وجدته في ميدان تقسيم فاوقفته وتحريته فوجدت معه مسدسين وكمية من الخرطوش وقدمته الى المركز وفي الطريق اخذ يغريني لاخلاء سبيله فقلت له ان الامر مستحيل خصوصا وهو متفق مع احد الاجانب على تدبير موءامرة ضد سلامة الدولة ونحت له على ذلك

الغريب فانكر كل صلة له معه ولما عينت له المقر الذي اجتمع به فيه والورقة التي معه والتي قدمها له لم يسعه الانكار فاعترف لي بانه اجتمع بالرجل مرتين حيث اشترى منه بعض المواد المنفجرة الخطرة .

وعند ذلك اعلنته بانني اخلي سبيله واتركه حراً واعيد اليه ما اخذته منه اذا ما اطلعني على حركات ذلك الشاب وزدت على ذلك بان وعدته بجائزة مالية اذا ما تمكنا من معرفة سائر اسراره فقبل بذلك وانصرف مسروراً وفعلا خدمني بعدئذ بامانة واخلاص حيث اطلعني على ما طلبته منه ومن ذلك تأكد لي ان الرجل يدبر قذيفة شديدة الخطورة

وكنت دوما ارفع تقاريري الى رئاسة الضابطة ولوزارة الداخلية فكانت تلقى في سلة المهملات حتى انني لم اسأل عن معنى هذه التقارير التي كنت اتمنى ان افاتح بشأنها وقد زاد اهتمامي على اثر اقدام الشاب على ترك بانسيون مدام فيتاني فجأة وذهابه الى منزل مدام انستاسيا الكائن في شارع « اولوقشله » رقم ١٦٥

ولقد كان سلامه بك وهو اسم ذلك البوليس السري الذي ادلى الي بهذه المعلومات والذي هو اليوم من اركان الشرطة المعروفين في الجمهورية على حق في قوله ان رؤساءه اهملوا تقاريره وهم لا يعرفون واجبهم تمام المعرفة

وقد كان في الامكان ان لا نعرف نحن ايضا بهذه المؤامرات الخطيرة لولا الصدف التي اوقعت هذا التقرير بين التقارير الوهمية عن المؤامرة المدبرة ضد طلعت باشا ولهذا فانني بعد حصولي على هذه المعلومات قصدت فوراً بانسيون مدام انستاسيا وكان الوقت صباحا (٢٥ نيسان) فعلمت منها ان الرجل ذهب ومعه حوائجه حيث استخدم ميكانيكيا في اليخت « ارطغرل » وقد كان لهذا النبأ تأثيره العظيم لدي لان اليخت « ارطغرل » هو الذي سينقل طلعت باشا ووفده الذاهب لتحية القيصر الروسي في « ليفاديا » فهل ان الاستعدادات التي عملها هذا الرجل هي لاغتيال طلعت باشا ؟

عند وزير الداخلية — وهنا رأيت من واجبي ان اذهب لمقر الوزير واطلعه

على المعلومات واخذ رأيه في الامر فقصدته في الساعة العاشرة

ورغم انهماك الوزير في عدة شؤون خطيرة استعداداً لسفره فانه ما كاد يعلم من الحاجب نبأ قدومي حتى صرف جميع من كان عنده وامرني بالدخول فدخلت واعلمته الحقيقة فقال :

ـ ولكنني لا ارى في هذه القائمة اسم ذلك الرجل

وكانت القائمة تحوي اسماء سائر افراد البحارة الذين سيرافقون الوفد فاستاذنته بتلاوتها ثم وضعت اصبعي على احد الاسماء وقلت :

ـ هذا هو

فالتفت الى الاسم فذا هو ايفان ابن بطرس شاركوف فقال :

ـ ولكن هذا اسم روسي

فقلت ـ نعم الا انه رئيس الميكانيكيين ومدام انستاسيا تقول ان كارل شميد قد عين في هذه الوظيفة ومع هذا فيمكننا التأكد من حقيقة هوية الرجل بارسال سلامه بك لرؤيته وهو يعرفه

وهنا قاطعني طلعت باشا قائلا :

ـ حتى اذا تأكدت هويته اوقفته فوراً واعلمني بالامر لاذهب بنفسي واحقق معه واياك ان يعلم احد غير الربان بالامر

فوعدته بتحقيق امره هذا بعد ان تلفنت من مقامه الى نظارة الضابطة لترسل الي فوراً سلامه بك الى المرفأ

الرجلان الواحد — عندما وصلت الى المرفأ وجدت سلامه بك قد سبقني اليه وهناك أعلمته باختصار ما اطلبه منه ثم استقلينا زورقاً اوصلنا في الحال الى اليخت « ارطغرل » ودخلنا تواً على ربانه عزيز بك وسلمته امر وزير الداخلية حتى اذا ما اطلع عليه سألني ما اريد فقلت :

ـ جل ما نريده ان نختبيء في مكان نرى منه من ستحادثه دون ان يرانا

فارشدنا الى غرفه رقاده المطلة على الغرفة التي نحن فيها وفيها كوة يمكننا اذا اقفلنا

النوافذ روئية ما في هذه الحجرة دون ان يرانا

وعندها طلبنا اليه ان يستدعي رئيس الميكانيك الجديد ويحادثه بامر كان يريده فلبى الطلب ودخلت انا مع سلامه الى الغرفة الثانية حتى اذا حضر ايفان همس سلامه في اذني قائلا :

— هذا هو

— اذا هو بنفسه

— نعم

وعندها تحدث معه الربان ببعض الشوءون المتعلقة بوظيفته وامره بالانصراف وانا ارسلت سلامه بك برقعة الى وزير الداخلية ليحضر الى اليخت ثم امرت الربان ان يدعو ثلاثة من الجنود المسلحين و يقيمهم حوالي الغرفة ثم يدعو الرجل ثانيا حيث في النية توقيفه فرضخ للامر وتم توقيف الرجل و بعدها قصدت مع الربان الى غرفة رقاده وتحرينا فلم نجد فيها ما يريب الا ان هناك محفظة يدوية بطول ٤٠ سنتيمتراً وعرض ٣٠ لفتت نظري بينما احد البحارة يهم بفتحها فصرخت به طالبا اليه ان لا يفعل فرضخ الرجل والتفت الي الربان متسائلا عن السبب فقلت

-- لو لم انتبه لكنا الان مع اليخت طعما للاسماك

وفعلا كانت هذه المحفظة التي لا تدل ظواهرها على شيء تحوي ثمرة جهود الرجل طيلة شهرين في تحضير قذيفة مميتة

تحقيقات وزير الداخلية — وعندما وصل وزير الداخلية طلعت باشا الى اليخت كنا قد اكتشفنا القذيفة وثلاث تحارير مكتوبة بطريقة سرية روسية الاول الى بترو بتروفيتش في شارع نقولا الاول رقم ١٨ والثاني لنقولا والدميروفيتش والثالث لفيلدمير بتروسيمونوفتش في شارع نقولا الاول رقم ٢٠

وعندها استدعى وزير الداخلية اليه كارل المذكور ووعده باخلاء سبيله وتسفيره الى بلاده اذا ما هو روي له حقيقة المؤامرة التي يديرها فقال — ولدت في اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٨٩٠ في مدينة بروكسل

وكان والدي مهندسا ميكانيكيا ووالدتي معلمة مدرسة ودأبت انا على التعليم حتى حصلت وانا في العشرين من عمري على شهادة الهندسة فطرقت سائر ابواب العمل ، وكان والداي قد توفيا ولم يتركا لي شيئا فوجدت الابواب جميعها مقفلة بوجهي فنقمت على هذه الحياة وقررت الانتحار وفي اليوم السابع من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٣ بينما كنت اهم بالقاء نفسي في نهر السين بباريس شعرت بيد توقفني عن متابعة عملي فعارضت بذلك الا ان اليد كانت قوية بحيث لم اتمكن من انتزاع نفسي من قبضتها وكان الرجل الممسك بي في العقد الخامس من عمره طويل القامة عليه ملامح القوة والهول معاً وبعد ان تفرس بي مدة طويلة وهو في سكوته لفظ كلمة واحدة وهي — هيا بنا

وتجاه قوة ساحرة تبعته بضع خطوات حيث اوقف احدى السيارات التي سارت بنا الى منزله الكائن في ضواحي باريس في منطقة « فيل نوف سان جورج » وهناك اعلمته بموقفي وما انا فيه من ضنك حتى مضى علي بضعة ايام دون عمل فوعد باستخدامي في اعماله الكبري في الشرق ومكثت معه في باريس الى اخر تشرين الاول حيث ابحرنا الى سلانيك ومنها تجولنا بين اليونان و بلغاريا وفي اول شباط سنة ٩١٤ حضرنا الى الاستانة وخلال ذلك علمت انه من رجال الثورة الروسيه وكان بحاجة الى مهندس ميكانيكي فالقتني الصدف بين يديه فقبلني بترحاب ولما كنت ناقما على الحياة والحكام الذين يتمتعون بمقاعد الحكم وهم ليسوا اهلا لها قبلت مشاركته في موءامرته هذه ودبرت هذه القذيفه وها انا انقلها الى بترو بتروفيتش الذي يرأس هذا الفرع في « ليفاديا » قال كارل حكايته هذه ببساطة تامة ثم سكت وعند ذاك سأله طلعت باشا عما يريد عمله اذا هو اخلي سبيله اجاب — انك اذا اخليت سبيلي جعلتني مديونا لك مدى الحياة

وفي الحال امرنا طلعت باشا باخلاء سبيل الرجل وتركه في اليخت يتمم وظيفته بشرط ان لا يذكر حرفاً واحداً عن هذه الحادثة وفي اليوم الثاني اقلع اليخت الى البحر الاسود وظل الرجل مخلصا لطلعة باشا الا ان الفوضويين الذين

علموا بخيانة الرجل لهم لم يبقوا عليه فانه ما كاد يعود في اليخت من رحلته حتى تلقاه الرجل الحديدي الذي انقذه من الموت و يدعى سيزار ارانوف في محطة سركه جي وهو يهم بركوب القطار وذلك في اليوم الاول من شهر حزيران سنة ١٩١٤ وامام الجماهير الغفيرة من الناس اطلق عليه ثلاث رصاصات اودت بحياته وانتهت هذه الرواية

الفصل الرابع

في طريق سوريا

في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين ثاني سنة ١٣٣٠ المصادف ٢٦ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ صدرت الارادة السنية بدعوة الفريق ذكي باشا من قيادة الجيش الرابع في سوريا وتعيين احمد جمال باشا مكانه

والفريق ذكي باشا لم يكن من الرجال الحزبيين بل كان قائداً عسكريا شريفا حياديا محبا للجامعة العثمانية الا ان هذه الصفات ما كانت لتروق للقابضين على زمام الحكم في السلطنة العثمانية فهم يريدون ان تكون البلاد التابعة للجيش الرابع مرتبطة مباشرة بهم وان يكون هناك رجل قوي يعرف كيف ينفذ ارادتهم و يقضي تماما على فكرتهم العربية والغربية معا فالقائد ذكي باشا عندما ذهب الى سوريا سار على سياسة سائر قواد الجيوش الذين سبقوه بمثل هذه المهام في بلاده حيث مثل هناك عظمة القيادة كما مثل نزاهة الجندي واخلاصه و كان يعامل الجميع على السواء كثير التقرب من العرب فهذه الصفات الطيبة لم ترق رجال الحكم فقرروا استبداله باحمد جمال باشا يدهم اليمنى الذي مهد لهم سبيل الحكم بعد مقتل محمود شوكة باشا

كيف استبدل ذكي باشا ؟ — وقد دبر امر هذا الاستبدال انور باشا حيث ما لبث يوم ٢٨ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ ان اصدر بلاغا هذا نصه :

« ان الحضرة الشاهانية المقدسة رغبة منها في اظهار الاتفاق الودي الذي يربط الحكومة السنية والحكومة الالمانية بمظهره العالي العظيم قد تفضلت وعينت الفريق في الجيش العثماني ذكي باشا مرافقا حربيا لدى صاحب الجلالة الامبراطور الالماني و بالمقابلة فان صاحب الجلالة الامبراطور و يلهلم عين المشير فون درغولتز باشا مرافقا حربيا لدى صاحب الجلالة السلطان محمد الخامس »

فالذي يتبين من هذا البلاغ ان كلا العاهلين انتقيا اكبر رجالها العسكريين ليمثلاهما لدى بلاط بعضهما البعض . وهكذا انتهت وظيفة ذكي باشا العملية في بلاد العرب وتولاها بدلا منه احمد جمال باشا

تدابير الترك بعد الحرب — دخلت تركيا الحرب العالمية في ١٦ تشرين الاول ١٣٣٠ اي في اخر سنة ١٩١٤ و كان اول قرار اتخذته بعد دخولها الحرب العالمية ان قررت ما يلي :

اولا — تأليف لجنة للنظر في المؤسسات الرسمية والخصوصية العائدة الى الروس والانكليز والافرنسيس

ثانيا — صرف المستخدمين من رعايا هذه الدول

الخوف على سوريا — و كانت القيادة العامة تخشى ان يعتدي الحلفاء على السواحل السورية خصوصا والكل يعلمون ان الحكومة الافرنسية تعمل منذ مدة طويلة على احتلال هذه البقعة من السلطنة العثمانية

والقيادة العامة على حق في مخاوفها هذه فهي من جهة غير قادرة على حماية هذه السواحل الواسعة نظراً لعدم وجود قوات حربية لهذه الغاية من جهة ولان الاستعدادات لم تتخذ بعد لاقامة التحصينات في الداخلية ولهذا ابرقت وزارة الحربية الى قائد موقع بيروت برقية مؤرخة في ١٠ تشرين ثاني سنة ١٣٣٠ — ٢٣ تشرين ثاني ١٩١٤ — تحت رقم ١٩٥ — ١٨٥٢ تطلب اليه فيها ان يرفع

مذكرة الى القنصليات المحايدة في بيروت و بواسطتها الى اميرالية اسطول الحلفاء في البحر المتوسط يدعونها الى احترام هذه الشواطيء غير الحربية وعدم اطلاقها قنابلها عليها او على المؤسسات الحكومية غير العسكرية والا فانه في حال اقدام الاسطول على مثل هذا الامر فان الحكومة تصادر فوراً سائر المؤسسات الدينية والخصوصية العائدة الى رعايا دول الحلفاء وتتصرف بها كيفما تشاء »

وفي مساء اليوم نفسه وضع قائد موقع بيروت هذه المذكرة وذهب بنفسه الى القنصليات المحايدة وسلمها اياها وارسل نسخة عنها بواسطة زورق رفع العلم الاميركي و كان فيه ترجمان القنصلية الاميركية في بيروت وواحد ضباط القيادة الى احدى الدوارع الافرنسية التي كانت تتجول قرب شواطىء بيروت وسلمت هذه المذكرة الى ربانها الذي رفعها فوراً الى الاميرالية

والمؤكد هو ان الحلفاء احترموا هذه الشواطيء وقد يكون احترامهم ناشيء عن غير تهديدنا بل عن رغبة في ان لا يسفكوا دماء احد من ابناء تلك البلاد التي وقعت اليوم تحت حكمهم والتي كانوا يريدون الحصول عليها ، وعلى كل حال فان الذي اعتقده ان تلك المذكرة لم تكن خالية قط من الفائدة

في بلاد العرب — انصرفت القيادة العامة منذ اليوم الذي دخلت فيه تركيا الحرب العالمية الى تهيئة الوسائل التي تراها ناجحة لتؤمن لها احتلال مصر ، او هي في الحقيقة عملت في هذا السبيل منذ ان اتفق رجالها مع الالمان في سبيل ادخال السلطنة العثمانية الحرب العالمية

ففكرة احتلال مصر كانت الخطة الشيطانية التي دبرها انور باشا لاستمالة البرنس سعيد حليم باشا الى صفوفه وحمله على الموافقة على دخول تركيا الحرب العالمية

فالالمان كانوا على ثقة من ان انور باشا بات آلة بيدهم وكان من الضروري لهم ان تبتعد بريطانيا عن ساحة القتال في اوربا وان تتركها منفردة مع فرنسا وهذا الامر يستلزم ايجاد جبهة جديدة فوضت انور باشا لتحقيقها وهي جبهة مصر

فقررها انور تحقيقا لغايات سيده الامبراطور غير حافل بالدماء التي ستراق في هذا السبيل

وفي الشهر الذي دخلت فيه تركيا الحرب العالمية اي في اليوم الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ دعا انور باشا اليه عبد الكريم باشا الطبيب ، كبير الجالية الكلدانية في الاستانة ، وحمله على وضع منشور وقعه وارسله الى بطريرك السريان الكاثوليك و بطريرك الكلدان الكاثوليك ولسائر العشائر النسطورية والكلدانية يدعوها فيه للعمل يداً واحدة مع الدولة العثمانية و كان هذا المنشور مملوءاً بالعبارات الوطنية الخلابة

وقد كان في الامكان المحافظة على صداقة هذين العنصرين للدولة لو ظلت الدولة قوية في البلاد العربية ولكن هذه الصداقة لم تدم الا بمقدار ما دامت به قوات الدولة في تلك الارجاء حتى اذا اخذت في الضعف قام هؤلاء يبطشون في اقفيتها عاملين في سبيل استرضاء الانكليز الذين كانوا يقدمون اليهم ما هم بحاجة اليه من مال وعتاد حربية

اما عبد الكريم باشا الطبيب فقد عرف كيف يستفيد من وراء توقيعه هذا المنشور فهو من جهة قد نال ارفع اوسمة الدولة جزاء له على اخلاصه وتفانيه لحساب الدولة العثمانية من جهة كما انه نال الاموال الغزيرة باسمه واسم جماعته فتنعم بهذه الاموال كما اراد

اما الموقف في جزيرة العرب فقد كان غامضا في ذلك الوقت والى القراء نص التقرير الوارد الى الحكومة من الاحساء :

الاحساء في ١٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٤

رقم عمومي ٧١٨

رقم خصوصي ١٩١ شيفرة

لقد كان للنداء الذي وجهه صاحب الجلالة الخليفة الى العالم الاسلامي تأثيره المرغوب لدى سائر سكان الجزيرة العربية وقد بعثت به حال وصوله الى امير

حائل وامير الرياض اللذين ابديا كل رغبة صادقة في سبيل تأييد دولة الخلافة العلية ·

وقد علمت ان الامير عبد العزير آل سعود يرى ان الموقف يوجب اليقظة والانتباه فمجرد ارساله القوات الى المناطق الساحلية ومهاجمة العدو فوراً لا تنتج الا احداث ضحايا لا فائدة منها و يرى ان تجهز قواته بسائر ما هي بحاجة اليه من سلاح وعتاد حربية حتى اذا حاول الانكليز خرق حياد الجزيرة العربية وحدود الكويت بادر هو ورجاله لمطاردتهم وايقافهم عند حدهم

ان الموقف في الجزيرة العربية اليوم هو :

اولا — ان ابن السعود يقول ان في مقدوره تجهيز حملة مؤلفة من مئة الف مقاتل ليست بحاجة الا للعتاد الحربية والاسلحة فقط الا ان الذي اعتقده ان ابن السعود يبالغ في تقدير القوة التي يقدر على جمعها الا انها لا تقل على كل حال عن ٢٠ الف مقاتل في مقدورهم حماية السواحل

ثانيا — ان الامير ابن الرشيد مستسلم تمام الاستسلام لوكيله رشيد باشا الموجود في طرفكم وفي الامكان الاتفاق معه على هذه النقاط كشخص الامير

ثالثا — لست واثقا من نتيجة ثبات الشيخ مبارك الصباح تجاه الانكليز فهو رجل طماع ان كان اليوم يتظاهر بالصداقة للدولة العثمانية والابتعاد عن التعاون مباشرة فلان ذلك ناتج عن تخوفه من قوة الدولة وامكان مهاجمته من قبل القوات النجدية فاذا حصل على معاونة فعلية من بريطانيا لا يلبث ان ينضم اليها ·

وقد علمت من جهة ثانية ان المفاوضات لا تزال مستمرة بين الانكليز والشيخ وقد وعده الانكليز مقابل انضمامه اليهم الاعتراف باستقلال امارته تحت سيادته وسيادة اولاده واحفاده من بعدهم وان يعطوه الحصة التي ينالونها من صيد اللؤلؤ وان يقدموا له السلاح اللازم مع المال ودلت بعض استخباراتنا الخاصة على ان الاتفاق تم بين الفريقين الا ان الامر لم يؤكد لي بصورة راهنه

رابعا — اغرق الانكليز على شط العرب في خليج البصرة زوارق الخفر

الصغيرة ·

قتل في هذه الحادثة ٢٢ جنديا دون ان يتمكنوا من الدفاع ومعهم قائدهم الملازم الاول جركس رضا افندي

الميرالاي — ادهم

هذا هو التقرير الذي بعث به الميرالاي ادهم بك من الاحساء الى وزارة الحربية عن الموقف في جزيرة العرب في الشهر الذي دخلت فيه الدولة الحرب العالمية وفي المعلومات التي اوردها القائد في تقريره هذا كثير من المعلومات التي تدل على حقيقة الموقف الذي كان على كثير من الخطورة في الجزيرة العربية خصوصا وانه ما كاد يمضي الشهر على وصول هذا التقرير حتى رأينا الانكليز يبسطون حمايتهم على امارة الكويت حيث لم يحفل الامير بنداء الخليفة ولا بقرار الجهاد فارتمى بين احضان الانكليز وكان هذا الامر مصير الكثير من الامارات العربية بحيث لم يزل منها مخلصا لنفسه محبا لبلاده واستقلاله الا اميرين هما الامير عبد العزيز السعود والامام يحيى حميد الدين

الصهيونية واسبابها

كان اليهود في فلسطين في بدء القرن التاسع عشر عبارة عن خليط من يهود الغرب والاسبان الذين هاجروا بلادهم على اثر المظالم التي لقوها من الملك فردينان وفيليب الثاني وهؤلاء يعرفون باسم « سفارديم » اي اهل الكتاب وفي اواسط القرن التاسع عشر هاجرت الى فلسطين كتلة ثانية من اليهود لا صلة لها قط بالفئة الاولى وهي قافلة المهاجرين من روسيا والمعروفة باسم « اشكنازيم » اي يهود اوروبا الشرقية وكان هؤلاء يقطنون منطقة صفد اعتقاداً منهم ان المسيح الجديد سيظهر في هذه البقعة من الارض الفلسطينية

وفي اواخر القرن التاسع عشر اشتدت الهجرة اليهودية من روسيا على اثر المظالم التي ارتكبت ببعض اليهود وبذلك اخذوا في توسيع حركاتهم والافتكار بضرورة احياء مجد اسرائيل السابق

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادىء الامر الا انها ما ابثت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمر الذي عقده بعض زعمائهم في فلسطين وكان اول مؤتمر عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانتن وواينتبرغ الروسي وفرايمن البولوني وهابسمن الروسي وهايغمن والفوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اسس اليهود القادمون من روسيا سنة ١٨٨٢ قرية « ريشون لزيون » وفي سنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كائنة في جوار حيفا شيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطلقوا عليها اسم « زمارين» او في تعبيرهم اليهودي « زيكرون يا كوب » .

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز الزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية

ولكن الوضعية لم تسر في بادىء الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال « لوانتين ونيبرغ » الى اوربا للقيام بدعايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال اللازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باريس التقى فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون مون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الصافية اوفد وكيلا عنه الى « ريشون ليزيون »

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً مكن منها القدم ولولا اقدام روتشلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت ضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت المذابح قام تارسيس ليئون ، فرنسيس فيليبسيون ، ادمون لاهمن ، سلمون رايناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جمعية باسم «الشركة الاستعمارية اليهوديه» في لندن سنة ١٨٩٠ غايتها العمل على مشترى الاراضي اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجنتين والبرازيل وكندا ايضاً .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز سكة حديد الروملي قد وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه الجمعية المسيو تارسيس ليئون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي ظل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة

والمؤكد ان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها بواسطة الاموال التي جمعتها لهذه الغاية وطدت نفوذ اليهود واقامت حجر الزاوية للوطن القومي الذي ينافس اليوم عرب فلسطين

منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعليا سنة ١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشلد الفرنساوي في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل الاموال في سبيل تحقيق هذه الغايه

والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجنتين تحت ادارة البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي المجري المشهور «هرتزل» كتابه «الحكومة اليهودية» وضع فيه خطط اليهود الصهيونيين النهائية في هذا السبيل وبات هذا الكتاب مقدسا في نظر اليهود حتى

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادئ الامر الا انها ما ابثت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمر الذي عقده بعض زعمائهم في فلسطين وكان اول مؤتمر عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانتن وواينتبرغ الروسي وفرايمن البولوني وهابسمن الروسي وهايغمن والفوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اسس اليهود القادمون من روسيا سنة ١٨٨٢ قرية « ريشون لزيون » وفي سنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كائنة في جوار حيفا شيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطلقوا عليها اسم « زمارين » او في تعبيرهم اليهودي « زيكرون يا كوب » .

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز الزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية

ولكن الوضعية لم تسر في بادئ الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال « لوانتين ونيبرغ » الى اوربا للقيام بدعايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال اللازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باريس التقى فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون مون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الضافية اوفد وكيلا عنه الى « ريشون ليزيون »

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً مكن منها القدم لولا اقدام روتشلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت ضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت المذابح قام تارسيس ليئون ، فرنسيس فيليبسون ، ادمون لاهمن ، سلومون رابناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جمعية باسم «الشركة الاستعمارية اليهوديه » في لندن سنة ١٨٩٠ غايتها العمل على مشترى الاراضي اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجنتين والبرازيل وكندا ايضاً .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز سكة حديد الروملي قد وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه الجمعية المسيو تارسيس ليئون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي ظل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة

والمؤكد ان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها بواسطة الاموال التي جمعتها لهذه الغاية وطدت نفوذ اليهود واقامت حجر الزاوية للوطن القومي الذي ينافس اليوم عرب فلسطين

منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعليا سنة ١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشلد الفرنساوي في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل الاموال في سبيل تحقيق هذه الغايه

والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجنتين تحت ادارة البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي المجري المشهور « هرتزل » كتابه « الحكومة اليهودية » وضع فيه خطط اليهود الصهيونيين النهائية في هذا السبيل وبات هذا الكتاب مقدسا في نظر اليهود حتى

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادئ الامر الا انها ما ابثت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمر الذي عقده بعض زعمائهم في فلسطين وكان اول مؤتمر عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانتن واينتبرغ الروسي وفرايمن البولوني وهابسمن الروسي وهايغمن والفوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اسس اليهود القادمون من روسيا سنة ١٨٨٢ قرية « ريشون لريون » وفي سنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كائنة في جوار حيفا شيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطلقوا عليها اسم « زمارين» او في تعبيرهم اليهودي « زيكرون يا كوب » .

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز الزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية

ولكن الوضعية لم تسر في بادئ الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال « لوانتين ونيبرغ » الى اوربا للقيام بدعايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال اللازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باريس التقي فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون ادمون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الصافية اوفد وكيلا عنه الى « ريشون ليزيون »

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً ممكن منها القدم لولا اقدام روتشلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت ضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت المذابح قام تارسيس ليثون ، فرنسيس فيليبسيون ، ادمون لاهمن ، سلمون رايناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جمعية باسم «الشركة الاستعمارية اليهوديه» في لندن سنة ١٨٩٠ غايتها العمل على مشتري الاراضي اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجنتين والبرازيل وكندا ايضاً .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز سكة حديد الروملي قد وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه الجمعية المسيو تارسيس ليثون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي ظل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة

والمؤكد ان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها بواسطة الاموال التي جمعتها لهذه الغاية وطدت نفوذ اليهود واقامت حجر الزاوية للوطن القومي الذي ينافس اليوم عرب فلسطين

منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعليا سنة ١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشلد الفرنساوي في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل الاموال في سبيل تحقيق هذه الغايه

والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجنتين تحت ادارة البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي المجري المشهور « هرتزل » كتابه « الحكومة اليهودية » وضع فيه خطط اليهود الصهيونيين النهائية في هذا السبيل وبات هذا الكتاب مقدسا في نظر اليهود حتي

انهم ينظرون اليه اليوم كتوراة ثانية انزلت من عند الله

وهرتزل لم تبحث في كتابه هذا عن المكان الذي يجب ان تكون فيه ارض الميعاد لانه كان يرغب من وراء كتابه هذا ان يوحد الفكرة بين اليهود وان يعمل على تحقيق مساعيهم وقد اثمرت مساعيه هذه عن الغاية التي يريدها حيث ما لبث الرأسماليون اليهود ان ذهبوا يخطبون وده ومفاوضته وقرروا عقد موءتمر عام اجتمع من ٢١ آب الى اول ايلول سنة ١٨٩٧ في مدينة « بال » حضره ٢٠٠ مندوب عن سائر طبقات اليهود في العالم وفيه قرروا ان غاية الصهيونية انشاء قرى يهودية في فلسطين موءمنة من سائر وجوهها ولتحقيق هذه الغاية قرروا ما يلي :

اولا — استعمار فلسطين بواسطة اليهود المزارعين واصحاب الصناعات المستقلة والعمال من مختلف الصناعات

ثانيا — ايجاد وحدة وطنيه بين سائر اليهود المنتشرين في مختلف انحاء الكرة الارضية .

ثالثا — انتخاب هيئة تبشيرية لتنزيل الفكرة التي بثها البعض في عقول اليهود عن عدم فائدة الوطنية القومية وضرورة التمسك بالوطنية اليهودية

رابعا — التوسل بسائر الخطط الممكنة لافهام سائر حكومات العالم غاية الصهيونية وحملها على الاعتراف بها

خامسا — تأليف لجنة تنفيذية موءلفة من ٢٣ عضواً بصورة دائمة ومركزها في فيانا .

سادسا — انتخب الدكتور هرتزل رئيسا للجنة التنفيذية

سابعا — على كل صهيوني ان يدفع رسما سنويا قدره فرنك واحد

وهكذا اخذت القضية دوراً جديداً عقب هذه الحادثه راح يتسع الى ان رأينا الصهيونية بشدتها التي نراها عليه في الوقت الحاضر في فلسطين

وقد ساعد على انتشار الصهيونية في البلاد تمسك هوءلاء في جنسيتهم الاجنبية

حيث كانوا بما هو موجود في البلاد من امتيازات اجنبية عارفين كيف يدافعوا عن حقوقهم غير عابئين في قوة الحكومة وتهديداتها ، ولهذا رأينا الحكومة تضع بعض الشروط عندما ابرق اليها خمسة الاف يهودي روسي من سكان منطقة يافا يطلبون الجنسية العثمانية اعتقاداً منها ان هوءلاء وان كانوا حقيقة يطلبون الجنسية العثمانية فالغاية لهم في النفس ليس الا

الفصل الخامس

الداعيات ضد الدولة العثمانية

كثرت الدعايات الاجنبية في البلاد الغربية ضد الدولة العثمانية واخذت الصحافة تتخبط في نشر الاخبار عن مراكز الجيش والحالة في البلاد العثمانية ويرجع السبب في ذلك لوجود شبكة منظمة للدعايات لدى الحلفاء التي تمكنت من قلب كثير من الخيالات الى حقائق راهنة وكانت الحكومة الالمانية قد اسست مثل هذه الهيئة لنفي هذه الاشاعات المتعلقة ببلادنا

وعقد اجتماع يوم ٣٠ تشرين ثاني في وزارة الداخلية تقرر فيه تاليف ادارة باسم « عثمانلي هيئة اخبار يه سي » اي الهيئة الاخبارية العثمانية لتعمل في سبيل مقاومة هذه الدعايات ، وجاء في منهاجها ان الغاية الظاهرة او الاساسية من تاليف هذه الادارة نفي الدعايات التي تنشر ضد السلطنة العثمانية في خارج البلاد وارشاد الشعب الى حقيقة الموقف الا ان هذه الهيئة التي ما لبثت ان احدثت لها فروعا في سوريا ولبنان وفلسطين انقلبت الى ادارة لنشر الدعايات الالمانية والجاسوسية لها وكان اكبر عامل لها في البلاد السورية الهر كارل هويل الذي لعب فيها دوراً خطيراً سنعود لدرسه وتبيانه

تصريحات رئيس الحزب الوطني — والحزب الوطني المصري عمل بكل قواه
قبل الحرب العالمية في سبيل اخراج الانكليز من مصر وكان من جراء ذلك
ان اضطر رئيس الحزب فريد بك وبعض رفاقه مغادرة مصر الى اوربا، وقد
عرف فريد بك بما كان من مساعي الترك في سبيل فتح مصر فظن ان هذه المحاولة
ناجحة وان في امكان الاتراك احتلال مصر ولهذا ما لبثنا ان رأيناه يغادر
اوربا عائداً الينا

وقد اغتنم القابضون على زمام الحكم في تركيا هذه الفرصة للاستفادة من
قدومه قصد تشجيع القوات العثمانية لفتح مصر من جهة وحمل المصريين من جهة
ثانية على القيام لمعاضدة القوات العثمانية الذاهبة اليهم

وكنت يومئذ في الاستانة عندما دعاني طلعت بك وطلب الي ان اذهب
لمقابلة فريد بك واقناعه بضرورة الادلاء بتصريحات موافقة لصالح الدعوة له الى
الصحفيين فقبل وادلى الى صحافة استمبول بتصريحات نشرت في ١٩ تشرين
ثاني ١٣٣٠ «٣ كانون اول سنة ٩١٤ هذا نصها، قال فريد بك :

اعرف ان الجيش العثماني المظفر اي جيشنا بات على ابواب السويس وانه قد
حل اليوم الذي سنحاسب به الانكليز الا انه يقتضي لاعطائكم معلومات مفصلة
عن تلك الحركات ضرورة كوني عسكريا وانا اجهل هذا الفن الا ان ما اعرفه
من حماسة الجيش العثماني رافع لواء الاسلامية المقدس يجعلني على اعتقاد وطيد
بامكان اجتياز القناة بسهولة تامة وان في مقدوره ان يزيل سائر الواقع التي
يحاول العدو اقامتها تجاهه

— ما هو مقدار القوة التي اقامها الانكليز في مصر

— اعرف ان الانكليز قد اقاموا في مصر منذ ثلاثة اسابيع قوة يبلغ مقدارها
خمسين الف جندي وهذه القوة مؤلفة من الانكليز لانه بعد اعلان جلالة الخليفة
الجهاد المقدس بات من المستحيل على الانكليز الاعتماد على صداقة المصريين المسلمين
لهم والعمل معهم اما القوات المصرية الموجودة في داخل القطر المصري فقد

قسموها الى قوات جزئية لا يتعدى اكبرها المئتي جندي وارسلوها الى المناطق
الداخلية البعيدة، ولست اعرف ما اذا كان الانكليز قد ارسلوا قوات جديدة الى
مصر غير هذه

— ماذا تعلمون عن امكان قيام المصريين بثورة ضد الانكليز ؟

— ان المنتمين للسياسة المصرية يعلمون ان المصريين وعلى الاخص المسلمين
منهم ينفرون ويكرهون الانكليز بكل ما في هذه الكلمة من معنى وليس هناك
من شك قط في ان تقدم القوات العثمانية الى مصر سيولد في القلوب فكرة انتقام
شديدة تدفع الجميع الى الشعور بواجبهم وان وقت العمل قد حان

— ان الثورة المصرية وان لم تكن قد بدأت فلان وقتها المعين لم يحن بعد
لان المصريين لا يزالون لغاية هذه الساعة يترقبون الفرص وعندما يقترب الجيش
العثماني اكثر من ذلك ترون قوات مصر الثائرة في المقدمة والدليل على ذلك
البرقية التي طيرها قبلا اشراف مصر الى جلالة الخليفة

— وماذا تعتقدون في موقف السودانيين تجاه ذلك

— انا على اكثر من واثق بان السودانيين المعروفين بغيرتهم الدينية الاسلامية
هم اكثر من غيرهم استعداداً ورغبة في الدفاع عن كلمة الجهاد التي اعلنها الخليفة
المقدس وفي هذه الحالة يتحرج موقف الانكليز تماما

هذا من جهة ومن جهة اخرى هناك القوات السنوسية فانتم تعلمون ان
الشريف السنوسي قد غادر مركزه في جغبوب وهو سائر الى الامام لتلبية
نداء الخليفة ويلزم لقواته التي تركت جغبوب من ١٠ الى ١٥ يوما لتصل الى
الحدود المصرية وعندها يتحرج موقف الانكليز لانهم يصبحون محاطين من
الغرب بالسنوسيين ومن الجنوب بالسودانيين ومن الشرق بالقوات العثمانية ومن
الداخل بالمصريين فتجاه هذا الموقف الحرج يصعب تماما على القوات العسكرية
الانكليز الثبات في مصر طويلا

— هل تريدون الذهاب الى مصر بعد دخول القوات العثمانية اليها ؟

— بدون شك لانني اريد مشاركة بني وطني في عيد الخلاص الذي سيعيدونه هناك

— ولكنكم محكومون في مصر

— نعم انني محكوم ولكن الحكم صادر علي من الادارة الظالمة ودخولي اليها سيكون عقب تقلص هذه الادارة

هذه هي التصريحات التى ادلى بها فريد بك وقد كانت ذات تأثير شديد ليس على رجال الادارة المركزية الذين يعرفون حقيقتها بل على القوات الذاهبة لفتح مصر حيث سار الجميع الى الامام وهم على اعتقاد وطيد بان القوات الزاحفة سائرة الى الامام وانها ستلاقي من الجهات الثلاث التي اشار اليها فريد بك كلما هي بحاجة اليه من معونة.

فهل كان ذلك حقيقي ؟

كلا ، لان قواتنا تراجعت ولم تلق ادنى معارضة من المصادر الثلاثة التي ذكرها فريد بك في حديثه بل كان الامر عكس ذلك حيث رأينا المصريين انفسهم يشتغلون ضدنا بدلا من ان يعملوا بجانبنا

الفصل السادس

المعارك الحربية في الشهر الاول لدخول الحرب في تركيا ، والقفقاس ، وبلاد العرب

دخلت تركيا الحرب في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٣٣٠ (٢٩ تشرين ثاني) عقب المعركة التي نشبت في البحر الاسود يوم ١٦ تشرين اول بين الاسطولين الروسي والعثماني وفي ١٩ منه هاجمت القوات الروسية جبهتنا القفقاسية بخمس فيالق وبدأت تتقدم الى الامام لليوم الثالث والعشرين منه حيث اخترقت مساحة شاسعة من الاراضي ووصلت لحدود منطقة « كوبري كوي » حيث تراجعت قواتنا الى الوراء

وفي ٢٥ منه صمدت لها القوات التركية في تلك الجهات ولكن هذا الفوز لم يدم طويلا لان القوات الروسية التي تراجعت في معركة ٢٥ منه عشر كيلو مترات الى الوراء عادت يوم ٢٦ منه بقوات كلية واحتلت مراكزنا في جبهة قوية تمتد لمساحة ١٥ كيلو مترا يحميها من الجنوب مجرى نهر آراس الكبير ومن الشمال سلسلة طويلة من الجبال الشامخة الوعرة المسالك

وفي صباح ٢٨ تشرين الاول (١١ ت ٢ سنة ١٩١٤) بدأت قواتنا بهجومها العام على جناحي العدو وقد تمكنت في الساعة العاشرة منه من ضبط « كوبري كوي » بعد معركة دامت ثلاث ساعات قتل خلالها من قواتنا المحاربة ٣٥٢ جنديا و ٤٧ ضابطا وقتل من العدو اكثر من هذا العدد

وفي مساء اليوم نفسه اخذت مدفعية العدو في اطلاق قنابلها على مواقعنا فاحدثت تضعضعا شديداً في معسكرنا واضطرت قيادتنا لان تسحب قواتها المعسكرة هناك الى الجبهة الخلفية بعد ان هدمت قرية « كو بري كوي » وحالت دون تمكن القيادة من اقامة الاستحكامات الجديدة ، وفي المساء استمر العدو يلقي قذائفه على مواقعنا الامامية طيلة الليل تحت الانوار الكهربائية وفي الساعة الرابعة من صباح ٢٩ ت ١ اخذت قوات العدو تتقدم الى جهتنا من الشرق حيث نصبت مدفعيتها على الهضبة رقم ١٩٠٥ وفي الساعة السابعة من صباح اليوم نفسه كانت قواتنا مشتبكة بمعركة دامية بالسلاح الابيض في منطقة (سبقه) بعد ان سكتت المدفعية وظلت هذه المجزرة البشرية مستمرة بين الفريقين الى الساعة الثالثة بعد الظهر فاسفرت عن تراجع العدو الى الوراء بعد ان احتلت قواتنا مواقعه والهضبة ١٩٠٥ مع مدفعيتها التي لم يتمكن العدو من تخريبها او سحبها

وعلى اثر هذه المعركة نقل العدو جبهته العمومية الى الخط الممتد من آزاب- زازاق - خوشاب على مساحة ١٢ كيلو مترا فتعقبته قواتنا الى الامام الا ان مدفعية العدو ما لبثت ان صدتها عن تقدمها واضطرتها الى التوقف في تلك المنطقة

وفي مساء ٣١ تشرين الاول فاجأت قواتنا العدو في جوار لازستان حيث جناح قواتنا الايمن فاحتلتها بعد ان قتلت من العدو ٨٥ جنديا واسرت ٣٠٠ جندي اخرين وفي اليوم الثاني تقدمت قواتنا الى (ليان) فاحتلتها واخذت قواتنا في الجناح الايمن تتقدم والعدو يتراجع امامها الى ان تمكنت يوم ٩ ت ٢ سنة ١٣٣٠ (٢٢ ت ٢ سنة ١٩١٤) من حمله على عبور نهر (جوروخ) الى ضفته الثانية واسترداد مدينة (ارتوين)

اما الجناح الايسر فقد بدأ حركته عقب احتلال قوات الجناح الايمن ارتوين حيث هاجم في اليوم ١٢ ت ٢ قوات العدو في (مورغول) فاحتلها بعد معركة دامت سبع ساعات قتل خلالها من قواتنا ٩١ جنديا ومن العدو ٤١٧ جنديا حسب تقرير وزارة الحربية الروسية الذي نشر بعد الحرب العالمية ثم اخذت

قواتنا تتقدم الى الامام الى ان تمكنت في هذا اليوم من احتلال « بور جيقا » المؤدية الى ولاية باطوم

وقد كان الفوز الذي احرزته قواتنا في الشهر الاول من الحرب العالمية على قوات الروس الفائقة العدد الامر الذي زاد في غرور القابضين على زمام الحكم في بلادنا حتى اعتقد الجميع ان الموقف اذا استمر على هذا المنوال سيؤدي الى فوز قواتنا في سائر الجهات

حتى ان امبراطور المانيا نفسه خدع بهذا الفوز الوقتي فابرق الى السلطان محمد رشاد يهنئه بفوز قواته على الروس في الجبهة القفقاسية

الموقف على حدود مصر — تحركت قواتنا الى مصر في اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٣٣٠ المصادف لليوم السابع من شهر ت ٢ سنة ١٩١٤

ولما كانت المنطقة التي سارت بها قواتنا خالية من القوات المصرية او الانكليزية الا من نفر قليل من الحراس الذين لم يبدوا مقاومة تتقدم من قواتنا الى الامام فاحتلت يوم ٢٨ ت ١ موقع (الشيخ زور) واسرت حاميته المؤلفة من ثمانية من الحراس ثم تقدمت الى العريش فاحتلتها يوم ٣٠ منه وفي ٥ ث ٢ — ١٨ منه — احتلت قلعة النحل التي تبعد ١٢٠ كيلو متراً عن الحدود العثمانية

وقد حاولت الحكومة ان تهلل للفوز الذي احرزته قواتها في هذه المنطقة مصورة ان تقدم القوات العثمانية ١٢٠ كيلو متراً في مدة اسبوعين يعد من الامور الخارقة

ضرب العقبة وفي اليوم الثالث لدخولنا الحرب العالمية اي في ٣ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ ضرب الاسطول الانكليزي العقبة وعادوا الى ضربها ثانيا في اليوم السابع منه وقد اكتفوا خلال هذا الشهر من اطلاق القنابل على هذين المركزين فقط

في منطقة الفاو — وفي ١٦ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ قام الانكليز بحركة اخراج جنود في منطقة الفاو (في الخليج) وقد اتلفوا في هذه المحاولة سائر الزوارق

الموجودة هناك والمعدة لخفر السواحل وبذلك مهدوا السبيل لاخراج جنودهم هناك وقد نشبت من جراء ذلك عدة معارك بين قواتنا والقوات الانكليزية ادت الى تكبدنا خسائر عظيمة فالحكومة في بلاغها الذي نشرته عن هذه المعارك قالت ان خسائر العدو في هذه المعركة كانت ٧٥٠ قتيلا والف جريح وان خسائرنا لا تتعدى العشرين قتيلا مع ان الحقيقة الراهنة اكدت لي ان خسائرنا في هذه المعارك زادت على الخمسماية قتيل اما خسائر العدو الرسمية فلم اعلم مقدارها تماما الا انها على كل حال ليست باقل من خسائر قواتنا لانها كانت مهاجمة

المعارك البحرية — هذا هو الموقف الحربي في المنطقة البرية خلال الشهر الاول من الحرب العالميه اما الحالة في البحر فانه بعد المعركة التي نشبت بين اسطولنا في البحر الاسود وبين الاسطول الروسي عاد الاتراك وارسلوا في اليوم الثاني الدارعة (مدللي) الى ثغر «توروسيسق» حيث اطلقت قنابلها على المراكز الروسية فاغرقت احدى بواخر النقليات العسكرية ثم ضربت بعض المراكز العسكرية بقنابلها ومن ثم عادت الى مدخل المضايق

وفي اليوم نفسه قصد الطرادان «معاونت مليت» و«غيرت وطنية» الى ثغر اوديسا فخربت خمس بواخر نقلية عسكرية وهدمت بعض المباني العسكرية

اما الدارعة كوبن «ياووز» فانها قصدت مع مخربين الى ثغر سيواستابول وأمطرتها بوابل من القنابل ثم القت في البحر بعض الطوربيلات السابحة وعادت ادراجها الى الاستانة .

مقابلة الروس — ولكن الروس لم يسكتوا على ضيم فانهم ما لبثوا ان جمعوا في اليوم الثاني سائر الطوربيدات السابحة التي القاها الالمان وجهزوا قسما من اسطولهم المؤلف من ١٥ قطعة حربية تتقدمها المدرعتان «باميات مرقوويا» و «قاغول» وسارت الى الشواطيء التركية فاغرقت البواخر التركية «بزم عالم» و «بحر احمر» و «مدحت باشا» بعد ان أسرت ربابنتها ثم القت قذائفها على مرفأي (زونغولداق) و (قوزلي) فاحدثت فيها تلفاً شديداً وكانت

خسائرنا في هذه الحادثة عظيمة جداً لان القنابل التي القاها العدو على هذين المرفأين وعلى البواخر الثلاث كانت سبباً في فقدنا ٤٢٠ قتيلا وزهاء ٨٠٠ جريح كما انها هدمت قسما وافراً من الاملاك الرسمية والخصوصية

وقد كان في الامكان ان تحدث هذه المعركة تأثيراً سيئا في معنويات الدولة ولكن الاميرال سوشن ما لبث ان قام يعلن الى الحكومة ان في مقدوره ان يجابه باسطوله الصغير قوات العدو البحرية الفائقة ولهذا ارسل في ٢٥ تشرين الاول «٨ تشرين ثاني ١٩١٤» عمارة بحرية مؤلفة من خمس قطع الى مرفأ (بوني) الروسي الا ان قواتنا لم تقدر ان تنال من هذا الموقع المستحكم شيئاً بل ان المدفعية الروسية كانت تهدد بقنابلها اسطولنا الذي ما لبث ان اضطر الى التراجع الى الوراء بعد ان صرف مئات القنابل هدراً حتى ان قنبلة واحدة لم تقع من قنابل اسطولنا في الهدف الذي كانت مرسلة اليه

وقد زاد الامر حراجة ان الاوامر وردت الى هذه القطع العثمانية بالتراجع فوراً الى الوراء لان المعلومات الواردة اليها تدل على ان الاسطول الروسي يستعد لقطع خط الرجعة عليها وتناولها بسائر افرادها اسيرة

وعادت هذه القطع فوراً الى الاستانة ولو تأخرت في مراكزها ثلاث ساعات اخرى لكانت حتما عرضة الى تهجمات الاسطول الروسي ووقوعها اسيرة بين يديه

الموقف في جزيرة العرب

وفي اليوم الاول من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤ اعلن حاكم عدن الانكليزي انه بحاجة الى استخدام متطوعين في القوات البريطانية ويدفع الى المتطوع في الجندية المحاربة ١٢ ليرة انكليزية في الشهر والى القوات التي تستخدم في المحافظة ١٤ ريالا وقد اثر هذا البيان في القبائل الموجودة هناك حتى ان حاكمية عدن تمكنت في مدة شهر من اذاعتها هذا البيان من استخدام عشرة آلاف

شخص من أبناء الجزيرة العربية استخدمتهم في القوات الزاحفة على جزيرة العرب من جهة البصرة .

وقد كان الشيخ عبد الرحمن شيخ مشايخ « قاطبة » اليمنية قد اعلن بموجب بيان نشره بتاريخ ٢٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ استعداده لنصرة قوات الخليفة ودعا رجاله الى العمل معه تلبية لداعي الجهاد وفعلا زحف بقواته في اليوم الاول من شهر كانون الاول الى الامام واحتل موقعي « قعره » و « اوقـلا » وطرد منها القوات البريطانية الموجودة هناك ، ولكن حاكم عدن الانكليزي ما لبث ان عرف كيف يتدبر الامر فارسل يدعو شيخ « قاطبة » الى ولاء الدولة البريطانية على ان يعترف له باستقلال بلاده وسيادته عليها هو واولاده من بعده وان يخصص له راتبا شهريا قدره خمسمائة ليرة انكليزية فقبل الشيخ عبدالرحمن بما طلبه منه حاكم عدن وبذلك عدل الشيخ المذكور عن مناصرة قوات الخليفة وترك مسألة تلبية الجهاد جانباً

الفصل السابع

اعلان الحصار على سوريا – ضرب بيروت – الغاية من ضرب بيروت وتأثيرها – تهجير المسيحيين – الحلفاء مسؤولون عن المجاعة

لم تكن الطريق مقفلة في شهري الحرب الاولين بين الشواطيء السورية بل بدأ في اواسط كانون الاول سنة ١٩١٤ فقد ورد اشعار من قيادة قوات فلسطين بتاريخ ١٧ كانون الاول يفيد ان ثلاث دوارع بريطانية القت القنابل على المخافر العسكرية بين يافا وغزة فهدمتها وقتلت خمسة من الجنود وثلاثة من الاهلين وفي صباح اليوم نفسه رست في مياه بيروت الدارعة الروسية « اسقولت » وبعد ان تجولت قرب شواطيء بيروت وقفت تجاه المرفأ واخذت في القاء قنابلها فاغرقت باخرتين صغيرتين كانتا داخل المرفأ

ثم طاردت مركبا شراعيا في جوار جونية والقت بضع قذائف من قنابلها على الساحل بين جونية وجبيل حيث المخافر التركية فاحدثت فيها ضرراً غير قليل

وبعد ظهر اليوم نفسه عادت هذه الدارعة الروسية وطاردت بعض المراكب الشراعية التي كانت تنقل الحبوب بين بيروت والسواحل الكائنة في جنوبها وشمالها فاغرقت ثلاثة منها بعد ان اسرت بحارتها

ثم اتجهت الدارعة نفسها الى جهات اللاذقية والاسكندرون فاغرقت في اليوم الثاني باخرة صغيرة واربعة مراكب شراعية كانت تنقل الحبوب الى

منطقة اسكندرون

الغاية من ضرب المواني — وكان الحلفاء يرمون من وراء ضرب بيروت او ضرب البواخر الراسية في مياه بيروت اثارة الرأي العام اللبناني ضد الدولة العثمانية واثبات ان الحلفاء على مقربة منهم في مقدورهم ساعة يقوم ابناء لبنان بثورتهم ان يقدموا على مساعدتهم ولكن الامر لم يكن كما اراد هؤلاء، فالحكومة التركية مثلت دوراً اهم من الدور الذي مثله الحلفاء فقد اشاعت ثاني يوم ضرب الدارعة الروسية للبواخر العثمانية ان الغاية من ذلك احتلال بيروت ولما كان المسلمون لا يزالون يعطفون على الدولة العثمانية في ذلك الوقت فقد تأثروا من هذه الدعايات وحققوا فكرة الدولة من انهم يؤيدونها ضد الحلفاء، فعمدوا الى الهجرة من بيروت الى الداخلية وقد اضطرت الحكومة في هذه الحالة لتخصيص عدة قاطرات يومية لنقل الاهلين المهاجرين الى دمشق بحيث زاد عدد الذين هاجروا في ذلك الاسبوع على العشرة الاف نفس

وكانت ولاية بيروت خلال هذه الحادثة على اتصال مع الداخلية من جهة وقنصل الولايات المتحدة الاميركية حيث اعلنته حقيقة استياء الشعب وما كان من افتئات الحلفاء على مرفأ غير حربي وضربهم السفن التجارية بصورة مخالفة وقد ساعد قنصل الولايات المتحدة الاميركية بحمل الحلفاء على عدم تكرير محاولة الاعتداء على المدن في سوريا

تأثير هذه الحادثة — وقد كان لهذه الحادثة تأثير شديد على الاندية التركية وعلى الاخص على شخص احمد جمال باشا الذي اعتقد من هذه الحادثة انه ليس في امكانه الثقة قط بالجماعات غير المسلمة الموجودة في لبنان وبيروت لان عائلة مسيحية واحدة لم تهاجر من بيروت في الوقت الذي هاجرت فيه الاف العائلات الاسلامية الى الداخل الامر الذي ولد في ذهن جمال باشا فكرة عدم الثقة بالمسيحيين

ومن هنا اخذت تتولد في مخيلة جمال باشا فكرة ابعاد المسيحيين عن بيروت

وسائر السواحل السورية — اللبنانية الى الداخل وقد انتظر الفرص الى ان جاءت له فعمد الى تنفيذها

الحلفاء مسؤولون عن المجاعة

ونحن لا نرمي القول جزافا في سبيل اتهام الحلفاء وتحميلهم قسما من مسؤولية المجاعة في سوريا ولبنان والقول بانهم كانوا سببها او الدفاع عن جمال باشا بل نروي الحقائق ونستشهد على ذلك باشخاص لهم معرفة واتصال

فلما حضرنا الى بيروت كنا في اواخر سنة ٩١٤ وكان موسم الحصاد قد انتهى وبيع القسم الوافر من المحصول وكان في البلاد كميات وافرة من الحبوب تكفي الشعب والجيش لاكثر من سنة في داخلية سوريا بعكس فلسطين ولبنان المنطقتين اللتين كانتا خاليتين من الحبوب وكانتا تتناولان حبوبهما دوما عن طريق البر لان هذه الطريق اقرب تناولا واكثر سهولة من غيرها من الطرقات ولما وقعت حادثة اعتداء الدارعة الروسية وامتنع البحارون من التنقل على مراكبهم وزوارقهم انصرف الفلسطينيون لتأمين ماهم بحاجة اليه من حبوب عن طريق حوران واللبنانيون عن طريق حمص وحماه وحلب ولكن هذا الامر لم يدم كثيراً لان ولاية دمشق وجدت ان هذا الامر سيقضي على موسمها ولهذا اصدرت قراراً في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ٩١٥ بناء على قرار اتخذه مجلس ادارة ولاية دمشق منعت بموجبه اخراج الحبوب منها الى منطقتي لبنان وفلسطين وقد اثار هذا القرار ضجة شديدة في الاندية المذكورة لانه كان سببا لارتفاع اسعار الحبوب في هذه المناطق واقدام والي بيروت ومتصرفي القدس ولبنان على الشكوى من هذه الحالة وطلب وضع حد لهذه الاعمال الجائرة

وهذا اول طلب يتقدم به الحكام الاداريون من قائد الجيش الرابع الذي اعتزم منذ قدومه الى هذه البلاد ان لا يتدخل في مثل هذه الشؤون قط

وقد استاء احمد جمال باشا من هذا القرار لسببين :

الاول — انه لا يريد ان يوجد تفرقة بين الولايات الموجودة تحت مطلق

نفوذه العسكري

الثاني ــ انه يعلم ان هذا القرار سيفتح المجال لبعض المحتكرين لان يرفعوا الاسعار و يستبدوا قوت العباد

ولهذا راجع حكومة سوريا في الامر فاجيب بموجب مذكرة مؤرخة في اول شباط ٩١٥ ان مجلس ادارة ولاية سوريا يصر على قراره لانه يخشى المستقبل وانه لا يمكنه العدول عن قراره هذا قبل حلول موسم الحصاد المقبل الذي موعده اول تموز من السنة المذكورة فاذا جاء الموسم موافقا بات في امكان الولاية ان تسمح بتصدير ما يزيد عنها الى ولاية بيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس اما ان تفرط في الكميات المدخرة باسمها فهذا ما لاقبل لها على احتماله

وجاء شهر نيسان من السنة المذكورة وانتابت البلاد فاجعة ما كانت بالفكر قط حيث هاجمت اسراب الجراد البلاد السورية و كنت يومئذ في بيروت فرأيت اياماً سماءها مغطاة بملايين الجراد الذى قضى على كل ما هو اخضر وقضى على كل امل بالمحافظة على الموسم الذي كان ينتظره الجميع بفارغ صبر لتخفيف وطأة المجاعة التي بدأت تظهر بوادرها في المنطقة اللبنانية والسواحل القريبة منها . وقد زادت الفاجعة سوءاً على اثر النكبة الثانية التي اصابت الموسم في سنة ١٩١٦ حيث هبت في شهر حزيران من السنة المذكورة ريح شديدة حارة قضت على قسم لا يستهان به من الموسم بحيث ان الحالة تطورت بصورة خطيرة للغاية وبات من الضروري اتخاذ تدابير شديدة فعالة لانقاذ القسم الممكن انقاذه من افراد الشعب من الموت جوعا

ففي اليوم الثالث من شهر ايار سنة ١٩١٦ دعاني احمد جمال باشا اليه فلبيت الدعوة وحضرت الى دائرته في دمشق فوجدت عنده رئيس اركان حربه فؤاد بك ومرافقه نظام الدين بك، ووالي دمشق تحسين بك و كانت الغاية من دعوته اياي الحصول على المعلومات الرسمية عن المساعدات التي كان يقدمها الولاة الى بعض الهيئات والمراجعات الواردة الينا من الملحقات عن طلب الاعانات

اللازمة الى غيرها من الهيئات فقدمت اليه التقارير التي طلبها مني و كان الموقف في ذلك الوقت كما يلي:

اولا = ان الجيش الرابع كان بعيداً عن التدخل في شؤون اعاشة البلاد الداخليه ضمن منطقة نفوذه

ثانيا — ان والي دمشق رغم قراره الذي اصدره بتخصيص حاصلات حوران ونواحي الشام لاعاشة دمشق ومحصول الكرك لاعاشة متصرفية القدس ومحصول حمص وحماه الى بيروت ولبنان فان المستحصلين رفضوا بيع محصولهم الا اذا نالوا ثمنا له عملة ذهبية

ثالثا — ان التجار اللبنانيين والبيروتيين الذين كانوا يشترون رطل القمح من خمسة الى عشرة غروش ذهبية ما كانوا ليكتفوا بالربح القليل بل كانوا ينقلون هذا المحصول و يبيعونه باسعار تعادل اربعة أو خمسة اضعاف السعر الذي اشتروه به دون أن يشعروا بوخز ضمير او بمسؤولية وجدانهم

رابعا -- ان المساعي التي بذلها والي بيروت عزمي بك باقامة مطابخ مجانية للفقراء ما كانت لتكفي جزءاً من الاهلين الذين بات السواد الاعظم منهم بحاجة الى القوت ولهذا كانت المجاعة تشتد من يوم لآخر ونفس هذه الحالة كانت في لبنان رغم الجهود التي كان يبذلها المتصرف منيف بك حتى وقع الرجلان بحيرة لا يعرفان ماذا يعملان لانقاذ الموقف .

تدابير احمد جمال باشا -- وعلى اثر هذا الامر اتخذ جمال باشا سلسلة تدابير هذه هي :

اولا ـ تامين معيشة مدارس الدولة الرسمية وطلاب الجامعة الاميركية وعائلات الرعايا الاجانب الموجودين في بيروت وهيئة الاكليروس لمختلف الطوائف وللمامورين الملكيين والمستشفيات الرسمية والغير الرسمية وذلك بان يعطي هؤلاء معيشتهم عن سنة واحدة يدفعون نصف اسعارها حسب السعر الذي يدفعه الجيش والنصف الاخر يقدم لهم مجانا .

٢ ثانيا — تقديم ثلاثمائة الف كيلو من الحبوب الى المؤسسات الخيرية والدار الايتام الموجودة تحت حماية البطريركية المارونية دون اي مقابل

٣ ثالثاً — ايفادي لمقابلة البطريرك الماروني ورجائه بكتابة مكتوب الى قداسة البابا ليعمل على مساعدة ابناء هذه المنطقة الجياع

رابعا — مساعدة البطريركية المارونية بقسم من المال لصرفه على المؤسسات التابعة لها .

وقد نفذ هذا القرار لمدة سنتين وبعد اسبوع من هذا التاريخ قصدت بكركي حيث اجتمعت هناك ببطريرك الموارنة السيد الياس الحويك بحضور ثلاثة من الرهبان واخذت منه نداء حاراً كتبه الى البابا لاجل حث العالم المسيحي وغير المسيحي على تقديم يد المساعدة الى ابناء هذه المنطقة الذي يكاد الجوع يقضي على البقية الباقية منهم في هذه البلاد

وفي الوقت نفسه اوفد احمد جمال باشا رئيس اركان حربه علي فؤاد بك لمقابلة قنصل الولايات المتحدة الاميركية ورجائه العمل في تحقيق فكرة الباشا لدى الدول المحايدة لارسال الحبوب اللازمة لدى الدول المحايدة لارسال الحبوب اللازمة مع بعض العتاد الحربية وقد ارسلت هذه التحارير في اليوم الثالث والعشرين من شهر ايار سنة ١٩١٥ الى سفير تركيا في سويسرا ليرسلها الى اصحابها ولكن كل هذه المساعي لم تثمر وثابر الحلفاء في التضييق على الشواطيء السورية اللبنانية حتى منعوا باخرة اميركية تقل الفي طن من القمح كانت قادمة في شهر آب سنة ١٩١٦ الى بيروت، واوقفوها في الاسكندرية بحجة ان هذه الاموال قد تصادر من الترك مع ان احمد جمال باشا قدم كل التأمينات في توزيعها على الاهلين حتى قبل ان تحضر هيئة الحلفاء وتتولى بنفسها توزيع هذه الحبوب على الاهلين الجياع فرفض هذا الطلب واستمرت بذلك تلك المجاعة في البلاد السورية

افلا يكون الحلفاء مسؤولين ايضا عن قسم من هذه المجاعة في الوقت الذي كان فيه في امكانهم تخفيف القليل من وطأتها

الفصل الثامن

جمال باشا في سوريا ـ جمال وانور باشا

اوفد انور باشا قبل سفر احمد جمال باشا الى البلاد السورية مرافقه وبعض الشخصيات السورية وفي مقدمتها عبد الرحمن باشا اليوسف عضو مجلس الاعيان والشيخ اسعد الشقيري والامير شكيب ارسلان وغيرهم ليوجدوا حوله جواً صافيا في البلاد السورية ويعملوا على تأييده

الا انه بعد تعيين احمد جمال باشا في قيادة الجيش الرابع ووصوله الى سوريا في اواخر كانون الاول سنة ٩١٤ ورؤيته تلك الفوضى التي احدثها هؤلاء الاشخاص ابرق الى انور باشا يطلب اليه استدعاء مرافقه والاتكال عليه في ادارة شؤون هذه المنطقة لان احمد جمال باشا ما كان ليريد قط ان يكون بجانبه اشخاص يعملون على حساب غيره بل ان يكون السيد المطلق في البلاد السورية

جماليزم — لم يكن في البلاد التركية في ذلك الوقت حزب سياسي ، اقول ذلك وانا على اعتقاد وطيد بان الحزب الاتحادي لم يكن الا واسطة لترويج الدعايات الشخصية ، فاركان الحزب كانوا رؤساء وكان كل منهم يعمل على حساب نفسه ويوجد حوله انصاراً فمثال ذلك اربعة اشخاص هم انور وجمال وطلعت وخليل فهؤلاء الاشخاص الاربعة الذين كانوا يقودون الحركة الرئيسية في حزب الاتحاد والترقي كانوا يمثلون في الحقيقة اربعة احزاب متناقضة فلكل منهم انصار في سائر انحاء السلطنة العثمانية يعملون على حسابهم

وكان هؤلاء الانصار يلقبون باسم من يخضعون له فالتابعون الى جمال باشا كانوا يفتخرون بانهم من محاسيبه وانصاره ويلقبون « بجماليزم » كأن جمالا مبدأ يسيرون عليه ومثل ذلك انصار البقية وقسموا بذلك حزب الاتحاد الى عدة فرق كل فرقة منها تابعة الى احدهم ولهذا فان جمال باشا عندما وصل الى دمشق ساءه ان يرى بعض زعماء البلاد « أنوريزم » بل اراد ان يكون هو الكل بالكل ولهذا كان اول عمل قام به حين وصوله الى سوريا اقصاءه جماعة انور باشا عن العمل المباشر لحسابه

من انوريزم لجماليزم — ولكن الاشخاص الذين كانوا يؤيدون انور باشا من السوريين والذين كانوا يعرفون « بانوريزم » ما لبثوا بعد الذي راوه من قوة ومقدرة جمال باشا ان انضموا اليه واصبحوا من اتباعه وباتوا يفتخرون بانهم « جماليزم » حتى اننا رأينا هذه البادرة ظاهرة في الخطب والقصائد التي كان يلقيها هؤلاء امام الرجل في الوقت الذي جاء فيه الى البلاد السورية

وقد كنت معه في حلب عندما وصلها وقد رأيت احد اللبنانيين وهو شبل افندي يلقي قصيدة طويلة في مدح جمال باشا واقتداره و يصف في هذه القصيدة الرجل كفاتح جاء لفتح بلاد جديدة داعياً اياه لمقاومة اعداء الدولة مؤرخا في قصيدته ان هذا العام هو فتح مصر عن يده ومثله فعل الكثيرون من خطباء وشعراء سوريا في ذلك الوقت

وقد وقفت استمع الى خطب هؤلاء الشعراء ، وان كنت لا اعرف اللغة العربية ، الا انني كنت انظر اليهم باستهزاء خصوصا عندما اعلمني الملازم نور الدين افندي من موظفي دائرة الاستخبارات ان شبل افندي المعلم في احدى المدارس يطمع في وظيفة في لبنان — وذاك هو فلكس افندي وهو معلم مدرسة ايضا في حلب يغالي كثيراً في خياله ، كان يطمع بمديرية مدرسة وذاك المتعمم كان يطمع في ان يولى احد المساجد الكبرى وذاك يرجو حظوة في نظر الباشا اي ان هؤلاء الشعراء والخطباء ما كانوا يرحبون باحمد جمال باشا الا لغاية في نفسهم

والمعروف عن احمد جمال باشا انه الرجل العصري بين وزراء الدولة العثمانية فهو راغب في ان يعزز الشبان والشابات ولهذا عزز اندية « تورك اوجاغي » في تركيا و بواسطتها بات زعيم الشبان والشابات الحقيقي وقد ودعه هؤلاء عند مغادرته الاستانة وداع الفئة التي تقدس رئيسها والعامل على النهوض بها . وجمال باشا نفسه كان يعمل مع هذه الفئة باخلاص وروية معتقداً ان هذه الفئة من ابناء الامة التركية وان كانت ضعيفه في ذلك الوقت الا انها على كل حال ستسير في طريق الكمال والقوة حتى اذا جاء المستقبل القريب نهضت ونهضت به الى المكان الاعلى من الدولة الذي يطمع به ولهذا رأيته شديد التأثر من مظاهر الود والحفاوة التي لقيها في الاستانة والبلاد الاناضولية عند مروره بها حتى انني رأيته يقف عند مضيق بوزانطي الفاصل بين تركيا وسوريا يتذكر التاريخ القديم عندما تقدم الاسكندر المكدوني وغيره من الفاتحين حتى انه لم يتأخر عن القيام بزيارة آثار هؤلاء الغزاة لان تلك المظاهر التي لقيها من اخوانه الاتراك جعلته يعتقد وهو يجتاز مضيق بوزانطي انه ذاهب مثل هؤلاء الغزاة الى فتح البلاد العربية وليس الى بلاد تابعة لتاج آل عثمان ولكن شعوره هذا لم يدم طويلا لان المشقات التي لقيها في الطريق الوعرة الممتدة من دورت يول الى اسكندرون ومن هذه الى شمالي سوريا فحلب قد افسدت عليه سروره لان الرحلة التي بدأت زهرة رائعة قد صدمت في هذه المنطقة حتى انني رأيته ساكتاً ساهياً طيلة هذه المسافة الشاقة التي قضيناها معا وفي حلب لم يكن ليشعر بنفس الشعور الذي شعر به في الاستانة والاناضول حيث التفت الى مرافقه القائد نصرت بك وقال :

— لقد سئمت لاول مرة هذه الحفاوة

وهو وان كان قد سئم هذه المظاهر في هذه الحفلة لوجود فرق بينها وبين حفلة الوداع في الاستانة ما لبث ان اعتاد عليها و بات يسر عندما يبلغه ان الشعب ينظر اليه كغول يخشى جانبه

اسباب تبدل الباشا — ولم تكن مظاهر الحفاوة التي لقيها حين وصوله الى

حلب هي التي سببت انقلاب الباشا بل ان الدسائس هي التي كانت سبب ذلك فجمال باشا منذ اليوم الاول الذي وصل فيه الى حلب تلقى في فندق «بارون» عشرات الوشايات مقدمة من بعض السوريين ضد اخوانهم واذكر من هذه تقريراً مقدماً من «..» يتهم فيها نسيبا له بانه يتآمر ضد سلامة الدولة وانه كان على اتفاق مع الدولة البريطانية وتقريراً اخر من «..» ضد اخاه متهما اياه بانه من اعضاء الجمعية الاستقلالية والى اخر ذلك من الوشايات والمفاسد

ولكن جمال باشا لم يعر في ذلك الوقت هذه الوشايات جانبا من الاهمية حتى انه رفض طلب والي دمشق خلوصي بك باجراء التحقيق في قضية الوثائق التي وجدت في القنصلية الافرنسية في دمشق وارسلها الى الديوان الحربي العرفي لانه كان يقصد من وراء كل ذلك ان لا يثير الشجون بينه وبين ابناء البلاد وان يعمل في سبيل تحقيق الغاية الرئيسية التي يعمل لاجلها وهي فتح مصر

واذكر انه هو الذي نبه بضرورة رفع الرقابة عن السوريين الذين كان خلوصي بك قد اتفق مع زكي باشا وانور باشا على اعتقالهم استناداً على تلك الوثائق حتى انه في الوقت نفسه استاء جد الاستياء من المعاملة الشائنة التي عومل بها نخله باشا المطران في تطويفه في شوارع دمشق وارسل يدعو الوالي ويوبخه على عمله هذا الذي لا يتفق مع قواعد العدل

وفي الواقع ان هذا الحادث كان سببا في استياء جمال باشا الدائم من خلوصي بك ومطالبته وزارة الداخلية استبداله بغيره والحفلة التي اقامها جمال باشا في دمشق لاركان الحركة الوطنية هناك وخطابه التاريخي الذي القاه يومئذ دليل واضح على ان الباشا ما كان يقصد في ذلك الوقت القيام باي تحقيق في صدد الوثائق السياسية او محاكمة اصحابها

وقد كان بين الشخصيات التي اعتمد عليها احمد جمال باشا وكان اعتماده متمادياً شخصية رجل متعمم كان يجيد التركية كالعربية وهو الشيخ اسعد الشقيري الذي كان انور باشا قد اوفده مع مرافقه لتهيئة الرأي العام في سوريا الى جانبه ا. ان هذا الرجل الذي عرف نفس احمد جمال باشا عندما كان في الاستانه ما لبث ان التف حوله وبات عدا انه مفتي الجيش الرابع مستشار الباشا يرشده الى الطرق السياسية الواجب عليه اتباعها في ادارة البلاد العربية واذا كان هناك من مسؤولية في خطأ السياسة التي سار عليها احمد جمال باشا فان عاقبتها تقع في الدرجة الاولى على الشيخ اسعد الشقيري قبل ان تقع على الباشا . فالمؤكد لدي من الوثائق المتعددة ان الشيخ اسعد الشقيري كان حبا في استمالة احمد جمال باشا اليه على اتصال دائم مع بعض الشخصيات المشابهة له في البلاد السورية

فجمال باشا بعد وصوله الى القدس انصرف الى العمل مع قواده في سبيل تهيئة المعدات اللازمة لحملة القناة في الوقت الذي كان فيه الشيخ اسعد الشقيري منصرفا الى درس الحالة في البلاد والاطلاع على المساعي التي يبذلها ابناء البلاد ضد الدولة العثمانية اي ان الشيخ اراد ان يوجد من نفسه دائرة استخبارات مستقلة

الامير شكيب ارسلان

والامير شكيب ارسلان كان في مقدمة الاشخاص الذين اعتمد عليهم انور باشا في استمالة الدروز وبعض القبائل العربية الى صفوف الدولة والحقيقة ان الامير شكيب ارسلان على اثر مقابلته لانور باشا في الاستانة اعلن استعداده التام لسائر ما يؤمر به وهو الذي اشار على انور باشا بضرورة اغتنام الفرص لهدم استقلال لبنان والحاقه بالدولة العثمانية

فالمعروف ان الجبل اللبناني يتمتع عملا بالمواثيق الدولية بامتيازات واسعة في الدولة العثمانية حتى ان الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا اتخذوا منه سلما لنشر دعاياتهم السياسية فيه وفي بقية البلاد العربية

وكان انور باشا وطلعت باشا الوزيران اللذان يوءيدان السياسة الالمانية يريان ، عند دخول الدولة في الحرب العالمية ، في هذا الجبل خطراً على سلامة الجيش من جهة وعلى سلامة الدولة حيث كانا يعتقدان بأن مجرد وجود ضعف كاف لان يثير اللبنانيين ضد الدولة من جهة كما انه لا يخلو من ان يقوم هوءلاء عملا بقاعدة الاعتراف بالجميل ، بموافاة الافرنسيين بما هم بحاجة اليه من اخبار عن قواتنا ولهذا رأوا في الوقت الذي دبروا فيه مشروع مهاجمة القناة ان يلغوا امتياز الجبل اللبناني

كيف دبرت الموءامرة — وقد كانت الآراء منقسمة في هذا الشأن فانور باشا كان راغبا في الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني في الوقت الذي تقرر فيه الغاء الامتيازات الاجنبية

الا ان طلعت باشا عارضه في ذلك مراعيا في هذا الوقت شعور اللبنانيين معتقداً انه بذلك يحول دون قيامهم ضدها كي لا يبات في مقدور الحلفاء ان يتدخلوا باسم حمايتهم فيحتلون السواحل السورية و بذلك يوجدون جبهة للدولة هي في غنى عنها ولهذا اعتزم طلعت باشا ان يوءجل الامر الى وقت اخر ريثما يمهد السبيل لهذه الحركة ، وعلى اثر هذه الموءامرة استدعى انور باشا بعض الزعماء اللبنانيين الموجودين في الاستانة واستشارهم في الموقف فكان رأي سليمان افندي البستاني الوزير الذي استقال لمعارضته في دخول الدولة في الحرب العالمية :

— ان اللبنانيين قوم يقدرون الموقف فاذا احسنت الدولة العثمانية السياسة معهم وداومت على الاعتراف بالحقوق الممنوحة لهم دوليا في هذه الظروف الحرجة التي ليس في مقدور الدول الاهتمام بها قدر لها اللبنانيون هذه العاطفة النبيلة و كانوا لها من اشد رعاياها محبة واخلاصا

فاجابه انور باشا :

— ولكنك يا حضرة الوزير تعرف ان اخوانك في لبنان يعملون في سبيل ضم بيروت الى جبلهم ووضعها تحت الحماية الافرنسية فمن يضمن والحالة هذه عدم قيامهم في الوقت الحاضر للتقريب بينهم و بين الافرنسيين اعدائنا في الوقت الحاضر

— انا يا صاحب الفخامة

— انت تضمن اخوانك و كنت قد عارضت في دخول الحرب لانها ضد فرنسا .

— كلا لم اعارض لانها ضد فرنسا بل كنت اعارض حتى ولو كانت ضد المانيا لانني من النافرين من الحروب وقد رأيت الويلات والمصائب التي احاقت بامتي من هذه الحروب و بت نافراً منها واخواني في لبنان هم من رأيي ايضا

— اذاً انت تعارض في الغاء الامتيازات المعطاة الى الجبل وضمه الى السلطنة ؟

— نعم

— اذاً انت ترى ان من الحط بمقامكم ان تكونوا من رعايا الدولة العثمانية ؟

وهنا اخذ الحديث وجهة اخرى غير التي اتى الوزير اللبناني لاجله الامر الذي دعا طلعت باشا ان يتدخل في الامر وان يفهم سليمان افندي البستاني بان الدولة لا تريد الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل بل ان تضع حداً للامتيازات الاجنبية وتدخل الدول الاجنبية في الامر

وهنا بدرت من البستاني افندي جملة لم يرد ان يرجع عنها وهي التي كانت سبباً في ازدياد سخط انور باشا على الجبل ورغبته في الغاء امتيازه حيث قال :

— ان اللبنانيين يا فخامة الوزير هم مثلكم يوءيدون مشروعكم في وضع حد للامتيازات الاجنبية و يكرهون تدخل الاجانب في شوءونهم الداخلية فاذا كان لا بد من حماية لهم فهم قانعون بموقفهم الحاضر وحماية السلطنة العثمانية والا فهم يفضلون ان يكونوا مستقلين على تدخل اية دولة اجنبية واست لاعتقد ان هيأة معروفة في لبنان تقدم على طلب حماية فرنسا على ان تكون خاضعة مباشرة لها

ـ ولكن البطريركية المارونية والمطران شبلي في بيروت يطلبان ذلك؟

ـ ان الذين ابلغوكم الامر قد اخطأوا كثيراً يا فخامة الوزير

ـ والمؤتمر الذي عقده جماعتكم في باريس ؟

ـ هو مؤتمر مؤلف من بعض النفعيين وعمال فرنسا وليس فيه لبنانيا واحداً

ـ كيف ؟

ـ نعم انه من ابناء بيروت او اللبنانيين الذين نزح اباؤهم عن الجبل الى بيروت و باتوا بدون عمل لا هم لبنانيون ولا عثمانيون وغايتهم المراكز والرتب فقط ولو كان في لبنان وظائف او في بيروت مراكز وعينوا بها لما قبلوا الذهاب الى باريس وعقد هذا المؤتمر

ـ والبقية

ـ مؤيدة للدولة . وهذا حديث اقوله لكم والايام ستريكم حقيقة ما اقول بشأن الجميع

الفصل الثامن

لكل قائد من قواد السفينة العثمانية مطمع شخصي لا يتفق مع هدف المصلحة العامة وخدمة الامة العثمانيه بل ينحصر في منافعه الخاصة فانور باشا بعد الفوز الذي احرزه في الحرب البلقانية توصل الى مصاهرة آل عثمان ثم تبوء وزارة الحربية ووكالة القيادة العامة ومع هذا كان يطمع باكثر من ذلك والى القراء التفصيل

الاتفاق السري — فالامبراطور غليوم رغم شموخه بانفه يعرف كيف يتميز الرجال وقد كان يراقب بدقة انور باشا عندما كان ملحقاً عسكريا للسفارة العثمانية في برلين وعندما لعب ادواره المتعددة بعد الحرية العثمانية ولهذا اعتقد به المقدرة والطموح فدفعه الى الامام فكان عضده سياسة المانيا الاستعمارية كما كان هو عضد انور باشا في تحقيق مطامعه وقد لعبت السفارة الالمانية ورجال المانيا السريين دوراً خطيراً في ايصال انور باشا الى وكالة القيادة العامة حتى بات ايام الحرب العالمية السيد المطلق ليس على الصدر الاعظم فحسب بل على السلطان محمد رشاد نفسه

ومطامع انور باشا هذه لم تكن منحصرة في هذا المنصب الرفيع في الدولة الذي وصل اليه بل كان يعمل على بسط نفوذه المطلق على السلطنة العثمانية وهذا النفوذ في اعتقاده لا يتم الا باعتلاء عرش آل عثمان وقد فاتح بفكرته هذه صديقه طلعت باشا بصورة غير مباشرة ، فانور رغم تزوجه من ناحية سلطان كان يعتقد

باآل عثمان الضعف وعدم المقدرة ويرى ان نفوذه ونفوذ حزبه سيزولان اذا ما اعتلى العرش الامير يوسف عز الدين او عبد المجيد او وحيد الدين ولهذا رأى ان يتخلص من هؤلاء ليجد لنفسه طريقا تمكنه من الوصول الى العرش بسهولة تامة ودون ان يريق نقطة من الدماء ولهذا كان في كثير من الاوقات يوغر صدر السلطان محمد رشاد ضد هؤلاء

والمعروف ان هناك عداوة بين عائلة عبد الحميد وعائلة عبد العزيز فالسلطان عبد الحميد الذي يكره اولاد عبد العزيز واحفاده كان يأنف دائما من استقبالهم في قصره وقد انتقلت هذه الكراهية الى السلطان محمد رشاد نفسه الذي بات يكرههم وبوجه خاص الاخوين محمد وحيد الدين وعبد المجيد وقد زاد انور في هذه الكراهية حتى امتنع عن استقبال اولاد عبد العزيز واحفاده واخذ انور باشا يحيك الشباك ليمهد لنفسه السبيل للوصول الى العرش

وانور باشا كان من دعاة الجامعة الاسلامية وقد حارب واشتغل في هذا السبيل عن عقيدة تامة وقد اراد ان يضع حدا للسوس الذي ينخر في جسم السلطنة العثمانية فرأى ان احسن حل لذلك هو فصل الدين عن السياسة وذلك بايجاد مقام ديني محترم للخليفة كما هي الحالة مع باباوات روما وان يظل هذا المركز مع سلاطين آل عثمان وان يتولى هو بنفسه السلطنة الزمنية ثم اولاده واحفاده من بعده .

متى بدأت هذه الفكرة ؟ — ان الوثائق الموجودة لدي تؤكد ان هذه الفكرة بدأت تختمر في عقل انور باشا بعد حادثة ١٢ كانون الثاني سنة ١٩١٣ عند ما فشل ناظم باشا وزير الحربية وتولى هو المركز بدلا منه فالرجل الذي تمكن من ان يتحول من يوزباشي في جيش الحرية سنة ١٩٠٨ الى وزيراً للحربية في سنة ٩١٣ رأى ان في مقدوره ان يكون سلطانا وقد شجعته على تحقيق فكرته هذه السفارة الالمانية التي يثبت له ان فوزه في السياسة سيؤدي به حتما الى هذا المركز الخطير ولهذا اخذ يعمل بكل قواه في سبيل تحقيقه ولكنه

وجد تجاهه في ذلك الوقت عدة رجال اقوياء لا يقلون عنه مطمعا فطلعت باشا الذي تولى عقب حادثة ك ٢ سنة ٩١٣ وزارة الداخلية كان من فكرة انور باشا من وجهة ضعف آل عثمان وعدم امكانهم ادارة مقدرات الدولة العثمانية وان بقاءهم على رأس الحكم مدعاة الى استمرار الفوضى في البلاد وتدخل الاجانب في شؤونها السياسية الا انه على كل حال لا يؤيد انور باشا في فكرته من وجهة المحافظة على السلطنة بل هو يؤيد الفكرة الجمهورية ورب قائل يقول ان فكرة الجمهورية قد دخلت الى الاذهان من يوم مؤتمر سان استفانو الذي عقده النواب في شهر نيسان عقب ثورة سنة ٩٠٩ حيث جاهر بها بعض النواب على اثر ميل لقوه من طلعت باشا ولما لم تلاق هذه الفكرة قبولا حسنا من رجالات تركيا في ذلك الوقت سكت عنها الا انها ظلت مختمرة في رأس طلعت باشا وتفرق رفاقه الذين كانوا يترقبون الفرص لتحقيق هذه الغاية وعلى هذا يرى القراء ان رجلي تركيا انور وطلعت وان كانا متفقين مبدئيا على عدم فائدة البلاد من استمرار الحكم بيد آل عثمان الا انهما يفترقان في النتيجة حيث يفكر الاول في ان يكون السلطان المقبل مع الاحتفاظ بالخلافة والثاني رئيسا للجمهورية ومع هذا فقد اتفقا على الاساس واخذا يعملان في هدم العائلة العثمانية حيث بدأوا بابعاد يوسف عز الدين ثم بمفاوضة السوريين

مفاوضة السوريين

ان مفاوضات السوريين هي من جملة المعاول الهدامة التي استعملها انور ، فوزير الداخلية السابق الحاج عادل بك كان يعمل مع والي بيروت ابو بكر حازم بك في سبيل تفريق الجمعية الاصلاحية المؤلفة في بيروت بالقوة حتى ان ابا بكر حازم بك في مذكراته السياسية التي نشرها في الشهر الماضي ، تساءل عن الاسباب التي حدت بطلعت باشا لان يفاوض السوريين ويعرض عليهم العفو في الوقت الذي كانوا يفاوضونه به حيث كان في امكانه لو لم يرسل انور وطلعت مندوبيهما الى باريس ان يحملها على الخضوع لارادته بلا قيد ولا شرط

ولقضي على الفكرة التي وضعها زعماء الاصلاحيين في البلاد السورية

ونحن نقول لابي بكر حازم بك ان الغاية من هذه الحركة الشروع في هدم السلطنة آل العثمان واليك هي :

الغاية من المفاوضة — يعرف المتتبعون للسياسة الدولية قبل الحرب ان هناك نفوذا كان يتنازع السيادة في جزيرة العرب وقد كان هذا النفوذ منحصرا قبل هذا القرن بين بريطانيا وفرنسا الا انهما على كل حال لا يتعارضان مع بعضهما البعض لان مطامع فرنسا تنحصر في سوريا ولبنان حيث يعمل رجالها هناك بكل قواهم وبريطانيا في بقية انحاء جزيرة العرب وكانت المطامع الايطالية بعيدة عنها لانها تنحصر يومئذ في طرابلس الغرب ، ولكن الامر ما لبث ان تطور بعد زيارة الامبراطور غليوم الالماني سنة ١٨٩٨ الى تركيا وحصوله على امتياز مد الخط الحديدي الى بغداد ومنذ ذلك الوقت بدأنا نرى عمال المانيا يسعون في سبيل تحقيق سيادتهم على البلاد التي تمر بها هذه الخطوط وعلى المنطقة السورية والفلسطينية نفسها ولعبت هذه المطامع الاستعمارية دوراً خطيراً رأينا كيف كانت نتيجته اندلاع نار الحرب العالمية

فانور واللذان جلسا على مقعد الحكم يؤيدان السياسة الالمانية ولم ترق سياستها هذه فرنسا وبريطانيا اللتين قامتا تؤيدان كامل باشا وانصاره وقد رأينا كيف اتى كامل باشا في الاسبوع الذي سبق قتل محمود شوكت باشا على باخرة فرنسية تابعة للمساجري ماريتيم وكيف لجأ القتلة الى دار السفارة البريطانية الخ

وقد اثارت هذه الحادثة استياء الرجلين وانصارهما حتى اذا نجحا في ابعاد كامل باشا ثانيا عن الاستانة واستعادة نفوذهما بالحكم كان اول ما فكرا به مقاومة نفوذ هاتين الدولتين فعليا في السلطنة العثمانية والاستناد على ساعد الامبراطورية الالمانية ومتفقيها في سبيل تحقيق ذلك وكانت اول حادثة اعترضتها ذلك الموقف في سوريا وقيام فرنسا بمعاضدة ابناء هذه المنطقة بتسهيلها لهم عقد المؤتمر في باريس وعطفها مع بريطانيا على مطالبهم وتقديمها مذكرتها

المعلومة اليهم بشان الاصلاحات المطلوبة الى سوريا وزيادة عدد نوابها

وكان اول عمل فكر به انور وطلعت لمقاومة التدخل الافرنسي بصورة فعلية عرقلة اعمال مؤتمر باريس واخراجه من صبغته العمومية الى مؤتمر مسيحي محلي ولهذه الغاية اوفدا امين السر العام لحزب الاتحاد والترقي شكري بك مع احد السوريين عبد الكريم افندي الخليل الى باريس ليعملا على عرقلة مساعيه وتقليل اهميته مقابل سلسلة من الوعود الشخصية والعمومية قطعاها الى هؤلاء السادة وقد نجحا في ذلك ولم يعد لذلك المؤتمر الذي انعقد في باريس في اواخر سنة ١٩١٣ الاهمية التي كان يتوخاها الافرنسيون والانكليز وقد كانوا يحاولون بها حمل ابناء البلاد المسلمين والمسيحيين على طلب تدخلها الفعلي في شؤون تلك البلاد العمومية .

خديوية سوريا

ثم حاول انور وطلعت ان يقضيا على النفوذ الفعلي الذي تتمتع به فرنسا في لبنان من جراء الامتيازات الدولية المعطاة له في ذلك الوقت وذلك بقلب سوريا الى خديوية تابعة للسلطنة العثمانية فيتولى شؤونها ولي العهد الامير يوسف عزالدين وبذلك يتمكنان من رمي عصفورين بحجر واحد الاول انهما بواسطة هذه الخديوية يكون في مقدورهما اكتساب البلاد العربية الى صفهما بصورة قطعية ويحملانها على ان تدافع على كيانها هذا بكل قواها حتى ضد الاجانب ومن جهة ثانية يكونان قد ابعدا من طريقهما ولي العهد يوسف عز الدين افندي الذي كان الخلاف بينه وبينهما قد وصل الى اشده ويتسنى لهما بسط نفوذهما المطلق على السلطنة العثمانية وان ينصرف كل منهما الى تحقيق ما يريده .

طلب مساعدة المانيا — ان مشروع تنصيب ولي العهد خديويا على سوريا لم يكن مشروعا وهميا بل هو حقيقي مستند على وثائق وادلة اشترك فيه عدا جمال باشا خليل بك رئيس مجلس المبعوثان ونائب ازمير اليوم الذي لا يزال في قيد الحياة والبرنس سعيد حليم باشا وتدخلت به المانيا بواسطة سفيرها في الاستانة

والنمسا بواسطة سفيرها ايضا وكان الدور الاول في هذه الرواية من الاجانب للسفير الالماني الذي زار انور باشا في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤ في قصره وخاطبه بهذا المشروع قائلا :

-- ان حكومة صاحب الجلالة القيصر الالماني تؤيد خطتكم تماما وترى انها خير وسيلة لتوطيد نفوذ السلطنة العثمانية في بلاد العرب واستمالة ابناء هذه المنطقة اليها وان حكومته مع حلفائها مستعدة لمساعدة الدولة العثمانية في تحقيق هذا المشروع والاعتراف بهذه الخديوية القائمة تحت سيادة السلطنه العثمانية وبالغاء العهود المقطوعة الى لبنان في امتيازاته الدولية ، ثم طلب السفير من انور باشا ايضاحا عن الخطة التي وضعت لتنفيذ هذه الغاية

وقد اجابه انور باشا ان المشروع لا يزال سريا لم يصدر البحث فيه بصورة رسمية وانه متى تقرر سيعلنه بامره ، وشكره على تصريحاته المؤيدة لفكرته

وقد ايد طلعت باشا هذا الحديث حرفيا بمذكراته واضاف عليه ان انور عندما فاتحه به اعلمه ان تأييد المانيا ضروري جدا له

مطامع الالمان

والمانيا يهمها كثيراً تحقيق فكرة احداث « خديوية » في سوريا وان تبادر هي للاعتراف بها لان تحقيق مثل هذا المشروع يقضي على النفوذين الافرنسي والبريطاني ويجعل كلمة المانيا هي العليا ، فلم يكن من الغريب ان تعمد الى تشجيع انور باشا في فكرته ولكنها اشترطت منح لبنان امتيازاً اداريا فيكون مستقلا بموظفيه وموازنته فحسب ومرتبطا بالخديوية السورية في سائر الامور وقد دارت مفاوضات طويلة بهذا الصدد بين السفير الالماني وانور وطلعت اللذين خابرا بعدئذ ولي العهد ثم بعض كبار السوريين وقد كان الاتفاق سائداً الفريقين الترك والالمان وكذلك كان الاشخاص الذين فاوضهم طلعت باشا من سوريين وفي مقدمتهم عبد الكريم الخليل ، عبد الحميد الزهراوي ، الدكتور سعيد حيدر ، يوسف سرسق ، الامير شكيب ارسلان ، عبد الرحمن باشا

اليوسف ، موافقين هذه الخطة وقطعوا لانور باشا عهدا بتأييده في انفاذها وصرحوا له ان السوريين بين انفسهم لا يتأخرون قط في قبولها

ولي العهد يرفض — على ان ولي العهد رفض تسنم الكرسي الخديوي في سوريا لان قبوله به يحرمه العرش العثماني . . .

وقد دارت مفاوضات طويلة بين انور وطلعت، وولي العهد الامير يوسف عز الدين لاقناع الامير بالتنازل عن ولاية العهد والقبول بالمشروع الجديد حتى اوجس الامير خيفة على نفسه وتوهم ان الجماعة يأتمرون عليه للخلاص منه ولذلك قطع حبل المفاوضة وراح يعلن بين اصحابه واصدقائه ان انور باشا يتآمر لقتله كما قتل والده السلطان عبد العزيز من قبل ، وزيادة في الحيطة اقام حوله حرسا شديداً ليحول دون دخول انور وجماعته الى قصره

ولم تقف وساوس الامير يوسف عز الدين عند هذا الحد بل غلب عليه القلق والغم حتى اقدم على قطع وريده ومات منتحراً ، وهناك قول بان انور باشا هو الذي اقدم على قتله خلال الحرب العالمية وهذه الرواية اقرب الى الصواب لان انور باشا الذي بدأ يرى في ولي العهد خطراً على نفوذه ما لبث ان بطش به في مؤامرة حاك خيوطها

والمهم في بحثنا هذا انه بينما كان انور باشا يسعى لاستمالة ولي العهد لحل القضية السورية بل العربية ، كما يشاء ، اذ نشبت الحرب العالمية فتبدل الموقف وقام عندئذ انور باشا يمهد السبيل لنفسه مع رجالات العرب فاوفد الامير شكيب ارسلان الى الدروز وعبد الرحمن باشا اليوسف والشيخ اسعد الشقيري الى القبائل العربية ليستميلوها ويخطبوا له ودها وارفق كل منهم برقيب وقد قطع هؤلاء الموفدون شوطا بعيداً بعيداً في مهمتهم ولما لم يفلح ذكي باشا في انفاذ الخطة التي رسمها له انور باشا بعث احمد جمال باشا بدلا منه الى سوريا وابدل الموقف السياسي فيها كل التبديل .

مطامع جمال باشا — عرف القراء مما تقدم حقيقة مطامع الاشخاص الذين

اداروا دفة السياسة الدولية في تركيا و كيف غرروا بالامة والبلاد حتى ادخلوها في الحرب العالمية .

والمؤكد هو ان احمد جمال باشا لم يشترك بادىء الامر في المناورات التي دبرها الاقانيم الثلاثة ، طلعت وانور وخليل ، مع الالمان لانه كان معروفا بنزعته في السياسة الى تاييد الحلفاء ولكن لما وجد انه ليس هناك مندوحة عن دخول الدولة في الحرب العالمية بجانب المانيا لم يقف ضد انور ورفيقه ولا استقال كما فعل وزير المالية جاويد بك ووزير التجارة سليمان افندي البستاني ووزير الاشغال العامة ثوورك صولو محمود باشا ووزير العدلية بل انضم الى انور وطلعت وسار معها لمقاتلة اصدقائه الافرنسيين والانكليز ، ورضي ان يترك العاصمة حيث يتمتع بنفوذ كبير الى البلاد السورية وقد كان يجهل حقيقة الوعود التي قطعها انور ورفيقاه للصدر الاعظم بتوليته الخديوية المصرية ولهذا سار وفي صدره ايضا طمع بان يكون .. خديويا ...

ومطامع احمد جمال باشا هذه بدأت منذ اليوم الذي غادر فيه الاستانة لان المظاهرات الكبرى التي جرت له في الاستانة و بلاد الاناضول وسوريا ملأت رأسه غروراً حتى اصبح يعتقد انه كلما تقدم خطوة سيري الشعب والبلاد فاتحة له قلوبها وابوابها فيدخل دون اقل مقاومة وعندها يصبح في امكانه وهو السيد المطلق ان ينال ما يريد وان يجلس على عرش خديوية مصر دون ان يقدر احد على منازعته اياه .

هذه هي حقيقة مطامع احمد جمال باشا في مصر وعلى هذه النية ذهب الى قناة وحاول ان يجتازها .

الفصل التاسع

على اثر وصولنا الى دمشق واجتماعنا باركان البلاد هناك ورفض احمد جمال باشا الاهتمام في قضية اوراق القنصلية الافرنسية انصرف احمد جمال باشا في طليعة ما انصرف اليه لوضع تدابير معركة القناة اعتقاداً ان فوزه في هذه المعركة يجعله السيد المطلق على البلاد ومن ثم يمكنه ان يقمع كل حركة اما اذا اقدم على توقيف الاشخاص الوارد ذكرهم في تلك الوثائق فانه لا يبقى في مقدوره ان يسير الى القتال وهو واثق من الموقف فالمعروف ان زكي باشا في تقاريره التي كان يرسلها الى انور باشا كان يعلن خشيته من ابناء البلاد و يذكر ان بينهم و بين الاجانب مخابرات كما انه يخشى ان يقدم الحلفاء على احتلال السواحل على حين غرة وهو ليس لديه قوات كافية للدفاع عنها ولكن جمال باشا سار على خطة مخالفة لهذه لانه في محاولاته اثارة فكرة احتلال السواحل عندما حضرت الدارعة الروسية واقدام الاهلين على الفرار من وجه الاحتلال الى الداخلية اوجدت في عقل الحلفاء فكرة ان الاهلين وعلى الاخص المسلمين منهم ليسوا بجانبهم وان اقل محاولة لاخراج جنود ستجعلهم عرضة لانتقام الاهلين من انصارهم

ثم عمد من جهة ثانية لاستمالة زعماء الحركة العربية بالحفلة التي اقامها لهم يوم وصوله و بخطابه التاريخي حتى بات مقتنعاً بعد هذه المظاهر ان الشعب مال اليه وانه يعمل على تأييده فلا يقدر رجال المعارضة ان يؤثروا على افكار الشعب

في هذه المسألة مهما بلغ من قوتهم وعلى هذا اتفق مع جمال باشا وفون فرانكنبرغ باشا ان ينظموا في دمشق خطة لهجوم على قناة السويس

لماذا القناة قبل كل شيء — اعرف جمال باشا تمام المعرفة وقد قضيت واياه اوقاتا مختلفة لا تقل عن عشر سنوات وانا اعرف تمام المعرفة حقيقة نواياه فهو رجل طموح شديد الرغبة في العلاء والنفوذ والسيطرة ولهذا لم يحجم عن البطش بخصومه السياسيين بطشا شديداً عندما استدعاه محمود شوكت باشا وولاه محافظة الاستانه التي مكنته من الوصول الى وزارة البحرية

وكان جمال باشا يعرف تمام المعرفة حقيقة القصد من الحملة التي يديرها الالمان بالاتفاق مع انور باشا لاختراق القناة ومع هذا ورغم كرهه للالمان فانه قبل ان يترأس هذه الحملة بعامل الطمع فهو كان يعتقد ان الالمان سيفوزون على الحلفاء حتما وان المعارك الناشبة في الجبهة الغربية ودول اوربا الوسطي ستترك الحلفاء في حالة غير صالحة للدفاع عن قناة السويس ، والمعلومات الواردة اليه من مصر تدل على ان المصريين انفسهم غير راضين عن اعلان الحكومة البريطانية الحماية على مصر كما ان حسين كامل باشا الذي نادوا به سلطانا على مصر لم يكن حائزاً ثقة عامة المصريين الذين كانوا ناقمين على الاحتلال ، يهللون للخليفة ودولته . فاذا فاز باختراق القناة ، يجعل الانكليز بين نارين : ١ — الثورة المصرية ٢ — القوات العثمانية . وعندئذ يتمكن من دخول مصر فاتحا منتصراً . .

الموقف العسكري — سنرى الان ان ننقل للقراء تفصيل الموقف السياسي في كانون ثاني سنة ٩١٥

اولا — كانت قوات المتطوعة من العربان المؤلفة بقيادة البنباشي ممتاز بك قد احتلت العريش واخذت في اقامة الاستحكامات حولها استعداداً لمهاجمة القناة

ثانيا — وكانت قوات المتطوعة التابعة للفرق الخاصة والمؤلفة بقيادة القائمقام اشرف بك قد احتلت قلعة « النخل » وراحت تدأب في اقامة الاستحكامات حولها .

ثالثا — تقوم في العقبة قوة نظامية بقيادة القائمقام موسى كاظم بك

رابعا — في بئر السبع يقوم الاي تابع الى الفرقة السابعة والعشرين وهو مدار استناد القوات المهاجمة في الصحراء

خامساً — تألفت الفرقة الخامسة والعشرين بقيادة اميرالاي الاركان الحربية علي فؤاد بك

سادسا — احدثت وظيفة مفتش عام في الصحراء عين له القائمقام بهجة بك قائد الفرقة التي امنت وسائل المعيشة في نواحي الصحراء ممدة تنقلات الجيش الى القناة

القوة السفرية — وقبل الشروع في مهاجمة القناة نظمت القوة السفرية المعدة لمهاجمة القناة على الوجه التالي وقسمت الى مرحلتين :

المرحلة الاولى — مؤلفة من الفرقة الخامسة والعشرين النظامية والفرقة الـ ٢٣ والفرقة الـ ٢٧

والاي يؤلف من مختلف الفرق ، وخمس بطاريات صحراء سريعة الطلقات ، وبطاريتين جبليتين سريعتي الطلقات وبطارية هاوبوس سريعة الطلقات من فئة ٢٥ سانتيمتراً والاي خيالة واربع بلوكات هجانة وخمسمائة خيال من عربان البادية المتطوعة وثلاثة طوابير من صانعي الجسورة وست بلوكات استحكامات ومفرزات للبرق اللاسلكي ومستشفيات سيارة وبلوكات صحية والجميع يؤلفون ١٢٫٦٤٢ نفراً و ٩٦٠ جواداً و ٣٢٨ جاموسا عدا الجمال

المرحلة الثانية — اما المرحلة الثانية فمؤلفة من القوة السفرية الحجازية التي وضعت تحت تصرف جمال باشا والمؤلفة بقيادة وهيب باشا والفرقة النظامية العاشرة وبطارية خيالة وبطارية مدفعية وسائر ما هي بحاجة اليه من القوات المعاونة

الاستعداد لمعركة القناة

ولا نريد في هذه المذكرات ان نأتي مفصلا على معركة القناة لان من

في هذه المسألة مهما بلغ من قوتهم وعلى هذا اتفق مع جمال باشا وفون فرانكنبرغ باشا ان ينظموا في دمشق خطة للهجوم على قناة السويس

لماذا القائد قبل كل شيء — اعرف جمال باشا تمام المعرفة وقد قضيت واياه اوقاتا مختلفة لا تقل عن عشر سنوات وانا اعرف تمام المعرفة حقيقة نواياه فهو رجل طموح شديد الرغبة في العلاء والنفوذ والسيطرة ولهذا لم يحجم عن البطش بخصومه السياسيين بطشا شديداً عندما استدعاه محمود شوكت باشا وولاه محافظة الاستانه التي مكنته من الوصول الى وزارة البحرية

وكان جمال باشا يعرف تمام المعرفة حقيقة القصد من الحملة التي يديرها الالمان بالاتفاق مع انور باشا لاختراق القناة ومع هذا ورغم كرهه للالمان فانه قبل ان يترأس هذه الحملة بعامل الطمع فهو كان يعتقد ان الالمان سيفوزون على الحلفاء حتما وان المعارك الناشبة في الجبهة الغربية ودول اوربا الوسطي ستترك الحلفاء في حالة غير صالحة للدفاع عن قناة السويس ، والمعلومات الواردة اليه من مصر تدل على ان المصريين انفسهم غير راضين عن اعلان الحكومة البريطانية الحماية على مصر كما ان حسين كامل باشا الذي نادوا به سلطانا على مصر لم يكن حائزاً ثقة عامة المصريين الذين كانوا ناقمين على الاحتلال ، يهللون للخليفة ودولته . فاذا فاز باختراق القناة ، يجعل الانكليز بين نارين : ١ — الثورة المصرية ٢ — القوات العثمانية . وعندئذ يتمكن من دخول مصر فاتحا منتصراً . .

الموقف العسكري — سنرى الان ان ننقل للقراء تفصيل الموقف السياسي في كانون ثاني سنة ٩١٥

اولا — كانت قوات المتطوعة من العربان المؤلفة بقيادة البنباشي ممتاز بك قد احتلت العريش واخذت في اقامة الاستحكامات حولها استعداداً لمهاجمة القناة

ثانيا — وكانت قوات المتطوعة التابعة للفرق الخاصة والمؤلفة بقيادة القائمقام اشرف بك قد احتلت قلعة « النخل » وراحت تدأب في اقامة الاستحكامات حولها .

ثالثا — تقوم في العقبة قوة نظامية بقيادة القائمقام موسى كاظم بك

رابعا — في بئر السبع يقوم الاي تابع الى الفرقة السابعة والعشرين وهو مدار استناد القوات المهاجمة في الصحراء

خامساً — تألفت الفرقة الخامسة والعشرين بقيادة اميرالاي الاركان الحربية علي فؤاد بك

سادسا — احدثت وظيفة مفتش عام في الصحراء عين له القائمقام بهجة بك قائد الفرقة التي امنت وسائل المعيشة في نواحي الصحراء ممهدة تنقلات الجيش الى القناة

القوة السفرية — وقبل الشروع في مهاجمة القناة نظمت القوة السفرية المعدة لمهاجمة القناة على الوجه التالي وقسمت الى مرحلتين :

المرحلة الاولى — مؤلفة من الفرقة الخامسة والعشرين النظامية والفرقة الـ ٢٣ والفرقة الـ ٢٧

والاي يؤلف من مختلف الفرق ، وخمس بطاريات صحراء سريعة الطلقات ، وبطاريتين جبليتين سريعتي الطلقات وبطارية هاوبوس سريعة الطلقات من فئة ٢٥ سانتيمتراً والاي خيالة واربع بلوكات هجانة وخمسمائة خيال من عربان البادية المتطوعة وثلاثة طوابير من صانعي الجسورة وست بلوكات استحكامات ومفرزات للبرق اللاسلكي ومستشفيات سيارة وبلوكات صحية والجميع يؤلفون ١٢٫٦٤٢ نفراً و ٩٦٠ جواداً و ٣٢٨ جاموسا عدا الجمال

المرحلة الثانية — اما المرحلة الثانية فمؤلفة من القوة السفرية الحجازية التي وضعت تحت تصرف جمال باشا والمؤلفة بقيادة وهيب باشا والفرقة النظامية العاشرة وبطارية خيالة وبطارية مدفعية وسائر ما هي بحاجة اليه من القوات المعاونة

الاستعداد لمعركة القناة

ولا نريد في هذه المذكرات ان نأتي مفصلا على معركة القناة لان من

سبقنا من المؤرخين العسكريين فصلوا هذه المواقع تفصيلا دقيقا الا اننا بصدد سرد الحوادث التاريخية نقول ان الفرقة الاولى زحفت الى القناة في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ وفي الخامس عشر منه ترك اركان حرب الجيش بئر السبع سائرا وراء الجيش وفي اليوم العشرين منه وصلت الفرقة الاولى الى نقطة كائنة على بعد ١١ كيلو متراً من القناة وتقرر ان يبدأ الهجوم ليلة ٢ — ٣ شباط سنة ١٩١٥ فهاجم القوات الاصلية الاسماعيلية ، والجناح الايمن القنطرة ، والجناح الايسر السويس ، وقد بدأ الهجوم في الليل المذكور وكان من نتيجته كما عرفه اكثر الناس فشل هذه المحاولة فعادت القوات العثمانية تستعد للهجوم ثانية على القناة

خسائرنا في هذه المعركة — وقد جاء في تقرير قيادة الجيوش البريطانية الرسمي ان خسائر القوات العثمانية في معركة القناة الاولى بلغت الف قتيل والفي جريح و ١٥٠ اسيراً مع ان الحقيقة المستقاة من المصادر الرسمية التركية والتي لم تنشر يومئذ ان خسائرنا هي من الضباط ١٤ قتيلا و ١٥ جريحا و ١٥ غائبا ومن الجنود ١٧٤ و ٣٦٦ جريحا و ٧١٢ غائباً

تأثير هذه المعركة في سوريا — وقد كان لهذه المعركة التأثير الشديد في سائر المحيط السوري فقام اعداء الدولة لنشر دعايات واسعة النطاق في البلاد حتى وجد قائد الجيش الرابع ضرورة لجلاء الموقف فاذاع يوم ١٦ شباط سنة ١٣٣٠ بلاغاً هذا نصه :

بيان الى العموم

بما انني قد اطلعت على بعض الاشاعات المتداولة على افواه الناس والمتعلقة بالحركات الكشفية التي قامت بها العساكر العثمانية والمجاهدين لاستكشاف مواقع العدو والحصول على معلومات راهنة عن مواقفه وحركاته استعداداً للهجوم العام المقرر لفتح مصر لهذا رأيت الضرورة توجب اعطاء بعض معلومات تنويراً للرأي العام .

ليكن معلوماً لدى العموم ان التدابير الواجب اتخاذها لفتح مصر واستردادها قد بنيت على قاعدة هذه الحركة الكشفية ومهما حاول الانكليز في ستر الفائدة التي حصلنا عليها من وراء هذه الحركة الكشفية ورغم تكبيرهم وغرورهم فقد اعترفوا بمقدار يوجب لنا الفخر عن فوز قواتنا وتقدمها الى الامام

والحقيقة هي ان المجاهدين البواسل قد اظهروا واثبتوا بدمائهم الطاهرة التي اختلطت مع مياه القناة و باصوات التهليل والتكبير التي تعالت في الفضاء ان هذه المملكة الجميلة ستفتح قريباً وعلى كل حال من قبل القوات الاسلامية الظافرة

ان خسائرنا اثناء الحركات الكشفية كانت ١٤ شهيداً و ١٨ جريحا وغائباً من الضباط و ١٥٩ شهيداً ٢٩٦ مجروحاً وغائبا من الجنود

ان شهدائنا المتغيبين قد جازفوا بارواحهم امام قنابل الاعداء في سبيل استكشاف مواقع العدو وحركاته الامر الذي كان مدار افتخار وشرف لنا

لما كنت قد حصرت مساعي واعمال الجيش الرابع الكائن تحت قيادتي لقهر العدو والوصول الى الغاية التي نتوخاها فانا اوصي اهالي سوريا بعدم اعارة هذه الاراجيف اقل اهمية وانتظار النتيجة بكل اطمئنان

قائد الجيش الهمايوني الرابع ووزير البحرية

الامضاء : احمد جمال

ولم يكتف احمد جمال باشا بهذا البيان ليوهم على السوريين بل انه امر في اليوم الذي اذيع فيه هذا البيان باقامة معالم الزينة في سائر انحاء البلاد ، ثم اعلن ان القيادة منصرفة لاعداد حملة كبرى ثانية لاقتحام قناة السويس

في جبهة فلسطين

وقف احمد جمال باشا يحادث اركان حربه في قصر الطور القائم على سفح جبل الطور في القدس بشؤون الموقف العسكري في الجبهة وكان مستاء من الفشل الاخير عندما دخل عليه الشيخ اسعد الشقيري وعرض عليه حوادث مؤلمة

عن المؤامرات التي تدبر ضد سلامة جيشه في سوريا وفي سبيل الاتصال بالحلفاء بواسطة ثورة يضرمونها في جنوبي لبنان على ان تكون اداة لتدخل الحلفاء

وافهمه ان لا يثق بعبد الكريم الخليل والدكتور شهبندر اللذين استقدمها اليه لدرس الحالة في الجبهة قائلا انهما على اتصال باخوانهما في مصر يزودانهم بكلما هم بحاجة اليه من افادات عن الموقف في تلك البقعة

وقد اثرت هذه الانباء وسواها الواردة من دوائر الاستخبارات على جمال فرأى ان يشدد على جميع الموشى بهم ، خصوصا وانه عندما اتى الى دمشق رفض طلب واليها خلوصي بك في فتح قضية جديدة مع السوريين واحالته الوثائق التي وجدت في القنصليه الافرنسية الى الديوان الحربي العرفي الا انه بعد الذي رآه من التآمر عليه والاقدام على الكيد له في غيابه وهو يقاتل العدو في الجبهة وهو واثق مطمئن استاء كل الاستياء وعمد الى تسليم الاوراق الى الديوان الحربي العرفي في دمشق

وقد اندفع كثيراً في حدته واخذ يزداد اندفاعا في هذا السبيل حتى انه شدد على الديوان الحربي بضرورة الحكم عليهم بشدة متناهية وحصر هم كله في هذا الصدد حتى انه كان يخابر رئيس الديوان واركانه يومياً متتبعاً بدقة زائدة سير القضية .

دير صيدنايا = وفي هذا الوقت تلقى جمال باشا برقية من قائمقام صيدنايا راغب بك يفيده ان اخباراً وردته عن وجود معدات حربية واسلحة في دير صيدنايا و يسأله اصدار اوامره في هذا الشأن فابرق اليه بضرورة تحري الدير ومصادرة الاسلحة الموجودة وتوقيف كل من تقع عليهم الشبهة

وقد وجدت قبلا كميات من الاسلحة في دير صيدنايا فصودرت واوقف بعض الرهبان وارسلوا مخفورين الى الديوان الحربي العرفي في دمشق وقد تبين ان لهم علاقة مع دير فانتنيل في الاستانة الذي يديره الراهب آبا نيقولا الذي وجدت عنده عتاد حربية وتحارير واردة اليه من روسيا

الوشايات السافلة — والوشايات لم تكن مقتصرة عند حد بعض المقربين من الباشا بل هناك مئات غيرهم ولست اروي سراً خفيا اذا قلت ان احمد جمال باشا تلقى في الاسبوع الذي عاد فيه الى القدس ٣٩٢ تقريراً مرسله من السوريين ضد اخوانهم ، فلو اراد جمال باشا ان يتمم واجبه كقائد للجيش الرابع ، و ينفذ محتوياتها لملأ السجون من الضحايا البريئة

اليك ايها القاريء العزيز بعض هذه التقارير :

... ان المطران شبلي على اتصال دائم مع الحلفاء بواسطة عبد الله صفير في مصر وقد ارسل اليه كتابا في الاسبوع الماضي يعلمه فيه ان الرأي العام اللبناني شديد التأثر من الموقف الحاضر وان المسيحيين يرون ان حياتهم باتت في خطر وان الضرورة توجب مداخلة الحلفاء لحماية المسيحيين الخ ...

ارسل هذا التقرير في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ٩١٥ الى جمال باشا وعليه توقيع « احد الكهنة المقربين من المطران » فاحاله جمال باشا الى والي بيروت للتحقيق عن محتوياته فقط

... ان اخلاصي للدوله العلية ايدها الله واشمئزازي من خيانة اعداء الدولة والدين دفعاني لان الفت انظار دولتكم الى ان قنصل فرنسا في بيروت كان يعطف كثيراً على الشيخ احمد طبارة وهذا العطف هو الذي دعا الشيخ لان يكون على اتصال مع قنصل هولاندا و بعبارة اصح ان الشيخ احمد على اتصال دائم مع الخارج بواسطة القنصلية الهولاندية وفي امكانكم ان تتأكدوا ذلك بمراقبة المذكور — في ٢٢ شباط سنة ١٩١٥ وكان التوقيع على هذه الاخبارية باسم « يوسف جمال »

... في هذا اليوم جاء الى دار ابراهيم العكي في عكا سعيد قاسم المير قادما بزورق من مصر وقد انزلته على الشاطيء احدى الدوارع وهو موجود في المنزل المذكور وقد يفر قبل القبض عليه لهذا بادرت باعلامكم » في ٢٧ شباط الامضاء : « محب الدولة » .

وقد تبين ان سعيد المذكور جاء فعلا الى عكا ولكنه لم ينزل في دار العكي بل في (البهجة) حيث اوقف هناك وثبت انه جاسوس للانكليز فاعدم بعد شهر .

وشايات جديدة — انهذه التقارير وغيرها من المماثلة لها تدل على حقيقة نفسية مرسليها الذين لم يتورعوا حتى بالشكاية على اخوانهم وآبائهم ، وفي اليوم الثاني من شهر آذار دخلت مع علي فؤاد باشا غرفة جمال باشا فاذا بنا نراه شديد الاضطراب حتى اذا وقفنا تجاهه قال :

— اتعلمان ان مؤامرة يديرها بعضهم ضدي ؟

— ماذا ؟ ! ...

— نعم ان في البلاد مؤامرة تدبر ضدي وهنا من يؤيدها

— وكيف ؟

— سترىان

قال هذه الكلمة وامر مرافقه باستدعاء من في الغرفة المجاورة

وبعد ثوان ادخل سيدة متحجبة الا انها كانت تظهر من وراء الحجاب انها سيدة حديثة السن متناسبة التركيب وما كادت تدخل وتقف امامه حتى امرها بحسر النقاب عن وجهها فلبت الطلب كانها تتحرك بقوة ميكانيكية فاذا بها كما اعتقدنا سيدة في العشرين من عمرها جميلة الصورة معتدلة الجسم طويلة القامة فسألنا الباشا عما اذا كنا نعرفها فاجبناه كلا ثم خاطبها قائلا :

— هل تتفضل حضرة السيدة بالادلاء بمعلوماتها امام هذين السيدين ؟

— لقد رويت لدولتكم ما عرفت

— لا بأس من اعادتها

— لقدماتت امي وانا في الخامسة من عمري فمكثت في المنزل وحيدة مع شقيقتي كوثر ووالدي ، ومنذ عامين تزوج والدي من سيدة هي من عمري الآن وانضمت زوجته الينا وكنا على خير حال الى ان كان هذا الشهر حيث

اخذت ارى خالتي زوجة ابي تخرج من المنزل بصورة سرية فاعتقدت ان في الامر خيانة لابي فاردت معرفة وجهتها لصيانة شرفنا فرأيتها تذهب الى شارع مار يوحنا في المنزل المجاور للكاندرائية وتمكث هناك مدة ساعتين

وبعد خروجها رأيت ثلاثة اشخاص يخرجون من المنزل عرفت احدهم عزيز العقربي والاخران لم اعرفهما ولهذا لم اظهر الى ان ابتعدوا فاقتربت من المنزل اقرعه فاذا هو خاصة ام يوسف اليافاوية اتخذته لتؤجره غرفا وان عزيزاً يقطن احدى هذه الغرف والاخران حضرا عندها منذ يومين وان احدهما قال لها ان اسمه رفيق شهاب من اهالي بيروت والثاني محمد بهجت العطار من الشام وقد علمت هذه المعلومات منها اثناء محادثتي اياها بعزمي على استئجار غرفة وهي الغرفة الاخيرة الفارغة واتفقت على استئجارها بعد ان رجوت ام يوسف ان لا تعلن احداً بامري لانني فتاة وحيدة واخاف وانا وسط ثلاثة رجال فقبلت رجائي وذهبت

وفي اليوم الثاني رأيت خالتي تستعد للذهاب فتركتها تتزين وغادرت المنزل الى الغرفة فدخلتها واغلقت الباب ورائي وبعد ساعة رأيت خالتي تدخل المنزل ثم تصعد تواً الى غرفة عزيز حيث كان هو ورفاقه فيها واقفلوا الباب الخارجي بعد ان ابعدوا ام يوسف ظناً منهم انه ليس هناك احد غيرها وبعد دقائق خرجت من الغرفة بعد ان خلعت حذائي واقتربت من الباب ظناً مني انني ساري منظراً خلاعيا فاذا بي اسمعهم يرددون حوادث سياسية حيث سأل احدهم خالتي عما اذا كانت قد اتته بالمعلومات التي طلبها منها والوثائق ثم تطور الحديث بعدئذ الى طلبها ان تتوسط لدى ابي في مقابلة جمال باشا وقد فهمت من الاجتماع الذي عقد في اليوم الثاني انه يهمهم ان تقترب امرأة خالي منك لانه يكون في مقدورهم في هذه الحاله معرفة بعض الامور السياسية او تنفيذ مؤامرة الاعتداء على جمال باشا

وعندئذ سألها علي فؤاد باشا عن اسم ابيها فقالت :

— ابي هو ...

— ولماذا لم تعلنيه القضية ؟

— لقد خفت عليه ان يتهم في هذه المؤامرة ولما كنت اعتقد به الاخلاص للدولة العلية ولقائدنا المحبوب جئت ادلي بمعلوماتي هذه اليكم لتتأكدوا الحقيقة وتتدبروا الامر

— وهل تعتقدين بصحة هذه المؤامرة ؟

— نعم وانا على استعداد لا ثباتها

وهنا التفت الينا جمال باشا وقال :

— ان مجرى الامور يدل على حقيقة ما ترويه لنا هذه السيدة فيجب ان تذهب انت — اي المؤلف — مع هذه السيدة لتتدبر الامر

في مكان المؤامرة — وكانت هذه المعلومات خطيرة لان مجرد التثبت منها كاف لاعدام الاربعة المذكورين ولهذا اردت ان اقوم بهذا العمل لوحدي دون الاستعانة باحد من رجالي واتفقت مع الانسة المخبرة على ان تقدمني لام يوسف كأخ لها وبذلك يتثنى لي دخول المنزل دون ريبة فصدعت بالطلب وقصدنا المنزل المذكور فاذا بأم يوسف وهي امرأة قد تجاوزت العقد الخامس من عمرها جالسة وما كادت ترانا وتعرف بانني اخو الفتاة حتى ابتسمت وقالت :

— ومن اين لك هذا الاخ التركي

ثم ابتسمت ثانية وقالت وماذا يهمني اذ كان اخاك او عشيقك وهذه الجملة دلتني على ان هذه المرأة تتسامح في كل شيء بسبيل المال ولهذا نقدتها فوراً خمسين غرشا ابتسمت لها ورفعتها على رأسها ودخلت بنا الغرفة وهناك اخذت امازحها بالعربية مؤكداً لها اني اخو الفتاة والدليل على ذلك بانني ساحل مكانها في الغرفة وهي مسافرة حالا ثم اخذت احادثها عن امر نزلاء منزلها فكانت تصورهم كتجار عاديين خلافا لما صورتهم به فتاتنا المخبرة الا انها في الوقت نفسه لم تنكر ان امرأة تترد على عزيز ورفاقه وانها تعتقد ان هذا امر طبيعي ليس الا علاقة الشباب غير المتزوجين مع النساء ووعدتني بان تصطاد لي تلك السيدة وتقدمها لعل ذلك

يسرني مادمت كريما نحوها جواداً

وضوح الحقيقة — كانت المهمة تبدو لي في بادئ الامر غريبة جداً الا انني في المساء عندما اجتمعت بالرفاق الثلاثة لم اجد فيهم ما يريب او اي استياء لرؤيتهم غريبا عنهم ، خصوصا بعد ان علموا بانني تركي بل كان الامر عكس ذلك فقد كان سرورهم عظيما بالتعرف بي لانهم كما تبين لي تجار يرغبون في الاتصال بالاتراك ليوجدوا معهم علاقات توصلهم الى نيل بعض التعهدات من السلطة وقد زادت معرفتي في ذلك الوقت ان احدهم صارحني بان سيدة زوجة وجيه مقدسي وعدتهم بأن تكون خير وسيط بينهم وبين زوجها على ان تكون شريكة سرية في الامر وهكذا اتضحت لي من اول يوم انه ليس هناك مؤامرة تجسس او اغتيال جمال باشا وانما هناك سيدة طماعة اصطادها تجار الحرب ليستفيدوا من نفوذ زوجها في الاثراء

وقد تأكدت هذه الحقيقة من ام يوسف لانها ما كادت تفاتح السيدة بأمري وانني شاب ثري وجيه حتى بادرتها بصفعة على خدها معلنة اياها بأنها ليست المرأة التي تريد وكادت تذهب لولا حضور عزيز الذي استرضاها ووبخ ام يوسف توبيخا قاسيا معلنا اياها عزمه على مغادرة منزلها مع رفاقه

توقيف الاشخاص الاربعة -- وفي الحال قصدت الادارة وارسلت ثلاثة من رجال التحري ان ياتوني بالرجال والمرأة وان لا يدعوا احداً من الاهلين يشعر بالامر خصوصا بامر السيدة زوجة الرجل صاحب المقام وبعد ساعة كان الاربعة في الغرفة المجاورة فامرت في ادخال السيدة اولا فدخلت وهي متحجبة فامرتها برفع النقاب فابت اولا ثم تجاه التهديد رفعته فسالتها زوجة من انت فانكرت انها متزوجة وانها فتاة باكر

فقلت — انت زوجة ..

— آه ..

— نعم وساعلن الان زوجك بامر توقيفك مع ثلاثة اشخاص بصورة مريبة

— مولاي

قالت هذه الكلمة واخذت تجهش بالبكاء مقسمة ان علاقاتها شريفة

ولكن كيف يعقل ان تقومي بهذه الزيارات السرية بصورة متوالية وتدعين انك شريفة ؟

— مولاي ! ان عزيز جارنا وهو صديق قديم لوالدي وقد افهمني ان هناك فائدة لي لا تضر بمصالح زوجي اذا ما انا ساعدته مع رفاقه باعطائهم معلومات عن حاجيات الجيش للتكاليف الحربية وان ارباحنا تكون طائلة لي منها الربع فرضيت وقد ساعدتهم منذ ١٥ يوما في مسالة قرار مصادرة الحرير فربحت من ذلك ١٥٠٠ ليرة وهي ثروة طائلة دفعتني لسرقة اسرار القيادة التجارية من زوجي ..

— ولكن عملك هذا خيانة ؟

— كلا بل تجارة

وقد اكد لي الثلاثة المذكورين هذه الحقيقة وكانت النتيجة العفو عن السيدة وتوقيف الشبان الثلاثة ومصادرة قسم من مالهم ونفيهم الى الاناضول ولم اعلم بعدئذ ما كان مصيرهم

اسباب الوشاية — وحقيقة الامر ان الانسة المخبرة كانت تحب عزيزاً وكانت تتردد عليه ولها غرفة سرية في احد احياء القدس يترددان عليها وفي احد الايام رابها خروج امرأة بيها فلحقت بها الى ان وجدتها تدخل دار ام يوسف فظنت انها عشيقة لحبيبها بعد ان رأته يخرج هو بعدها مع رفيقه فقامت تشي عليها

وقد ظل الوالد جاهلا هذه المؤامرة الى ان فرت ابنته المذكورة مع احد ضباطنا الاتراك الى ازمير فروت له عندها زوجته ما توقع

رواية ثانية — وفي الاسبوع نفسه لوقوع هذه الحادثة التي رويناها للقراء اي في اليوم السابع من شهر آذار سنة ١٩١٥ وردني امر من رئيس اركان حربنا علي فؤاد بك يعلنني فيه ان سيدة اسرائيلية تدعى روبيكا ابشتاين

اعلمته ان في قرية زمارين عصبة تعمل للتجسس على الجيش تمكنت من خديعتها مع خطيبها وادخالها في زمرتها وانه مضى على وجودهما فيها شهران

فاستدعيت فوراً روبيكا وسالتها معلوماتها فرددتها وقالت ان المخابرات تجري بواسطة لا تعرفها وان نقمتها هي لان العصبة استبدلتها باولغا مردوخ ولما كانت اكثر جمالا منها خشيت ان تسرق منها خطيبها ولهذا جاءت تفضح امرها شرط العفو عنها وعن خطيبها وان القيادة وعدتها بذلك العفو ، فقلت :

— ان القائد وعدك وهو سيبر بوعده والان اروي لنا حقيقة هذه العلاقات

— ان الخطة هي ان نؤجر في منزلنا غرفاً للضباط ويتوخى بخطيبي ان يكون هؤلاء من ضباط اركان الحرب وهو يتساهل معهم كثيراً بحيث يسمح لي بمجالستهم مجتمعين ومنفردين واقامة الولائم والغناء والرقص امامهم وقد زاد اقبالهم على دارنا عقب وصول اولغا الى منزلنا وقد تمكنت هذه من سرقة اسرار عسكرية شديدة الخطورة

— من هم الضباط الذين يسكنون عندكم ؟

— ذكي بك اليوزباشي اركان حرب واحمد بك جواد الملازم الاول وصفوت بك اليوزباشي اركان حرب وتحسين بك البنباشي اركان حرب

— وهل في امكانك ان تدعيني احضر احدى اجتماعاتك مع خطيبك والفتاة الاخرى ؟

— نعم وفي مساء الغد

وهكذا ادت الغيرة بالفتاة لان تكشف لنا رواية تجسس واسعة النطاق اعدم فيها عدة اشخاص والى القراء تفصيل ذلك

في طريق العمل — قصدت دار كوهين ايزرمان مع روبيكا فعرفتني بخطيبها والفتاة الثانية اولغا كاننا من صديقاتها وقد سر الآخران بهذا التعارف لانهما اعتقدا ان في مقدورهما الاستفادة من ورائها بصفتي مطلعا على بعض اسرار القيادة العليا واظهرا لي خلال ذلك كل اكرام واقاما لي في دارهما مأدبة فاخرة

حوت الكثير من المشروبات و كانت روبيكا حتى هذا الوقت مخلصة لانها لم تفاتح حتى خطيبها بحقيقة امري اعتقاداً منها ان مفاتحتها اياه ستدعوه للهرب فتخسره وتخسر حياتها

و كانت الخطة الموضوعة هي ان أتظاهر بالسكر حتى اذا اعتقد هؤلاء بانني فقدت رشدي دخلوا بي الى غرفة الرقاد فاذا غفوت تحروا ثيابي للاطلاع على الوثائق التي قد احملها

و كنت قد استعديت لهذه الحركة فاحضرت معي بعض الوثائق المزورة كي يسرقها هؤلاء والحق بهم الى النهاية لمعرفة النتيجة كما انني انتدبت ثلاثة من رجالي امرتهم بمراقبة المنزل واللحاق بكل من يخرج منه ومعرفه الوجهة التي يسير بها .

الخادع المخدوع — و كانت المادبة شائقة حقاً ولزيادة الخديعة طلبت الى كوهين ورفيقتيه ان لا يذكرا امام ضيوفها حقيقة هويتي فلبوا الطلب وقد ساعدني هذا الامر على معرفة بعض الحقائق ودرس حقيقة موقف هؤلاء الضباط واحداً واحداً فان اولغا التي كانت تعرف التركية لانها من اسرائيليات ازمير عرفت كيف تخدع هؤلاء بابتساماتها البديعة وجمالها الخلاب وتقودهم بين الملاطفة والمداعبة الى ذكر الموقف العسكري الاخير واخذ ما تريده منهم من المعلومات كما انها كانت على معرفة تامة بالنشل فهي التي كانت تمد يدها الى جيوب هؤلاء الضباط لتستولي على ما فيها عندما يميلون عليها وقد اسكرهم حديثها والخمرة .

و كانت في تلك الليلة شديدة التقرب مني تحاول تخديري بحديثها و كنت قد لاحظت امتعاض القائد ذكي بك من هذه المعاملة لانه كما تبين لي كان يميل اليها حتى انني سمعته يهمس باذنها قائلا :

— سترين فيما بعد ما لا يرضيك

ومضي الوقت فتظاهرت بان الخمرة قد اثرت واخذت اجاري اولغا في

اعطائها ما تريد من معلومات جعلتها متواثقة مع الوثائق المزورة الموجودة في جيبي ثم رأيت القائد ذكي بك يتركنا ووراءه روبيكا و كوهين فبقيت في الغرفة لوحدي حيث اعتقدت ان اولغا ستبدأ بتمثيل دورها وفي الحقيقة فانها ما كادت تخلو بنا الغرفة حتى مالت علي واخذت في مسايرتي مبيحة لي التمادي بها الى النهاية .

ورغم اننا كنا في ابان فصل الصيف والحر شديد فانها كانت ملتصقة بي لتفقدني ، على زعمها ، بحلاوتها والخمرة التي احتسيتها رشدي فسايرتها في الامر الى ان شعرت بيدها تلعب في جيب سترتي الداخلية فتظاهرت اني لا افقه شيئاً حتى استولت على مغلف الاوراق وانا فاقد الرشد وعند ذاك القتني جانبا فاذا بها تراني لا اعي على شيء

وقامت وهي ترمي في الفضاء ضحكة شديدة ثم غنت اغنية اسبانية مبتذلة كانها فرحة من نتيجة مساعيها

وفي تلك الدقيقة دخل الغرفة كوهين واشار اليها بيده دون ان يفوه بكلمة فناولته الظرف الذي كان معنونا باسم قائد الجيش الرابع وفي اسفله عبارة (محرمانه) فاستلمه من يدها وقال :

— ابقي بجانبه لاتفارقيه ريثما انسخ هذه الوثائق واعود اليك لتعيديها اليه

و كان معنى هذا انها اوجبت علي ان اظل على حالتي هذه الى ان يعود الرجل وفي هذا ما يتعبني و يعيقني عن معرفة الطريقة التي سينسخ بها هذه الوثائق .

اسرار العصبة — لقد كان في امكاني لهذا الحد ان اوقف الاشخاص المذكورين متلبسين بالجريمة الا انني اطمع في معرفة حقيقة اسرار هذه الفئة والدور الذي يلعبونه والاشخاص الذين هم على اتصال معهم لايصال الوثائق الى الحلفاء ولهذا يتحتم علي والحالة هذه البقاء على حالتي هذه الى النهاية خصوصا وانا امين من ان رجالي ساهرون حتى مطلع الفجر

ولكن اولغا ما لبثت ان اخرجتني من هذا المأزق بذهابها الى الغرفة المجاورة لاسترضاء الضابط ذكي بك الذي يهمها امره اما لمحبة تربطها معه او لعلاقتها في الجاسوسية ولهذا فانها تركتني فوراً وهي امينة من عدم امكاني العودة الى رشدي حتى الصباح و بعد خروجها بدقيقة دخلت علي روبيكا واغلقت الباب وراءها فهزتني بيدها فتظاهرت بالنوم وعندها ابتسمت ابتسامة مرة وقالت تخاطب نفسها :

— هذا ما كنت اخشاه لان هذه الفتاة الشيطانة عرفت كيف تخدعه ايضا وعلى هذا فقد خسرت انا كل شيء

وعندها باغتها قائلا :

— كلا انك لم تخسري شيئا لانني شاعر بكل شيء

وقد اثر بها موقفي واقسمت انها اعتقدت بانني فقدت رشدي وخافت العاقبة وعندها سالتها عن خطيبها فقالت انه دخل غرفته لنسخ الوثائق التي ناولته اياها اولغا وان الفتاة دخلت غرفة عشيقها الضابط وان الوثائق سترسل في هذا الصباح الى مركزها الرئيسي حيث يحضر رسول لاستلامها وعندها طلبت منها ان تأتيني بالاوراق الموجودة لدى الضابط فقالت انها بيد خطيبها ينسخها وستحضرها لي بعد انتهاء العمل .

اعادة الاوراق — لم يغب كوهين في مهمته هذه اكثر من ساعة ولما عاد ووجد خطيبته بجانبي بعد ان قرع الباب عليها لم يسخط لانه وجدها متخلية بغريب عنه وهي زوجته المقبلة بل سألها عما اذا كنت قد عدت الى رشدي ولما اجابته بالنفي ناولها المظروف وامرها باعادته الى مقره قائلا :

— انه يحوي معلومات خطيرة ستاتينا بثروة طائلة ولما كان الفضل في ذلك اليك فانك ستنالين القسط الاوفر من هذه الارباح

وعند ذاك سالته روبيكا — بناء على طلبي منها سابقا — عما اذا كان ذكي بك قد اتاه بوثائق جديدة فاجابها ان الوثيقة هي عبارة عن التقرير الذي رفعه

احمد جمال باشا الى القيادة العامة عن نتيجة معركة القناة ورأيه في عدم تجديد الحركة ثانية

وكنت اعرف اهمية هذا التقرير الذي وضعه احمد جمال باشا والذي سلمه لرئيس اركان حربه علي فؤاد باشا وكان مجهولا بمحتوياته عن غيرهما فكيف اتصل بهذا القائد

الجاسوس الوسيط

وبعد مدة تظاهرت بعودتي الى رشدي وخرجت انفقد رجالي في الاماكن التي عينتها لهم فافادوني ان شابا كان يرود ايضا حول المنزل فاخذوا في مراقبته كما كان هو يراقب المنزل وظلت هذه المراقبة المزدوجة الى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وعندها غادر المكان الى البلد حيث لحق به احدهم الى حيث يقصد فاذا به يدخل به حارة « باب اللوق » ويدخل منزلا هناك فاخذت علماً بما اشاروا اليه وتركتهم وذهبت حيث اعلمت فوراً رئيس اركان الحرب علي فؤاد باشا بما كان من هذه الامور فاعلمني ان اليوزباشي زكي بك هو رئيس الغرفة وهو المولج بالمحافظة على الوثائق وارسالها الى قائد الجيش الرابع ولوكالة القيادة العامة وقد اظهر علي فؤاد باشا استغرابه الشديد من وصول تقرير احمد جمال باشا عن معركة القناة الى زكي بك لانه وضع هذا التقرير في درجه الخاص وظن ان التقرير الذي حصلت عليه من القائد مزور واراد ان يتأكد من الحقيقة فوراً فطلب الي مرافقته حالا الى قصر « الطور » ليرى الحقيقة وفي دقائق ارتدى ملابسه وقصدنا معا قصر « الطور » فسلم لي التقرير فامرني باعادة التقرير فوراً الى القائد زكي بك ليرى كيف يتوصل الى دخول مكتبه لاعادة التقرير ثم اتفقت واياه على الخطة التي سيقبض بموجبها على القائد وبعد ذلك قصدت المركز حيث دعيت الملازم جودة والملازم احسان واخذنا معا ننظم عمل توقيف الاخرين وسرنا نحن في ملابسنا العادية الى دار كوهين ايزرمان فلم اجد هناك الا واحداً من رجالي حيث افادني ان الرجل المجهول كان قد حضر اثناء غيابي وبعد ان دخل المنزل

ومكثت فيه مقدار عشر دقائق خرج منه وبرفقته كوهين ولحق به احد رجالي وبقي الاخر ليعلمني بالامر

فامرته مع الملازمين بالبقاء خارجا ثم قرعت الباب فاذا بروبيكا تظهر لي فسألتها عمن في المنزل فاعلمتني انهما يرقدان فسلمتها الوثيقة وطلبت اليها اعادتها في جيب القائد بعد ان كررت عليها ان لا تخاف من النتيجة وان القيادة التي علمت بما وصلت اليه الى الان شديدة السرور منها وانها مقابل ذلك سوف لا تقصر على العفو عن خطيئها فحسب بل انها ستكرمها بمبلغا وافراً من المال سيساعدها حتما على الزواج بمن تحب فابدت سرورها وشكرها من الامر ثم استأذنت بالانصراف فتركتها وخرجت لاتابر الامر في الجبهة الثانية وامرت الملازمين بتشديد المراقبه حتى اذا خرج زكي بك الذي كان يعرفانه يلحقان به الى مقر القيادة العامة في جبل الطور كما امرت تابعي الاخير بضرورة الانتظار الى ان يفد لعندي احدهم لاعلامي بما كان من امر هذه الرحلة الليلية الى قصر الطور وذهبت

توقيف القائد زكي بك — وكانت العادة از يحضر القائد زكي بك الى مكتبه في الساعه الثامنة صباحاً حيث ينصرف الى توضيب الوثائق الموجودة في مكتبه ثم يقدمها الى رئيس اركان الحرب علي فؤاد باشا الذي لا يحضر قبل الساعة التاسعة صباحا ولهذا كان لديه الوقت الكافي لدخول دائرة رئيس اركان الحرب دون ان يشعر به احد ولهذا اتخذت الاستعدادات فمكث علي فؤاد باشا في غرفته معي حيث انزوينا في زاوية من هذه الغرفة الفسيحة وراء ستار وضع للغاية واقفلنا النوافذ بحيث باتت الغرفة مظلمة ثم وضعنا احد رجالي في غرفة زكي بك لمراقبته فيما اذا كان يحاول اخذ شيء من الوثائق المودعة عنده

وفي الساعة السابعة والنصف رأينا باب الغرفة يفتح ويدخل منه القائد زكي بك بكل هدوء ثم رأيناه يتقدم الى مكتب الباشا الكائن في صدر الغرفة من جهة الباب حتى اذا اقترب منه واخرج من وسطه سلسلة من المفاتيح تناول احدها ووضعه في قفل الدرج وفيما هو يحاول فتحه خرج اليه علي فؤاد باشا وقال: اسعدت

صباحا زكي بك ؟

فاضطرب الرجل من هذه المباغتة وسقطت المفاتيح من يده وظهرت علائم الاضطراب عليه ثم بادره علي فؤاد باشا قائلا

— ذكي بك ! هات المفاتيح مع محفظة اوراقك

وكان القائد يدار بقوة ميكانيكية فانه ما لبث ان تناول سلسلة المفاتيح عن الارض والمحفظة من جيبه فوضعها على الطاولة فتناول منها علي فؤاد باشا الوثيقة مع ثلاث وثائق اخرى تتعلق في بعض المراكز العسكرية فسأله عما اذا كان قد سلم هذه الوثائق ايضا الى الجواسيس فاجاب مقسما بشرفه العسكري « كلا »

وقد كان هذا القسم سببا في اثارة حدة الباشا الذي كان هادئا الى ذلك الوقت بحيث قال — زكي بك ان من يخون واجبه العسكري لا يحق له القسم بشرفه العسكري ولهذا فانا لا ارى قسمك حقا فاذهب الى غرفتك ولا تخرج منها الى ان يأتيك امري

فتدخلت بالحديث وطلبت من القائد زكي بك ان يقدم لي مسدسه فجزرني الباشا بحدة وقال — لماذا تطلب منه المسدس ثم التفت الى زكي بك وقال : قدم سيفك زكي بك اما المسدس فهو لك

وقد ادركت فوراً ما يريد فؤاد باشا فهو يقول لزكي : انك ضابط تركي اهنت الشرف العسكري وخنت امتك وبلادك ومن كان يمثل هذه الاخلاق فعليه ان يستهدف للعقاب فامامك مسدسك فاذا كان لك شيء من العزة والشرف فاستعمله ليستر عليك تجاه رفاقك وامتك اما اذا كنت فقدت كل شيء فستكون عرضة حتما الى المحاكمة والحكم عليك بالاعدام ويظهر ان الرجل قد ادرك ما يجول في مخيلة قائده فانني ما لبثت ان رأيته يخرج حسامه من غمده ويلقيه امام علي فؤاد باشا ثم يترك مسدسه في وسطه ويخرج مطأطأ الرأس ولما وصل الى الباب عاد والتفت الينا وحيى التحية العسكرية ثم تمتم ببضع كلمات لم نفهم منها شيئا وذهب ومكثت مع الباشا بضع ثوان ونحن سكوت كان على رأسنا الطير

و كنا نتلفت الى بعضنا متسائلين عما اذا كان الرجل يقدم على الانتحار لانقاذ الشرف العسكري ام لا ولا نجسر على محادثة بعضنا الى ان سمعنا دويا ارتج له فضاء القصر فقال علي فؤاد باشا :

— هذا ما كنت اعتقده وقد احسن صنعا واذهب الان لتدبير الامر وتقرير انتحاره لاسباب غرامية وساعلن احمد جمال باشا بالامر بحيث يحتم حصر هذه المعلومات بنا نحن فتركته وذهبت فوجدت غرفته قد امتلأت بالضباط الذين رجوتهم الخروج واقتربت من الضابط فاذا به جثة هامدة وقد وضع كتابين الاول معنون باسم علي فؤاد باشا والثاني الى زوجته وفي الاول يعلن الباشا ان خيانته لامته لم تكن طمعا بالمال انما الحب هو الذي قاده الى ارتكاب هذه الجناية التي اقدم عليها ويرجوه العفو عنه ومسامحته ويلفت نظره الى كوهين وخطيبته روبيكا والفتاة اولغا من انهم فئة تعمل لحساب احدي عصابات التجسس

وفي الكتاب الثاني يخاطب زوجته بانه خانها وان التي خانها بها لم تكن تستحق ذلك فتأثر من الامر وعمد الى قتل نفسه وقد نقلت هذين الكتابين الى علي فؤاد باشا الذي سره الكتاب الثاني الذي برر بموجبه انتحار الضابط وقد نشرت الصحف الصادرة في الاستانه بتاريخ ١٥ آذار هذا الحادث معلنة ان الضابط زكي بك انتحر في القدس متأثراً بحب احدى الاسرائيليات

خديعة الجواسيس — وقد ساعدنا هذا الكتاب من جهة ثانية على ابعاد الشبهة عن كوهين ورفيقتيه

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم حضر الملازم احسان افندي واعلمني ان كوهين عاد لوحده قبل نصف ساعة وانه يستعد للفرار لانه بلغه نبأ انتحار الضابط وعند ذاك امرت مدير البوليس بتوقيف المذكور مع المرأتين وايقافهم في الادارة لحين عودتي وافهامهم السبب في توقيفهم

ولما كان المدير يعتقد ان سبب انتحار الضابط هو تعلقه بالفتاة فانه ليس هناك ما يخيف من معرفتهم التهمة الموجهة اليهم بل ان الامر عكس ذلك

يفيدني كثيراً .

و بعد ساعة من الحادث جاءني اشعار من مدير الشرطة بتوقيف المذكورين ووضعهم قوة مؤلفة من شرطيين لمراقبة المنزل ومنع الدخول اليه فشكرته على ذلك وقصدت المنزل لتحريه وهذا ما وجدته فيه كما اثبته في اللائحة التي ارسلتها الى رئاسة اركان الحرب تحت رقم ١٢٨ - ١٠٢٥ بتاريخ ١١ آذار سنة ١٩١٥

اولا — وجدنا في غرفة الضابط زكي بك ٢٠ قطعة من النقد الانكليزي من فئة الخمس ليرات انكليزية وعشرة آلاف فرنك افرنسي بعشرة قطع و ٢٥٠٠ ليرة تركية .

ثانيا — وجدنا في غرفة الضابط مفكرة يومية تحوي كثيراً من المعلومات العسكرية ورسوم فوتوغرافية عن مواقع الصحراء الماخوذة لرئاسة اركان الحرب العامة والممنوع اخراجها من المعسكر العام

ثالثا — رسوم تمثل ضحايا الجيش بعد معركة القناة

رابعا — وجدنا في غرفة كوهين ٣٠٠ ورقة انكليزية من فئة الخمس ليرات ونقوداً ذهبية مختلفة وآلة للرسم وآلة للنسخ كما اننا وجدنا بعض الاجزاء الطبية التي تستخدم في النسخ عادة

ووجدنا عدا ذلك بعض التحارير المكتوبة بلغات اجنبية منها ثلاثة تحارير بالعبرية وتحرير بلغة غير مفهومة يظهر انها شيفرة وتحريران آخران مكتوبان باللغة الانكليزية

خامسا — وجد في غرفة اولغا مفكرة يومية فيها بعض العبارات الشيفرة المكتوبة باللغة الروسية ومبلغ ٥٠ قطعة انكليزية من فئة الخمس ليرات وستة تحارير غرامية مرسلة اليها من القائد زكي بك

وقد نظمت في هذه المواد تقريراً مفصلا رفعته الى رئاسة اركان حرب قيادة الجيش الرابع وقصدت فوراً قصر الطور حيث اعلمت فؤاد باشا بها ثم اتجهت الى دائرتي حيث علمت بما كان من مهمة الذين ساروا

وراء كوهين ورفيقه

المطاردة — فقد افادني رجالي ان كوهين بعد ذهابه من منزله برفقة زميله قصدا الى جهة بعيدة عن المدينة وهناك اجتمعا برجل اسرائيلي يدعى اسحق مردوخ من اهالي (زيكروب جاكوب) فسلماه الاوراق وانصرفا عائدين وعلى الاثر ترك رجالي الرجلين يعودان ادراجهما ولحقا باسحق الذي ذهب الى يافا ومنها (قيساريا) وهي بلدة جركسية قائمة على بعد من يافا وفيها اجتمع بكاظم بك الجركسي وبات عنده في ذلك المساء

كيفية الاتصال — وفي اليوم التالي عند الساعة العاشرة ليلا رأى رجالي الذين كانوا يراقبون المجرمين زورقا عاديا يقترب من خرابات قيساريا وكان مطفأ الانوار وكاظم ورفيقه قد ذهبا اليها قبل هذا الوقت وما كاد الزورق يقترب من البر حتى خرج منه الى البر بحار ، عرفنا فيما بعد انه يدعى يوسف ابو سعيد اليافاوي ، ويحيي الرجلين ثم يعلنهما ان الزورق البخاري قد انزل من الدارعة «كوين اليزابيت» وانه قابل الضابط الذي اراد ان يشاهدهما في هذه المرة بعد تسليمه الوثائق التي يحملانها فاجاباه بالموافقة ثم ركبا معه الزورق الذي سار بهما في عرض البحر وبعد ان غاب الثلاثة مدة ساعة واحدة عادوا بالزورق نفسه ومعهم رجل آخر لم يعرف رجالي هويته فنزلوا منه وتوجهوا توا الى دار كاظم بك اما البحار فقد عاد بزورقه الى قيساريا فتركوه لحاله ولحقوا بالثلاثة الذين باتوا هناك

توقيف العصبة — عاد الي رجالي في اليوم التالي بعد ان اقاموا في حراسة الموقف احدهم لاعلامي بما كان وفي مساء اليوم نفسه وردني اشعار آخر يفيد ان كاظم بك والرجل السري حضرا الى يافا اما اسحق فقد توجه الى زمارين وانهما نزلا في بيارة قائمة في ضواحي يافا اتخذت تحت الحراسة

وعلى الاثر اتخذت بعض التدابير وفي اليوم العشرين من شهر آذار

سنة ١٩١٥ تمكنا من توقيف سائر افراد هذه العصبة وهم : كوهين وخطيبته روبيكا ، واولغا ، واسحق ، وكاظم ، والرجل السري — الذي علمنا انه عزيز ادهم وهو مصري مستخدم في دائرة «الانتلجان سرفيس» في مصر — ، وداود كوهين ، وعبد الله يوسف — من اهالي قيساريا — ، ويوسف اليافاوي ، فحوكموا وحكم عليهم بالاعدام عدا روبيكا التي برئت ساحتها واولغا التي حكم عليها بالسجن ١٥ سنة وقد اعدم المذكورون في بئر السبع في ١٠ ايار سنة ١٩١٥ رميا بالرصاص

الفصل العاشر

لما اتى احمد جمال باشا الى سوريا اراد ان يسير على سياسة الملاينة والصداقة مع السوريين ولهذا اراد ان يستميل الصحافة المنتشرة في ذلك الوقت فامر بتاجيل خدمة الصحافيين العسكرية وفي الوقت نفسه اقطعهم تخصيصات من الجيش يتناولونها بصورة متمادية من عنابر الجيش كل شهر ثم رتب لكل منهم راتبا شهريا يساعده على اصدار جريدته هذه وقد كانت التخصيصات التي تدفع الى الصحافيين في منطقة الجيش الرابع خمسمائة ليرة ذهبية لغاية ١٩١٥ فتوزع عليهم كل بحسب ميله وانتشار جريدته وفي الوقت نفسه ساعدهم بما لزمهم من ورق لطبع صحفهم .

التخصيصات السرية — اما التخصيصات السرية فقد كانت تصرف في شتى الوسائل منها ما كان يصرف على القبائل ومنها على الرجال الذين ساعدوا الدولة ، ومنها ما كان يصرف على الاشخاص الذين يعتمد عليهم احمد جمال باشا في سبيل تاييد سياسته الخاصة

ونحن لا نريد هنا ان نبحث عن كيفية صرف الاموال على الجواسيس العسكريين والسياسيين لان مثل هذه الامور تجري في كل بلد من بلاد العالم

واغا لندل على المصروفات السرية بصورة اجمالية

مصروف الجواسيس — ان في مديريات الشرطة شعبة خصوصية للجاسوسية تتولى مختلف هذه الشؤون في اوقات السلم الا انه في الظروف التي كانت فيه البلاد بحالة حرب فقد تضاعفت وسائل الاستخبارات والى القراء لائحة بذلك :

اولا — بيروت — يتولى شؤون الجاسوسية في هذه المنطقة ١٨ شخصا في نفس مدينة بيروت و ٣ في صيدا و ٢ في صور و ٥ في عكا وحيفا و ٣ في نابلس و ٥ في اللاذقية وطرابلس وبلغت التخصيصات الشهرية التي تصرف الى هؤلاء ١٥٠ — ٤٠٠ ليرة عثمانية ذهباً

ثانيا — متصرفية جبل لبنان — لقد كان احمد جمال باشا كثير الاهتمام في مراقبة اللبنانيين ولهذا وضع لهذه المتصرفية وحدها تخصيصات شهرية بمبلغ ٥٠٠ ليرة عثمانية ذهبا وقد كان عدد الجواسيس فيها رسميا ٢٢ شخصا ولكن الغريب هو اقبال بعض هؤلاء على التجسس على بعضهم البعض (كذا) فقد بلغت التقارير الواردة في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ ٤٢٠ تقريراً منها ٢٩٠ تقريراً مقدمة من ٢٩٠ شخصا ارسلوا هذه التقارير ضد بعضهم البعض وقد ثبت خلال هذا الشهر صحة ٤ تقارير فقط تتعلق باشخاص يحملون سلاحا والتقارير الاخرى تبين انها عبارة عن وشايات لا قيمة لها التي هي عبارة صادرة من اشخاص لهم عداوة على اشخاص آخرين ، ومع هذا فان جمال باشا كان يأمر قائد الفرقة ٤٣ في عاليه ان يدقق بكل تقرير يرده مع بيان مطالعته عليه

ثالثا — الارساليات الدينية — وقد خصص احمد جمال باشا شعبة خاصة عهد الي برئاستها مباشرة لمراقبة الارساليات الدينية وعلى الاخص بطريركية الموارنة وقد كان عدد رجالي المستخدمين في مراقبة هذه الارساليات ٢٨ شخصا منهم ١٠ اشخاص عهد اليهم فقط مراقبة البطريركية المورانية ومطارنة هذه الطائفة وكانوا يجهلون بعضهم البعض وكانت الأوامر ان تحال الي سائر التقارير الواردة من مختلف الشعبات الاستخبارية والمتعلقة برجال الدين غير المسلمين

وكان احمد جمال باشا كثير الاهتمام في هذه الشعبة بحيث كان يطلب مني يوميا ان اعرض عليه حرفيا سائر التقارير الواردة الي عن هذه الارساليات وبوجه خاص عن حركات رجال الدين الموارنة وقد وصل اهتمامه لدرجة انه كان يطلب مني التشديد في المراقبة لمعرفة ما يدور في الخلوات الدينية في بطريركية الموارنة ونظمت بناء على امر الباشا لائحة باسماء رجال الدين تدون فيها يوميا حركات كل منهم وكان الباشا شديد الاهتمام في مراقبة البطريرك الماروني ، والمطران شبلي ، والمطران عبد الله الخوري ، وكان يقول لي دوما اريد معرفة كل حركة يقوم بها هؤلاء حتى في غرف نومهم

وقد كانت الاموال المرصدة لهذا الفرع تزيد في بعض الاوقات على الثلاثمائة ليرة في الشهر

رابعا — ولاية دمشق — لقد كان في هذه الولاية ٦٢ جاسوسا رسميا يتناولون رواتب منظمة مع بعض الاكراميات حسب اهمية الاخبار التي يأتون بها والراتب المخصص لكل منهم يتراوح ما بين الخمس والعشر ليرات

خامسا — ولاية حلب — لقد كان في هذه الولاية ١٨ جاسوسا فقط لان الباشا ما كان يعير هذه المنطقة الاهمية التي يعيرها الى دمشق لأن تلك اوسع حدوداً ويمتد نفوذها الى شرقي الاردن التي انقلبت الى دولة في الوقت الحاضر

سادسا — متصرفية القدس — لقد كان في هذه المتصرفية ٢٢ جاسوسا رسميا من العرب وعشرة من اليهود واهتمام جمال باشا كان منحصراً في هذه المنطقة في تتبع حركات اليهود والمسيحيين ولهذا كانت المعاشات التي تعطى الى الجواسيس اليهود ضعفي الرواتب التي تعطى الى الوطنيين

اما في ولاية اطنه التي كانت تابعة له ايضا فقد كانت الحركة منصرفة الى تجسس حركات الارمن ودرس الاعمال التي يقومون بها

في البادية

ولم تقف مساعي دوائر الاستخبارات عند حد التجسس في المدن ومعرفة

حركات المعارضة و بعض الاشخاص المطلوبة مراقبتهم بل تعدتها الى البادية حيث كان لجمال باشا بين عربان البادية والذين يجوبونها رسل وجواسيس يأتونه بحركات العرب ويتناولون مبالغ جسيمة تؤخذ من الاموال التي يصرفها جمال باشا في المدن التي يحتلها الجيش الرابع ، والغريب ان معظم هؤلاء الجواسيس كانوا غير مخلصين في عملهم والى القراء مثال ذلك :

كان احمد بن وليد الجاسم من عرب الرولا من الذين تعتمد عليهم مصلحة العشائر في نقل اخبار البادية وكان هذا الرجل في باديء الامر يأتيها بالاخبار الحقيقية عن موقف الزعماء وحركاتهم حتى انه في اليوم العاشر من شهر ايلول سنة ١٩١٥ ارشد السلطة في العقبة الى مصري يدعى هداية افندي كان ملازما في الجيش تمكن من الانسلال الى تلك المنطقة للتجسس على حركاتنا والاتصال بعربان البادية ولكنه بعد مدة قصيرة اتصل بالانكليز فبات ينقل لهم ما يعرفه عنا كما انه ينقل لنا ما عرفه عنهم اي انه كان يلعب على الحبلين ولم يكتشف امره الا في اواخر عام ١٩١٦ ولكننا لم نتمكن من توقيفه لان الرجل تمكن من الفرار الى المنطقة الانكليزية

وهناك عشرات الحوادث تدل على اننا كنا نجهل حقيقة ما يجري هناك نظراً لعدم وجود الاخلاص الكافي ومن المؤكد ان مصلحة استخبارات العشائر كانت تكلفنا في كل شهر نيفا والف ليرة عثمانية ذهبا

المصاريف السرية الاخرى — وهناك مصاريف سرية اخرى هي :

اولا — مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية الى جماعة القبضايات فان احمد جمال باشا اتخذ من هذه الفئة شبه حرس حوله لانه كان يعتقد ان الشعب الذي بدأته نقمته عليه من اعدامه القافلة الاولى من رجالات سوريا اخذ يتزايد بغضه عقب اشتداد الازمة الاقتصادية والمجاعة فاراد ان يؤلف حوله حرسا من هؤلاء يهبون للدفاع عنه ، وقد كان يعتقد ان في مقدوره استخدام هذه الفئة ليس في مقاومة اعدائه داخل البلاد السورية فحسب بل للمناداة بنفسه خديويا على سوريا عندما يحين

الوقت ، كما سيتبين الامر للقراء من سياق حديثنا المقبل اما الحقيقة فهي ان الباشا لم يستفد من هذه الجماعة شيئاً قط لانه عندما اشتد النفور بينه و بين رجال الحكومة المركزية لم يجد حوله من هؤلاء من يصح الاعتماد عليه في ادارة الحركة التي يريدها ثانيا — كان احمد جمال باشا يعتمد على رجال الدين المسلمين في تأييد حركاته والترك يعلمون ان احمد جمال باشا لم يكن متدينا ومع هذا فقد كان يعتقد بنفوذ رجال الدين على عامة السوريين ولهذا استمالهم الى حزبه ليكونوا قوة ثانية بجانبه مع القبضايات وقد اكرم هؤلاء زيادة عن المعتاد فاقطعهم الاموال والذخائر لمعيشتهم حتى زاد ما يصرفه عليهم بصورة سرية عن الالف ليرة ذهبية في الشهر

وكان في مقدمة الذين استفادوا من هذه الاموال السرية الشيخ اسعد الشقيري ، الشيخ عبد الكريم الحسيني ، الشيخ بدر الدين الحسني الشيخ تاج الدين الحسني ، الشيخ النحاس ، الشيخ عبد الرحمن الانصاري ، الشيخ الجوبي ، الشيخ الصيادي ، الشيخ عبد القادر الخطيب الخ

والشيخ الوحيد الذي ابى ان يمد يده الى هذه الاموال السرية هو الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت

فعندما زار احمد جمال باشا بيروت للمرة الثانية وزع على مشايخها مبالغ مختلفة من الاموال السرية وكنت اوزعها بيدي ومنها مبلغ مئتي ليرة ذهبية طلب مني تقديمها الى مفتي بيروت فقصدته الى منزله الكائن في ضاحية المدينة وسلمته المبلغ فابى اخذه قائلا : « ان المبلغ الذي يتقاضاه كاف له »

وعبثا حاولت اقناعه بضرورة اخذه وصرفه على الفقراء كما يريد فاجاب :

— اذا كان لابد من صرفه على الفقراء فامامك مجال يمكنني مساعدتك به فان في بيروت مئات من العائلات المحتاجة يمكنني ان اقدم لك لائحة بها فاشتر بالمبلغ دقيقا وائتني به لنوزعه معا عليهم

ولما كان هذا الامر ليس من صلاحيتي بادرت لاعلام احمد جمال باشا بالامر فاجاب « هذا ما كنت اعتقده فيه »

ثم امر باعداد سيارته وذهب بنفسه الى دار الافتاء حيث قدم احترامه للمفتي وامر بتوزيع الدقيق تحت اشرافه

وهكذا كان لي المجال لان اشير الى شرف هذا الشيخ الفاضل الذي صادفته في سوريا والذي عرف كيف يحفظ نفسه شريفا ويخدم فقراء طائفته

اما غيره من المشايخ الذين تناولوا هذه الاموال السرية فماذا فعلوا بها ؟

هذا ما اترك لهم انفسهم ان يجاوبوا عليه

ثالثا — كانت هناك فئة ثالثة تتناول كثيراً من خيرات احمد جمال باشا وهي طبقة الاغنياء التي اثرت كثيراً من ورائه ولكن ماذا عملت هذه الفئة ؟ — لا شيء — انها في كل فرصة تتزاحم على اقامة الحفلات والولائم للباشا غير حافلة بمصير ابنائها الذين كانوا يتضورون جوعا

وقد سمعت في المدة الاخيرة ، اي بعد الانقلاب ، ان هناك من يبرر هذه الحفلات بانها اقيمت لانقاذ مقيميها من النفي او السجن ولكن الحقيقة عكس ذلك فالذين اقاموا هذه الحفلات كانوا يحاولون من ورائها ان ينالوا حظوة في عين جمال باشا ليعطيهم وثيقة بكمية من القمح يتاجرون بها لتزداد ثرواتهم

ولم اذكر ان احداً من هؤلاء الوجهاء فاتح جمال باشا في هذه الحفلات بامر هذه المجاعه وتخفيف وطأتها لانهم كانوا يخشون كثيراً ان يؤدي هذا الامر الى طلب مساعدتهم المادية لتامين حياة هذه الفئة

واذكر مرة اني كنت وجمال باشا في قصر الوجيه البيروتي ميشال سرسق ودار البحث حول الحرب الحاضرة والازمة الموجودة واهتمام اغنياء اوربا بالحرب وتطوع نسائهم لمساعدة الجرحى واغنيائهم لتاليف اللجان لمساعدة البائسين فسال الباشا لماذا لا يقدم اغنياء هذه البلاد على هذه المساعدة فلم يتلق سوى اجوبة غامضة وقال احد الحاضرين :

— من بقي في البلاد فالاقوياء يحاربون والمتخلفون خونة

— والنساء ؟ ! — ؟ ؟ ؟

الفصل الحادى عشر

ارسل خلوصي بك ، والي دمشق ، الى احمد جمال باشا الوثائق التي وجدت في القنصلية الافرنسية فرتبتها وسلمتها الى احمد جمال باشا وهو ارسلها بدوره الى انور باشا وعلى اثرها تقرر ارسال نوري بك شقيق انور باشا الى طرابلس الغرب لادارة الحركات الحربية هناك للحيلولة دون اتصال الحلفاء بهم من جهة ولتمكين الوحدة بين عرب طرابلس الغرب وعرب الجزائر الذين يحاربون تحت قيادة الامير عبد المالك الجزائري الثائر ضد الحكومة الافرنسية

وفي الوقت الذي تحرج فيه الموقف السياسي في البلاد وصل نوري بك الى بيروت وعهد الي بتهريبه الى طرابلس الغرب وقد تمكنا من تدبير هذه القضية بواسطة احمد آغا الشرقاوي ورفاق له الذي مكنونا من استئجار مركب شراعي سافر عليه نوري بك لتنفيذ مهمته هذه

وثائق القنصلية الافرنسية — وكانت الوثائق التي وجدت في القنصلية الافرنسية بدمشق كافية لالقاء تهم شنيعة على عدد كبير من رجالات سوريا المعروفين وفي مقدمتهم الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان الامير علي باشا ، عبد القادر الجزائري واخوه الامير عمر ، ونائب دمشق السابق شفيق بك المؤيد العظم ، والشيخ عبد الحميد الزهراوي ، ويحيى باشا الاطرش ، عبد الوهاب الانكليزي ، شكري العسلي ، رشدي الشمعة ، ورفيق سلوم ، وسليم الجزائري وغيرهم

وقد عرف القراء من مقدمة هذه الفصول ان احمد جمال باشا عندما اتى الى دمشق وفاتحه خلوصي بك في امر هذه الوثائق لم يرض قط في بسطها على مائدة البحث وامر بحفظها سراً الى وقت آخر ريثما يرى الموقف مع ابناء البلاد وكان ان اقدم في ذلك الوقت على حضور الحفلة التي اقامها للسوريين قصد استمالتهم الى صفوفه وجعلهم يعملون معه ناسين الماضي في سبيل انقاذ الموقف الحاضر .

المساعي لاستمالة العرب

واحمد جمال باشا كان على اتصال بعبد الكريم الخليل منذ كان في الاستانه على اثر الخلاف الذي شجر بين انور باشا وعزيز علي بك المصري وقام الرجل بعدة خدمات للاتحاديين لاستمالة العرب الذين ذهبوا لحضور موءتمر باريس عندما نتدب للذهاب مع شكري بك ولهذا لم يكن عبد الكريم الخليل غريباً عن احمد جمال باشا الذي اكرمه كثيراً وقربه منه واتخذه وسيطا بينه وبين زعماء السوريين لاستمالتهم الى صفوفه وقد قام عبد الكريم الخليل بهذه المهمة خير قيام ونال من مساعدات احمد جمال باشا الشيء الكثير حتى ان الباشا ما كان ليتأخر بظرف من الظروف عن تقديم المال اللازم للرجل (كذا) واحمد جمال باشا كان يري بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر رجلا شديدالاندفاع في عقيدته الوطنية وكان يعرف ايضا ان السوريين لا يثقون بالاتحاديين لانهم يرونهم اخصاما لامانيهم القوميه عاملين على تأييد كامل باشا الذي وعدهم قبل تدبير موءامرة قتل محمود شوكت باشا على اعطائهم الحقوق التي يريدونها اذا ما هو عاد الى مقعد الحكم في تركيا ولهذا اراد الباشا ان يكون الدكتور بجانبه فخابره بواسطة عبد الكريم الخليل ومحمد بك كرد علي الذي انضم اليه ايضاً وبهذه الصورة حضر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وقابل احمد جمال باشا الذي تمكن من اقناع الدكتور بمحبته للعرب ورغبته الاكيدة في تحقيق ما يصبو اليه العرب من الاصلاحات اللازمة في بلادهم

وقد كان الدكتور عبد الرحمن شهبندر ورفاقه الذين قابلوا الباشا على اتفاق تام معه من ان الدسائس التي ترتكب في البلاد العربية هي عبارة عن موءامرات واسعة النطاق ترمي الى احداث ثورة عمومية في البلاد العربية جميعا تحت اشراف انكلترا او فرنسا وايطاليا وكانوا على اتفاق تام بضرورة اغتنام هذه الفرصة لاستمالة امراء العرب الى الدولة العثمانية والعمل معها يداً واحدة ، ولهذا وعدوا احمد جمال باشا بمساعدته ونصحه الدكتور عبد الرحمن شهبندر بوجوب الاستعانة بعزت بك الجندي الذي له معرفة بالسيد الادريسي والذي هو على اتصال به بصورة مستديمة

جمال والجندي — ومع ان احمد جمال باشا كان يكره عزت بك الجندي ويرى في وجوده في سوريا خطراً شديداً على ادارة الامن العام من جهة وعلى سلامته هو ايضا من جهة ثانية ولهذا تردد في باديء الامر بتنفيذ اقتراح الدكتور شهبندر كما تردد بعدئذ في تنفيذ اقتراح عبد الكريم الخليل عندما اقترح عليه الذهاب الى مصر واقناع الحزب اللامركزي بعدم التعرض للباشا والتعاون معه الا ان تردده هذا لم يدم طويلا لانه وجد ان الضرورة توجب والحالة هذه ارسال الرجل بهذه المهمة فان قام بها تمكن من استعادة ثقة الباشا والا فانه يكون قد تخلص منه وابعده عن سوريا ولهذا ابرق الى متصرف حمص يطلب منه دعوة الجندي بك للشخوص فوراً الى دمشق لمقابلته فصدع بالامر وفي اليوم الثاني كان فيها .

الجندي في دمشق — ام عزت بك الجندي دمشق مساء ونزل في الفندق ضيفاً على القائد العام وفي المساء انتدبني جمال باشا لتحيته باسمه وقد اعادت هذه المهمة الطمأنينة الى قلب الرجل الذي حسب لهذه الدعوة الف حساب ودعوته لمقابلة الباشا في اليوم الثاني وقد كانت هيأته وحركاته تدل على انه كان كثير الانفعال حتى اذا اطمأن من لهجتي عاد اليه هدوءه واكثر من الممازحة وترديد عبارات الاخلاص للدولة ورغبته الاكيدة بفوزها على العدو

وفي اليوم الثاني قصدته وذهبت معه الى دائرة جمال باشا الذي استقبله بحفاوة ولما هممت بالانصراف قال لي الباشا :

— لا داعي لخروجك بل ارى ان تكون هنا

وقد كان الباشا ، كما فهمت فيما بعد ، يريد ان يتخذني شاهداً على الحديث الذي سيدور بينه وبين عزت بك في هذه الجلسة فصدعت بالامر وجلسنا نحن الثلاثة .

وكان بدء الحديث مجاملة والتفاتات ، كما هي العادة في مثل هذه الاجتماعات ثم دخل الباشا معه في الحديث وهو حديث طويل يدور حول موقف الدولة العثمانية والاسباب التي ادت الى دخولها في الحرب العالمية لتحرير بلادها من سيطرة الاجانب الذين يريدون اقتسامها ثم رغبته في ان يرى البلاد العربية موحدة عاملة في سبيل مقاومة الاستعمار الاجنبي وبين له ان الغاية من دعوته هي ارساله بمهمة لمقابلة السيد الادريسي ووعده مقابل هذا العمل بمبلغ كبير من المال يساعده على اتمام مهمته هذه فقبل عزت بك بهذه المهمة واملى علي احمد جمال باشا نص هذا الكتاب الذي وقعه بامضائه وسلمه الى عزت بك الذي سافر في اليوم الثاني الى بيروت ومنها استقل احدى البواخر الاسبانية التي كانت مسافرة من مرفأ بيروت في ذلك اليوم وذهب

ولست اعلم ما اذا كان الرجل قام بمهمته هذه ام لا الا ان الذي اعرفه ان احمد جمال باشا ما كان ليعتقد بذلك الا انه كان يقول :

— على كل حال ان وجود الرجل في خارج البلاد اوفق لنا

موقف الدروز تجاه الدولة

عرف القراء من مطالعة الفصول السابقة ان الامير سعيد الجزائري كان قد وفد لمقابلة احمد جمال باشا حين وصوله الى دمشق وعرض نفسه لخدمته في سبيل استمالة الدروز الى صفوفه وقد كنت حاضرا يومئذ هذا الاجتماع واليك ما جرى .

طلب الامير سعيد بن الامير علي باشا مقابلة احمد جمال باشا موعدا فعين له لهذه المقابلة في الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني

وفي الوقت المعين جاء الامير وهو متأبط رزمة من الاوراق قدمها الى الباشا وفيها اعداد من جريدة « المهاجر » العربية تشتمل على سلسلة مقالات استكتبها الامير اثناء الحرب البلقانية تتضمن حملة شديدة موجهة الى فرنسا ومنها حاول ان ان يثبت للباشا مقدار نقمته وكرهه للافرنسيين ورغبته الاكيدة في خدمة دولة الخلافة الاسلامية وانه هو وسائر افراد عائلة المرحوم الامير عبد الكريم مخلصون اشد الاخلاص للدولة

وقد اكثر الامير سعيد من ترديد عبارات الاخلاص والولاء ومجد ابائه واجداده الخ ...

واعلن في ختام حديثه استعداده لتأدية خدمة جديدة للدولة العثمانية بحمله زعماء الدروز على القدوم الى دمشق لتقديم الطاعة الى الباشا وانه يرى ان يترك الامر في هذا السبيل له وحده دون الاستعانة بوالي دمشق لانه اذا دعي الدروز بواسطة الحكومة اعتقدوا ان في الامر دسيسة ضدهم وقاموا بحركات مضرة

ولما كان احمد جمال باشا يتبع في ذلك الوقت سياسة الملاينة والمسايرة لم يرض ان يعارض الامير في ما ابداه ووافقه عليه

رأي الباشا في الدروز — ما كان يعتقد قط ان في امكانه ان يستفيد اية فائدة من وراء الدروز الذين جلبهم الى دمشق الا انه على كل حال كان يعتقد ان في مقدورهم ان يقلقوا افكاره ويتعبوه كثيراً اذا ما هم قاموا بحركات مخلة ولهذا اتبع معهم سياسة — ادارة المصلحة — التي كانت معروفة في ذلك الوقت واذكر انه صرح لي يوم قدوم الوفد الدرزي قائلا

— ان الكل هنا يخشون ثورة الموارنة في لبنان ويعتقدون ان في لبنان خمسين الف بندقية واذا ما نشبت الثورة وسعوا نطاقها وحملوا الحلفاء على التدخل في امرها ولكني انا لا اخشى ثورة الموارنة قط وفي مقدوري اخمادها فورا اما اذا

كان هناك من اخشاه فهؤلاء الدروز الذين اريد ان يظلوا بعيدين عن الافتكار باضرام ثورة ضدنا . ولهذا استاء الباشا من وجود اسم يحيى باشا الاطرش في وثائق القنصلية الافرنسية لانه في حالة توقيف هذه الفئة سيضطر حتما الى توقيف يحيى باشا الاطرش وتوقيف يحيى باشا سيؤدي حتما الى قلاقل في الجبل ووجود اسم يحيى باشا بين اسماء الذين اشتركوا في هذه الحركة اهاب بجمال باشا لان يؤخر محاكمة اصحابها ولهذا فانه ما كاد يصله نبأ نعي يحيى باشا حتى تنفس الصعداء وقال :

-- ان وفاته كانت خيرا له ولنا وللدروز انفسهم

وتولى سليم بك الاطرش الامارة من بعده وكان سليم بك شابا مهذبا ذا اخلاق وصفات حسنة عرف الباشا كيف يستميله لليه واكرمه مع رؤساء الجبل الدرزي فباتوا اصدقاء ووعدوه بالوفاء وفعلا بروا بوعدهم حتى جلاء القوات العثمانية عن هذه المنطقة . وهكذا انقذ موت يحيى باشا الدولة من ثورة درزية كانت محتمة في ذلك الوقت لان الباشا قرر اعتقاله مع رفاقه مهما كانت نتيجة هذا الاعتقال

الفصل الثاني عشر

لم نعلم بالقرار الذي اصدره مجلس الادارة في ولاية الشام والمتعلق بمنع اخراج الحبوب من هذه الولاية الى فلسطين ولبنان الا على اثر الشكاوي التي بدأت تردنا من والي بيروت ومتصرف جبل لبنان لان القائد العام لم يكن يرغب في ان يتدخل في الشؤون الادارية والمالية المتعلقة في الولايات لانها كه في الشؤون العسكرية ولكن كثرة هذه الشكاوي نبهته للاهتمام بالامر خصوصا وان التقارير التي بدأت ترده من دائرة الاستخبارات دلته على ان التدابير التي اتخذها مجلس الادارة الدمشقي لم تفد شيئا لانصراف المحتكرين الى اتخاذ سائر التدابير التي تمكنهم من جمع كميات وفيرة من الحبوب ونقلها الى لبنان وفلسطين بطريقة التهريب وقد استنتجنا من ذلك ان قرار المنع الذي اتخذه مجلس الادارة والذي كان يرمي الى صيانة احتياج الولاية من الحبوب لم يفدها بشيء لان ما كانت قد منعته جهاراً عن لبنان وفلسطين قد اصبح يرد اليها بواسطة المهربين وبذلك ارتفعت الاسعار واستفادت تلك الفئة الساقطة التي تتاجر بقوت العباد ومن وراء هذه المعركة غير المفيدة

المخابرات لانقاذ لبنان من المجاعة — لقد اتهم الكثيرون احمد جمال باشا بانه كان السبب في المجاعة التي اصابت البلاد اللبنانية والساحلية والحقيقة ان الرجل براء من ذلك فقد تشبث الباشا بشتى الوسائل في سبيل انقاذ هذه المنطقة وتموينها من حاجيات هذه البلاد وقطع الكثير من مخصصات الجيش وارسلها الى المؤسسات

الخيرية والدينية ولكن كل هذه التدابير لم تفد شيئا لان الحبوب الموجودة لا تكفي
لتأمين معيشة الاهلين واشتدت المجاعة في البلاد واخذت الاوبئة الناجمة عنها تهدد
حياة الاهلين و بدأنا نرى جموعهم ترتمي في الطرقات من تأثير الجوع لا تجد ما
تقتات به قط واذ ذاك رأينا ان نستنجد بالخارج فخابر الباشا البطريرك الماروني
وطلب اليه ان يكتب تحريراً يصور فيه المجاعة واحتياجات البلاد و يرسله الى
البابا بطلب مساعدته لهذه المنطقة وتحريراً اخر منه الى ملك اسبانيا ثم استكتب
الدكتور بلس مدير الجامعة الاميركية مثل هذا الكتاب ورجاه ارساله الى رئيس
الجمهورية الاميركية وتناول هو بنفسه هذه الكتب الثلاثة وارسلها الى سفير الدولة
العثمانية في سويسرا لارسالها الى مراكزها ، ودارت بينه و بين المسيو « ليكوسه »
سفير الولايات المتحدة الاميركية عدة مخابرات بطلب مساعدة الامة الاميركية
والعالم المتمدن للبنان والمناطق الساحلية

والواقع ان احمد جمال باشا لم يدخر وسيلة الا وتشبث بها في سبيل تحقيق
الغاية التي توصله لتخفيف وطأة المجاعة عن هذه المنطقة ولكن جهوده ذهبت سدى
لان الذين استنجد بهم لاقوا بعض المعارضة في سبيل ايصال خيراتهم الى هذه البلاد
وحالت السياسة دون انقاذ الالوف من الابرياء

الصهيونيون والسياسة — وكانت اول المساعدات التي وردت كميات من
صناديق الادوية الواردة من يهود اميركا فان هؤلاء اتخذوا هذه الكمية الضئيلة
وسيلة لبث الدعايات الصهيونية ونشر بعض المناشير المفسدة ، ومع ان التقارير
الواردة الينا تدل على مقدار اندفاع هؤلاء في بث الدعايات الصهيونية ومع ان
المناشير التي صودرت كانت دليلا على هذا الامر فان الباشا لم يرد قط التدخل
والاساءة الى هؤلاء املا ان يتمكن بواسطتهم من الحصول على مساعدات اكثر
تخفف من وطأة المجاعة وتمكن الاهلين من الحصول على الادوية اللازمة لهم
ولكن هؤلاء لم يجدوا من يهود فلسطين الاقبال اللازم على دعاياتهم ورأوا
انه ليس في مقدورهم الحصول على معاضدة احمد جمال باشا في مساعدتهم على نشر

دعاياتهم الصهيونية في البلاد عادوا على اعقابهم دون ان يهتموا بمساعدة احد حتى
اخوانهم يهود فلسطين و بذلك اثبتوا ان اقدامهم لم يكن لمجرد العاطفة الانسانية بل
للخدمة السياسية فقط

واتصل بالقيادة العامة ان ملك اسبانيا ورئيس جمهورية الولايات المتحدة
الاميركية ارسلا الفي طن من الحبوب تلبية لنداء البطريرك الماروني والمستر بليس
وان الباخرة التي تنقل هذه الحبوب قد ابحرت بطريقها الى بيروت

وفي الوقت الذي وردت فيه هذه الاخبار جاءنا الدكتور بليس يعلمنا فيه ان
الحلفاء يعارضون في ارسال هذه الباخرة الى بيروت لانهم يخشون ان لا تصرف في
سبيل الهدف الذي ارسلت لاجله وان يستولي عليها الجيش و يصرفها في
سبله وسأله عما اذا كان يوافق على تأليف لجنة مختلطة تتولى المراقبة في
هذا الامر .

فأجابه احمد جمال باشا انه على استعداد لتأليف اللجنة التي يراها الدكتور بليس
وعرض عليه ان تكون هذه اللجنة تحت اشرافه ، اي بليس واشراف القاصد
الرسولي وقنصل اسبانيا فرأى الدكتور بليس هذا الجواب موافقا فابلغه الى رئيس
حكومته والى ملك اسبانيا صاحبي الهدية فلم يعارضا بذلك ولكن الحلفاء لم يقتنعوا
بهذه الحجة و حجزوا الباخرة في ميناء الاسكندرية ولما اتصل هذا الامر باحمد
جمال باشا ابرق الى المستر ليكوسه سفير الولايات المتحدة الاميركية في
الاستانة بما يلي :

« ان التأكيدات التي قدمتها للدكتور بليس ولنيافة وكيل البابا كافية كما
اعتقد لحصول الحلفاء على التأمينات اللازمة بان الحبوب المرسلة من فخامة رئيس
الجمهورية الاميركية وجلالة ملك اسبانيا ستصرف في الطريق المرسلة لها
ان اصرار الحلفاء على حجز هذه الباخرة والمجاعة المؤلمة التي تفتك بالبلاد
والمناظر المفجعة التي تتراءى امام ناظري يوميا تدعوني لان اقبل بكل اقتراح ترونه
مناسبا لتوزيع هذه الكمية سواء بتأليف هذه اللجنة من ابناء البلاد تحت اشراف

البطريرك الماروني ومندوب البابا والدكتور بلس وقنصل اميركا وقنصل اسبانيا او باشتراك مندوبين من قبل السفارة ».

فرد السفير المستر ليكوسه على كتاب احمد جمال باشا بما نصه :

« ان معتمدنا في القاهرة افاد ان الحلفاء لا يزالون متمسكين بنظريتهم من ان الحبوب المرسلة الى بيروت ستصرف في سبيل الجيش وفي هذا ما يخالف القوانين العسكرية ولهذا قرروا ضبطها

وقد ذهبت مساعي احمد جمال باشا في سبيل حمل الحلفاء على القبول بارسال هذه الباخرة سدى بل ان هؤلا زادوا في تشديد الحصار على السواحل السورية ومنع المراكب من الابحار فيها لانهم كانوا يقصدون من وراء ذلك غاية سياسية هي انه اذا اشتدت المجاعة في البلاد قام سكانها ضد الدولة وبذلك يتمكنون من استمالتهم اليهم واحتلال البلاد من دون ان يتوصلوا الى اراقة دماء ابنائهم ثم في الوقت نفسه يتمكنون بواسطة الاعاشة التي يوزعونها على اهاليها الجياع من استمالتهم الى صفوفهم وجعلهم كتلة واحدة يعملون معهم

مساعدات جمال باشا

وهكذا تبين للجميع ناحية من نواحي المجاعة في هذه البلاد والى القراء لائحة عن المساعدات التي كان يقدمها الجيش

اولا — الى سائر المدارس الحكومية

ثانيا — الى الجامعة الاميركية

ثالثا — لعائلات الدول المحاربة الموجودة في بيروت

رابعا — لسائر موظفي الدولة وعائلاتهم

خامسا — للمستوصفات والمستشفيات على اختلافها

سادسا — ٣٠٠ الف كيلو من الحبوب كانت تقدم مجانا الى البطريركية المارونية في العام لتوزعها على الاديرة والرهبان التابعة لها

سابعا — ١٥٠ الف كيلو الى بطريركية الروم الارثوذكس وبطريركية الروم الكاثوليك

ثامنا — تأمين معيشة الف طفل ارمني انشئت لاجلهم دار للايتام مدة الحرب في مدرسة عينطورة

تاسعا — ٥٠ الف كيلو من القمح و٢٥ الف ليرة قرضا قدمت الى بطريرك الروم الارثوذكس في القدس

عاشرا — دار الايتام التي اسستها كريمة الدكتور التونيان في حلب لمئات المهاجرين الارمن الموجودين فيها

١١ — تأمين معيشة اربعة الاف شخص من اهالي بيروت كانوا يشتغلون في « الاعمالاتخانات » التي اسسها احمد جمال باشا وعزمي بك في بيروت

وهناك غيرها من وسائل الاسعاف التي قامت بها قيادة الجيش الرابع والتي كانت من الاسباب الرئيسية التي عرقلت مساعي الجيش ، ولو كان رجل لبناني او سوري مكان احمد جمال باشا لما اقدم على خدمة امته وبلاده بمثل الخدمات التي قام بها احمد جمال باشا نحو السوريين واللبنانيين

الفصل الثالث عشر

الرتب والاوسمة

لم تكن الرتب والاوسمة التي تعطى للعرب عن سابق جدارة واستحقاق كلا بل كانت تعطى لغايات سياسية او مالية

فالمعروف ان رجال الحكم في العهد الاستبدادي كانوا يقدمون على منح الاوسمة بدون استحقاق حتى اننا نعرف ان هناك بعض الاميين نالوا درجة رفيعة الا لانهم يستحقونها بل لانهم يمتلكون شيئا من المال دفعوا بعضه الى المقربين من الذات الشاهانية فنالوا منها ما يريدون وهذه التجارة كانت رائجة في البلاد العربية لان سكان هذه المنطقة كانوا يضحون بكل شيء في سبيل الاوسمة والالقاب والسلطان عبد الحميد يعرف ولع العرب بهذه الالقاب والاوسمة كما كان يعرف ان اخصاءه يتخذونها وسيلة للاتجار وجمع الثروة ولهذا ما كان يبخل بالارادات على هؤلاء الوسطاء لاملاء جيوبهم وعلى غيرهم لاستمالتهم وهكذا رأينا مئات من الباشاوات العرب الاميين والافا من حملة الاوسمة الرفيعة

والسوريون في منطقة الجيش الرابع كانوا شديدي الغيرة والرغبة في الحصول على الالقاب والاوسمة واذكر في هذه المناسبة ان احمد جمال باشا عندما جاء الى سوريا حمل معه مئات البراآت بالرتب والاوسمة يكفي ان يملاء الاسم في كل منها ويمنحها كما يريد ومن اراد والباشا لم يستغل هذه البراآت في سبيل مطامع

مالية بل ظن ان في امكانه من ورائها ان يستميل الشخصيات التي يريدها لتأييده واذكر في هذه المناسبة حادثة مضحكة جرت في هذا الشان والى القراء خلاصتها:

حكاية غريبة !

في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار سنة ١٩١٥ دخل علي في دائرتي بالقدس الشيخ اسعد الشقيري وقال :

— ان كامل بك الاسعد قادم الى القدس بمهمة سياسية خطيرة تتعلق بمؤامرات دبرت في جهات صيدا ضد الدولة العلية ولما كان الرجل مثريا لا حاجة له بالمال فان من الضروري والحالة هذه استمالته بلقب او وسام رفيع . وطلب مني ان افاتح الباشا بالامر فوعدته بذلك وفاتحت الباشا الذي وقع في الحال على ارادة بمنحه البكوية من الدرجة الثانية والمجيدي الثالث ولما حضر كامل بك الاسعد الى القدس منحه جمال باشا الرتبة والوسام جزاء اخلاصه له وللدولة

وقد اثارت هذه الحادثة بعض الحسد في قلوب مواطنيه في جبل عامل فلم يكد الاسبوع يمر على هذا الحادث حتى تلقيت عشرات التحارير التي يلتمس بها مني اصحابها ان اسعى بالتوسط لهم لدى جمال باشا كي يمنحهم ما هم بحاجة اليه حتى ان احدهم وهو « ٠٠٠٠ » بلغت به الجرأة وعرض علي مائة ليرة عثمانية مقابل منحه رتبة البكوية

وفي اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩١٥ تبلغ عجمي باشا السعدون الارادة السنية القاضية بمنحه رتبة الباشاوية مع لقب « ميرميران » وهو من الرتب الرفيعة في الدولة جزاء له على اخلاصه للدولة وانفراده عن بقية العشائر القاطنة في منطقته بمحاربته الانكليز الذين احتلوا في ذلك الوقت السواحل العراقية ، وقد منح هذا اللقب الى المشار اليه عن جدارة واستحقاق لانه عرف في ذلك الوقت كيف يدافع عن سلامة الدولة وعن اخلاصه لها لا ان اللقب اثار حسد رئيس قبائل شمر الذي منح المذكور مثله وعلى هذا اضطر جمال باشا الى منح المذكور مثل

هذه الرتبة واللقب ولكن التاريخ سجل الاول ما منح عن جدارة واخلاص بعكس الامر مع الثاني

حب اللبنانيين للالقاب — واللبنانيون رغم رقيهم وتقدمهم فانهم لا يزالون كغيرهم من ابناء سوريا شديدي الولع بالالقاب

وليس هناك من مجال للشك في ان اللبنانيين بمجموعهم اكثر رقيا وثقافة من سائر الناطقين بالضاد لهذا كان احمد جمال باشا كثير العطف عليهم يقول لي دوما :

— كم انا آسف لرؤيتي هذه الفئة النابهة المثقفة من ابناء الامة العثمانية مندفعة وراء الدعايات الدينية والاجنبية ولو كان في مقدوري استمالتها لاصبحت دون شك املك قوة كبيرة تعضد الدولة العثمانية وتدافع عن كيانها

وجمال باشا على حق في قوله هذا وقد كان في امكانه لو ضم اللبنانيين الى صفوفه ان يجعل منهم قوة عظيمة تؤيده ولكن جميع الجهود التي بذلها في هذا السبيل ذهبت سدى فان الدعايات الدينية والمعاكسات التي صادفها في طريقه حالت دون بغيته هذه ، ومع هذا حاول ان يستغل ولعهم بالرتب لمصلحته الا انه لم ينجح النجاح التام ، رغم عشرات الرتب والالقاب التي وزعها عليهم

واذكر بهذه المناسبة اننا ذهبنا خلال صيف سنة ١٩١٥ الى احد منازل اعيان لبنان في صوفر فوجدنا ذلك الوجيه وهو ميشال بك سرسق قد « بروز » كتاب مجاملة ارسله اليه جمال باشا من القدس ووضعه فوق مكتبه وقد حاول البك اللبناني ان يفسر هذا الامر انه دليل حبه وتعلقه بالباشا مع ان الحقيقة هي ليظهر لزواره علاقته بالباشا ليزيد نفوذا في اعين بني قومه ولدينا على ذلك عدة ادلة تثبت لنا غرور اللبناني وولعه بالرتب والالقاب .

حب الوظائف — وابناء سوريا ولبنان على حبهم للالقاب والاوسمة يحبون الوظائف وتراهم يدفعون مئات الليرات في سبيل الحصول على وظيفة لا يكاد راتبها يبلغ الاربع او الخمس ليرات ذهبية في الشهر .

— ولماذا ذلك ؟

— ان السوري يركض وراء الوظيفة قصد امرين الاول الاثراء من وراء الوظيفة باعتبار ان المبلغ الذي دفعه ثمن الوظيفة لمن هو اكبر منه يوجب عليه ان يعمل على تحصيله من الشعب باية صورة كانت ولهذا تراه لا يهتم من الوظيفة الا بامر الحصول على المال ولا يهمه قام العدل أم حل مكانه الظلم (كذا)

والامر الثاني هو حصوله على المركز لمناوأة خصم او للحصول على جاه اذا كان ذا ثروة .

وقد وقعت مئات الحوادث التي تؤيد هذا الامر واحدها حادث تعيين مفتي حمص فان الخلاف حول هذا الامر كاد يؤدي الى ثورة في حمص بين عائلاتها حتى ان وفداً من عائلة الاتاسي جاء يرجو جمال باشا لمعاضدته في الامر مقابل تأييد العائلة الاتاسية لاحمد جمال حتى ان هذا الوفد صرح للباشا ان العائلة الاتاسية مستعدة لان تكون ... مع جمال باشا في سبيل تحقيق هذه الغاية

ويظهر ان للشيخ سعد الشقيري غاية من وراء معاضدة هذه العائلة لتأييد مرشحها فساعدها لدى الباشا الذي وافق على تعيين الشيخ طاهر الاتاسي مفتيا على حمص في شهر حزيران سنة ١٩١٥ وقد خدم الشيخ طاهر الاتاسي جمال باشا خدمات جلى وعلى الاخص فيما يتعلق بآل الجندي الذين كان ينقم عليهم جمال باشا خصوصا بعد ذهاب احدهم بمهمة الى الادريسي كما بيناه في حينه وعدم عودته الى منطقته

الفصل الرابع عشر

لم يكن التآمر على اغراق الباخرة الكبرى «لوزيتانيا» خافيا عن الاتراك ولهذا رأينا وزير الداخلية طلعت بك يدعو اليها صباح ٢٥ نيسان سنة ١٣٣١ — ٨ ايار سنة ١٩١٥ الصحفيين و يطلعهم على تفاصيل اغراق هذه الباخرة الكبرى

-- ولكن ما هي غاية وزير الداخلية من هذا الحادث ؟

ـ ان الوثائق الموجودة لدي يوجد في احداها نص الورقة التي كتبها وزير الداخلية العثمانية بخط يده عن الحادثة والتي طلب الى الصحافة نشرها وهي :

«ان الباخرة لوزيتانيا التي اعترفت شركة روتر البرقية بان الغواصات الالمانية اغرقتها هي من البواخر الحديثة الضخمة ، صنعت سنة ١٩٠٦ في مصنع البواخر وخصصت للابحار بين اوربا واميركا

«ان المانيا ككل عمل من اعمالها خطت في ميدان الملاحة خطوات واسعة واصبحت رقيبا مدهشا بوجه خاص على بريطانيا حتى القت الروع والدهشة في قلوب البريطانيين

وفي سنة ١٩٠٦ بدأت الرقابة بشدتها بين البلدين فعندما تعمد المانيا لصنع سفينة ضخمة تقوم بريطانيا وتصنع سفينة اضخم منها حتى صنعت بريطانيا لوزيتانيا وموريتانيا

ويحمول كل من هاتين الباخرتين ٣٢ الف طن وبطول ٧٨٥ قدما وعرض

٨٦ وبقوة ٧٢ الف حصان بحيث بات في امكانها ان تسير بسرعة ٢٥ ميلا في الساعة واخذ العدو في تسيير هاتين الباخرتين بين اوربا واميركا

ولما وقعت الحرب العالمية لم يرض الانكليز في حجب هاتين السفينتين بل اتبعوا سائر الطرق الخداعة لتأمين سيرهما وحموهما بالعلم الاميركي كأنهم يحاولون بذلك خداع الالمان الذين عرفوا كيف يؤدبوهم واغرقوا هذه الباخرة الضخمة وبذلك اثبت الالمان سيادتهم الدائمة ليس في البحار الاوربية بل على المحيط الاطلنطيكي ايضا وسنرى كيف تعمد الغواصات الالمانية لاراحتنا من سفن العدو بصورة نهائية»

هذه هي القطعة التي طلب وزير خارجيتنا من الصحافة نشرها في ذلك اليوم وهي في حقيقة الامر لتهدئة الاعصاب التي اثارتها اعتداآت السفن المادية على الشواطىء السورية لان مواصلة اعتدائها وشعور الشعب في سوريا بالازمة وارتفاع اسعار المعيشة كل هذا اوجد في الافكار العامة في سوريا الخوف من النتيجة والريب في امكان الدولة حمايتهم وهذا البلاغ الذي نشر كان يرمي الى افهام الرأي العام ان الغواصات الالمانية قادمة حقا الى تلك السواحل لحمايتها من الاعداء .

الغواصات الالمانية

وفي الحقيقة وردت الى المياه اللبنانية ثلاث غواصات اخذت تتردد بين الشواطىء اللبنانية والفلسطينية حتى ان احداها دخلت الى مرفا بيروت واقام لها الضباط الالمان والجالية الالمانية الحفلات الضخمة وانشدوا على رصيف بيروت النشيد الالماني وهتفوا كثيراً «المانيا فوق الكل»

ـ لكن ماذا عملت تلك الغواصات لسوريا؟

ـ انها لم تفعل شيئاً ابداً لان الالمان في ارسالهم هذه الغواصات اوجدوا لسفن العدو في مهاجمة المراكز العثمانية وقد كان من جراء ذلك اننا اخذنا نرى البواخر النقالة العادية تدخل مرفأ بيروت دون ادنى خوف او خشية

وتضرب المدينة

— اذاً !! ان ارسال الغواصات الى الشواطئ السورية لم تفد السلطنة العثمانية ولم يرفع نطاق الحصار الذي وضعه الحلفاء على سواحلنا بل ان الامر كان عكس ذلك اذ ان الحلفاء تذرعوا بوجودها لتكون لديهم وسيلة في صنع ما يريدون باعتبار وجود هذه الغواصات دليلا على ان تركيا اتخذت من هذه البلاد حصنا حربيا يمكنهم الاعتداء عليه ساعة يريدون

تجديد المعاهدة التجارية — وفي الوقت الذي اشتدت فيه الازمة الاقتصادية قام الالمان يعملون على توطيد نفوذهم الاقتصادي في هذه البلاد البائسة وكان اول عمل اقدموا عليه هو تجديدهم بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ٩١٥ المعاهدة التجارية المعقودة بين المانيا وتركيا وجعلها لمدة غير معينة وقد تمكن الالمان بواسطة هذه المعاهدة من اتخاذ البلاد العثمانية المحتاجة الى كل شيء وسيلة لبيعنا بضائعهم بالاسعار التي يريدونها وتأمين ما هم بحاجة اليه من بلادنا من حبوب وماشية دون ادنى رقيب ولهذا رأينا خلال ايام الحرب العصيبة القطارات الحديدية عملا بهذه المعاهدة واوامر وكيل القيادة العامة انور باشا تنقل الحبوب من اقاصي بلاد العرب والاناضول الى المانيا في الوقت الذي كان فيه ابناء هذه البلدان التي انبتت هذه الحبوب والجيوش المدافعة عنها تتضور جوعا

نكبة الدارعة امدن — اغرق الحلفاء الدارعة الالمانية (امدن) في الخليج الفارسي والتجاء بحارتها الى الساحل العربي حيث قام بعض عربان الجزيرة بالاعتداء عليهم وسلبهم ولكن الامام يحيي حميد الدين ما لبث ان دافع عن هؤلاء الجنود الالمان العزل من سلاحهم فابدى مع الامام عبد العزيز السعود جسارة وشهامة عربية حقة فانقذا هؤلاء الجنود من الاعتداء عليهم وتمكنا من ايصالهم سالمين الى المنطقة العثمانية ثم الى الاستانة حيث ارسلوا من هناك الى الاسطول العثماني فانضموا الى رفاقهم وعلى اثر ذلك ارسل السفير الالماني الى الصدر الاعظم كتابا بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩١٥ يرى فيه القراء ما كان من تعنت السفير في ذكر مالاقاه

البحارة في الاناضول دون بلاد العرب وفيه ما فيه من المعاني ولخدمة التاريخ ننشر نصه التالي :

ان افراد الدارعة الالمانية (امدن) اعربوا لي عن عظم سرورهم وشكرهم للحفاوة والاكرام اللذين لقوهما من اخوانهم في السلاح والموظفين الملكيين حين مرورهم ببلاد الاناضول الامر الذي يثلج صدورنا غبطة ومحبة

ان الضيافات والحفاوات التي ابرزت لضباط وافراد الدارعة امدن سواء كان اثناء وصولهم الى الاستانة او اثناء الضيافات التي اجريت لهم كانت ولا شك باهرة وخارقة للعادة

ان هذه الحفاوة التي نقشت في قلوب افراد هذه المفرزة الباسلة لهي عامل قوي في تاييد الصداقة والاخاء بين الشعبين الالماني والعثماني ودليل على قرب فوزهما في مضمار جهادهما الحاضر

ولهذا اؤمل ان تشترك فخامتكم بالسرور الذي اشعر به بهذه المناسبة وبالغبطة والفخر لما اولتني اياه حكومتي بابلاغ فخامتكم ذلك

فرد عليه الصدر الاعظم بتاريخ ٨ حزيران سنة ١٩١٥ ببرقية هذا نصها :

تلقيت الكتاب المرسل من مقام سفارتكم المؤرخ في ٥ حزيران رقم ٤٣٠٧ بسرور زائد

انني شديد الافتخار للاخبار التي وردتني عن سرور الحكومة الالمانية بالحفاوة التي لقيها بحارتها التابعين للدراعة (امدن) اثناء مرورهم بالبلاد العثمانية وانني كثير الشعور بالعاطفة الطيبة التي اظهرها مقامكم سواء كان باسم الامة او الحكومة الالمانية ان العثمانيين الذين يحاربون جنبا الى جنب مع اخوانهم الالمان الابطال في سبيل العدل والدفاع عن حقوقهم المقدسة اغتنموا فرصة مرور اخوانهم ابطال الدارعة امدن الذين دافعوا بفخر وثبات عن قضيتهم وسيلة لاظهار شعورهم الحقيقي نحو الامة الالمانية

وانني في الوقت الذي اشترك فيه معكم بثقة الامة العثمانية بفوزها الاكيد مع

اخوانها الالمان والنمساو بين انقدم من مقامكم السامي بشعوري الفائق

الصدر الاعظم — سعيد حليم

هذا نص البرقيتين اللتين تبادلهما اركان الحكومتين والتي حاول السفير الالماني ان يشير من طرف خفي الى المعاملة السيئة التي لقيها هؤلاء البحارة من البدو في جزيرة العرب ولهذا حصر شكره في الاناضول

حقيقة الامر — ومن المؤكد ان المعاملة السيئة التي لقيها بحارة الدارعة امدن على ساحل جزيرة العرب لم تكن نتيجة تدبير من امراء الجزيرة ورجالها بل هي مؤامرة مدبرة من الانكليز قصدوا فيها امرين :

الاول — اثارة الضغائن بين العرب والالمان

الثاني — افهام الدول المتفقة ان العرب جماعة لا يثقون الا ببريطانيا التي يعتقدون بها انها الصديقة الوحيدة للمسلمين

والوثائق الموجودة لدينا والتي حصلنا عليها بعد الاعتداء باكثر من سنة دلت على ان المؤامرة دبرت بواسطة ضابط بريطاني يدعى الماجور (بللي) ام جزيرة العرب باسم الحاج محمد عبد الله وكان على اتصال دائم برجال الاسطول البريطاني ينفذ لهم اوامرهم والعرب غير عالمين بامره معتقدين كما هي حالتهم اليوم ان ذلك الانكليزي الذي اعتاد حياة القصور والترف في بلاده وقع ولع حقا بهم واتخذ الاسلام دينا قصد خدمته وما هو الا ليخدع هؤلاء السذج باسلامه و يعمد الى اقتناصهم كما يريد فيسيرون وراءه مندفعين

وما كادت الدارعة امدن تغرق حتى رأينا هذا الرجل -- استناداً الى الوثائق التي عثرنا عليها — يعمل على قطع خط الرجعة على هؤلاء عاملا في سبيل اهلاكهم وقد افلح بعض الفلاح وشوه بعمله هذا سمعة العرب تجاه الالمان والحقيقة هي ان الانكليز الذين حاولوا تشويه سمعة العرب بدسيسة رجلهم بللي لان العرب قوم يعرفون كيف يدافعون عن كرامة الضيف وهذا ما رأيناه في الامير عبد العزيز السعود والامام يحيي اللذين ساعدا هؤلاء البحارة واكرما وفادتهم

واوصلاهم سالمين الى بلادهم

الجاسوسية في جزيرة العرب — ووجود المستر بللي في جزيرة العرب لم يكن مجهولا من قبل اركان السلطنة العثمانية بل كانت المعلومات الواردة من الجهات تبين حقيقة كل شخص من هؤلاء ولدى الشعبة الخاصة محفوظات عديدة عن اسماء وحركات هؤلاء الجواسيس ومساعيهم ولكن الامتيازات الاجنبية التي كانت تجعل من كل اجنبي اسداً تحول دونه تمكن الدولة من مجازاته بما يستحق ، وعلى كل فسنعود لتفصيل واف عن حياة هؤلاء الجواسيس في القسم الاخر .

الاعتداء على السواحل السورية — وفي الوقت الذي نسرد فيه هذه الوقائع حصلت ثلاثة حوادث اعتداء على السواحل السورية فان دارعة افرنسية حاولت صباح ٢٦ ايار سنة ١٣٣١ المصادف لليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩١٥ انزال مفرزة من الجند على الساحل جهة اسكندرونة ومع ان القيادة علمت ان هذه المحاولة لا ترمي الى اخراج جنود بل للكشف فقط فقد ارادت ان تقابلها بالمثل فاطلقت عليها المدافع من هضبات دورت يول و بذلك حالت دون اتمام العدو حركته الا ان الدارعة قابلت عمل مدفعيتنا بالمثل وقد اسفرت النتيجة عن قتل ثلاثة جنود وخمسة من الاهلين واصابة بعض المحلات المتطرفة باضرار عظيمة وعودة الدارعة من حيث اتت

اما الحادث الثاني فقد وقع بين صيدا و بيروت حيث اقدمت احدى الدوارع الروسية على اغراق مركب شراعي كان يقل غلالا من الشاطئ الفلسطيني ولم ينج احد من بحارة المركب الذي يظن انهم اخذوا اسرى من قبل الدارعة

والحادث الاخير وقع في بيروت فان باخرة افرنسية اغرقت زورقين في خراج بيروت وذهبت

تسليح البواخر — و بعد ان امن الحلفاء جانب الدولة في البحر الابيض نظراً لعدم وجود قطع حربية لديها عمدوا الى تسليح البواخر الصغيرة بمدافع

خفيفة العيار واتخذوها كحرس لحماية السواحل ولمنع حركة مرور المراكب اي لتشديد الحصار البحري على السواحل اية ساعة شاءت دون ان يكون في مقدورنا ردعها حتى بلغت بها الجراة في كثير من الاحيان لدخول المرفأ وحادث ضرب المصرف العثماني في ذلك الوقت قامت به احدى البواخر الافرنسية التي تمكنت من دخول المرفأ ووقفت عند الرصيف الكائن تجاه المصرف العثماني حيث اغرقت قطعة حربية عثمانية قديمة محربة ثم اصابت شظايا قنابلها واجهة المصرف العثماني فهدمت قسما منها

الفصل الخامس عشر

في طريق هدم لبنان !

عندما استدعى انور باشا جمال باشا اليه وطلب اليه ان يتقلد مهام القيادة العامة في سوريا قال له

اننا نعلم تماما ان مقامكم السامي لا يتفق مع الوظيفة التي نرغب في عرضها عليكم الا اننا نعلم انه ليس في البلاد سواكم من يقدر على الدفاع عنها وصيانة حقوقها فالقائد زكي باشا يرى ان مهمته في سوريا صعبة وان ابناء البلاد هناك يستعدون للثورة وانه ليس في مقدوره ان يدير الحركة الا اذا ضاعفنا القوات الموضوعة تحت امرته ونحن في ظروفنا الحاضرة غير قادري على ذلك فعليكم والحالة هذه يتوقف انقاذ البلاد مما يتهددها و يتهدد نفوذنا فيها من وقت الى اخر

وفهم جمال باشا ما يعنيه انور باشا وانه يلمح الى لبنان ذلك الجبل الذي كان مدار تدخل الاجانب في شؤون الدولة

ولهذا لما وصل جمال باشا الى سوريا حائزاً على الصلاحية المطلقة كان يحمل في جيبه مشروعين خطيرين

الاول — الغاء سائر الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني منذ سنة ١٨٦٠ واخضاعه مع سكانه للسيادة العثمانية

الثاني — القضاء على الفكرة العربية التي اختمرت في نفوس القوم بعد اعلان الحرية العثمانية في فصولنا الماضية وتتريك العرب

الغاء الميزات اللبنانية — وجمال باشا لم يعمد مباشرة الى الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني بل اعمل معول الهدم اولا بثياب رجال الدرك ، فالدرك اللبناني كان يرتدي ثيابا غريبة الشكل قريبة تماما من ثياب قواصة المصارف والقناصل الاجانب الذين كنا نراهم في العهد العثماني في تركيا وهي عبارة عن سروال فضفاض وفوقه سترة مسترسلة الاكمام لا تدل بوجه من الوجوه على ان حاملها جندي وأذا كان لا بد من تعريفه فيقال عنه انه حرس شرف ليس الا .

وقد افهم احمد جمال باشا مجلس ادارة جبل لبنان ان هذه الثياب لا تتفق قط مع مكانة الجند اللبناني الذي هو جزء من الجند العثماني ولهذا رأى ان يستبدل ملابسهم بملابس رجال الدرك العثماني واعلنهم رسميا ان هذا لا يعني قط عزمه على الغاء الامتيازات التي يتمتع بها هؤلاء الجنود الذين يظلون دومافي مراكزهم و بلادهم وانما هي تبديل « كسوة » فقط فوافقه مجلس الادارة على طلبه هذا وفي شهر حزيران سنة ١٩١٥ بدلت الثياب اللبنانية ، المعروفة من سنة ١٨٦٠ ، بثياب رجال الدرك العثماني وتنوسيت منذ ذلك الوقت حتى ان المعلومات الخاصة الموجودة لدينا تدل على ان اللبنانيين حتى بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية لم يعودوا الى تلك الثياب البالية التي كانوا بها (كذا) بل ظلوا على القيافة التي كانوا عليها في الحرب العالمية بعد ان اضافوا على رأسهم القبعة التي اخذوها عن الافرنسيين فباتت ثيابهم خليطا من الملابس العثمانية القديمة والقبعة الافرنسية الحديثة وهكذا كانت هذه الحركة مقدمة الى الغاء الامتيازات التي تمتع بها الجبل اللبناني

عين اوهانس باشا متصرفا على جبل لبنان سنة ١٩١٢ وكان شديد الغرور

والتمسك في امتيازات الجبل اللبناني لا محبة بهـذا الامتياز الذي يتمتع به الجبل بدون حق (كذا) بل رغبة منه في المحافظة على مركزه وسلطته التي كانت تفوق سلطة الولاة العثمانيين الذين كانوا عرضة لاخطار العزل والابدال في الوقت الذي كان متصرف لبنان يتمتع بنفوذ واسع وسلطة غير متناهيـة كما انه ليس في الامكان عزله وهو المعين لمدة معينة لاتقل عن خمس سنوات

وجمال باشا الذي اتى الى منطقة الجيش الرابع بنفوذ اوسع وخطة سياسيـة معينة لم ير من الحكمة بقاء هذا الرجل في الحكم يذكره دوما بامتياز اقامته الدول المحاربة للدولة العثمانية

تدخل جمال في الادارة — عندما اتى جمال باشا الى سوريـا اعلن انه لا يتدخل قط في الشؤون الادارية التى تظل على حالها وان علاقاته تظل منحصرة في الشؤون العسكريـة وما يتفرع منها من شؤون سياسية قد تهدد سلامـة الجيش وظل على خطته هذه الى ان قام بحملة قناة السويس الاولى وعاد منها الى القـدس ليستعـد للحملة الثانية حينئذ ظهرت حوادث المؤامرات التي تسلمت اوراقها الى الديوان الحربي العرفي ورأى ان الخطر يهدد سلامة الجيش فعمـد الى التدخل في الشؤون الادارية لانقاذ الموقف، وقام ينفذ خطته .

خطة جمال باشا — وكان من جملة ما قرره جمال باشا ان استحصل على لائحة باسماء كل زعيم يرى فيه اهل منطقته انه ذو نفوذ وجمع بحقـه المعلومات اللازمة ووضع هؤلاء الزعماء تحت المراقبة الشديدة حتى اذا كان ما يوجب عمد الى توقيفهم لاخذهم كرهائن ضد اي حادث يمكن ان يقع في لبنان وبعد ان نظم هذه الامور وباتت لديه القوة الكافية لاعتقال هؤلاء الزعماء عمد الى الغاء ملابس الدرك اللبناني ليحول دون امتيازه ثم عمد الى تحقيق فكرته الثانية بالغاء امتيازات جبل لبنان

بين جمال واهانس — وكان جمال باشا لا يحب اوهانس باشا لاسباب عديدة لا مجال لذكرها في هذا القسم حتى ان اوهانس باشا ابرق بتاريخ ١٠ ايار الى

الصدارة العظمى يشكو من جمال باشا انه يتـدخل في امور الجبل دون ان يستشيره وبذلك يخالف الامتيازات التي يتمتع بها الجبل فتلقى على برقيته هـذه برقية بتاريخ ١٣ ايار رقم ١٥٩ — ٨١٥١ موقعـة من رئيس ديوان الصدر الاعظم يقول فيها :

« ان عليه من الان وصاعداً ان يتقيـد بالاوامر الواردة اليه من وزارة الداخلية والحربية معا وانه لما كان جمال باشا يمثل هاتين السلطتين فعليه ان يساعده في سائر الامور التي يتطلبها منه »

ويظهر ان اوهانس باشا لم يفهم معنى هذه البرقية او لم يرد ان يفهم حقيقـة مضمونها فعاد وابرق في اليوم نفسه الى الصدارة العظمى يقول :

« لقد قابلني في هذا الصباح وفد من اللبنانيين وابدوا لي مخاوفهم من التدابير التي يتخذها احمد جمال باشا والتي يرونها مؤدية الى الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل، ولما كان اتخاذ مثل هذه التدابير قد يؤدي الى اشتداد قلق الافكار ووقوع حوادث قد تجعـل من هذا الجبل بركانا يهـدد سلامة الدولة في هـذه البقعة، جئت لافتـا نظر فخامتكم الى هـذه الامور قبـل ان يستفحـل امرها .

« والذي اعتقده ان اللبنانيين قوم اباة لا يصبرون على الضيم اضف الى ذلك وجود السلاح اللازم لديهم وقرب اتصالهم بحراً بالحلفاء وفي هذه الحالة ما يهدد سلامة الدولة الخ ... »

فردت علية وزارة الداخلية ببرقية هذا نصها :

« ان وظيفتكم منحصرة في الشؤون الادارية اما المسائل العسكرية والدفاع فمنحصر بقائد الجيش الرابع الذي يلزم ان تراجعوه في ما اظهرتم من هذه المخاوف »

وفي ١٥ ايار سنة ١٩١٥ تلقى متصرف الجبل برقية من قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا يـدعوه فيها للحضور الى بيروت لبيان مطالعته في

بعض الامور .

وقد لبى المتصرف الدعوة وحضر الى بيروت وقابله احمد جمال باشا مقابلة في الامكان القول عنها انها كانت « ناشفة » فلم يستقبله حال وصوله بل استقبله عقب دخوله الدائرة احد الضباط وادخله الردهة العمومية حيث اعلنه ان الباشا مشغول في بعض المهام المستعجلة وانه يرجوه انتظاره فيها .

ولم يكن جمال باشا في الحقيقة مشغولا بل كان يشرب القهوة في غرفته ويدخن وقد اراد خصيصا ان يظهر شيئا من الاحتقار للرجل وان يدعوه ينتظر وقد طال الانتظار اكثر من نصف ساعة ولما استدعاه الى غرفته استقبله واقفاً وراء مكتبه دون ان يتقدم الى الامام كما يوجب مركز الرجل ولهذا كانت هذه المقابلة جافة ناشفة تماما وقد ابتدره احمد جمال باشا بالسؤال قائلا :

— ما رأيك في الموقف الحاضر يا باشا ؟

— لقد بينته بصراحة في تقريري الذي ارسلته الى الصدارة العظمى

— ايه ! تقريرك ؟ لقد ذكرت

وهنا قام جمال باشا يبحث بالاوراق الموجودة امامه ثم اخرج من بينها رزمة من الاوراق هي تقرير متصرف لبنان الذي رفعه الى الصدارة العظمى بتاريخ ٤ آذار سنة ١٩١٥ وقال :

— اليس هذا هو التقرير الذي ارسلته الى الصدارة ؟

قال ذلك والقى التقرير امام الباشا الذي عرفه فوراً فسكت . وقال احمد جمال باشا :

— ان هذا التقرير يا باشا مبني على نظرية دولتكم الماضية ولهذا احالته الصدارة العظمى الي وانا لا ارى فيه الا آراء عقيمة قد يمكن ان يعتد بها لو كانت الدولة في غير هذه الحالة او لو كانت تخشى هذه البقعة اما الآن فماذا نري بها ؟

— هذا هو رأيي لا ازال عليه

— اي انك تريد منا ان نخشى جانب اللبنانيين وان نعمل الى استرضائهم ليظلوا اصدقاء لنا ، اي انك تريد ان نعاملهم كاسياد لنا

— اعني ان اقل حادث قد يولد الانفجار واعتقد انه ليس في امكاننا ان نفتتح لبنان بالقوة !

— وماذا تريد ان نفعل !

— عدم التعرض لامتيازات الجبل وتأمين احتياجات سكانه لنتمكن بهذه الواسطة من ائتمان جانبهم

— اي انك تريد مني ان اعتبر الجبل دولة مستقلة انت رئيسها اتعاقد معها على احترام استقلالها الداخلي مقابل رضائها عنا وعدم انحيازها الى العدو وان اغمرها بالخيرات اليس كذلك ؟ . . . هذا لن يكون ابداً فانا لا ارى الجبل دولة مستقلة تجب محالفتها بل يجب ان تكون هذه البقعة مساوية لباقي البلاد في انحاء السلطنة العثمانية

— وهذا ما ارغبه انا من كل قواي ولكن تحقيقه صعب والغاء امتيازات الجبل واخضاع اللبنانيين يكلف الدولة لا اقل من ٥٠ الف جندي

— لا تخف ان كل هذه الامور ستتم دون ان تخسر الدولة جنديا واحداً

— اتمنى لكم التوفيق ؟

— بل لكلينا !

— هذا مستحيل لانه ليس في امكاني التعاون معكم في هذا المشروع الذي سيكلف الدولة كثيراً كما اعتقد

— اتريد الاستقالة ؟

— نعم !

وهنا تبدلت لهجة احمد جمال باشا لانه وان كان يكره اوهانس باشا الذي لا يسير على خطته ومباديه الا انه لا يريد منه ان يستقيل في ذلك الوقت وعلى

ذلك الشكل ولهذا اعلنه بانه لم يستدعه ليتباحث معه بل ليأخذ رأيه في الموقف
فعاد اوهانس باشا واصر على ان ينفذ ما جاء في تقريره
فاجابه جمال باشا :

— ولكن بقاء الحالة على هذا المنوال يكلف الدولة كثيراً خصوصا وان لدى اللبنانيين كميات وفيرة من السلاح في امكانهم ، اذا نحن حققنا ما طلبت ، ان يهددونا من وقت الى آخر

— كلا لانه في امكاننا جمع السلاح منهم

— باية صورة ؟

— بواسطة الدرك

— وهل تعتقد ان هذه الطريقة تنيلنا الرغائب ؟

— نعم

— انك على خطأ فادح لان اللبنانيين لا يقدمون سلاحهم بهذه الطريقة فهم اذا فعلوا سيقدمون المهمل من السلاح من جهة و يحتفظون بالجيد في منازلهم واذا استعملنا قوة الدرك كان معناه اننا تركنا المجال لان يسلب هؤلاء بني قومهم المال دون ان تستفيد الدولة وهذا ما لا ارضاه قط

المناقشة بين المتصرف والباشا — وقد طالت المناقشات في هذا الموضوع والمواضيع الاخرى وكانت جميعها يفندها احمد جمال باشا بصورة لا تترك للمتصرف مجالا للبحث حتى اذا خرج اوهانس باشا من مجلس احمد جمال رأيناه شديد الاستياء
وقد دخلت على احمد جمال باشا فرأيته يبتسم وقال :

— لقد انتهينا منه

— من الباشا

— نعم لانه سيستقيل

— ولكنكم اعلمتموني انكم لا تريدون ان يستقيل في الوقت الحاضر

— قلت لكم انه سيستقيل ولم اقل انه استقال اليوم وسيقدم استقالته في اليوم

الذي اريده

— وما رأيكم في نظريته ؟

— انه رجل خائن يخدم المصالح الافرنسية

الغاء البسة الدرك — وبعد احاديث مختلفة بيني وبين احمد جمال باشا امرني بدعوة القائد سامي بك الذي لبي الدعوة فوراً ووكله باعداد العدة لابدال البسة الدرك اللبناني وتنظيمها وقد تم ذلك على الصورة التي بينتها في القسم السابق من هذه المذكرات . وكان احمد جمال باشا باذلا جهوداً عظيمة في سبيل لبنان والغاء امتيازاته وقد اعد سائر العدد لهذا الشأن

وكان دوما يردد امامي قوله «الشدة هي خير علاج يمكن الاعتماد عليه في تسكين اوجاع اللبنانيين فهم قوم لا يهمهم الا القوة فاذا عرفت كيف تتفوق عليهم عرفت ان تخضعهم» وجمال باشا نفسه كان يتمثل دوما بقول العلامة جمال الدين الافغاني «لا يصلح الشرق الا حاكم مستبد عادل» وهو اي جمال باشا ، يعتقد بنفسه انه مستبد ولكنه عادل

منهاج جمال في سوريا

وبرنامج جمال باشا في التاريخ الذي نحن فيه من هذه المذكرات ينحصر

اولا — في استبدال هيئة الحكومة الحاضرة والاستعاضة عنها بشخصيات يثق بها في تدوير سياسته

ثانيا — في ايجاد مدارس كافية تحل مكان مدارس الارساليات الاجنبية وعلى الاخص مدارس للفتيات

ثالثا — في تتريك ابناء البلاد باية صورة كانت

رابعا — في ابعاد العناصر الاجنبية او المتفرنجة من ابناء لبنان والتي يجد فيها خطراً على سياسته من المناطق الساحلية الى الداخل

الشروع في تنفيذ المنهاج – وكان في مقدمة مشروعه هذا ابعاد اوهانس باشا عن مقعد الحكم في لبنان فتمكن بعد معاكسة شديدة له من حمله على الاستقالة فقدم اوهانس باشا استقالته بتاريخ ٤ تموز سنة ١٩١٥ الى وزارة الداخلية وفي ٢٠ منه صدرت الارادة السنية بقبول الاستقالة وتعيين منيف بك متصرفا بدلا منه .

وفي الوقت نفسه ابعد عن مقاعد الحكم والي بيروت ابا بكر حازم بك الذي كان غير مرغوب فيه من جمال وحزبه

وفي ١٦ تموز سنة ١٩١٥ صدرت الارادة السنية بتولية عزمي بك الولاية

وفي الوقت نفسه ابعد خلوصي بك عن ولاية دمشق وعين بدلا عنه حسن تحسين بك .

ثم وافقت وزارة المعارف على انتداب خالده اديب خانم على رأس بعثة من المعلمات التركيات للاستيلاء على مدارس الارساليات الاجنبية وادارتها

التمهيد للمشروع – وقد كان احمد جمال باشا راغبا في الغاء امتيازات جبل لبنان بصورة يظهر فيها ان اللبنانيين راضون ولهذا قام اعوانه يمهدون له السبيل ففي الوقت الذي كان فيه الامير شكيب ارسلان يعمل على استمالة الدروز الى جانب الباشا سواء كان بجمعه المتطوعة منهم وارسالهم الى جهة فلسطين او بحملهم على القبول بالغاء امتيازات الجبل كان كامل بك الاسعد يعمل في جنوبي لبنان في سبيل جمع المتطوعة حتى انه ابرق بتاريخ ٤ تموز الى الباشا يعلمه ان خمسمائة متطوع بسلاحهم الكامل باتوا على اهبة للزحف الى الجبهة وان شبان جبل عامل مستعدون للزحف على العدو في اي وقت يأمر

ثم رأينا في الوقت نفسه الدكتور اسعد بك حيدر يعلن نفس الامر في جهات بعلبك

وقد كان احمد جمال باشا يعرف مقدار نفوذ هؤلاء والاسباب التي دعتهم الى معاونته الا انه كان يرغب من كل قواه في تنفيذ هذه الامور، لان الدعايات

له في جنوبي لبنان وفي لبنان بين الدروز وفي بعلبك وفي طرابلس مما يجعل للبنانيين على الاعتقاد بانهم محاطون بقوة لا يمكنهم قط مقاومتها وانه لا بد لهم من ان يرضخوا لارادته السامية

ولكن ما هي مطامع هؤلاء الافراد وهذه الحاشية ؟

ان كامل بك الاسعد هو السبب الاصلي في فضح المؤامرة التي دبرت في صيدا لاحداث ثورة مشتركة في الجنوب مع اللبنانيين وقد ايد هذه الحقائق وفصل الاجتماعات التي عقدها ابناء الصلح والجوهري في صيدا لجمال باشا بعد ان قدمه اليه الشيخ اسعد الشقيري الذي مثل الدور الذي مثله راسبوتين في بني قومه

وقد ذهب كامل بك الاسعد بعيداً في سبيل تأييد اخلاصه فاعلن استعداده لجمع المتطوعة وتأييد نفوذه وكان له – اي لكامل بك – النفوذ الذي اراده وسحق خصومه وحصل على المال الوفير

اما الامير شكيب ارسلان فقد كانت مطامعه اعم فهو يريد ان يكون المستشار الاول لجمال باشا لكي يصبح السيد المطلق على مواطنيه ما دام غير قادر ان يكون حاكم الجبل او اميره وكان له شيء من النفوذ الموقت الذي احرزه لدى جمال باشا وقد خدم في الوقت نفسه اخاه الامير عادل ارسلان الذي كان مراقبا بسيطا على التحارير في ادارة بريد بيروت

وقد ادى لنا في الحقيقة خدمات جلى في هذه الوظيفة التي توجب عليه قراءة كل تحرير يرد او يصدر واطلعنا في ذلك باخلاص يشكر على كل الاسرار التي وردت له في التحارير عن مواطنيه وكان من جراء ذلك ان جمال باشا ولاه قائمقامية الشوف عقب تعيين علي منيف بك في المتصرفية

هذه هي الاسباب الحقيقية التي دفعت هذين الرجلين الى خدمة الباشا وكانت هي نفس العوامل التي تشرب بها غيرهما عند ما حاولوا التقرب من الباشا

بعد اعدام القافلة الاولى

وما من شك في ان اعدام القافلة الاولى من ابناء سوريا ولبنان قضى على فكرة العداء لجمال باشا ، نقول الفكرة العدائية لانه بعد ان تسرب الخوف الى قلوب ابناء المنطقة وتأكدوا من وجود المشنقة لم يعودوا يفكروا بوطنهم واخوانهم وانما كان كل منهم يعمل على انقاذ نفسه غير حافل بالنتيجة ولهذا تقلص ظل القوة التي هدد بها اوهانس باشا وحل مكانها الخوف من الاعدام والرغبة في استرضاء جمال باشا

الرحلة الشاهانية – وفي وسط هذه العاصفة ، عاصفة الخوف من الاعدام والخوف من النفي والابعاد وعاصفة التهديد السري اراد احمد جمال باشا ان يدخل مدينة بيروت دخول الظاهر المنتصر

ففي اليوم الواحد والعشرين من شهر اب عندما افاقت بيروت نائحة باكية على رجالها اراد جمال باشا ان يبني عزه وسؤدده فاوعز الى رجاله في بيروت باقامة اقواس النصر والزينات ابتهاجا بزيارته الرسمية لبيروت في شهر تموز سنة ١٩١٥ وقد اوفدني لرؤية الاستعدادات فوجدت المدينة باجمعها مزدانة بالاعلام وقد اقيمت اقواس النصر على مدخل المدينة وفي ساحة البرج لغاية فندق «بسول» الذي قرر الباشا ان ينزل فيه

وصرفت بلدية بيروت جهوداً عظيمة في سبيل المهرجان وجعله فخما كما ان ان « القبضايات » الذين استأجرهم الباشا والذين سنحدث القراء عنهم في فصل خاص طافوا يجمعون فلولهم وانصارهم للترحيب به واوفدت المدارس جميع طلابها لتحيته على طول الطريق

وفي اليوم السادس عشر من شهر تموز سنة ١٩١٥ وصل الركاب الهمايوني الى بيروت فاطلقت له المدفعية وحيته الجنود وسار احمد جمال باشا بموكب فخم من مدخل المدينة حتى الفندق وهو استقبال لم اشهد مثيله قط لعظيم من عظماء العالم وقد غص فندق بسول بجماهير الاهلين وعظماء بيروت الذين اموا الفندق

تحيته وتقديم الاحترام اللائق بمقامه ولا تسل عن قصائد الترحيب وخطب التبجيل التي القيت امامه فهناك شاعر لبناني مسيحي يلقي قصيدة ترحيب عامرة الابيات وهناك متعمم بيروتي ينافسه في قصيدة ثانية واديب بيروتي اخر فكلهم يرحبون جميعهم بالقادم الفاتح

وفي المساء اقيمت حفلة فخمة طاف اثنائها الجنود بالمشاعل يفرحون ويهزجون والحاصل ان من يرى بيروت في ذلك اليوم ومسائه على هذه الحالة لا يعتقد قط انها كانت حزينة على رجالها الذين علقوا على اعواد المشانق وعلى ابنائها يصارعون الجوع والموت في ميدان القتال وهي نفسية حرت في تعليلها كما حار بها اخواني الذين كانوا برفقة القائد العام يشاهدون هذه المناظر المتلونة غير الموقوفة

في اليوم الثاني

لم تكن الغاية من مجيء احمد جمال باشا الى بيروت هذه المرة الا ليمهد السبيل لتحقيق رغبته في القضاء على امتيازات الجبل والدخول مباشرة في مفاوضات مع المسؤولين عن الجبل وحملهم على القبول بما قرره مع الحكومة المركزية من قبول استقالة اوهانس باشا وتولية علي منيف بك مكانه والمسؤول في الدرجة الاولى عن لبنان ومقدراته هو غبطة البطريرك الماروني الحويك فمن الضروري والحالة هذه ان تجري المقابلة بين الرجلين ولكن كيف تقع ؟

— لم تجر العادة قط ان يأتي البطريرك الماروني للترحيب باحد الولاة والقواد العثمانيين لان هذا المقام الموضوع تحت حماية الدول السبع والمتمتع بالامتيازات لم يكن لدولة عليه اقل سيطرة فكان قواد الدول وامراؤها عندما يأتون الى لبنان وبيروت ، لغاية سياسية معلومة ، يذهبون الى الجبل لتقديم التحية للبطريرك الذي يوفد احد الاساقفة لينوب عنه برد الزيارة اما الان فان جمال باشا يريد ان ان يأتي البطريرك بنفسه لتحيته ومفاوضته في مستقبل لبنان

والبطريرك لا يتأخر قط عن هذه الزيارة حبا في سلامة بلاده وابنائه وطنه

ولكن هل في الامكان جلبه بالقوة وهو يعرف المناورات المدبرة والرغبة التي يكنها جمال باشا لالغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل

شخصية البطريرك

وما دمت اروي في مذكراتي هذه الحقيقة ، الحقيقة الناصعة التي رأيتها بام عيني وسمعتها باذني ، فلست لاقول غير الحق في شخصية البطريرك الماروني الياس الحويك افندي فهو شخصية بارزة في لبنان ، تقي صالح متفان ، في محبة وطنه وبلاده لا يتاخر قط عن التضحية بعزته وبكل شيء لديه في سبيل بلاده فهو الرجل الوحيد الذي اعتقد فيه الصدق والاستقامة والمحبة والسلام ، وهو النزيه المجرد عن الشخصيات يشتغل في سبيل امته وبلاده قبل كل شيء ولهذا رضي ان يزور جمال باشا ليدافع عن بلاده وقد عين موعدا لهذه المقابلة في اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩١٥

خطاب احمد جمال باشا

لبى غبطة البطريرك الماروني دعوة احمد جمال باشا له في صوفر وجلس الى المائدة وهو محاط بحاشية كبيرة من رجال الدين

واستقبله القائد العام على باب الفندق الخارجي محاطا بعدد كبير من ضباطه واركان حربه

ولما جلسا على المائدة كان البطريرك عن يمين القائد يحيط بهما الضباط والمطارنة رفقاء البطريرك

فقال جمال باشا :

— لم تكن غايتنا يا غبطة السيد البطريرك استعمار هذه البلاد والاستبداد بمقدراتها بل لنساوي بين هذه البلاد وسائر انحاء السلطنة العثمانية ، ان الاجانب الذين اوجدوا الشقاق في هذه البقعة العثمانية كانوا يحاولون ان يبرهنوا انه ليس في مقدور ابناء هذا البلد ان يتفقوا مع اخوانهم العثمانيين الذين قد يستبدون بهم مع

ان الشهور الماضية اثبتت ان الاجنبي هو الذي اوجد التفرقة واننا نرى الان الجميع اخوة يسيرون صفا واحداً ولا فرق بينهم

ان حكومة صاحب الجلالة السلطان الخليفة قبلت التماسنا يا صاحب الغبطة واقالت اوهانس باشا وعينت بدلا منه يوم ٣٠ تموز الحالي علي منيف بك الذي هو من خيرة رجالنا الاداريين و بذلك اظهرت عطفا ومحبة للبنان بمساواته بسائر انحاء السلطنة العثمانية

رد البطريرك الماروني — وقد اظهر غبطة البطريرك الماروني كياسة وسياسة في رده على كلمات القائد العام اذ اعلنه انه لا يري نفسه و بلاده غرباء عن السلطنة العثمانية وانه يفتخر بانه عثماني متحدر من عثمانيين مخلصين لدولتهم اصدقاء اوفياء لها واعلن استنكاره كل محاولة ترمي الى خيانة الدولة التي يستظلون بعلمها وانهم سيظلون دوما الاصدقاء الاوفياء لها

والحق ان غبطة البطريرك الماروني كان في مقدمة الذين حافظوا على صداقة الدولة لانه اعتقد ان هذه الصداقة واجبة لحماية امته و بلاده وقد اثبت هذا الشمم والاباء في مختلف الظروف ولهذا كان دوما موضوع احترام وتقدير جمال باشا حتي بعد الحرب العالمية

واذكر انه وردتنا مرة تقارير عن بعض الاعمال التي تجري في البطريركية المارونية فلما عرضتها على جمال باشا قال لي :

— مزق هذه الاوراق لان البطريركية التي يكون على رأسها غبطة الياس الحويك لا تقدم على هذه الامور

ورفض ان يحقق في هذه الشكاوي او ان يستفسر عنها من البطريركية المارونية

بعد المائدة — وقد تناول الحديث بين البطريرك والباشا اثناء المائدة و بعدها مختلف المواضيع التي تهم البلاد اللبنانية فاكد جمال باشا محبته للبنان وتقديره للبنانيين الاقحاح وان الدولة وان كانت قد الغت الامتيازات التي يتمتع بها الجبل

من الوجهة الدولية الا انها تحافظ على سائر امتيازاته الداخلية واعتباره متصرفية ممتازة مرتبطة مباشرة بوزارة الداخلية طيلة الحرب الحاضرة الى ان يبت اللبنانيون بعد الحرب في مصيرهم والوجهة التي يسيرون عليها ، ثم اضاف الى ذلك قائلا :

ان احتلال قسم من قواتنا الجبل لا يعني عدم الثقة باللبنانيين او عدم الاعتماد عليهم بل لنقوم ببعض الاحتياطات ضد العدو حسبما تقتضيه التدابير العسكرية

وقد كان احمد جمال باشا صادقا بما وعد به البطريرك فقد ترك للجبل طيلة الحرب العامة امتيازاته المالية والادارية وكان ابناؤه احراراً لا يخدمون في الجندية كما انه احترم حرية الاديرة والمعابد التي كان يساعدها شهريا بكميات وفيرة من الحنطة

كما انه كان على اتصال دائم مع البطريرك بالمكاتبة يستشيره في شتى الشؤون المحلية وعلى الاخص في ما يتعلق بالازمة المحلية وتخفيف وطأة الجوع عن البلاد

المظاهرات في بيروت — وفي الوقت الذي انتهت فيه المأدبة التي اقامها احمد جمال باشا في صوفر البطريرك الموارنة كانت العدة اتخذت للمظاهرة الكبرى التي بدات قرب منتصف الليل في بيروت فان انصار احمد جمال باشا كانوا قد جمعوا كتلة من « قبضايات » بيروت وقاموا بمظاهرة هاتفين بها « هالي هالي آخذنا الجبل » وغير ذلك من النداءات مارين بشوارع المدينة الرئيسية معلنين اغتباطهم بهذا الفوز الباهر الذي ضموا فيه اللبناني الى بيروت

وقد ظهرت بيروت والمدن المجاورة لها في اليوم الثاني تختال بحلة من الزينة ابتهاجا بهذا الامر

كما ان مئات البرقيات طيرت الى الاستانة من اللبنانيين ومن مجلس ادارة جبل لبنان تتضمن شكر الدولة العلية على هذا القرار الذي جاء محققا لاماني اللبنانيين ورغباتهم

ولم يكن من المنتظر ان يقع غير ذلك ما دام اللبنانيون انفسهم يرون انهم امام الامر الواقع وانه ليس في مقدورهم قط ان يقوموا بعمل مخالف لذلك

الحركة الدائمة في بيروت — وكانت الفكرة منحصرة في ذلك الوقت ، اي في شهر تموز ، في انفاذ الخطط التي وضعها احمد جمال باشا بعد ذلك الاجتماع التاريخي مع بطريرك الموارنة ، فهو رأى ان يؤلف وفداً من وجوه وعلماء البلاد السورية ليسافر الى المضايق ويشرف بنفسه على الانتصارات الباهرة التي انتصرها الاتراك في تلك الجهة التي هاجمها الحلفاء بقواتهم البرية والبحرية كما انه كان يستعد للقيام برحلة في لبنان ليكون على تماس مع اللبنانيين وليثبت الى رجال الحكومة المركزية في الاستانة ان ما ابرمه يرضي اللبنانيين دون ان يكبد الدولة خسارة جندي واحد

وعلى هذا عهد الى الولاة في بيروت وبقيه المدن السورية انتقاء هذه الوفود وارسالها الى الاناضول فالمضايق وقد تم ذلك وسافرت هذه الوفود التي اطلق عليها اسم وفود البلاد السورية في اخر شهر اب سنة ١٩١٥ واشرفت على الحالة العسكرية في المضايق وعادت الى البلاد حاملة معها نتيجة ما رأته من حسن الادارة وانتصار القوات العثمانية على الحلفاء وهو امر سنأتي على تفصيله عندما يأتي تاريخ ذكر المعارك الفاصلة التي وقعت خلال شهر اب من سنة ١٩١٥ في المضايق

رحلة جمال باشا الى لبنان

في اليوم الاول من شهر اب سنة ١٩١٥ ترك احمد جمال باشا مقره الصيفي في صوفر الى بيروت ، وكان برفقته رئيس اركان حربه الميرالاي علي فؤاد بك وقائد الفرقة ٤٣ ومحرر هذه المذكرات وبعض ضباط اركان حربه ووجهتهم جونيه

وكانت الخطة الموضوعة من بادىء الامر ان تزدان الطرقات الممتدة من جسر بيروت بالاعلام وقد تولى العمل في الدرجة الاولى حنا بك الضاهر الذي كان خير معين في حمل الشعب للازدحام على الطرقات لتحية القائد العام العثماني . كما ان البطريركية لم تعارض في هذا الاستقبال لانه كان عبارة عن رد زيارة

من القائد جمال باشا وليظهر البطريرك الماروني ان الموارنة اللبنانيين قوم يحترمون العظماء و يرحبون بممثل الدولة العثمانية

ولهذا كان الاحتفال فخما للغاية و كانت اقواس النصر منتشرة على طيلة الطرقات الممتدة من بيروت الى جونيه والخطباء اوقفوا الموكب عدة مرات ليخطبوا للباشا مبينين له مقدار اخلاص ابناء لبنان الى الدولة العثمانية وتعلقهم بعرش الخليفة السلطان محمد رشاد واحترامهم ممثله الاعلى احمد جمال باشا و كان في انطلياس وفد من وجوه هذه البلدة يتقدمهم اسقفها ورجاله واعضاء البلدية

واللبنانيون الذين شهدوا هذا الموقف ولا زال قسم كبير منهم في قيد الحياة يعترفون معنا بصراحة ان الاحتفال بين جديدة المتن وانطلياس كان فخما للغاية حتى ان الطرقات الممتدة بين البلدين كانت مزدحمة بالقرويين الذين هبوا لتحية القائد .

ان رئاسة البوليس كانت تخشى هذه الرحلة لانها بعد التدابير التي اتخذت لتكون الحفاوة باهرة كانت تخشى ان يقع ما يكدر او بعبارة اخرى كانت تخشى ان يقع الاعتداء من اللبنانيين على القائد العام لانه اعدم قبل مدة شيخين من مشايخ الخازن العائلة صاحبة النفوذ في هذه المنطقه ولانه نفذ منذ شهرين حكم الاعدام ببعض ابناء هذه المنطقة

وقد بينت رئاسة البوليس هذا الامر لجمال باشا وطلبت ارفاقه بقوة من رجالها فرفض الباشا هذا الامر قائلا

لا اعتقد ان اللبنانيين يقدمون على مثل هذا العمل ولهذا يمكنني السير بينهم بهدوء دون خشية

ولهذا رفض احمد جمال باشا بشدة التدابير التي اتخذناها سراً لحمايته خلال هذه الرحلة

حادثة في الطريق — سار الموكب من الجديدة الى انطلياس وفي الطريق قبل كيلومترين من انطلياس تقدم من الموكب رجل غريب الاطوار تدل

ملامحه على التهيج الشديد وهجم على سيارة القائد الامر الذي اثار مخاوفنا فهجمنا نحن بدورنا على الرجل نحول دون وصوله للباشا اعتقاداً منا انه اتى يقصد حياته ولكنه اخذ في مقاومتنا قائلا بالعربية انه يريد مقابلة الباشا ومناقشته و كان يردد ذلك بعبارات عالية

واحمد جمال باشا لم يخف من هذا الحادث او يعتقد به شراً بل أمر سائق سيارته بالوقوف وامرنا باحضار الرجل اليه وسأله ما يريد فاجاب :

— انني ادعى حنا يوسف بو سليمان من اهالي هذه المنطقة لي ولد وحيد هو محط آمالي اوقفه رجال الدرك اللبناني بتهمة التآمر على سلامة الدولة والاشتراك في تهريب بعض اللبنانيين الى الدوارع الافرنسية ولما كان هذا الامر غير حقيقي وهو عبارة عن وشاية من الدركي اسعد غنطوس لانه يزاحمه على خطيبته جئت راجياً شمله بعطفكم

جمال باشا — ولماذا لم تخابر رئاسة الديوان الحربي وتشافهه بالامر

— لم يمكنوني من ذلك لانهم اقوياء

— وهل تحب انت فرنسا ؟

— نعم لانهم علموني حبها منذ الصغر

— ودولتك ؟

— احبها لانها ولية نعمتي

— وهل تقسم على براءة ولدك ؟

— نعم

— ستراه حراً طليقا !

ان هذه الحادثة كانت حقيقية لان الشاب كان بريئاً وقد رويتها دلالة على نزعة اللبنانيين في ذلك الوقت ولابين لمن افترى على احمد جمال باشا انه ما كان قط ينتقم من كل من قال انه يحب فرنسا بل من الذين خانوا بلادهم ليس الا فهذا القروي كان صريحا في قوله حيث قال — انه يحب فرنسا لانهم علموه منذ

الصعر محبة فرنسا بصفتها دولة حامية للكثلكة ومخلصة لدولته العثمانية لانها ولية امره . وهذه الصراحة حببت للباشا مساعدة الرجل ومعاضدته

متابعة الموكب — توقف الموكب في انطلياس عدة دقائق حيث حيت الوفود الباشا والقى بعضهم خطب ترحيبية قصيرة بالافرنسية والعربية ومن هناك تابع سيره الى (ضبية) مقر معامل شركة مياه بيروت فتوقف بضع دقائق حيث كانت شركة المياه اقامت له الزينة ووقف اركانها يحيون القائد واحدهم تكلم باسم شركة مياه بيروت مرحبا به داعياً اياه لزيارة المعمل فلبى الدعوة وطاف ارجاء المعمل ثم عاد الى سيارته حيث تابع سيره الى نهر الكلب

وفي نهر الكلب رأيناه يأمر سائق سيارته بالوقوف امام منعرج الطريق المؤدي الى الجسر حيث حفرت في الصخر القائم هناك كتابات تدل على اجتياح جنود نابوليون الثالث هذه الاراضي في سنة ١٨٦١ فوقف يتفرس في هذه الكتابة وهو نشوان ايضا بالحفاوة التي لقيها في الكيلومترات التي مر بها في لبنان وقال :

— ان هذا الاثر — مشيراً الى اثر نابوليون — كان وصمة شائنة في جبين السلطنة العثمانية لانه دليل ذلها وخنوعها للاجانب اما الآن فقد زال كل شيء و ...

ولم يتم جمال باشا كلامه بل امر بمتابعة سير الموكب وقد فهمت بعدئذ انه امر بتغطية هذا الاثر المحفور بالصخر

الموكب في جونية — وصل الموكب الى جونية وسط عاصفة شديدة من التصفيق والهتاف . كانت هذه المدينة المعروفة بالعاصمة البحرية للبنان والموارنة مزدانة بالاعلام العثمانية وكان المقرر ان يتناول القائد طعام الغداء على مائدة البلدية حيث اعدت مأدبة فخمة للغاية حضرها وجوه البلدة ورجال الدين فيها ووفد المطارنة والموارنة

هدم برج ايفل

وقد اراد سكان العاصمة البحرية اللبنانية المعروفين بشدة محبتهم لفرنسا ان يسيروا بعيداً في مجاملة القائد العام فقدموا بعد الطعام قطعة من الحلو (كاتو) مصنوعة على شكل برج ايفل وبجانبها سكينة المائدة فتناول احمد جمال باشا السكين بيده وشطر بها برج الحلويات قائلا :

— وهكذا سنهدم هذه الدولة صاحبة البرج منتصرين عليها مع متفقينا باذن الله ...

وقد اثرت هذه المجاملة باحمد جمال باشا الذ اعتقد حقا انه بهدمه هذا البرج المصنوع من السكر قادر على ان يهدم برج ايفل رمز عاصمة الافرنسيس وان يهدم محبة اللبنانيين للافرنسيس

فهل نجح بذلك ؟

ان الباشا لم ير الابتسامات التى علت شفاه الحاضرين لانها ضاعت في وسط عاصفة التصفيق التي اطلقها هؤلاء استحسانا لعمله ولكنني انا لاحظتها وادركت ان هذه المحبة المنغرسة في قلوب اللبنانيين لفرنسا وفي مثل هذه المدينة لم تكن المجاملة تمحو هذه المحبة من قلوب اللبنانيين وتعلقهم بالقائد وحكومته بل ما هي الا مناورة بسيطة يقصد بها استمالة القائد واتقاء شره ، وقد رأينا اللبنانيين يتجنبون ذكر فرنسا في الحرب العالمية يفتحون قلوبهم لها بعد هذه الحرب ويندون بجمال باشا حتي لقبوه بسفاك سوريا فهل كان حقيقة كذلك ؟

في جبيل والبترون — وتابع الموكب سيره في بقية السواحل الى جبيل والبترون وكانت الحفاوة فيها بالغة وهي لا تفرق عما سبقها من الحفلات التي اقيمت في غيرها من المدن التى مر بها الموكب من حفاوة واقوال وخطباء وشعراء ولم يرد احمد جمال باشا الزيارة للبطريرك في هذا اليوم لانه كان مخصصا لزيارة هذه المدن بل اكتفي باستقبال وفد المطارنة الذي جاء الى تحيته باسم

البطريرك في البترون معلنا عزمه على رد الزيارة في الاسبوع التالي بعد اتمام رحلته الى جنوبي لبنان و بقية المناطق اللبنانية

نتيجة هذه الرحلات — ليس هنا مجال لان نصف الرحلات التي قام بها احمد جمال باشا للمناطق اللبنانية والتي اردنا ان نطلق عليها اسم الرحلة الشاهانية الا انه في امكاننا القول انها رحلة فخمة جدا اشتركت فيها سائر العناصر اللبنانيــة لا حبا بالقائد — كما نعتقد — بل خوفا منه ومن عاقبة معاندته الا ان القائد كان شديد السرور من هذه الرحلة لانها كونت له :

اولا — مجموعة فريدة من الرسوم العظيمة ارسلها الى منافسيــه في السيادة على السلطنة العثمانية انور باشا وطلعت باشا مبينا لهما مقدار الفوز الذي احرزه على اللبنانيين بهذه الحفاوة

ثانيا — مهـدت له سبيل افهام فرنسا بواسطة المسيو نافيل ، مدير البنك العثماني في بيروت ، عـدم فائدة اعتماد فرنسا على اللبنانيين الذين باتوا قلبا وقالبا معه ومع دولته

ثالثا — انه كان يؤمل ان يتمكن من وضع حجر الزاوية لامانيه الواسعة بواسطة اللبنانيين كما سيطالع القراء ذلك في فصل (مطامع احمـد جمـال باشا باستقلال البلاد السورية عن السلطنة العثمانية)

رابعا — مقاومة الحزب اللامركزي والاحزاب اللبنانية التي تعمل ضده في القطر المصري .

عزمي في بيروت

في الوقت الذي كان فيه احمد جمال منهمكا في زياراته للمناطق اللبنانيـة وصل بيروت واليها الجديد عزمي بك الذي لعب دوراً عظيما في سياسـة هذه المنطقة خلال الحرب العالمية ، واحتفل بتلاوة « فرمان » تعيينه في مقام الولاية بحفلة رسمية في اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٩١٥ في باحة دار الحكومـة و بعـد استلامه مقررات الامور باسبوع واحـد طاف على الملحقات مبتدئا

بزيارة طرابلس .

اما علي منيف بك متصرف جبل لبنان الجديد فقد وصل بيروت في اواخر شهر آب واستلم مهام وظيفته في بعبدا في اليوم الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥

و بعد وصول المتصرف باسبوع واحد سافرت وفود المـدن السورية الى استنبول ومنها الى المضايق حيث اشرفت على الحالة الحربية في تلك المنطقة

حفلة آل سرسق — عاد جمال باشا الى بيروت بعد ان اتم رحلته الى جهات لبنان وقد اسرع هذه المرة لتحيته وفد الطائفة الارثوذكسية يتقدمه سيادة المطران مسرة الذي كان صديقا لاحمد جمال باشا يعتمد عليه و يرى فيه كثيراً من الاخلاص يزيد عما عند بقية رجال الدين المسيحي

فقد كان جمال باشا يعلم ان سيادته لم يكن في يوم من الايام من المحبين لفرنسا العاملين على توطيد نفوذها في البلاد واذا كان لا بد من تاييده لاحدى الدول الاجنبية ، كما هو شان الارساليات الدينية في هذه البلاد فقد كان صـديقا لروسيا ولكن هذه الصداقة ما كانت لتخيف جمال باشا في ذلك الوقت ولهـذا اعتمد على المطران مسرة وعاضده في شتى المشاريع التي طلبها منه

و باحث جمال باشا في ذلك الوقت سيادة المطران مسره سراً عن موقف طائفته من الدولة او منه فايد له اخلاص الجميع وليبرهن المطران على ذلك حمل الفرد بك موسى سرسق على ان يقيم حفلة راقصة ساهرة في قصره تكريما لجمال باشا

وقد اقيمت هذه الحفلة مساء اليوم الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩١٥ في قصر آل موسى سرسق اطلقت خلالها الاسهم النارية والقيت الخطب الترحيبية بجمال ورجاله ودامت الى ساعة متاخرة من الليل

الفصل السادس عشر

هذا هو الدور الاول الذي لعبه احمد جمال باشا لالغاء الاستقلال الذي تمتع به لبنان ، اما الفصل الثاني فقد بدأ بروايات مضحكة حقا فان جمال باشا ساءه ما رآه من تجار بيروت الذين يستعملون اللغة الافرنسية في كتابة «الارمات» الموضوعة على مخازنهم حتى ان بعض هؤلاء يكتبونها بالافرنسية فقط دون العربية التي هي لغتهم فامر بازالتها واحلال التركية مكانها واجبر الناس على كتابة الارمات باللغتين التركية والعربية وحذف الافرنسية

ولما كانت المدة المعينة لتحقيق هذا الامر قصيرة جداً وكانت الازمة شديدة في البلاد اعتمد بعضهم الى عبارات مضحكة لاستبدال العربية بالتركية فمثال ذلك آرمة « احمد جمال الفوال » وكانت في سوق السراي :

احمد جمال — الفوال

فصارت بعد التحويل :

احمد جمال — الفوال سي

اي ان الرجل اعتقد ان مجرد أضافة « سي » على كلمة الفوال حوات الكتابة من العربية الى التركية وقس على ذلك الكثير من مثل هذه الامور التى اعتقد القوم انها منفذة لاوامر الباشا الذي كان بلغه ما حصل فتأثر واراد ان يقوم باستبدالها الا انه عدل عن ذلك لان قصده الاساسي ازالة الكتابة الفرنسية

وقد تم له ما اراد . . . وحلت في بعض المتاجر مكانها بعض الكتابات باللغة الالمانية

حادثة جاسوس !

وفي اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩١٥ تلقينا اشعاراً تلفونيا من قائد موقع بيروت يفيد ان خفراء الساحل بينما كانوا يجوبون المنطقة الساحلية جهة نهر الموت رأوا زورقا يسير في الظلام على غير هدى فترصدوا له الى ان اقترب من الساحل وداهموه فاذا به شاب في العقد الثالث من عمره طويل القامة ممتلىء الجسم أسمر الوجه يدعى احمد عبد العال السيد من اهالي بور سعيد في مصر افاد في بادىء الامر انه بحار مصري غرق به المركب فالتجأ الى جزيرة ارواد وفيها زورقا وهو الزورق الذي وجد فيه يحمل اسم « عون الله رقم ٦١٥) وفر به الى به هذه البلاد

ولما كان الرجل قد بوغت على الساحل دون ان يخرج الى البر فقد فتشه مفرزة خفر الساحل التي اوقفته ولم تجد معه شيئا من الاوراق الا تذكرة تشعر بحقيقة اسمه وبضع مجيديات لا يزيد عددها كما اظن على العشر

وسألنا قائد مركز بيروت عن رأينا في الامر والتدابير الواجب اتخاذها بحق الشاب الموقوف وعلى الاثر عرضت الامر على الباشا الذي ما كاد يطلع على تقرير قائد بيروت حتى قال :

— ان الرجل جاسوس شعر بالمراقبة على الساحل فسلم نفسه لينقذ رفيقه ومن الضروري معرفة هذا الرفيق فتلفن الى قائد المركز ليأتي به الي فوراً

فصدعت بالامر واستدعيت الرجل الذي اخذ الباشا يناقشه مناقشة شديدة اخذاً اياه تارة من شعوره الديني كمسلم وطوراً مهدداً او واعداً بالمال وفي النهاية اعترف الرجل بانه بحار مسكين عهد اليه بايصال رجل يجهله الى لبنان مقابل عشر مجيديات دفعوها له فقام بمهمته هذه واوصل الرجل الى الساحل الا انه لما اقترب منه شاهد الدورية لان احد افرادها كان يدخن سيكارة فخاف الرجل الذي كان

معه العاقبة فنزل في البحر قائلا انه سيذهب الى الشاطئ سباحة وطلب اليه ان يتابع سيره وبهذا ينقذه و ينقذ نفسه من تبعة نقله فكان ما اراد الرجل منه وعلى اثر ذلك اخذت من البحار المصري اوصاف الرجل الذي جاء معه دون فائدة لانه لم يعثر له على اثر بل اختفى

اما البحار فقد حكم عليه بالاعدام بتهمة الجاسوسية ونفذ به حكم الاعدام قبل شروق شمس اول تشرين الاول سنه ١٩١٥

الا ان هذه الحادثة دلت احمد جمال باشا ان رسل الافرنسيس منتشرون في لبنان بكثرة هائلة وان من الضروري والحالة هذه مطاردتهم ولهذا الفت فرقة من «القبضايات» البيروتيين و بعض اللبنانيين في السواحل لمطاردتهم وسنأتي على ذكرهم مع اسمائهم في فصل خاص

الفصل السابع عشر

قلنا في سياق حديثنا عن كيفية الغاء امتيازات لبنان والامتيازات الاجنبية التي كان يتمتع بها هذا الجبل ان من جملة الفوائد التي حصل عليها جمال باشا وجود مسيو تافيل بك مدير المصرف العثماني في بيروت

ومسيو تافيل بك افرنسي الاصل كان جد محبوب من جمال باشا وهو صديق حميم له اوجب دخول تركيا الحرب العالمية ضد فرنسا ابعاده الى بلاده ولكن انحراف صحته بالظاهر حال دون سفره فظل في بيروت الى شهر ايلول سنة ٩١٥ وسافر على احدى البواخر الاميركية الى مصر ومنها الى بلاده ولم يبق الرجل في بيروت بمهمة خاصة من قبل احمد جمال باشا وهي عبارة عن مفاوضة مع الافرنسيين

وقبل ان نسرد عنها شيئا نبدأ بذكر مفاوضات سبقتها وهي وان كانت ليست ذات علاقة مع هذه الا انها ذات شان تدل على حقيقة عقلية القابضين على زمام الادارة في السلطنة العثمانية والى القراء ذلك

مخاوف السلطان رشاد

قبل ان يتم النصر للقوات العثمانية على الحلفاء في معارك اب كان موقف الدولة شديد الخطورة لان الحلفاء بعد ان فشلوا بضبط المضايق بحراً انزلوا فيها قوات عظيمة لفتحها براً و كانت هذه المحاولة سببا في مخاوف السلطان محمد

رشاد الخامس الذي رأى عاصمته مهددة من البر والبحر فالحلفاء في جهة المضايق والروس من البحر الاسود

و بعد ان رأى رجال حكومته يتفقون مع الالمان على وسائل الدفاع عن الاستانة و يحزمون حقائب القصر استعداداً لنقل السلطان والعاصمة الى قونية فكر في مفاوضة الحلفاء

ولكن كيف يتم له ذلك ؟

ـ ان السلطان محمد رشاد كان غير واثق برجال حكومته معتقداً تمام الاعتقاد انهم آلة صماء بيد الالمان وان مجرد ابدائه رأيا في هذا السبيل كاف لاتهامه بالجنون والحجز عليه ان لم يعمدوا الى قتله و كان لا يجد حوله احداً من المخلصين يساوره بما في نفسه

وتلفت السلطان حوله فلم يجد امامه الا شخصين ولي عهده الامير يوسف عز الدين الذي يكره انور باشا لانه ادخل الدولة في الحرب العالمية وولده الامير ضياء الدين فشاورهما في الامر ورأى ان ولي العهد شديد الكره لانور باشا يعتمد على خطة جنونية لانقاذ الموقف وهي اعتقال انور باشا وترك السلاح بتاتا ومحاكمة هؤلاء الخونة واعدامهم

ولكن ماذا يكون مصير الدولة بعد هذا العمل ؟

هذا امر لم يهتم له الامير المندفع وراء حقده على انور باشا غير حافل بالتهديد الذي وجهه طلعت باشا قبل ايام بضرب الاستانة بواسطة الدارعتين الالمانيتين غوبن و برسلو اذا ما حاول حزب الحرية والائتلاف القيام بحركة على الحكومة تلك الحركة التي كانت مقررة ليوم ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥

ولهذا لم ترق هذه الفكرة للسلطان محمد رشاد والتفت الى ولده الامير ضياء الدين فاذا رأيه خير من رأي ولي العهد

فكرة الامير ضياء الدين

وقد اقترح الامير ضياء الدين ان يعمد السلطان سراً الى مخابرة الحكومة

الافرنسية وعقد صلح منفرد بينه و بينها حتى اذا نضجت هذه المفاوضات واتفق الفريقان على طريقة توقيع الصلح نفذ السلطان فوراً فكرته هذه و يصبح في امكانه القضاء على انور باشا ورفاقه وتسليمه الى القضاء بتهمة زج السلطنة في الهاوية التي وقعت فيها

وقد راقت هذه الفكرة للسلطان محمد رشاد وشاور ولده الامير ضياء الدين في طريقة تنفيذها ولكن عقليهما المحدودين لم يمكناهما من الوصول الى نتيجة مرضية ولهذا عهد السلطان الى ولده بدرس الامر فوعده بذلك وانصرف .

ولم يكن الامير ضياء الدين ممن رضي عنهم الاتحاديون بل كان موضوعا تحت مراقبتهم وقد شاور الامير في فكرة والده السلطان طبيبه الخاص الدكتور آ . م . بك الذي كان بدوره من الناقمين على الاتحاديين فوعده خيراً .

تطور الموقف السياسي

جرت هذه الامور في شهر شباط سنة ١٩١٥ وكان انور باشا يتفقد الجبهة القفقاسية وطلعت باشا منهمكا في مقاومة الحزب المعارض بالطرق السلمية .

وكان السلطان وولده وطبيبه الخاص يتدبرون الطرق لمخابرة الافرنسيين لعقد هدنة منفردة .

ولما عاد انور باشا في اليوم السادس من شهر شباط سنة ١٩١٥ الى الاستانة تبدل الموقف تماما فانه اراد ان يبطش بشدة بخصومه الداخليين فنجح الا ان المخابرات بين السلطان ومناصريه لم تقف ولكنها لم تتقدم خطوة واحدة لان عقول هؤلاء الرجال الثلاثة القاصرة لم تمكنهم من السير اكثر من ذلك .

وفي اليوم السابع من شهر شباط تقدم السلطان محمد رشاد باقتراح جديد يدل على بلاهة متناهية وهو ان ترسل باحدى الطرق برقية الى قائد

الاسطول الافرنسي المهاجم للمضايق تتضمن طلب الامتناع عن ضرب المضايق واعلان الهدنة ريثما تتم المفاوضات التي ستطلب من حكومة باريس

و بالرغم من اننا في شهر شباط وهو الشهر الرابع بعد دخول تركيا في الحرب العالمية فان المسيو ليدو ، رئيس تراجمة السفارة الافرنسية ، والمسيو ستيغ المدير العام للمصرف العثماني ، الافرنسيين لا يزالان في الاستانة ضيفين على السفارة الاميركية و كانا في الوقت الذي اقترح السلطان عقد الهدنة يستعدان للسفر الى باغاريا بطريقهما الى وطنهما ولهذا فكر الامير ضياء الدين بمخابرتهما في الامر

الموقف في ذلك الوقت

كان الموقف السياسي في ذلك الوقت شديد الخطورة لان الاتحاديين لم يتمكنوا في الاشهر التي دخلوا فيها الحرب من السيطرة و بسط نفوذهم على البلاد ، والموقف في الاستانة يختلف عنه في سوريا لان الاتراك من سكان الاستانة يرون انفسهم اسياد الحكومة وان على الحكومة ان تعمل ما يريدونه بعكس الموقف في سوريا لان هناك مجرد ذكر اسم احمد جمال باشا كان كافياً لالقاء الرعب في القلوب واخافة الناس

ولهذا كان الموقف في شهر كانون الثاني الذي سبق هذه الحوادث خطيراً جداً فالاشاعات كانت تتوالى و كلها لم تكن بجانب الاتحاديين كما ان اركان حزب الحرية والائتلاف المعروف بنزعته السياسية ضد المانيا وميله الى بريطانيا كانوا يواصلون عقد الاجتماعات السياسية وافهام الرأي العام ، عن طريق الاشاعات ، ان البلاغات الرسمية التي كان يذيعها الالمان كاذبة وان دخول تركيا في الحرب العالمية غير حقيقي وان الانكليز قد احتلوا البصرة وهم يتقدمون الى قلب البلاد العربية وهم في الوقت نفسه يعملون في سبيل مهاجمة الاستانة عن طريق المضايق وفي هذه الحالة لا يكون مصير الدولة الا الهلاك والاستعباد وانه لا بد والحالة هذه من انقاذ الموقف وذلك بقلب الحكومة الحاضرة وايجاد حكومة اخرى مكانها يثق بها الحلفاء وبذلك يتم انقاذ الموقف تماما

ولم يوقف الائتلافيون دعاياتهم عند هذا الحد بل تعدوه ايضا الى اذاعة المناشير الثوروية

ولم يكن في ذلك الوقت من اقطاب الاتحاديين الا طلعت باشا لان انور باشا كان في الجبهة القفقاسية وجمال باشا في الجبهة الفلسطينية و بات طلعت باشا شديد الحيرة لا يعرف ما يصنع ايقدم على استعمال الشدة ام ماذا ؟

وفي النهاية هدد ، بحديث له مع بعض الوجوه ، بضرب الاستانة بالقنابل اذا ما حاول احد من اهلها القيام بعمل ما وليؤيد وعيده هذا اوقف الدارعتين غوبن و برسلو في موقف قريب من الاستانة يشاهدهما الجميع و كان عمله هذا خير مؤثر على الرأي العام في العاصمة الذي بدأ منذ ذلك الوقت يشعر بخطورة الموقف وشدة الحكومة ، والشدة في الشرق هي دوما السلاح القوي الذي تعتمد عليه الحكومات القابضة على مقدرات الامور في ادارة رعاياها لانه لم يقم حتى الآن حكومة شرقية واحدة تعتمد على شعبها في ادارة شؤونها العمومية

وقد كان هذا التهديد الذي وجهه طلعت باشا بدء التدابير الشديدة التي تذرع فيها هو وحكومته في سبيل قمع الفتنة التي دبرها الائتلافيون لقلب نظام الحكم في تركيا .

المفاوضات السرية

في هذا الجو السياسي المكهرب في الداخلية وفي الجهة الحربية عن للسلطان رشاد ان يفاوض الحلفاء سراً ودبرت المؤامرة على الوجه الذي عيناه

وفي ذلك الوقت عقد اجتماع في قصر الامير ضياء الدين ، الموجود حاليا في بيروت ، تقرر فيه ايفاد محمود بك لمقابلة المسيو ستيغ ، المدير العام للمصرف العثماني في تركيا ، ومخابرته بالامر وقد ذهب المندوب وقابل الشيخ ستيغ فقال :

— انني شديد العجب من هذا الاقتراح الذي لا ادرك معناه فسفيرنا وزميلاه الانكليزي والروسي لم يتركوا وسيلة الا تشبثوا بها في سبيل حمل

الدولة للوقوف على الحياد وقد كان في امكان السلطان حينئذ ان يقيل الوزارة و يحول دون دخول دولته الحرب لهذا ...

— انكم تشكون في الامر وهذا حق من حقوقكم وانتم هنا تحت المراقبة و لكني انقل اليكم الحقيقة كما هي وانا مستعد لان اثبت لكم ذلك

— وماذا يريد السلطان ؟

— ان السلطان اتخذ قراراً جدياً في الامر فهو يريد ان يرسل برقية الى الاميرال الافرنسي الموجود على رأس الاسطول المهاجم للمضايق يطلب منه فيه ايقاف الحركات الحربية الى ان تخابر الحكومة الافرنسية و يتفق معها على شروط الهدنة .

— ولكن كيف يقدر الاميرال ان يقوم بهذا العمل دون امر باريس ؟

— ان السلطان يريد في الوقت نفسه ارسال برقية ثانية الى باريس بالمعنى نفسه .

— ولكن هل سهي عن بال السلطان انه ليس الحاكم المطلق وان بلاده دستورية وليس في امكانه ان يقرر مقدراتها من عندياته

— لقد افهمنا جلالته هذه الحقيقة الا انه يرى ان الموقف يبرر عمله هذا

— لقد تكلم كالاولادو مع هذا ففي امكاننا ان نقوم بعمل ما الا ان هذا العمل لا يمكن ان يتم الا اذا كانت لدينا قوة نستند عليها فهل في الامكان الحصول على البرقية المذكورة بتوقيع السلطان

— نعم . ويمكنكم ان لا تقوموا بمثل هذا العمل الا اذا حصلتم على هذه البرقية الموقعة من السلطان

— هذا حسن ولكن كيف يمكننا ارسال هذه البرقية ؟

— هذا ما جئنا كم لاجله ، فنحن نعلم ان ترجمان السفارة الافرنسية المسيو ليدو موجود الان في السفارة الاميركية ففي مقدوركم مفاوضته في الامر واخذ رأيه به — سنرى ذلك

هذا نص الحديث الذي دار بين الرجلين بعد مقدمات لا فائدة منها سمعتها من فم محمود بك الذي رواها لي في سويسرا بعد الحرب العالمية وهو لا يزل في قيد الحياة يؤكد صحتها

وفي اليوم الثالث لهذا الحديث عاد محمد بك الى مقابلة المسيو ستيغ فاعلنه انه خابر بالامر المسيو ليدو الذي لا يرى فائدة من هذه المخابرات لانها ليست ذات صيغة رسمية وليس في امكانها ان تؤثر على الموقف الحاضر ومع هذا ارى ان تاتوا انتم بنص البرقية الموقعة من السلطان فيرسلها ضمن الاوراق الرسمية الى السفارة الاميركية في صوفيا وهي بدورها تسلمها الى السفارة الافرنسية فيها لتطيرها الى الاميرال ووزارة الخارجية الافرنسية وانه هو (اي المسيو ستيغ) يبرق ايضا بواسطة فرع المصرف العثماني في الاستانة الى باريس بالحديث الذي دار بينهما وبامر البرقية ويطلعه بعدئذ على نتيجة رد وزارة الخارجية الافرنسية وعلى هذا اتفق الرجلان وذهب محمود بك الى قصر الامير ضياء الدين يعرض عليه الموقف ويبين ضرورة كتابة نسختين من القرار ليقدمها الى الرجلين

لم يعد محمود بالبرقية التي وعد بها المسيو ستيغ لان انور باشا الذي رجع في ذلك الوقت من الجبهة الحربية عرف بحقيقة المؤامرة التي يدبرها السلطان محمد رشاد وقد كانت معرفته اياها بواسطة الجارية « كلنهار » التي رأت تردد الامير ضياء الدين على والده وهو البعيد عن هذه الزيارات فانصتت للحديث وعرفت بادوار هذه المؤامرة التي حال انور باشا دون اتمامها بمصارحته السلطان بالموقف وعدم خوفه من العاقبة وقد اعلنه السلطان ان خوفه هذا غير ناجم عن كرهه للالمان بل لانه يخشى ان يقدم الحلفاء على اختراق المضايق فيضيع عرشه وهذا كل ما يخاف منه فأمنه انور باشا على هذا الامر مؤكداً له عدم تمكن الحلفاء من اختراق المضايق و بذلك اعاد الى السلطان شيئاً من هدوءه

انتقام انور باشا — وكان اركان المصرف العثماني في ذلك الوقت يشتغلون في وظائفهم دون اقل معارضة الا ان انور باشا ما كاد يعرف بادوار هذه المؤامرة حتى جمع مجلس الوزراء واستصدر منهم اوامر بضرورة كف يد هؤلاء الموظفين الافرنسيين واخذهم اسرى حرب

ولما اتصل هذا الامر بالمسيو ستيغ ادرك حقيقة الامر وفي اليوم الثاني لهذا الحادث غادر الاستانة مع رفيقه ترجمان السفارة الافرنسية الى صوفيا العاصمة البلغارية وبعد يومين لحق به محمود بك ورجل ارمني اخر يدعى ارام وفاتحاهما ثانية باقتراح السلطان محمد رشاد

الا ان المسيو ستيغ اجابهما هذه المرة صراحة قائلا :

ـ لقد اعلمت محمود بك قبلا عدم تمكن السلطان القيام باي عمل كان لانه مقيد وقد بلغني ما كان بينه وبين انور باشا الذي اتخذ ولابد الاحتياطات اللازمة لهذا الامر لذلك لا ارى اقل فائدة من وراء مساعيكم هذه

— ان السلطان اخبرنا ما كان بينه وبين انور باشا واخباره اياه بالحقيقة الا اننا عدنا واقنعناه بخطأه في اخبار انور باشا بعد التدابير الشديدة التي اتخذها الاخير وقد اقتنع السلطان بهذا الامر وسلمنا تحريراً يتضمن تفويضنا مخابرة وزارة الخارجية الافرنسية سريا بعقد اتفاق معها وجل ما نطلبه منكم في الوقت الحاضر مساعدتنا في الوصول الى باريس لمفاوضة وزير الخارجية الافرنسية

فقبل المسيو ستيغ بهذا الاقتراح وارفق الرجلين بكتاب الى باريس للمسيو جورج ليجيه مبينا له فيه حقيقة المفاوضات

مفاوضات باريس — وكان الافرنسيون على معرفة بحقيقة ما يجري في بلادنا لان شبكة الجاسوسية المنظمة التي وضعوها افهمتهم كل المناورات التي تدور في هذه البلاد ولهذا ما كاد محمود بك ورفيقه يصلان باريس ويقدمان الكتاب الى المسيو جورج ليجيه حتى رأيناه ينصرف لمحادثتهما عن الموقف الحاضر في السلطنة العثمانية كأنه يرى بهما جاسوسين اتيا حديثا من البلاد العثمانية في مقدورهما ان

يؤديا له اخباراً ذات اهمية ومع ان محمود بك امتنع عن محادثته في هذه الامور الخارجة عن صدد المهمة التي جاء لاجلها فان ارام بك كان اكثر صراحة منه لانه ما لبث ان اطلعه على ادوار المفاوضات الموجودة بين الدولة وبلغاريا وبحقيقة الموقف في داخل البلاد فاثبت بذلك نظرية الاتحاديين القائلة بعدم الثقة ولو جزئية في غير العناصر العثمانية الاسلامية

وقال لنا محمود بك وقد رأيت ان الموقف تبدل فبدلا من ان يفاوضنا مندوب الخارجية الافرنسية في المهمة التي اتينا لاجلها انصرف الى اخذ الاخبار كانه لا يرى فينا مندوبين رسميين سريين للسلطان العثماني بل جاسوسين اتيا الى باريس لينقلا اليه حقيقة الموقف السياسي في السلطنة العثمانية ولست انكر انني ندمت كثيراً على الحضور مع هذا الرجل الارمني لانني وجدت نفسي معه جاسوساً على امته وبلاده ولهذا امتنعت عن زيارته كما ان الرجل الافرنسي نفسه لم تعد ترقه زيارتي لانه لم يجد في الرجل الذي يمكنه ان ياخذ منه المعلومات التي تهمه عن بلاد معادية له ولهذا مكثت مدة اسبوع دون ان اخرج من الفندق وانا افكر في طريقة اخرج بها من البلاد دون ان يشتبه بامري

مقابلة وزير الخارجية — وفي اليوم الاخير من شهر حزيران سنة ١٩١٥ تلقيت مذكرة تتضمن ما نصه :

«ان رئيس غرفة وزير الخارجية يرجو المسيو محمود بك الحضور الى ديوان الوزارة في الساعة السادسة عشرة من يوم اول تموز سنة ١٩١٥ لاشغال هامة»

وفي الوقت المعين قصدت (الكاي دورسه) مقر وزارة الخارجية فاستقبلني السكرتير هناك بحفاوة طالما اعتدناها من الافرنسيين واعلمني ان وزير الخارجية المسيو دالكاسيه يرغب في مقابلتي وطلب مني الانتظار لاعلامه بالامر وبعد دقائق دخلت غرفة الوزير الذى ظل جالسا في مقعده ورد علي التحية بشيء من الفتور ثم سالني :

-- هل انت تركي ؟

قال هذه الجملة بشيء من الاحتقار لعنصريتي الامر الذي ساءني جدا ولهذا اجبته بغرور :

— نعم تركي ومن انقره

فقال — وماذا جئت تصنع هنا ، هل من مهمة اوفدت بها الى هنا في هذه الظروف؟

— نعم

— لتتجسس علينا

— لست جاسوسا ياحضرة الوزير ولم آت الا بمهمة من قبل مولاي السلطان ورجالك عرفوا هذه الحقيقة

— ولكن رفيقك اخبرنا بكل شيء وهو تركي ايضا

— كلا بل ارمني لان التركي لا يخون بلاده

وهنا ظهرت الحدة على الوزير الافرنسي واخذ يتمتم بعض عبارات مملوءة من الاهانة لامتي الامر الذي لم يعد في امكاني الاصطبار عليه فقلت:

— لا اعتقد ياحضرة الوزير انكم استدعيتموني لاهانتي واهانة امتي فاذا كنتم غير راغبين في استماع مهمتي فافعلوا ما تريدون وها انا ذاهب

— الى اين ؟

— الى بلادي

— انك غير عاقل لان في امكانك ان تذهب من هنا الى السجن كجاسوس

— هذه هي اهانة جديدة لا اقبلها قط وانا ذاهب

قلت هذه الجملة وحييته وانصرفت الا انني ما كدت احاول الخروج حتى عاد ودعاني مبدلا لهجته الاولى وقام واقفا يقول :

— محمود بك انا شديد السرور من نتيجة هذه المقابلة فتفضل بالجلوس

وقد وقفت حائراً من هذا التبدل فما سببه ؟

ولماذا وقف الوزير معي موقفه الاول ؟

يعتقد ابناء الغرب ان الشرقي جبل على الذل والخنوع وان في مقدورهم ان يكيلوا له الاهانات جزافا وهذا امر كان له شيء من الحقيقة قبل الحرب العالمية لانه كان في مقدور الساسة الغربيين ان يستثمروا اكبر شرقي يؤم بلادهم مقابل شيء من المال حتى اننا كثيراً ما رأينا الوزراء والنواب والسفراء يفضحون اسرار بلادهم الى معتمد اجنبي مقابل بدرة من المال ، وهذا ما كان يعتقده الوزير الافرنسي المسيو دالكاسيه عندما وفد محمود بك ورفيقه الى باريس ولهذا ساءه أن يرى آرام افندي والي مدللي السابق يدلي الى مندوبه بما يريد من معلومات دون محمود بك الذي عرف عنه انه من المقربين من السلطان ولهذا استفزه بتلك العبارات التي طالعها القراء آنفا الا انه لما وجده غير ما اعتقد به وبرجال الشرق بدل نظريته فوقف له مرحبا ودعاه للجلوس ثم فاتحه بمهمته قائلاً :

— مسيو محمود بك ان ارام اخبرني بالادوار التي لعبتها هذه المفاوضات بتمامها ولكن اتعتقد ان في مقدور السلطان ان يفعل شيئا من هذا ؟

— ان جلالته فوض الي الامر

— ولكن جلالته على وشك الموت !

— ماذا ؟ !

— نعم ، فان البرقيات الواردة الينا في هذا الاسبوع تدل على ان هناك مؤامرة دبرها انور باشا لاغتيال السلطان وقد دسوا له السم وان سبب ذلك هو خوفه من ان يقدم السلطان على مفاوضتنا -- عجيب !

— ليس هناك من عجيب وهذه هي الحقيقة كلها وقد يكون السلطان غير مريض الا انه من المؤكد ان انور باشا حجز عليه في قصره ليحول دون اتصاله بالخارج ولهذا لم يعد لمهمتكم هذه اقل اهمية ، ثم كيف تريدون ان يكون الاتفاق وليس بيد سلطانكم قوة ، لانها موجودة بيد انور باشا ورفاقه وعلى هذا ماذا ترون ؟

— ان للسلطان فئة كبرى في البلاد تؤيده

— والجيش ؟

— ؟؟ . . .

— ان مثل هذه المفاوضات لا يمكن ان تتم على هذه الصورة لسببين الاول وجود السلطان في بلاد دستورية ليس له فيها شيء من الحول والقوة والثاني وجود الجيش بيد اعدائنا الالمان فالخطة الوحيدة الممكن ان تنجح يا عزيزي مسيو محمود هي الثورة

قل لمولاك ان الحلفاء يحفظون عرشه اذا ما نشبت الثوره وترك الترك سلاحهم اما بغير ذلك فليس هناك اقل مجال للمفاوضات

تدابير الخارجية الافرنسية — هذا هو الحديث الذي دار بين مندوب السلطان محمود بك ووزير الخارجية الافرنسية المسيو دالكاسيه ولما كان الاخير مشهوراً بشدة حقده على الدولة العثمانية وكرهه رجالها اخذ يفصل لمحمود بك التدابير الواجب اتخاذها في استمبول لهدم حكومة الاتحاديين واحداث فتن في السلطنة العثمانية وكانت خطته هذه تنحصر فيما يلي :

اولا — نشر الدعايات ضد الحرب في سائر انحاء السلطنة العثمانية

ثانيا — تنشيط الحزب الائتلافي في البلاد ليتولى مقدرات الامور لثقة الحلفاء به .

ثالثا — محاكمة اركان الحكومة والذين ادخلوا الدولة في الحرب العالمية بتهمة الخيانة العظمى

رابعا — مقاومة الالمان

الا ان هذه الخطة وغيرها من الخطط السياسية لم ترق لمحمود بك الذي لم يعد في الوقت نفسه يجسر على العودة الى تركيا وبذلك فشلت هذه المفاوضات السرية التي تولاها محمود والتي اعتقد انها خطة غير صائبة في ذلك الوقت لاسباب عديدة لا مجال لذكرها في مذكراتنا هذه

وقد لحظ القراء من حديث المسيو دالكاسة، وزير خارجية فرنسا، مع محمود بك ان الوزير انبأ المندوب بمرض السلطان متسمما وان انور باشا هو الذي سممه ليتخلص منه

ولست انكر على القراء ما دمت اروي لهم الحقائق ان الاشاعات انتشرت في العاصمة العثمانية في ذلك الوقت العصيب الذي بدأت فيه الحكومة باستعمال الشدة وكان العدو يهاجم بقواته المضايق لاغتصاب العاصمة وما لبث الرأي العام ان اعتقد بهذه الاشاعات وهي ان السلطان بحالة النزع وان مرضه هذا كان من جراء تسممه وان الذي سممه هو انور باشا حتى ان البعض قالوا ان السلطان مات وان انور باشا اخفى امر موته عن الناس كي لا يتولى العرش الامير يوسف عز الدين ولي العهد وعدو انور باشا اللدود

وفي الحقيقة انه لم يكن لهذه الاشاعة من نصيب من الصحة خصوصا وان من صالح انور باشا ورفاقه ان لا يموت السلطان كي لا يحل مكانه ولي العهد وجل ما هناك ان السلطان محمد رشاد كان مصابا بمرض المثانة وكانت حالته الصحية وكبر سنه لا يتحملان اجراء عملية اخراج الحصى ولكن لما اشتدت الآلام لم ير اركان الحكومة بدا من اجراء هذه العملية ولما كان يهمهم جداً امر بقاء السلطان في ذلك الوقت في قيد الحياة قرروا ان يجمعوا بعض الاطباء لدرس الموقف فابرقوا الى الدكتور برغرس الالماني يستدعونه من المانيا فلبى الدعوة وفي اليوم الـ ٢٣ من شهر حزيران سنة ١٩١٥ اذاعوا بلاغا هذا نصه :

«على اثر اشتداد الآلام على الذات الشاهانية من جراء الحصاة في المثانة استدعي من المانيا النطاسي المعروف الدكتور برغرس وفحص بالاتفاق مع زملائه الاطباء : اسرائيل، سليمان نعمان، عاقل اورخان، طابطا، بابا، الذات الشاهانية وقرروا اجراء العملية نهار غد الخميس»

وقد اجريت العملية في الوقت الذي عينه الاطباء ولما كانت بنية جلالته

ضعيفة اضطر الى ملازمة فراشه حتى اليوم الخامس من شهر تموز سنة ١٣٣١ المصادف ١٨ تموز سنة ١٩١٥ وخلال هذه المدة الطويلة راجت، الاشاعات المختلفة التي قيل فيها بمرض السلطان وموته والحقيقة هي كما بيناها وعرفت في ذلك الوقت .

الا ان هذه الاشاعة تدل على مقدار اهتمام الحلفاء بكل ما يجري في البلاد وبان رجالهم السريين الموجودين في العاصمة كانوا ينقلون اليهم حتى مثل هذه الاخبار التافهة من الاشاعات التي تردد في العاصمة

هذا هو الدور الذي مثل في مفاوضات السلطان محمد رشاد مع وزارة الخارجية الافرنسية اما الدور الآخر الذي مثله احمد جمال باشا فيقسم الى عدة فصول والى القراء الدور الاول منها .

......

بدأت المفاوضات بطريقة غريبة لا تخطر بالبال قط لان القائد العام احمد جمال باشا لم يكن ليفكر بها فمن الصعب عليه ان يقدم على مثل هذا العمل وهو يستعد للحملة الثانية لاجتياز القناة و يعمل في الوقت نفسه على الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل ولكن فؤاد بك سليم رئيس شعبة الشؤون المصرية تلقى اشعاراً من احد جواسيسه في مصر هذا نصه :

ان سيدة شقراء طويلة القامة ممتلئة الجسم ذات عينين عسليتين — رغم اشقرار شعرها — تدعى افيدوكسيا قد سافرت الى فلسطين عن طريق لا تزال مجهولة لدينا بعد ان قابلت الماجور و يليامس الذي اعلمناكم امره ونظن ان اسمها مستعار .

ج . ل . ٤٠ . ٧

وقد احال فؤاد بك سليم الينا هذا التقرير السري الذي وصل اليه في ١٢ تموز مع انه صادر عن الاسكندرية يوم ٢٢ حزيران اي بعد ٢١ يوما من صدوره .

من هي افدوسكا ؟ — وقد كان علينا ان نعرف ما اذا كانت هذه السيدة

قد دخلت البلاد بعد تاريخ ٢٢ حزيران وهو تاريخ التقرير المرسل من الاسكندرية ام لا

ومع ان هذا الامر كان هينا للغاية بسبب عدم وجود قوافل للسياح في القدس فان الشرطة لم تعرف مقرها حتى لما وصلنا الى بيروت لم نر لها اقل اثر في تقارير الشرطة .

وفي ٢٩ تموز رأينا سيدة في فندق بسول ذات جمال خلاب وعلمنا من اصحاب الفندق انها سجلت في سجل الفندق باسم ناتاليا داودوفيتش من اهالي الاستانة وقد رابني امر هذه السيدة خصوصا وقد رايت في اوصافها ما ينطبق على ما جاء في التقرير المحال من فؤاد بك سليم الا ان شعر هذه كستنائي وشعر تلك الوارد ذكرها في التقرير اشقر

ومع هذا ابرقت الى مديرية الشرطة في الاستانة سراً اسألها عن هذه المرأة بعد ان وضعت، احد رجال الشرطة السرية على مراقبتها الدقيقة

وفي اليوم الثاني تلقيت من الاستانة برقية هذا نصها :

ناتاليا هي بنت صموئيل داودوفيتش فتاة اسرائيلية تزوجت سنة ١٩١٢ موريس لوبلاشت الافرنسي وما لبثت ان هجرته وسافرت الى جهة مجهولة والمعلومات التى لدينا لا توجب الاطمئنان اليها خصوصا وانها عرفت بترددها على السفارة الافرنسية من شباط سنة ١٩١٤ الى تشرين الثاني حيث اختفت اثر دخول الدولة في الحرب العالمية

هذا نص البرقية التى تلقيتها عن هذه السيدة ولما كانت نازلة فى فندق كبير وهي بحاجة الى مصاريف باهظة رأيت ان استفسر ثانية عن ثروتها فوردني الجواب يقول ان والدها ترك لها شيئاً من الثروة وايراداً يقدر سنوياً بخمسمائة ليرة ذهبية وانها وحيدة يدير شؤون املاكها في تركيا المحامي عبد القادر صدقي بك

تقرير الشرطي السري — وقد افادني الشرطي السري في تقريره الاول

ان هذه السيدة الموجودة في بيروت منذ اسبوع معروفة من الطبقة العليا فقد زارت

مساء ٣٠ تموز قصر ميشال بك سرسق وتناولت طعام العشاء فيه وظهر اليوم الثاني تناولت طعام الغداء على مائدة الفرد بك سرسق و بعد الظهر قامت بجولة حول المدينة مع عقيلة ميشال بك سرسق وان سليم بك ثابت جاء الى زيارتها في الفندق فلم يجدها

وفي حفلة الفرد بك سرسق شاهدت هذه السيدة التي كانت اجمل الموجودات وسمعت من كانوا في السهرة يلقبونها بالاستمبولية الحسناء

وقد لاحظت من تقارير الشرطة ان هناك شابا اسرائيليا يتردد عليها يدعى ابراهام ليفي مقدسي الاصل يقطن في غرفة خاصة في بيت المن في بيروت وهو يزورها يوميا وقد قالت عنه انه وكيلها في بيروت يؤمن سائر ماهي بحاجة اليه

ولهذا وضعت ايضا هذا الشاب تحت المراقبة فعلمت انه لا يزور الا شخصين الاول مسيو نافيل المدير العام للبنك العثماني في بيروت والثاني بحار يدعى محمد سعد الدين البيروتي وبهذا زاد الامر ابهاما وزدت رغبة في معرفة اسرار هذه المرأة خصوصا بعد ان قويت برأيي فكرة كونها نفس المرأة التي اشار اليها تقرير ج ٧٠ مندوبنا السري في الاسكندرية

ولكن ما معنى انزواء هذه السيدة في الفندق وحصرها زياراتها في الطبقة العليا في بيروت

وما علاقتها بالشاب الاسرائيلي ؟

وما علاقة هذا الشاب بمدير البنك العثماني الافرنسي والبحار البيروتي؟

ان كل هذه الامور كانت تمر بمخيلتي ونحن عائدون من رحلتنا الاولى مع جمال باشا من جهات جونيه وجبيل وتوابعها بعد رد الزيارة للبطريرك الماروني

ولما عدت الى بيروت جهزت خطة وهي ابعاد المرأة عن غرفتها وبحث اوراقها وحقائبها لمعرفة ما قد تحويه من اسرار وقد تسنى لي هذا الامر في اليوم الخامس من اب سنة ١٩١٥ حيث كانت هذه السيدة مدعوة لحضور حفلة اقيمت في

« نادي الاتحاد » الكائن تجاه فندق بسول

فقد اغتنمت هذه الفرصة ودخلت الغرف فوجدت سبع حقائب سفر مملوءة البسة نسائية وادوات الزينة واوراق هويتها الرسمية

وفيما انا اقوم بعملي هذا لامست يدي صدفة اناء للازهار موضوعا وسط الغرفة فانقلب وانكسر وتناثرت الازهار الموجودة فيه فالتفت لارى ما فعلت فاذا بي اجد ورقة كانت موضوعة فيها فالتقطتها فاذا فيها ارقام غريبة اخذت رسمها بالالة الفوتغرافية التي كانت معي وانصرفت وتركت الورقة مكانها كي لا يخامر المرأة الشك وقد تبين لي من البحث ان الارقام مفتاح شيفرة

لا ارغب في ان ابين للقراء في هذا القسم قواعد الشيفرة التي تستخدمها دوائر الاستخبارات عادة مع رجالها الا ان المعروف هو ان القاعدة تعطى الى رجل على ان يكون تفسيرها موجود لدى الدائرة وقليل من المهارة والبحث يكفي لمعرفة هذه القاعدة وهذا ما نجح فيه الالمان مراراً عند سرقة رجالهم مفاتيح الشيفرة من الحلفاء حتى اضطر هؤلاء مراراً الى تغييرها

والورقة التي وجدتها لم تكن الا مفتاح شيفر، ادركت فوراً انها من الضابط البريطاني الذي اجتمعت به السيدة في الاسكندرية .. ولكن كيف تخابره؟

من ثم علمت ان السيدة منذ اتت لم ترسل الى البريد الا كتابا واحداً وهو لوكيلها في استمبول اذ ان المخابرات ترسل والحالة هذه بواسطة الشاب ابراهام ولهذا راقبته بشدة الى ان تمكنت مساء ٨ اب من رؤيته وهو يسلم محمد سعيد تحريراً فتركته يعطيه اياه وذهبت اراقب الاخير الذي سافر صباح ٩ اب باكراً بعربات النقل وهي نوع قديم من العربات لنقل الركاب بين بيروت وصيدا فركبت معه الى صيدا وحال وصوله توجه تواً الى الساحل الشرقي من المدينة وظل سائراً على الشاطئ الى ان ابتعد عن صيدا مقدار ثلاث كيلومترات وكان الظلام شديداً والساعة التاسعة ليلا فرأيته يقف ويستريح هناك الى الساعة الحادية عشرة ليلا حيث عمد الى فانوس كان معه فاضاءه ورفعه فوق رأسه ثلاث مرات ادركت انها

اشارة منه لمن في البحر وقد كرر الامر ثانية فاذا الاشارة نفسها تظهر من البحر وتغيب و بعد دقائق رأيت زورقا يقترب من الجهة التي كنا فيها

اين خفراء الساحل ؟ — ولست افشي سراً اذا حدثت القراء بضعفنا من كل الوجوه خلال الحرب العالميـة فان المسافة الممتدة على الساحـل بين حيفا و بيروت والبالغة ٢٥٠ كيلو متراً ليس فيها سوى ٥٠ جنديا من الجنود الموكلين بحمايـة الساحل اي ان كل جندي من هؤلاء مولج بحماية خمس كيلو مترات هـذا اذا اشتغلوا مع رؤسائهم ليلا ونهاراً ولكن المراقبة في الحقيقة كانت مفقودة والجنود لا يفكرون بحماية الساحل بل بحماية انفسهم مع عائلاتهم من الجوع واقل مبلغ زهيد كاف لتحويلهم الى مساعدين مؤازرين ولو كان الراشي راغباً في تهريب جيش من العدو

ورغم ادراكنا هذه الحقيقة لم نتوسل قط بالطرق الواجب اتخاذها لمقاومتها بل ظللنا ساكتين عنها لانه كان ينقصنا المال والجنود والاخلاص منهم ومن ابناء البلاد ولهذا سكت عن الرجل الى هذا الوقت لانني منذ المساء لم ار احداً من جنود الساحل لاستعين به على المراقبة وتوقيف من بالزورق ولو لا الظلام لما خفي امري ولعرف به الجميع وكانت عاقبتي وخيمة

وقد يعترض معترض و يقول بما انك شاهدت محمـد سعيد البيروتي ينقل الكتاب ورافقته بعربة واحدة ورأيت المكان الذي وصل اليه فلماذا لم توقفه ؟

والجواب على ذلك هو انني اردت معرفة سر المخاطبة ولهذا تربصت في مكاني الى ان اقترب من في الزورق و كنت مختبئاً وراء شجرة ضخمة اتمكن من رؤية الزورق وقد ركز على مقدمته مدفع رشاش يمسك به احـد الجنود ووراءه جندي آخر يمسك دفة الزورق البخاري والى جانبيه بحاران يجدفان كي لا يسمع صوت المحرك عند اقترابه من الساحل وآخر جالس في الوسط ولمـا وصلوا الى الساحل صاح الذي كان في الوسط وقال بالعربية

— من في الليل ؟

فأجابه الرجل — النهار

وكانت هاتان الكلمتان للتعارف بين الرجلين فما لبث راكب الزورق ان قذف بنفسه الى الساحل وبعد ان تحادث بصوت منخفض لم اسمعه مع رفيقه عاد الى الزورق الذي قفل مسرعا من حيث اتى وظل الرسول واقفا مكانه الى ان ابتعد الزورق عن الساحل فتابع سيره عائداً الى صيدا وما كاد يسير بضع خطوات حتى اوقفته مهدداً اياه بمسدسي ان لا يحير كلمة وان لا يرفع صوته ثم وضعت الاصفاد الحديدية بيده وسرت به الى صيدا دون ان احدثه بكلمة

اسرار الاستمبولية الحسناء

كنا في صيدا عند الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وما كدت اصل الى ادارة الدرك و يعرف بمقدمي قائدها ومتصرفها حتى اضطربا وهرعا الي فاعلمتها انني قادم بمهمة سرية وامرتهما ان لا يبوحا بسري ثم استدعيت الرجل وقلت

— والان اخبرني عن حقيقة دورك في هذه الرواية

— انني يا سيدي رب عائلة مؤلفة من اربع اولاد

— ولكنك جاسوس على امتك ودولتك ودينك

— مولاي

— اتعرف عاقبة الجاسوس ؟ انه يعدم فوراً ! لا تضرب فان انتقام الدولة لا يقف عند هذا الحد بل يشمل زوجتك واولادك

— مولاي

— انك ارسلت تحريراً ولكن اتعرف هذا التحرير المملوء باخبار التجسس يكون سبباً في هلاك مئات من اخوانك وابناء عمك ومواطنيك اذن استعد للموت

قلت العبارة الاخيرة وناديت قائد الدرك وامرته بصوت عال

— قل للجنود ان يكونوا على استعداد لتنفيذ الامر

ثم التفت اليه وقلت

— استعد للموت

ـ مولاي

ـ ماذا ؟ الا تعتقد انك مستحق القصاص جزاء خيانتك الكبرى ؟

ـ مولاي انا على استعداد للتكفير عن خطاياي ولست الا آلة بيد الغير

ـ آه ! اذا لست انت الجاسوس المباشر

قلت ذلك متظاهراً بعدم معرفتي الحقيقة لاري ما يكون فقال

ـ كلا يا مولاي فما انا الا آلة بيد اليهودي الذي يدفع لي مقابل هذا العمل خمس عشر ليرة ذهبية .

ـ كم مرة ذهبت بمثل هذه المهمة

ـ ثلاث مرات

ـ ومن ارسلك ؟

ـ ابراهيم ليفي

ـ ومن اي جهة ارسلت التحارير ؟

ـ من المكان الذي اوقفتني فيه

ـ ومن لقنك اشارة السر ؟ ـ هو ابراهام

ـ وما هي غايتهم ؟ ـ لا اعلم

هنا ادركت ان الرجل لا يعرف اكثر من ذلك واتفقت معه على ان يكون عونا لي في معرفة اسرار هذه الجاسوسة مقابل العفو عنه

وكان اتفاقنا ان يوافيني يوميا بالمعلومات التي يأخذها من مندوب الجاسوسة ولهذا اتاني مساء ١٥ اب بالتحرير وهو مكتوب بالشيفرة التي معي نسختها واذا به يصف الموقف في لبنان واراء بعض اللبنانيين فيه ومحاولة المرأة الاتصال بالبطريرك لافهامه ان الحلفاء يستعدون قريبا لمهاجمة الجبل حسب الانباء الواصلة اليها

وعند هذا الدليل لم يبق من مجال للشك في جاسوسية هذه المرأة ورفيقها ابراهام ولم يبق الا معرفة الدور الذي يلعبه المسيو تافيل بك مدير البنك العثماني في

بيروت بهذه القضية ولذا قصدت الى احمد جمال باشا واطلعته حرفيا على ادوار هذه الجاسوسة فهنأني على اكتشافاتي في هذه المدة القصيرة ثم امرني باستدعاء السيدة سراً اليه

المقابلة الخطرة

كان احمد جمال باشا قد تعرف الى الجاسوسة الحسناء الا ان هذه المعرفة لغاية ذلك الوقت لم تتعد قط حد تحيتها وقد لاحظ احمد جمال باشا حبها التقرب منه الا انه لم ير في هذه المحاولة كبير امر خصوصا وان معظم السيدات كن يحاولن التقرب منه نظراً لمركزه العظيم في البلاد ولهذا لم يأبه لها وقد رأيت المجال فسيحا امامي لدعوتها فخرجت الى الشرفة اتنزه فرأيتها هناك سابحة في بحر من الاحلام فحييتها فردت التحية وهي تعرف مركزي من الباشا وتجاذبنا الحديث الذي كان طبعا حول الباشا فبينت لها بطريقة التلميح انها راقت في نظر الباشا حتى انه اظهر لي مراراً استحسانه

وقادنا هذا الحديث الى القول لها بان الباشا اليوم وحده وفي مقدوري ان اجمعها به فسرت من هذا الامر وقالت انها تتشرف بان تجتمع به

فاستأذنتها بضع دقائق لامهد لها السبيل ثم دخلت على الباشا واعلنته النتيجة وتم الاتفاق على ان يدعوها في ذلك المساء الى مائدته وهكذا كان فجلسنا نحن الثلاثة على مائدة واحدة نتبادل المجاملات وبعد الانتهاء من الطعام دخلنا مقصورة في صدر القاعة ثم اغلقنا وراءنا الباب وهو تدبير كان في الامكان الاستغناء عنه لانه لا يجسر احد ان يدنو من هذه الغرفة ومع هذا فقد اتخذناه كي لا يظهر من الملامح للضباط المالئين القاعة المجاورة ما ينم عن احاديثنا السرية

من هي الجاسوسة — وفي المقصورة تناولت السيدة القهوة ودخنت اللفائف التركية وتمايلت دلالا معتقدة انها اقتنصت الباشا الا انه كان اهدأ ما رأيته في حياتي دون ان يقول كلمة الى ان وجدته يقف ويذرع الحجرة الصغيرة بخطوات

موزونة جيئة وذهاباً ثم رأيته يقف امامهـا و يسدد نظراته الحادة نحوهـا ويباغتها قائلا :

— والان هل وصلت الى هدفك ؟

— هذا شرفا ما كنت لاحلم به ياصاحب الفخامة

— اذاً ترين اجتماعك بي شرفا وليس فوزاً

— انه على كل حال فوز ، و كثيرات يتمنين هذه الحظوة يافخامة الباشا

— ليس هذا ما اريد بل انك وصلت الى ما تريدين من تسقط اخباري

— سيدي

— لست سيد ساقطة مثلك فانت جاسوسة علي لاعدائي فاعلميني الحقيقة

وهنا حاولت ان تدافع عن نفسها الا ان الباشا ما لبث ان التفت الي وقال

— . . . ضع هنا الاوراق الموجودة

— فاخرجت امامه تحريرها الاخير وتقارير رجالي ومفتاح شيفرتها و كنت كلما وضعت قطعة ارى السيدة ترتجف من شدة الانفعال والخوف حتى كادت تفقد صوابها ولما رأت ان امرها انكشف اعولت ولكن الباشا امرها بحدة ان تلزم السكوت وان تخبره بحقيقة امرها فقامت تتوسل اليه راكعة عند قدميه طالبة الصفح والمغفرة وهو لا يأبه لها حتى انه لم يتنازل ان يترك لها قدمه ولما شاهدت موقفه هذا طلبت الغفران فسألها ان تقول الحقيقه فقالت:

اعترافات الجاسوسة

انني تركية ياسيدي ابا عن جد ، قصدت مصر قبيل نشوب الحرب العالمية وفيها اعتقلت بتهمة اشتغالي بالجاسوسية لحساب تركيا وقادني سوء الحظ للوقوع في شرك الاستخبارات البريطانية المعروفة بالانتلجانس سرفيس واعلنوني ان فـي امكانهم العفو عني شرط خدمتهم باخلاص والتجسس لهم على بلادي فوعدتهم خيراً بعد ان غمروني بالاموال و كنت راغبة في العدول عن هذا العمل حـين وصولي الى تركيا الا انني بعد مغادرتي الاسكندرية اجتمعت ببور سعيـد

بالملازم الافرنسي شوفيل وهو موظف في قسم الجاسوسية الافرنسي فاعلمني انه على معرفة باتصالي بدائرة الاستخبارات البريطانية وانه لا يريد ان يتعرض لشؤوني في هذه الدائرة وانا حرة في متابعة الامر معه او عدمه وانما الذي يهمه امر واحد . .

وهنا سكتت الجاسوسة والتفتت الي كانها لا تريد ان تحدثني بما قاله الملازم شوفيل عن مهمتها وقد ادرك جمال باشا نيتها هذه فالتفت اليها وقال :

— انه مساعدي ولا اكتم عنه امراً وفي امكانك ان تقولي ما تريدين امامه

فاجابت — قال لي المسيو شوفيل اننا نعرف انك محبة لفرنسا حتى تزوجت افرنسيا ولهذا نطلب منك ان تخدمي فرنسا بالاتصال باحمد جمال باشا واستمالته اليك ليقع بغرامك

احمد جمال — ماذا

— نعم طلبوا مني ان اتصل بك ليس لخدعتك واخذ اسرار الجيش منك بل ليكون لدي المجال لان ادخل بمفاوضة معك اي ان اكون وسيطة بينك وبين فرنسا

— ايه . وماذا يقصدون من وراء ذلك ؟

— لا اعرف ! انهم طلبوا مني ان اكون وسيطة حتى اذا نجحت وعرفت نياتك من جهة فرنسا عمدت الى اخبار المسيو نافيل المدير العام للبنك العثماني

— وماذا عرفت عن نياتي

— انهم قالوا لي انك رجل محب لفرنسا تبغض الالمان وان في مقدورك النجاح في مسعاي

— والان ؟

— ها انا بين يديك وفي امكان دولتك ان تفعل بي ما تريد

— انك ستقابلين المسيو نافيل وتعلنينه نجاحك في مسعاك لمعرفة ما يكون من امره واياك ان تخونني والا فنصيبك الاعدام حتما

كيف بدأت المفاوضات — لم يهمل المسيو دالكاسه وزير الخارجية حديث محمود بك بشأن مفاوضاته مع السلطان انما اهمل الطريقه التي انت منها هذه المفاوضات لانه لم يكن يعتقد بنفوذ السلطان على رجال حكومته كما انه ما كان يعتقد قط ان وزير الحربية انور باشا ووزير الداخلية طلعت باشا والصدر الاعظم يمكنهم عمل شيء ضد المانيا خصوصا وان هؤلاء باتوا المانيين اكثر من الالمان ولهذا فكر في طريقة ثانية هي ثورة في سوريا يقتطع بها هذه البلاد عن السلطنة العثمانية دون اراقة دماء .

ولسنا هنا في صدد الابحاث والمساعي التي دارت بين وزارة الخارجية الفرنسية ورجالها في الخارج وبعض السوريين واللبنانيين في مصر وغير مصر لاحداث هذه الثورة الا ان المعروف هو ان فرنسا بذلت في هذا السبيل جهوداً عظيمة وانما يهمنا في هذا الفصل ان نذكر مسعيين

الاول — المخابرات التي دارت بين مصر وباريس

الثاني — المخابرات التي دارت بين باريس وصوفيا

فالحكومة الافرنسية لم تكن بالغبية عن المفاوضات التي دارت في مصر لاحداث ثورة عربية تلك المخابرات التي دخلت بصورة رسمية في اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٩١٥ الا انها كانت تعلم تمام العلم ان هذه المفاوضات اذا بدأت كانت نتيجتها فوز بريطانيا لا فرنسا لانها تعمل لحسابها ولهذا ارادت ان تقوم هي بدورها بمناورة ثانية

وكان الافرنسيون يعتقدون ان في البلاد السورية شعبا يهب ثوراً في وجه الدولة العثمانية ولهذا قاموا يمهدون له السبيل لهذه الثورة ليكون لديهم ما يبرر تدخلهم في شؤون هذه البلاد خصوصا وان ظروفهم في ذلك الوقت ما كانت تساعدهم على نقل جندي واحد من بلادهم الى سوريا ولكن هذه المساعي لم تسفر عن نتيجة ما كما ان اعدام القافلة الاولى من السوريين لم تؤثر على ابناء البلاد وتدفعهم للثورة ولهذا فكروا بالاستفادة من الموقف من غير الوجهة البريطانية

ومن غير وجهة ابناء البلاد وذلك عن طريق مفاوضة احمد جمال باشا نفسه وقد قام بهذا العمل اثنان الاول مصري والثاني بلغاري وقد كانا على اتفاق تام ولهذا اوفد المركز المصري تلك الفتاة التي عرف امرها كما ان المصدر البلغاري ابرق بواسطة المسيو ستيغ في صوفيا الى المسيو تافيل — عن طريق السفارة الاميركية في صوفيا والقنصلية الاميركية في بيروت — لمعرفة الامر

والمسيو تافيل نفسه لم يجسر قط ان يتدخل في هذا الامر مباشرة لانه افرنسي الاصل ولانه كان في ذلك التاريخ مهدداً بالنفي وقد اخر امر سفره لمرض انتحله ولهذا قصدته التركية الحسناء الى منزله ويظهر انها قامت بمهمتها خير قيام فعادت الينا في اليوم الثاني تقول — ان المسيو تافيل يقول انه ليس لديه معلومات ما عن غاية الحكومة الافرنسية وانما الذي يعرفه ان المسيو ستيغ طلب منه ان يعرف حقيقة نيات الباشا من جهة فرنسا فاذا كانت موافقة لمعتقداتها فهي على استعداد لتوفد اليه مندوبا خاصا يجتمع به في مكان يعينه له سواء كان ذلك في تركيا او في احدى المراكب الافرنسية على ان يتعهد الباشا باعادة المندوب سالما كما ان فرنسا تتعهد باعادته سالما وتبقى امره مكتوما اذا اراد ذلك

سفر المسيو تافيل — وفي اليوم الثاني لهذا الحادث بلغني ان الامر صدر الى المسيو تافيل بمغادرة بيروت فوراً الى بلاده على احدى البواخر الاميركية التي كانت تستعد للسفر بعد يومين وقد استغربت هذا الامر ان يصدر عن احمد جمال باشا خصوصا بعد ان رأيته يصدر امراً اخر بتوقيف الشاب ابراهام ابني والبحار البيروتي وابقاء الانسة اليهودية حرة طليقة فقصدته اسأله عن هذه الامور فاجاب

— ان ابراهام ورفيقه سيحاكمان غداً في جلسة سرية ابعدما رميا بالرصاص اما المسيو تافيل فسينفى وهذه الفتاة ستظل رهينة الى ان ارى ما يكون من امرها

— ولكني يا دولة الباشا وعدت البحار محمد سعيد بعفوكم

— وماذا يهم

— امركم

— هذه هي ارادتي

واكن هذه الارادة كما علمت لم تنفذ بتمامها لان ابراهام ليفي ومحمد سعيد البيروتي لم يحاكما امام الديوان الحربي العرفي بل اعدما صباح ٧١ اب رميا بالرصاص في دمشق دون اقل محاكمة فشفق احمد جمال على عائلة محمد سعيد فاقطعها تخصيصات ظلت تتقاضاها طيلة الحرب من ادارة المنزل وهي لا تعرف ما صار اليه ربها سوى انه جندي في ساحة القتال واما ابراهام ليفي فقد مات غير مأسوف عليه من احد وليس له احد من الاقرباء

لقد استغربت جداً محافظة احمد جمال باشا على الاسرائيلية الحسناء لان المعلومات التي جمعتها عنها لم تكن الا لتزيدني ثقة في خطورة موقفها فهي وان كانت استمبولية الاصل الا انها كمثيلاتها من بنات اسرائيل لا ترى وطنا لها الا المنفعة المادية

ولئن كانت جاسوسة انكليزية ووسيطة افرنسية فهي قبل كل شيء يهودية ولمثيلاتها مطامع لا تتأخرن عن تحقيقها بشتى الوسائل ولهذا كانت هذه السيده في نظري محاطة بالالغاز وقد زادها ابهاما في نظرى اقدامها على استمالة احمد جمال باشا الذي بعد ان تأكد انها جاسوسة لم يعمد الى التضييق عليها بل بعكس ذلك عمد الى التخلص من رفيقيها وابعاد من اتصلت به والاحتفاظ بها وحدها

فهل احبها احمد جمال باشا ؟

وهل في الامكان ان يقدم على حب مثل هذه الفتاة وحوله مئات من النساء اللواتي يفقنها رونقاً وجمالاً واللواتي لا يتأخرن لمجرد كلمة يتلفظ بها من القاء انفسهن تحت قدميه

ان احمد جمال باشا رجل عصري راغب في حرية المرأة واعلاء شأنها الا انه لم يكن في وقت من الاوقات ليرمي بنفسه في احضان اية امرأة تمر امامه ٠

اذن ما هذا السر ؟

فؤاد بك سليم — وفي الوقت الذي كنت اتساءل فيه عن السر في هذه الامور وقد كتمها عني الباشا اذا بي ارى امامي فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في الجيش الرابع الذي تلقى التقرير الاول عن هذه الجاسوسة ولما اعلنته بما كان من امر اكتشافي اياها التفت الي وعلى شفتيه ابتسامة غامضة وقال :

— عرفت كل هذا

— ممن ؟

— من الباشا ٠ فانت كشفت في ابحاثك احدى وجهاتها وانا عامل الان على الوصول الى الوجوه الاخرى

وقد زادتني هذه المحاورة الغامضة مع فؤاد بك سليم شوقا لمعرفة الادوار التي تمثلها هذه المراة

ولم اجسر على مفاتحة الباشا بالامر مباشرة الا انه ظهر لي انه ادرك افكاري عندما قابلته بعد الظهر فقال :

— ايه يا ٠ ٠ ٠ بك انك في شوق لمعرفة ما يحيط بك من اسرار وانت على حق في ذلك لان الفضول الذي يتطلبه مركزك يوجب ذلك وانا كما تعلم صريح معك ولي بك الثقة المطلقة

تسألني لماذا ابعدت المسيو تافيل بك فاقول لانه فرنسي يجب عليه ان يغادر البلاد فوراً عملا بارادة الحكومة المركزية ثم لماذا اعدمت ابراهام ومحمد سعيد فلانهما جاسوسين ولدي من الوثائق ما يبرر ذلك اما السيدة داودفيتش فقد ابقيتها لانه ليس هناك ما يثبت ادانتها

— ولكن يا دولة الباشا ؟

— اعرف اعتراضك ان الجواب الذي اجيبك عليه هو الذي ستضع به تقريرك لرفعه الي القيادة العامة ووزارة الحربية اما الحقيقة فهي منحصرة بيني وبينك وقد اشركت بها فؤاد بك سليم والدكتور فؤاد بك المصري والسيدة داودفيتش والمسيو تافيل فقط فالمسيو تافيل بعد ذهابه الى مصر ارسل الي تحريراً

يقول فيه ان الملازم شوفيل على استعداد لمقابلتي وقد عينت له موعدا في هـذا المساء بحيث سينزل الى البر جهة رمل بيروت فعليك ان تستقبله وتأتي به الي لنرى ما يكون من شروطه

اما السيدة داودفيتس فان لها مهمة ثانية منفصلة عن كل ما عرفته وستسافر في صباح الغد الى القدس مع فوءاد بك سليم وسنرى فيما بعد ما يكون من امرها ، اما الان فعليك ان تبعد دورية الساحل عن المنطقة الساحلية كي لا يرى احد من الاهلين والجند الرسول القادم ثم تستقبله عند الساعة العاشرة ليلا وتأتي به الي وكلمة التعارف هي ان يقول لك (ش) فتجيبه (ج) وعنـدها يتقدم منك فتبلغه اوامره .

شوفيل في بيروت

لم تكن هذه المهمة صعبة لانني في الاسبوع الذي سبقها كنت في مهمة مطاردة جاسوس كان يحاول الاتصال بالعدو وانا الآن اقوم مباشرة بمهمة الاتصال بالعدو فهل يكون عملي هذا خيانة لدولتي وامتي ؟

ـ نعم انني تلقيت الاوامر من القائد المسوءول ولكن الا يعد عمل القائد نفسه خيانة وكيف يجوز له ان يتصل باحد ضباط العدو ؟ وهل يليق به وهو القائد والوزير ان تكون مخابراته مع ملازم عادي ؟

وماذا يريد هذا الملازم ولماذا خاطر بنفسه ليأتي الى بيروت ويفاوض احمد جمال باشا ذلك الرجل الذي وان كان محباً لفرنسا الا انه في اوامره كان ناقما على الافرنسيين ومحاربا لغتهم المكتوبة على ابواب المحلات التجارية وفي شبابيك دوائر البريد وفي مدارس الارساليات الاجنبية

ان كل هذه الافكار كانت تتنازعني وانا سائر على جوادي في ظلام الليل بين رمال بيروت وفي وسط طريق كنت ارى فيها بعض الرجال يتنافرون من هنا وهناك وهم من الجنود الفارين من الخدمة اقلق مضاجعهم مرور ضباط من تلك الجهة الثانية عن المدينة ظنا منهم انه جاء لمطاردتهم وتسليمهم الى يد الجلاد

انني ما كنت لاحفل بهوءلاء الذين يفضلون حياة المخابي والتشرد على خدمة الجندية الشريفة وكنت وانا اراهم على هذه الحالة اسائل نفسي هل في امكان بلاد هذه هي حالة رجالها ان تستقل ؟

يقول العرب — لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ولكن هـل ضحى ابناء هذه البلاد بدمائهم في سبيل بلادهم ؟

ـ كلا

لانهم لم يفكروا الا بانقاذ انفسهم من الجنديـة مفضلين الموت جوعا على خدمة البلاد في ساحة الوغى (كذا) زاد هـذا المنظر تاثري والجواد يسير بي الى جهة رمل الزيدانية الكائن جنوبي بيروت حتى وصلت الى المكان المعين في الساعة العاشرة تماما فتطلعت الى البحر ووجدت الفضاء الوسيع خاليا لا حس فيه فظللت راكبا جوادي وانا مكاني مدة لم اعرف قدرها الى ان رأيت خيالا يقترب من الساحل لم البث ان تبينته فاذا به زورق بخاري كان يسير بهدوء حتى اذا وصل الى الشاطيء خرج منه احد الجنود وهو يلتفت هنا وهناك ولما وجـد المكان خاليا اشار الى رجل متطربش نزل من الزورق فتقدمت منه وبيـدي مسدسي وطلبت اليه ان يرفـع يديه فبادرني بلغة عربيـة سقيمة بحرف (ش) فرددت عليه بحرف (ج) وادركت انه الرجـل المقصود فانزلت مسدسي ثم وضعته في جيبي فاذا به يمد الي يداً مصافحة ويقول :

انا على استعداد يا سيدي للذهاب حيث تشاء ثم خاطب البحار بالافرنسية ان يتراجع الى الوراء وتقدم امامي وعندها رأيت ان من العيب ان اسير راكبا على جوادي وهو سائر على الاقدام فترجلت وسرت معه جنبا الى جنب الى الحرش وهناك اركبته احد الجياد وسرنا معا الى مقابلة احمد جمال باشا فوصلنا في الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ تماما فوجدنا الباشا في انتظارنا

في حضور جمال

لقد كانت المعلومات الموجودة لدينا في ذلك الوقت تفيد ان بعض

رجالات العرب على اتصال مع الانكليز في مصر وقد جاءنا من مندوبنا في مصر تقرير يقول فيه :

« ان السير هنري ماكماهون في احاديثه مع بعض رجالات العرب يقول ان الوقت لم يحن بعد للبحث في القضية العربية ولكننا علمنا ان السر ماكماهون على اتصال ببعض رجالات العرب في جهات عسير والحديدة وهم راغبون في ادارة الامور في جو هادىء بعيد عن تاثيرات الحلفاء اي انهم يريدون ان يكونوا منفردين في الامر عن زملائهم الافرنسيين

فالافرنسيون يعتقدون انه من الضروري مهاجمة الشواطىء السورية واحتلالها لان هذا الامر لا يكلفهم كثيراً من المال والرجال وفي اعتقادهم ان الاهلين يهبون لمساعدتهم وبذلك يضمنون الفوز

وقد عرضت وزارة الخارجية الافرنسية ، كما يقول السوريون هنا ، الامر على الانكليز وفكرة احتلال الشواطىء السورية فلم يوافقوها على ذلك واجل البت في الامر الى وقت اخر

والمفهوم ان الانكليز يعلقون على حملة الدردنيل اهمية خاصة حتى اذا نجحت كان لهم ما ارادوا من القضاء على السلطنة العثمانية والا عمدوا الى تدابير جديدة

هذه خلاصة ما جاء في التقرير الذي رفعه فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في الجيش الرابع في اخر تموز وكان لدي الباشا يطالعه من بين سائر التقارير الواردة من مصر عندما دخلت عليه مع الضابط الافرنسي الذي ظل عنده الى الساعه الرابعة بعد منتصف الليل ورجعت به الى الشاطىء

وجرت خلال شهر اب ثلاث مقابلات

ماذا دار من مفاوضات

لم احضر هذه المقابلات ولكن الذي علمته عنها هو ان الملازم شوفيل في الجلسة الاولى اقترح تسوية مسائل عادية فقد قدم باسم حكومته اقتراحا خلاصته

اولا — ان يعفو احمد جمال باشا عن سائر الموقوفين من ابناء سوريا ولبنان

ثانيا — ان لا يقدم فيما بعد على ابعاد احد من رجالات لبنان

ثالثا — ان يعلن محافظته على امتيازات لبنان

ومقابل ذلك تتعهد الحكومة الافرنسية بعدم مهاجمة السواحل وتسهيل وسائل النقليات امام السفن الشراعية المحلية

فاجابه احمد جمال باشا — ان الدولة العثمانية لم تقدم على ما اقدمت عليه الا بعد ان تأكدت لها خيانة الاشخاص الموقوفين ولهذا ليس في امكانها قط ان تقبل بما عرض عليها ولو كانت بحاجة الى تامين حرية النقل على السواحل

الغاية الحقيقية من الزيارة — هذا ما قاله لي احمد جمال باشا عن هذه المقابلة الاولى وبعد ايام تلقيت امراً من الباشا باستحضار الملازم ايضا وقد جاء للمرة الثانية ويظهر انه كان على اعتقاد باني مطلع على حقيقة الامر او انه كمواطنيه يحب الاكثار من الكلام فحياني فرددت عليه التحية ولازيد في ثقته بمعرفتي في كل شيء قلت:

— كيف حال المسيو نافيل

— على خير ما يرام

— وهل تمت الامور كما تريدون؟

— كلا لان شروط الباشا كانت قاسية

— لا اعتقد

— كيف لا تعتقد وهو يطلب شروطا صعبة

— كلا بل عادلة

— نعم انها عادلة بنظركم ، ان الباشا يتطلب ان تعترف فرنسا باستقلال البلاد العربية وان تكون خديوية مستقلة استقلالا تاما دون ان يكون لها اقل اتصال بفرنسا فهل هذا ما ترونه عدلا

ان جواب الملازم شوفيل اوضح لي كل الامور الغامضة وكان في امكانه ان يكون اكثر تكتما الا انه لم يفعل ذلك وقد يكون عن اعتقاده بصداقتي للباشا واعتماده علي ومع هذا اردت ان استزيده بعض المعلومات فقلت:

— وانتم ماذا تريدون

— ان رغبتنا هي انهاء الحرب بصورة متفقة مع اماني البلاد فالحرب لا بد ان تكون نتيجتها بجانبنا

فقاطعته وقلت

— ومن يؤكد انها ستكون بجانبكم

— لاننا نحارب دفاعا عن كياننا وفي سبيل الانسانية

— وهل هي الانسانية التي توجب عليكم تجزئة السلطنة العثمانية

— ماذا ؟

— انا لا اريد ان اتدخل في مهمتك وصداقتي للباشا معروفة انما اقول ان السياسة لا تعني الا انكم تفتشون عن طريقة للقضاء على خصومكم ليس الا فخروج تركيا من الحرب من جانب المانيا يزيد نفوذكم ويقوي سلطانكم وهذا ما تسعون اليه

— وهو يحفظ سيادة الدلة العثمانية

وقد رأيت ان المناقشة فى هذا الامر لا تفيد قط فعدت الى النقطة الاساسية فقلت — وماهي الشروط التي ترونها لحل الامر

انا لم نعارض قط في الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية واستقلالها التام بحدودها الحالية شرط ان تعطي البلاد العربية بعض الامتيازات على ان تتقدم تركيا بواسطة الرجال المسؤولين من طلب الصلح

وعند ذلك ادركت الحقيقة فان وزير خارجية فرنسا بعد مفاوضة السلطان محمد رشاد اياه في امر عقد صلح منفرد بينه وبين فرنسا رأى ان تكون هذه المفاوضة عن يد اخرى فاختار رجاله احمد جمال باشا المعروف بصداقته لفرنسا

ودارت محابرات طويلة بدأت بها السيدة دواود فيتش وتممها المسيو نافيل بك المدير العام للمصرف العثماني في بيروت وانهاها الملازم شوفيل

وقد ظهر لي من حديث الاخير ان احمد جمال باشا قابل في هذه الوساطة الا انه يشترط لحلها ان يكون هو الحاكم الدائم للبلاد العربية وهذه هي شروطه

اولا — سلخ البلاد العربية الكائنة ضمن حدود منطقة الجيش الرابع عن السلطنة العثمانية على ان تكون في انظمتها مماثلة للخديوية المصرية

ثانيا — ان يقبل الحلفاء بتولية احمد جمال باشا طالما هو في قيد الحياة

ثالثا — الاعتراف بالغاء الامتيازات الاجنبية في السلطنة العثمانية

رابعا — الاستعانة برؤوس الاموال الافرنسية في المشاريع التي تستلزمها الاعمال في البلاد

وقد قبل الافرنسيون ان يولوا احمد جمال باشا الخديوية السورية العربية لانهم لم يوافقوا على الشروط الاخرى وكانهم كانوا يقولون لاحمد جمال باشا ان لا يهتم في باقي شؤون الدولة ما داموا يعدونه بتحقيق رغباته في السيطرة المطلقة وجل ما يطلبونه منه ان يكون معهم يداً واحدة

وهكذا تطورت المفاوضات السرية في المرة الثانية لان الملازم الافرنسي اقترح كما ظهر لي ان يعقد اتفاقا سريا مع احمد جمال باشا ليغض النظر عن الموقف حتى اذا اقدمت قوات الحلفاء على احتلال الساحل انسحبت قواته من الامام وبذلك يكون قد سهل للقوات الافرنسية طريق احتلال البلاد السورية — اللبنانية وتنصيب نفسه عليها ، ولا فرق في الامر بين ان يكون احمد جمال باشا من ابناء البلاد او غريبا عنها وفي عائلة محمد علي باشا حاكمة مصر خير دليل على ذلك

موقف احمد جمال — ان الذي اعتقده شخصيا في احمد جمال باشا بعد اختبار طويل انه رجل مخلص لامته وبلاده وهو في الوقت نفسه شديد الغرور كثير المطامع وقد كان يعتقد ان في امكانه فتح مصر وتمثيل الدور الذي لعبه تيمورلنك وهلاكو وغيرهما من قدماء القواد فيخلد التاريخ اسمه ويفتتح مصر ، وهذا ما

دفعه الى مفاوضة الافرنسيين وقد كان عمله هذا شاذا يجب ان لا يقدم عليه قائد من القواد وكان في امكانه ان يقبل باقتراح الافرنسيين وان يدع جيشه ينسحب من امام جيوشهم عندما يحتلون السواحل الا انه خاف النتيجة فهو يعرف حقيقة اخلاق ابناء البلاد الذين لا يرضخون الا للقوة فاذا فاز الافرنسيون واحتلوا الساحل وتقدموا الى الامام قام سكان الجزيرة العربية بثورة واسعة النطاق فيخرج امرهم من يد الافرنسيين الذين قد لا يلبون طلبه فيصبح بين الوطنيين الذين لا يحبونه وبين الافرنسيين الذين قد ينبذونه عندما ينالون غاياتهم ولهذا لم يتمم المفاوضات فقطعها .

شروط احمد جمال — وقد كانت الخطة التي وضعها احمد جمال باشا لتحقيق رغباته في البلاد ان يقبض هو بيد من حديد على مقدرات الامور فيها وان يملاء هذه المنطقة بالضباط والحكام الادار يين من انصاره ثم يعمد الى استمالة فئة القبضايات والذوات من ابناء البلاد حتى اذا كانت لديه قوة منهم حملهم على المناداة به اميراً على البلاد السورية العربية منفصلة عن السلطنه العثمانية وهذا ما لمح به احمد جمال باشا للمندوب الافرنسي قائلا له :

« في حال اقدام الافرنسيين على مساعدته والترويج له في هذا الامر وحين المناداة به اميراً على البلاد السورية العربية يضع يده بيدهم نهائيا » ان الافرنسيين لم يقبلوا بهذا الاقتراح وانقطعت المفاوضة عند هذا الحد

القسم الثاني من المهمة — هذا هو القسم الاول من المفاوضات التي كانت سببها السيدة ناتاليا داود وفيتش اما الدور الثاني الذي لعبته هذه السيدة فقد كان طويلا شاقا بدأ في بيروت والقدس وانتهى في فيينا وبرلين

فان هذه السيدة بعد ان غابت مع فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في القدس مدة اسبوع واحد عادت الى بيروت وكانت في هذه المرة تركب سيارة الجيش الخاصة وكانت في هذه المرة مفاوضة صهيونية نريد قبل تفصيلها ان نعرف القراء عن الصهيونية :

الصهيونية — ان احسان ادموند دي روتشلد اثمر في بادىء الامر ولكنه ما لبث ان انقلب الى عكسه لان من سلمهم الامر اساؤا استعمال الامنية فانذرهم بعد ان عاملوه هذه المعاملة السيئة بانه لم يعد في امكانه مساعدتهم الا في تقديم المال والمصارفات للمؤسسات العمومية كما انه اعطى الاوامر الى رجاله ببيع اراضي ريشون لزيون الى ساكنيها اليهود مقابل سبع فرنكات كل دونم ثم زاد على ذلك ان اقرض هؤلاء اموالا مختلفة لمدة ٢٠ سنة بدون فائدة

اما زمارين فقد كانت عبارة عن صخور جرداء اشتراها المهاجرون الرومانيون من اليهود بسعر ٢٠ فرنكا كل دونم وما لبثوا ان حسنوها وحولوها الى منطقة حسنة صالحة حتى ان من يمر بها اليوم يراها تحولت الى مدينة عامرة زاهرة ولم مساعدات البارون عند هذا الحد بل امر بتأسيس معمل للزجاج في طنطورة وقد اشتغل هذا المعمل مدة قصيره واضطر اخيراً ان يعطل اعماله بسبب رداءة المواد الاولية وقد كلف هذا المشروع الذي اراد البارون فيه خدمة بني قومه نصف مليون فرنك

وفي الوقت نفسه انشأ مصنعاً للعطور في الجاعونه كلفه اربعمائة فرنك

وفي سنة ١٨٩٠ على اثر اشتداد المظالم الروسية باليهود قامت فئة منهم والفت جمعية باسم « جو يشين كولونيزاسيون اسوسياسيون » وقوامها يهود من مختلف التابعيات بينهم تارسيس لئون وفرنسيس فيليبوس وادمون لاهمان وسالامون رايناك وهنري فرنك ولم تكن غاية هذه الجمعية اسكان اليهود في فلسطين فحسب بل انقاذهم من مظالم الروس واسكانهم في اية مقاطعة كانت انقاذهم من مظالم الروس وقد اشتغلت هذه الجمعية كثيراً حتى لقيت رسوخا في البلاد بواسطة ما لاعضائها من نفوذ وقوة

والصهيونية المتخذ اسمها من جبل صهيون كانت سرية المساعي الى سنة ١٨٨٢ حيث بدأت المذبحة الروسية لليهود واخذت في ذلك الوقت تتجلى غاياتها وقام هرتزل ونشر في سنة ١٨٩٦ كتابه « الحكومة اليهودية » الذي جمع فيه كلمة سائر

الاحزاب اليهودية و بات هذا الكتاب معتبراً في الاوساط الاسرائيلية مقدساً كالتوراة وقل ان تدخل دار موسوي ولا ترى في صدرها رسم هذا العالم اليهودي حتى انك لتجد رسمه على اوراق البريد التي اصدرها اليهود قبل الحرب

والدكتور هرزل اديب اشتهر في توغله بالاداب الالمانية الا انه بعد عام ١٨٩٦ انصرف الى حصر علومه ومقدرته وذكائه في سبيل خدمة القضية الاسرائيلية ولم يكن هذا التبديل في عقلية الرجل ناشئا عن مجرد العاطفة فقط بل لان الاعتداآت التي على اليهود والمظالم التي رآها هؤلاء هي التي دفعته الى هذا العمل وقد سارت الدعايات على اثر ذلك شوطا بعيداً حتى تمكن من عقد مؤتمر بال في سنة ١٨٩٧

مؤتمر بال — عقد مؤتمر بال اليهودي من ٣١ آب الى اليوم الاول من شهر ايلول بمساعي الدكتور هرتزل وماكس توردواو وحضره مايتا شخص يمثلون اليهود في سائر انحاء العالم وقد تكلم الجميع في هذا المؤتمر وبحثوا في حالة اليهود في العالم والمظالم المعرضين لها وتناقشوا في المقر الذي يجب ان يهاجر اليه اليهود ولم تكن فكرة استعمار فلسطين وجعلها وطناً قومياً قد برزت للوجود في ذلك الوقت، الا ان الداعين للمؤتمر وافقوا على هذه الفكرة واتخذوا المقررات التالية

اولا — الدوام على استعمار فلسطين لتحويلها الى وطن قومي بواسطة المهاجرين المزارعين وارباب الصناعات والمنتسبين اليها

ثانيا — ايجاد وحدة وطنية بين اليهود المنتشرين في اربعة اقطار المعمورة على شرط ان لاتتعدى في اعمالها القوانين المحلية المرعية الاجراء

ثالثاً — تأليف بعثات وتوزيع نشرات لافهام اليهود المنتشرين في اربع انحاء المعمورة سمو الفكرة الدينية وارشاد الذين يستهجنون التصريح بحقيقة دينهم الى وجوب المجاهرة به والافتخار بكونه دينا ساميا مقدسا ومحترما وان العالم لا يمكنه ان يحترمهم الا ان يحترموا انفسهم واحترموا دينهم سواء كان في الجهر او في السر

رابعا — اتخاذ كل الوسائل الضرورية الفعالة لافهام حكومات العالم حقيقة الصهيونية وحملها على الاعتراف بها وتأييدها لتحقيق الوطن القومي اليهودي

خامساً — تأليف لجنة تنفيذية دائمة يكون مقرها فيينا مؤلفة من ٢٣ عضواً تتولى الاشراف على حالة اليهود في العالم

سادسا — يتولى الدكتور هرزل رئاسة اللجنة التنفيذية المذكورة وادارة شؤونها بدقة تامة

سابعا — اي يهودي يعتبر عضواً في الجمعية الصهيونية التي يمثلها مجلس ادارة فيينا ومجبور ان يساعد هذه الجمعية باعانة سنوية قدرها فرنك واحد

ثامناً — ان كل صهيوني يدفع فرنكا واحداً يحق له انتخاب الممثل الذي سيشترك في المؤتمر الصهيوني السنوي وتجري الانتخابات على قاعدة انتخاب ممثل واحد عن كل مائة مشترك دفعوا الاشتراك المعين

تاسعا — يعين المؤتمر الجلسة التي ستعقد في السنة الثانية ومكان انعقادها ولرئيس اللجنة التنفيذية الحق في استبدال مكان الاجتماع اذا وجد ضرورة لذلك بعد المؤتمر — وهذه القرارات معناها ان الصهيونية بعد ان كانت مجرد فكرة خرجت من قيد النظريات الى العمليات وقد سار رجال هذا الحزب في تنفيذ برنامجهم شوطا بعيداً حتى تمكنوا لهذا الوقت (اي سنة ١٩١٥) من احراز فوز باهر فلما كنا منذ شهرين في فلسطين (اي في حزيران سنة ١٩١٥) دهشنا مع جمال باشا من موقف اليهود فالكل يتكلمون العبرية و يلقنون اولادهم مباديها ولا يتكلمون سواها والمدارس تواصل دعاياتها لتعميم ثقافة العبرية وتوحيد العاطفة اليهودية وكان اليهود في ذلك الوقت شديدي الاندفاع في عاطفتهم الوطنية يعملون رجالا ونساء واولاداً في سبيل تعزيز المبدأ الوطني القائل بضرورة تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود

ادرك القراء مما تقدم الدور الذي لعبه الصهيونيون في البلاد حتى انهم اقدموا على مخابرة السلطان عبد الحميد في ابان سطوته بطلب الوطن القومي

لاسرائيل في فلسطين ولما رأى اليهود ان الحرب العالمية التي بدأت في اوروبا توشك ان تعم البلاد العثمانية ايضا رأوا ان يغتنموا هذه الفرصة ليحققوا مطالبهم ما دامت الثمرة التي عملوا لاقتطافها قد تحققت بواسطة المساعي الاولى فاعلنت الحسناء الاسرائيلية احمد جمال باشا بصراحة تامة ان هناك كتلة قوية من الملايين اليهود تعمل في سبيل تحقيق الوطن القومي اليهودي وهذه الفئة تشتغل مع الحلفاء وهي في الوقت نفسه ترغب في مخابرة الدول المتفقه في هذا الامر وان وفداً سافر الى المانيا واخر يرغب في مفاوضة الدولة العثمانية ومن اعضاءه بخور افندي العضو السابق في مجلس الشورى العثماني في عهد السلطان عبد الحميد وافادته ان في الامكان الاتصال مع هذا الوفد عن طريق القدس بواسطة مندوب هذه الجمعية المذكورة

المفاوضات — وعلى الاثر استدعى احمد جمال باشا اليه رئيس شعبة الشؤون المصرية فؤاد بك سليم وامره بالذهاب مع ناتاليا داودوفيتش الى القدس للنظر في الشروط التي يعرضها هؤلاء في مقابل مساعدة الدولة وقد تم فعلا هذا الاجتماع مع شخص لم اعرف اسمه في ذلك الوقت واقترح على الباشا ما خلاصته

اولا — انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ثانيا — ان كلمة الوطن القومي اليهودي لا تشمل فلسطين الممتدة من قناة السويس حتى حدود نهر الشريعة بل منطقة تعينها الحكومة العثمانية في جهة من جهات هذه المنطقة ترخص فيها الحكومة بتشييد قرى يهودية حيث يطلق على هذه القرى اسم الوطن القومي الاسرائيلي

ثالثا — للحكومة العثمانية الحق في اسكان رعاياها المسلمين فقط في هذه القرى شرط ان لا يزيد عددهم على النصف من مجموع السكان اليهود الذين يجب ان يؤلفوا الاكثرية في القري اليهودية

رابعا — ان اليهود المهاجرين ، مهما كانت جنسيتهم وتابعيتهم يخضعون فورا الى القوانين والانظمة المحلية من سائر وجوهها

خامسا — لا تضع الحكومة العثمانية اقل حاجز في وجه الهجرة اليهودية الا انه لا يحق لهؤلاء سكنى بقية المناطق العثمانية غير المعينة في الاتفاق الذي سيعقد الا بناء على رضى وقرار من الحكومة العثمانية . كما ان الحكومة العثمانية لا تاخذ من سكان الوطن القومي اليهودي جنودا للخدمة العسكرية الاجبارية

سادسا — تكون هذه المستعمرات مستقلة من وجهة الادارة البلدية حيث ينتخب سكان الهيئات البلدية التي تكون خاضعة لمراقبة الحكومة المحلية الا ان هذه البلديات تكون مستقلة في نفسها من جهة موازنتها وطرق صرفها لاعمار المناطق الموجوده فيها

سابعا ومقابل ذلك تتعهد الجمعية الصهيونية بمساعدة الدولة العثمانية في قضية الديون العموميه المترتبة عليها وتقديم القرض اللازم للدولة العثمانية والعمل على معاضدتها في مشاريعها السياسية

هذه هي خلاصة المطالب التي قدمتها الجمعية الصهيونية بواسطة فؤاد بك سليم وقد سجلت رسميا في قيودات الجيش الرابع بتاريخ اليوم الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥ تحت رقم ١٨ خصوصي و ١٢١٥ عمومي في الشيفرة الا ان ذلك المندوب عاد واقترح بواسطة السيدة ناتاليا داودوفيتش ان يقدم الى احمد جمال سائر ما يرغبه في سبيل تحقيق مشروعه ولما كانت الاسرائيلية الحسناء عارفة بوجود مفاوضات بين الباشا والافرنسيين فقد اجابت الباشا ان الحزب الصهيوني مستعد .

اولا — ان يدخل بمفاوضات خصوصية وسرية مع احمد جمال باشا في سبيل تحقيق مطامعه في فتح مصر وفي حال فوزه في ذلك يعمل على اجلاسه على عرش الخديوية المصرية

ثانيا — ان يضع سائر القوات اليهودية الموجودة في فلسطين تحت تصرف احمد جمال باشا في السبيل الذي يريده

ثالثا — ان يقدم المساعدات المالية اللازمة لتأمين الفوز الذي يسعى اليه احمد

رابعا — ولما كان صالح الدولة ان تخرج ظافرة من الحرب العالمية فان الجمعية الصهيونية مقابل تحقيق هذه الغاية على استعداد تام لان تكون الوسيطة في ذلك

وكانت هذه الشروط التي عرضتها الاسرائيلية الحسناء على احمد جمال باشا بصورة خصوصية مطاطة ذات معان وافرة الا انها جاءت مؤيدة لدهاء الصهيونية واطلاع رجالها على كل حركة تجري في هذا الشأن

وقد جمعنا احمد جمال باشا على اثر ذلك انا والدكتور فؤاد بك وفؤاد بك سليم وباحثنا في الموقف اي في المذكرة الرسمية فتقرر ان يؤجل البت في هذه المذكرة الى ان يخابر بها رجال الحكومة المركزية في الاستانة وما من مجال للقول ان الحكومة المركزية اهملت امر هذه المذكرة واجاب عليها انور باشا ببرقية شيفرة بتاريخ ١٠ ايلول سنة ١٩١٥ هذا نصه

لفخامة قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا

شيفرة — خصوصي

رقم ٨٢٩

« ج . على برقيتكم المؤرخة في ٢٧ آب سنة ١٣٣٢ ان البحث في مثل هذه الامور اضاعة للوقت فنرجو صرف النظر عنها خصوصا وقد تكون سببا في اثارة الفتن بين المسيحيين واليهود »

الا ان احمد جمال باشا الذي كان يدرك ءافا جواب الحكومة على هذا الاقتراح لم يهتم له قط بل انه زاد عليه ببرقية بتاريخ ١٠ ايلول هذا نصها :

« ان المفاوضات ضرورية جداً لان اليهود يعملون بكل قواهم في سبيل تحقيق مطامعهم القومية ، فالفوز سيكون حتما بجانب الكفة التي سيميلون اليها لاننا في الحرب الحاضرة بحاجة ماسة الى المال والمال هو اساس الفوز »

لماذا ارسل هذه البرقية — والحقيقة ان احمد جمال باشا لم يستأنف المفاوضات

في هذه القضية ، اي القسم الاول منها بل انه كان يفاوض في القسم الثاني فالاسرائيلية الحسناء بعد مقابلتها الاولى لاحمد جمال باشا عادت ثانية الى القدس واعلمت المندوب الصهيوني الموجود هناك ان احمد جمال باشا مستعد في الوقت الحاضر .

اولا — ان يشمل اليهود سواء كانوا في فلسطين او في غير فلسطين من منطقة الجيش الرابع بحمايته والغاء القرارات الاستثنائية التي اصدرتها الحكومة العثمانية من جهة تمليكهم الاراضي دون ان يعين حدود منطقة الوطن القومي الاسرائيلي

ثانيا — ان يسهل لهم لدى الحكومة المركزية الذي هو من اعضائها الاولين ترويج فكرتهم باعلان الوطن القومي اليهودي

ثالثا — يسعى لدى الحكومة العثمانية على الاعتراف بالجمعية الصهيونية

رابعا — ومقابل ذلك يطلب احمد جمال باشا من الجمعية الصهيونية ان تعمل على مساعدته في تحقيق مساعيه المشار اليها

مخابرة الجمعية الرئيسية

وقد عادت الاسرائيلية الحسناء في المرة الثانية وهي تحمل الى احمد جمال باشا المعلومات التالية

اولا — ان الجمعية الصهيونية تطلب منه اعترافا خطيا بالعهود التي سيقطعها ضمن الحدود التي ذكرتها ناتاليا داودوفيتش

ثانيا — ان الجمعية الصهيونية تقبل في ان يتولى احمد جمال باشا الحاكمية المطلقة طول الحياة وهي تروج هذا العمل لدى حكومة الاستانة والدول وتعد في تحقيقها .

ثالثا — تقدم الى احمد جمال باشا مقابل ذلك مائة الف ليرة انكليزية في سبيل صرفها على الدعايات السرية التي تؤمن له تحقيق مشروعه

مقابلة مع الوفد الصهيوني ـ وقد طالت هذه المفاوضات مدة شهر كامل الى ان ذهب احمد جمال باشا الى القدس وهناك اجتمع بالمندوب الصهيوني الذي ظل اسمه سراً بين الرجلين ودارت بينهما مفاوضات حول هذا الامر لم يبت فيها بشيء الا ان الذي رأيناه ان احمد جمال باشا بات من الاصدقاء المخلصين لليهود ورأيناه مراراً يدافع عنهم حتى انه عارض حكومة استمبول فيما قررته من ابعاد اليهود عن السواحل الفلسطينية

الفصل الثامن عشر

الحركة اللامركزية

في اواخر ايار سنة ١٩١٥ عندما اشتدت الحركة (اللامركزية) في مصر قامت الصحف المصرية تنقل الينا اخباراً مختلفة عن هذه الحركات والحملات التي يوجهها اركان الحزب الاستقلالي السوري الى احمد جمال باشا

وانا، وقد مضت الايام، اقول ان رجال اللامركزية في مصر قد اساءوا كثيراً ليس الى جمال باشا بل الى مواطنيهم بالحملات الشديدة التي وجهوها الى الباشا لان فشل حركتهم وتوقيف بعض انصارهم جعلهم يشددون الحملة وهو كلما قرأ هذه الحملات ازداد حقداً على رفاقهم في سوريا حتى كان ما كان من شدة نقمته .

وكان في مقدمة الذين اساءوا الى الباشا وكانوا غير محسني السياسة التي اساءت اليهم والى مواطنيهم رفيق العظمة ذلك الرجل الذي اظهر بلاهة متناهية في معاكسته لجمال باشا

تدخل عبد الكريم الخليل ـ وكان من الذين يترددون على معسكرنا في ذلك الوقت عبد الكريم الخليل الذي ما كاد يدخل على الباشا في احد الايام

وكنت هناك اعرض عليه قصاصات جرائد مصرية حتى بادره بحدة قائلاً

ـ ماذا يريد رفاقك من هذه الدناءات ايعتقدون ان مثل هذه الاعمال تؤثر بي، كلا !! بل انها ستزيد في استيائي منهم

وهنا اخذ جمال باشا يردد اقوالاً شديدة ضد حزب اللامركزية وكنت ارى عبد الكريم الخليل يرتجف من شدة الخوف وهو يتمتم ببعض العبارات المبهمة كأنه غير عارف ما يقول

وحاولت كثيراً انقاذه من الموقف الذي هو فيه خوف ان يتمادى الباشا باهانة بني قومه فتقع ما لا تحمد عقباه

وبعد دقائق لما عدت الى مكتبي وجدت عبد الكريم الخليل بانتظاري فاخذ يعتذر عن هذه الحملات التي لم تكن من رأيه ولا رأي زملائه فافهمته بضرورة اتخاذ تدابير سريعة لايقاف هذه الحملة كي لا يكون بقية اخوانه عرضة لنقمة الباشا فوعد بدرس الامر مع زميله الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الموجود في ذلك الوقت بالقدس واعطاء الجواب على ذلك

وبعد يومين عاد الينا عبد الكريم الخليل وقال :

ـ انه تذاكر مع الدكتور شهبندر في الموقف ووجد انه ليس في الامكان قط اقناع السوريين الموجودين في القاهرة بحسن نية الباشا الا اذا ذهب بنفسه الى مصر لايقاف هذه الحملة فوعدته بعرض فكرتها على الباشا

خطورة الموقف

لقد كان الموقف في ذلك الوقت شديد الخطورة لان قواتنا كانت بعد معركة القناة الاولى غير مالكة نفس الروح التي كانت متمتعة بها في السابق كما ان الحلفاء كانوا يواصلون اخراج القوات في المضايق الامر الذي دعا القيادة العامة لان تطلب من الجيش الرابع نجدات فأرسل اليها في ذلك الوقت الفرق الخامسة والثامنة والعاشرة والبلوكات المدفعية الرشاشة وسائر المعدات الحربية اللازمة الى الجبهة وكانت القوات الموجودة في منطقة الجيش الرابع الممتدة من حدود مصر

حتى الحجاز فجبال طوروس غير كافية لحماية الموقف وكان في امكان العدو
اذا اراد ان يحتل البلاد بفرقتين من جيشه اذا وجد المعاضدة من الاهلين

ولهذا اسرع احمد جمال باشا في اعدام القافلة الاولى من ابناء سوريا لانه وجد
انه ليس هناك من مجال لصيانة الموقف الا بارهاب ابناء البلاد وجعلهم في موقف
لا يقدرون معه على الاتصال مع العدو او ان يجسروا على مد يد المساعدة له
وبينما هو يفكر في مثل هذه الامور والتدابير الواجب اتخاذها اذا بالحملة المصرية
السورية تشتد حوله ويخشى ان تؤثر بالبلاد المحرومة تقريباً من القوات المدافعة
عنها فتفلت من يده ولهذا رأيناه شديد الاهتمام في الامر عاملا على مكافحته بالقوة

وما كدت اعرض عليه فكرة عبد الكريم الخليل حتى استشاط حدة
وقال لي

— ماذا تريد ان تفعل ؟ ارسال عبد الكريم الخليل الى مصر ؟ الا تعلم
غايته من هذه الرحلة ؟

اذن اسمع ؟ انني على ثقة تامة بان الانكليز والافرنسيين يعتقدون ان لدينا
قوات عظيمة في البلاد وان الشعب وفي مقدمته المسلمون، يؤيدوننا لانهم يرون
مسلمي مصر يؤيدون الدولة لمجرد اعتقادهم عكس ذلك كاف لاقدامهم على
احتلال مراكزنا

ان عبد الكريم الخليل عارف حقيقة الموقف الحاضر في البلاد وموقف
الاهلين كما انه عارف حقيقة قواتنا ومراكزنا واهميتها وانا لا اثق به واعتقد تمام
الاعتقاد انه فور وصوله الى مصر سيطلع رفاقه بل قواد الحلفاء على ما يعرفه عن
مراكزنا واذ ذاك تكون النتيجة اننا سلمنا انفسنا بايدينا الى اعدائنا ولهذا لا اوافق
على ارساله الى مصر

الفصل التاسع عشر

الصحافة في لبنان

ليست الصحافة في سوريا ولبنان كما هي في بقية البلاد الغربية او تركيا ،
ففي هذه البلاد تسير الصحف عملا بمشيئة اصحابها الذين يستخدمونها حسب اهوائهم
ولم اجد في هذه البلاد جريدة واحدة منتمية الى حزب من الاحزاب السياسية
او الى كتلة معلومة في البلاد فكل جريدة تسير في الاتجاه الذي تريده حسبما
تقتضي المنفعة

وهناك ثلاث قوى كانت تسيطر على الصحافة في تلك البلاد مستمدة من
المنفعة المادية الاولى منها السلطة الافرنسية والثانية الانكليزية والثالثة الاتحادية
ومع ان روسيا كانت تحاول بدورها بسط نفوذها في البلاد الا انها لم تتعد في
عملها حد التدخل في الشؤون الصحفية وكانت سيطرتها منحصرة في غير الصحف
من الامور التي بسطناها في قسم آخر من هذه المذكرات

الصحافة المتفرنسة

وقد كانت الحكومة الافرنسية تعتمد على الصحافة المسيحية والصحافيين
المسيحيين في بسط نفوذها الا انها عقب اتصال بعض رجالات سوريا ولبنان
بالقناصل الافرنسيين في بيروت ودمشق ومصر واستمبول عمدة الى استمالة بعض
الصحفيين المسلمين ايضا وقد ساعدتها الامتيازات اللبنانية على بسط نفوذها ومقاومة

ارادة الحكومة المحلية فالجريدة التي كانت تعطل في بيروت والصحفي المطارد من ولاية بيروت كان في امكانه ان يلجأ الى فرن الشباك التي هي من ضواحي بيروت لاصدار جريدته فيها غير حافل بالحكومة العثمانية هازئا بتهديد الوالي ورجال الباب العالي متماديا في استهتاره المشين والحكومة غير قادرة على القيام باي عمل من هذه الاعمال لانها عندما تحاول مطاردته تصطدم بالامتيازات وحماية الدول السبع لها

الحالة الصحفية — فلما اعلنت الحرب العالمية كانت حالة الصحف في هذه البلاد في فوضى مستمرة وكانت كل صحيفة خاضعة لارادة خاصة من ارادات الدول الاجنبية ومع اننا كنا نعلم نيات هذه الصحف ودعاياتها السيئة ضد الدولة العثمانية فقد ظلت تصدر بضعة شهور من ايام الحرب وهي مواصلة خطتها السيئة ضد الدولة

فالحرب الالمانية — الافرنسية وقعت قبل دخول تركيا هذه الحرب ومع ان الصحفيين كانوا يعرفون حقيقة موقف الدولة كنا نراهم والحالة هذه يتعمدون اهمال نشر الاخبار التركية والالمانية والنمساوية متخيرين نشر البلاغات التي تردهم من الحلفاء حتى انهم بعد دخول الدولة الحرب بجانب الالمان رأيناهم ينشرون الاخبار التى كانت ترسلها اليهم القنصليتان الالمانية والنمساوية

فلماذا ذلك ؟

اعن حب حقيقي ؟

كلا لانهم كانوا يتناولون اموالا من الافرنسيين والانكليز فينشرون لهم ما يريدون ولما دخلت الدولة الحرب ضد الحلفاء اعتقد الصحفيون ان هذه الحرب لا تطول الا اسابيع قليلة وان الحلفاء لا بد ان يجتازوا البلاد فاذا وجدهم قد تخلوا عنهم وساعدوا الالمان في نشر دعاياتهم نقموا عليهم وقطعوا عنهم الرواتب التي وعدهم بتقديمها حتى بعد دخول الدولة الحرب .

هذا هو الموقف الاجمالي للفئتين المؤيدتين للافرنسيين والانكليز من رجال

الصحافة اللبنانية اما الفئة الثانية التي كانت تؤيد الدولة فقد كان لها موقف غير هذا سنفصله للقراء في حينه .

الصحافة المؤيدة للفرنسيين

كان في مقدمة رجال الصحافة اللبنانية العاملين في سبيل خدمة فرنسا خير الله خير الله فان المعلومات والوثائق التي حصلنا عليها دلت على ان هذا الشاب اللبناني نال عطف الافرنسيين حتى انهم خصصوا له راتبا كبيراً من صندوق المصارفات السرية في وزارة الخارجية الافرنسية ليحرر في جريدة (الطان) مدافعاً عن حقوقهم ومشوقا اللبنانيين الى محبة فرنسا وقد جاء هذا الشاب قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة الى لبنان ناشراً الدعاية لفرنسا واخذ في احاديثه مع الصحفيين اللبنانيين والسوريين يشير الى مساعدات فرنسا القيمة للكتاب وتخصيصها الاموال اللازمة لمساعدتهم وقد تناول خير الله خير الله لقاء هذه المساعدات عشرة الاف فرنك عدى رواتبه ومصارفات انتقاله ثم انه احضر معه مبلغ ٢٠ الف فرنك دفعها الى الجمعية اللبنانية لمساعدتها في نشر دعاياتها في البلاد اللبنانية .

مساعي خير الله وارقش — وكان زرق الله بك ارقش من اعضاء الجمعية الاصلاحية وفي الوقت نفسه كان من اعضاء الجمعية اللبنانية ولئن كان يتظاهر بمساعدة الجمعية الاصلاحية الا انه في الوقت نفسه كان يعمل ضدها وضد المبدأ الذي اعلنته ، مساعد الجمعية اللبنانية ، وهو على اتصال بالشعبة السرية في وزارة الخارجية الافرنسية عن طريق خير الله خير الله وعلى اتصال مع القنصلية الافرنسية في بيروت وسيطا بينها والخارجية الافرنسية وبين الصحفيين مقدما لهؤلاء الاموال والرواتب المخصصة لهم كما يقدم لهم المادة من الاخبار والدعايات اللازمة لتسميم افكار اللبنانيين والسوريين ضد الدولة العثمانية وتأييد النفوذ الافرنسي وازدياد انتشاره في البلاد .

فالوثائق التي عثر عليها اثناء بحث قضية الصحفيين دلت على ان الرجل كان مسيطراً على هذه الامور وعلى هيئات التحرير ايضا فهو كان يعين هذا المحرر في

تلك الجريده كما يعين ذاك في غيرها واستمالة الجريـدة التي تؤيدها فرنسا لتأييد
سياستها ونفوذها في هذه البلاد العثمانية .

وقد ساعده في عمله هذا الاستاذ خليل زينيه احد الادباء في بيروت ومن
اعضاء الجمعية اللبنانية العاملة على بسط نفوذ فرنسا في البلاد .

الريفايل والثبات — في البلاد عدة صحف تعمل لحساب الافرنسيين
مباشرة منها ما كانت على اتصال مباشر بهؤلاء بواسطة قنصلياتهم ومنها ما هي
على اتصال بوسطة اخرى ومن المؤكد ان لارقش وزينية دورا هاما في هـذه
القضايا وكانا يسممان الافكار بما يكتبانه في هـذه الصحف (كذا) ضد الدولة
العثمانية بصورة غير مباشرة ولتأييد السياسة الافرنسية .

السيد اسكندر الخوري — كان آلة منفذه لادارة الافرنسيين جريدته
الريفايل التي يصدرها بالافرنسية في بيروت تصدر وتحرر باموال الافرنسيين وما
يزيد عنها يدخل لصندوق صاحبها

والسيد اسكندر الخوري لم يكن بالرجل المتعلم (كذا) حتى انه لم يشرف
في وقت من الاوقات على تحرير جريدته التي كان يشرف على تحرير الافرنسية
منها القنصل الافرنسي او من يعتمد عليهم من الجمعية اللبنانية وفي مقدمـة هؤلاء
كان ارقش وزينية وشركاهما

والمعلومات التي وجدناها في مركز ولاية بيروت دلت على ان صاحب
الريفايل كان يفتخر بان جريدته لسان حال الافرنسيين تمثل ارادتهم حتى
بلغت بـه الجراة في احد الايام ان خاطب الوالي ابا بكر حازم بك — ان
جريدته ايدته في مشاريعه الاصلاحية التي اراد القيام بها في بيروت لان السلطة
الافرنسية ايدت هذا العمل ..

البشير — والبشير جريدة صدرت فعلا باموال الافرنسيين فان مؤسسيها
هم فئة من اليسوعيين الافرنسيين ومع ان هذه الجريدة كانت افرنسية دينية

تبشيرية فانها لم تكن متطرفة بالمقدار الذي كانت عليه الصحف المتفرنسه واذكر
انني لما قدمت تقريري عن حالة الصحف في هذه البلاد الى جمال باشا وبحثت معه
قضية جريدة البشير قال — نعم انها جريدة دينية افرنسية الا انها على كل حال
جريدة رزينة احترمها لمبدئها ولست ارى في خلاصة الاعـداد التي قدمتموها لي
منذ دخول فرنسا الحرب ما يستشم منه روح اثارة الفتن في هذه البلاد والقلاقل
فقلت — ولكنها جريدة دينية افرنسية فقال — نعم ولهذا ستعطل الا انها
على كل حال شريفة تخدم لمجرد خدمـة الغاية التي اسست لاجلها وليس لاجل
المال كما هي حالة غيرها من بعض صحف هذه البلاد .

والحقيقة هي ان احمد جمال باشا كان جد معجب ليس في هـذه الجريدة
الصغيرة بل بالفئة التي تديرها والتي يعتقد انها كانت تخدم مبدأ معينا وانها بذلك
خدمت هذا المبدأ كما خدمت آداب البلاد العربية ونهضتها وكان يتحسر لانـه
ليس في البلاد ارساليات وطنية كمثل هذه الارسالية التي في امكانها ان تقدم للبلاد
والدولة العثمانية خدمات تذكر .

هذا الاعجاب الذي شعر به احمد جمال باشا في اعمال الارسالية اليسوعية هو
الذي دفعه لان يطلب من تركيا بعثات من المعلمين والمعلمات الاتراك ليؤسسوا
المعاهد العلمية ودور التعليم التي خدمت الترك خدمات صغيرة كما سيطالعه القراء
في الفصل الخامس المتعلق بها .

الاحوال — عرفت هـذه الجريدة بنزعتها السياسية الافرنسية لانها كانت
من جملة الجرائد التي يتعهدها رزق الله ارقش وان صاحبها رجل مالي لا يتدخل
في شؤونها السياسية الا انه كان يندفع في تعصبه ضد ابناء بلاده المسلمين ولهـذا
رايناه كثير الاستسلام الى رزق الله ارقش .

ان الوثائق التي عثرنا عليها لم تثبت ان خليل البدوي صاحب جريدة الاحوال
كان يتقاضى راتبا معينا من الافرنسيين الا انه كان يلاقي تشجيعا من الاندية
المؤيدة لهم حتى اننا وجدنا سائر المؤسسات الافرنسية مشتركة في جريدته مع انها

لا تفيدهم بشيء ولا هم يعرفون لغتها الا ان هذا كان الزاميا لمساعـدة الجريدة المذكورة .

كما انه كان يلاقي بعض المساعدات المجانية من رزق الله ارقش — او لحساب القنصلية الافرنسية — في تحرير هذه الجريدة وتقديم المحرر بين اللازمين لها مع الاموال التي هم بحاجة اليها .

والمعلومات الموجودة في ولاية بيروت عن هذه الجريدة انها كانت متعصبة شديدة التمسك في مبدأ الكثلكة وفي نزعتها اللبنانية الافرنسية حتى انه اذا وقعت حادثه ولو عادية لمسلم قامت تجسمها بصورة يشتم منها ان الموقف في البلاد سيء وان الحالة فى فوضى شديدة وان المسيحيين غير مرتاحين للموقف الحاضر في البلاد

وقد كان في امكاننا بدء الحرب العالمية ان نعتمد على صاحب جريدة (الاحوال) الذي حاول ان يتقرب من احمد جمال باشا عارضا عليه خضوعـه واخلاصه (كذا) الا ان الباشا ما كان ليثق به قط وقال — لا اريد قط ان اعتمد عليه وافضل ان اخسر ثقة سائر اللبنانيين ، اذا كانت هذه الثقة عن يد خليل البدوي .

ولكن لم يكن احمد جمال باشا مرتاحا لخليل البدوي ؟

والذي فهمته ان الباشا كان قد حاول ان يستميل اليه بعض الصحفيين اللبنانيين ولكن والي بيروت بكر سامي بك كان قـدم شهادة حسنة بحق خليل البدوي وبغض احمد جمال باشا لبكر سامي بك ، كما سيتبين ذلك في الفصل الخاص به ، دعاه لان ينقم على خليل البدوي رغم عدم معرفته اياه .

ولو وجد الباشا اقل دليل وهو في حقده هذا على خليل البدوي لكان نصيبه الاعدام بصورة مؤكدة .

وقد حاولت ان استفيد من الموقف وان ابدل من اراء احمد جمال باشا في الرجل الا انه كان صلبا في آرائه وقد استمر حقده على الرجل حتى مغادرته لسوريا حيث اجتمعت به سنة ١٩٢٠ فقال — الم اقل لك انني لا اثق بالبدوي فانظر

وهنا قدم لي سلسلة من اعداد جريدة الاحوال كلها تحامل ونقمة عليه فسكت وهز هو رأسه كأنه يحاول ان يتحسر على امر فات منه وذهب وذهبت (١)

جريدة النصير — كانت اكثر الصحف المسيحية تطرفا في اظهار نياتها الاستعمارية وكرهها للدولة فقد كانت تعلن بصراحة تامة تأييدها للقضية اللبنانية وتأييدها للسياسة الافرنسية في البلاد وقد كان صاحبها يتقاضى راتبا معينا من الافرنسيين ومع ان الوثائق الموجودة لدينا لا تدل على حقيقة الراتب الذي كان يتقاضاه الا ان احدها تدل على انه تناول في السنة الاخيرة التي تقدمت الحرب مبلغ . خمسة آلاف فرنك اخذها من وزارة الخارجية الافرنسية وقد كان من اكبر المهللين للمسيو كايو عندما زار سوريا قبل الحرب وهو الذي قال للافرنسيين انه ينتظر خلاص البلاد على يدهم .

الصحف الاخرى — وكانت هناك عـدة صحف صغيرة تصدر لتأييد السياسة الافرنسية فجريدة «زحلة الفتاة» كانت تصدر باموال الافرنسيين مباشرة حتى ان صاحبها كان يفتخر بانتسابه الى القنصلية الافرنسية ومثله صاحب جريدة «دليل حمص» قسطنطين يني الذي كان يتناول رواتب شهرية من الافرنسيين

اما المحررون الذين كانوا يشتغلون في هذه الصحف فقد كانوا قليلين الا انهم في الحقيقة مندفعون وراء عاطفتهم ليس الا وقـد عرف رزق الله ارقش وخليل زينية المسيطران على مقدرات الصحافة المسيحية كيف يستفيدان من الموقف ويتخذان من تهوس الشبان اللبنانيين وسيلة لتحقيق مطامعهما وامانيهما .

واراد الافرنسيون ان لا يحصروا جهودهم ودعاياتهم في المحيط المسيحي الكاثوليكي او الماروني كما يسمونه في تلك الجهات لان هذا المحيط كان قلبا معهم فقرروا ان يستميلوا اليهم بعض الصحف الاسلامية وغير الكاثوليكية وقد نجحوا

(١) تناولنا رد المرحوم البدوي وهو منشور في قسم للردود الخاص من هذا الكتاب .



رسم الشهيد سعيد عقل مؤسس « البيرق »

في بادىء الامر باستمالة جريدة دليل حمص الارثوذكسية التي اندفع صاحبها في تأييدهم بكل قواه ثم تمكنوا بواسطة زرق الله ارقش من استمالة الشيخ احمد ظباره صاحب جريدة « الاتحاد معثماني » الذي ما لبث ان سلم جريدته الى رزق الله ارقش وهذا عهد بتحريرها الى سعيد عقل .

وسعيد عقل شاب كثير الحماس لقضيته اللبنانية مندفع في سبيل تحقيقها غير حافل بالمصاعب التي تعترضه حتى انني عند ما اجتمعت به في الديوان الحربي العرفي في عاليه لم يتردد في المجاهرة امامي برأيه في قضية بلاده قائلاً .

— انني لم اكن خائناً ولست لاقف تجاه محكمة تعتبرني خائناً فانا ادافع عن حقوق بلادي كما اعتقد .

— ولكن هل خدمة بلادك هي ان تنزع هذه البقعة من الدولة العثمانية وتضعها تحت نفوذ الدولة الافرنسية .

— كلا فانا افكر ولن افكر قط في سلخ هذه البلاد عن السلطنة العثمانية ووضعها تحت النفوذ الافرنسي وانما اردت ان تنال حقوقها المعترف بها دوليا فقط اما فرنسا فقد اظهرت تجاهنا شيئاً من العطف فحفظنا لها الجميل .

— ودولتك

— . . . .

— اذا انت تعترف بانك كنت خائناً للدولة العثمانية .

— اذا كان دفاعي عن بلادي يعتبر خيانة بنظركم فانا كذلك وافتخر بهذه الخيانة

— ان الدولة لا تنكر قط على احد حقه في مثل هذه الامور شرط ان لا تتعدى هذه الوطنية الى الخيانة فانت تدعي الوطنية والاخلاص ولكن كيف توفق بين ادعائك هذا والمرتب الذي كنت تتقاضاه من السفارة الافرنسية .

— من قال ذلك

— ان الوثائق الموجودة لدينا تثبت انك كنت تتقاضى راتبا شهريا قدره (٨٠٠) فرنك .

— اذا كانت لديكم مثل هـذه الوثائق فانا على استعداد لتحمل مسؤوليتها ولكنني اقول لكم منذ الان انكم لا تملكون مثل هذه الوثائق لانني لم اتناول من احد بارة واحدة .

اوردت هذه المحاورة التي دارت بيني و بين سعيد عقل لانني اردت ان اجعل هذا الشاب مثالا لغيره فهو كان صريحا في اقواله جد الصراحة وهذه الصراحة هي التي قادته الى المشنقة انه لم ينكر قط انه كان من اعضاء جمعية النهضة اللبنانية ومن العاملين على تأييد مبادىء هذه الجمعية بكل قواه وقد استشهد على موقفه هذا بعشرات المقالات التي حررها في الصحف الا انه انكر ان يكون عاملا على تأييد النفوذ الاجنبي حتى انه انكر معرفته بالوثيقة التي رفعها بعض زعماء المسيحيين وفي مقدمتهم ارقش وزينية وطراد وثابت بالشكوي من الدولة والمسلمين . انه رفض ان يكون جاسوسا على غيره وقد انكر معرفته علاقات اصحاب الصحف بالقنصلية الافرنسية قائلا انه يجهل مثل هذه الامور ولا يريد التدخل فيها .

ولما كنت في بدء عهدي صحفيا فقد اعجبت بهذا الشاب واردت انقاذه الا انني لم انجح لان جمال باشا كان مقتنعا بانه يشتغل لحساب فرنسا و يتقاضى منها راتبا شهريا مستنداً بذلك على افادتي عبد الغني العريسي وتوفيق رزق سلوم وتأييد الشيخ احمد طباره وقد كانت هذه الشهادات كافية لارساله الى المشنقة .

مساعي الصحافـة — ادخل رزق الله ارقش الشاب سعيد عقل في تحرير جريدة الاتحاد العثماني والاعداد الموجودة لدينا تدل على انه ما كاد هـذا الشاب يدخل الجريدة المذكورة حتى انقلبت من جريدة اسلامية متطرفـة الى جريدة لبنانية تدافع عن السياسة اللبنانية والنفوذ الافرنسي في البلاد .

ولم تقتصر القنصلية الافرنسية في بيروت على المعاونة التحريريـة للجريدة المذكورة فحسب بل أنها خصصت لصاحبها راتباً شهريا قدره الف فرنك كان يتقاضاها بصورة منظمة في مطلع كل شهر .

وجريدة المفيد وان كانت مؤيدة للجمعية الوطنية اللبنانية المتضامنة مع

الحزب الاصلاحي وار كان اللامر كزية في مصر الا ان الافرنسيين لم يتمكنوا من السيطرة عليها نهائيا لسببين الاول هو ان صاحبيها كانا قد اتفقا قبلا مع الحزب في مصر الذي كان يرسل لها الاموال واسطة حقي بك العظم والثاني ان احد صاحبيها كان قد اجتمع قبل وصول التعليمات من وزارة الخارجية الافرنسية بالاتفاق مع الصحافة الاسلامية ان اتفق مع السر الدن غورست رئيس الشعبة السياسية الانكليزية في مصر حين زيارته لبيروت ودمشق سنة ١٩١٣ .

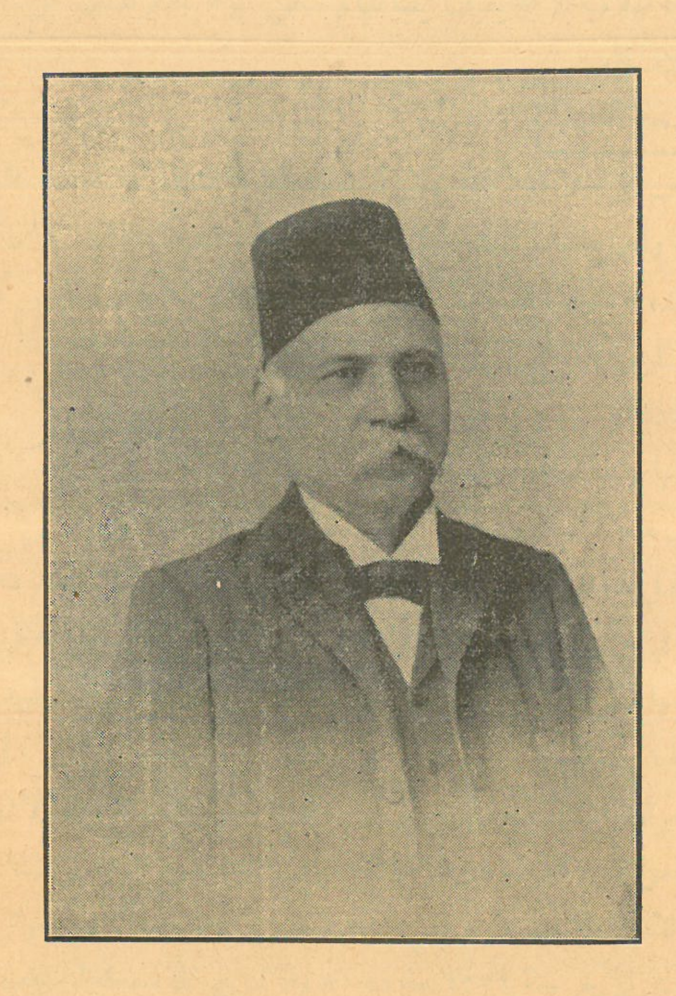
وذلك ان السر الدن غورست بعد ان اتفق مع ار كان الحزب اللامركزي في مصر ، وعلى الاخص مع الشيخ رشيد رضا الذي كان آلة بيده يدفعها لادارة السياسة البريطانية في جزيرة العرب كما يشاء ، عمد الى استمالة بعض الصحفيين السوريين لتأييده فتمكن من استمالة جريدة « المفيد » وجريدة « العاصي » التي يديرها علي الارمنازي في حماه وجريدة « لسان الحال » في بيروت

لسان الحال — وجريدة « لسان الحال » لم تكن تتناول راتبا من الافرنسيين الا انها كانت تؤيد سياستهم لانها كانت تترك لمحررها خليل زينية حرية الكتابة في تأييد السياسة اللبنانية . وقد عرفت هذه الجريدة بانها محافظة مؤيدة للانكليز الا اننا لم نعثر على وثائق تؤيد تناولها الرواتب منهم

نعم ان ثلاث تقارير وجدناها في قلم استخبارات الولاية تؤيد ان خليل سركيس صاحب هذه الجريدة اجتمع في بيروت بالسر الدن غورست ، الا ان هذه التقارير لم تكن ادلة تثبت اشتراك « لسان الحال » في الدعايات المباشرة للانكليز

وقد افاد مدير الشرطة: محي الدين بك ان جريدة « لسان الحال » تضم فئة من المحررين المشهورين بعدائهم للدولة ومناصرتهم للقضية اللبنانية الافرنسية . الا ان هؤلاء كانوا يتقاضون راتبا معينا من الجريدة ثبت من تحري دفاترها

وهذا الموقف هو الذي اهاب باحمد جمال لان يرسل مرافقه لتعزية آل سركيس بوفاة صاحب هذه الجريده في ايلول سنة ١٩١٥



الاستاذ المرحوم خليل افندي سركيس مؤسس لسان الحال

الحزب الاصلاحي وار كان اللامر كزية في مصر الا ان الافرنسيين لم يتمكنوا من السيطرة عليها نهائيا لسببين الاول هو ان صاحبيها كانا قد اتفقا قبلا مع الحزب في مصر الذي كان يرسل لها الاموال واسطة حقي بك العظم والثاني ان احد صاحبيها كان قد اجتمع قبل وصول التعليمات من وزارة الخارجية الافرنسية بالاتفاق مع الصحافة الاسلامية ان اتفق مع السر الدن غورست رئيس الشعبة السياسية الانكليزية في مصر حين زيارته لبيروت ودمشق سنة ١٩١٣ .

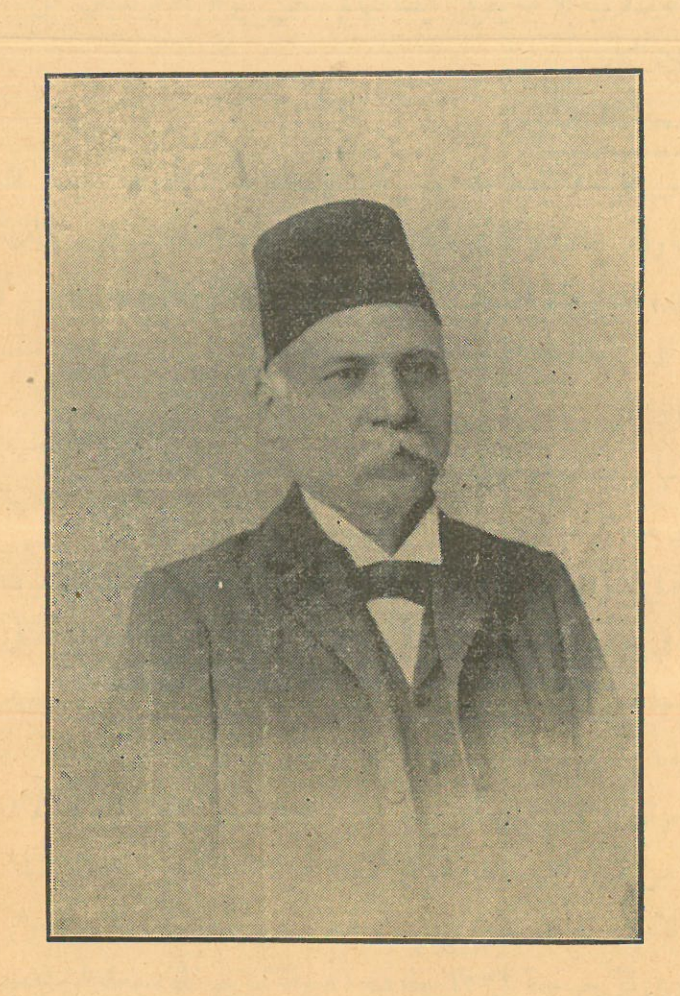
وذلك ان السر الدن غورست بعد ان اتفق مع ار كان الحزب اللامر كزي في مصر ، وعلى الاخص مع الشيخ رشيد رضا الذي كان آلة بيده يدفعها لادارة السياسة البريطانية في جزيرة العرب كما يشاء ، عمد الي استمالة بعض الصحفيين السوريين لتأييده فتمكن من استمالة جريدة « المفيد » وجريدة « العاصي » التي يديرها علي الارمنازي في حماه وجريدة « لسان الحال » في بيروت

لسان الحال — وجريدة « لسان الحال » لم تكن تتناول راتبا من الافرنسيين الا انها كانت تؤيد سياستهم لانها كانت تترك لمحررها خليل زينية حرية الكتابة في تأييد السياسة اللبنانية . وقد عرفت هذه الجريدة بانها محافظة مؤيدة للانكليز الا اننا لم نعثر على وثائق تؤيد تناولها الرواتب منهم

نعم ان ثلاث تقارير وجدناها في قلم استخبارات الولاية تؤيد ان خليل سركيس صاحب هذه الجريدة اجتمع في بيروت بالسر الدن غورست ، الا ان هذه التقارير لم تكن ادلة تثبت اشتراك « لسان الحال » في الدعايات المباشرة للانكليز

وقد افاد مدير الشرطة: محي الدين بك ان جريدة « لسان الحال » تضم فئة من المحررين المشهورين بعدائهم للدولة ومناصرتهم للقضية اللبنانية الافرنسية . الا ان هؤلاء كانوا يتقاضون راتبا معينا من الجريدة ثبت من تحري دفاترها

وهذا الموقف هو الذي اهاب باحمد جمال لان يرسل مرافقه لتعزية آل سركيس بوفاة صاحب هذه الجريده في ايلول سنة ١٩١٥



الاستاذ المرحوم خليل افندي سركيس مؤسس لسان الحال

ان احمد باشا كان يعرف ان « لسان الحال » لم تكن صديقة للدولة العثمانية لانها دولة اسلامية الا انه يعرف ايضا انها لم تكن بوقا للافرنسيين بل كانت صديقة للانكليز

الصحافة العثمانية

عرف القراء مما تقدم حاله بعض الصحف العثمانية المدافعة عن سياسة الدولتين الافرنسية والبريطانية و بقيت هناك فئة ثالثة من هذه الصحف وهي المحافظة على ولائها للدولة ، وهذه الصحف كانت في نظر جماعة الاصلاحيين واللامركزيين والجمعية اللبنانية خائنة

ولماذا ؟

لانها تؤيد السياسة العثمانية وتحرص على الجامعة الاسلامية

وفي هذه المناسبة اورد قصة عرضت لي للمقارنة بين الموقوفين :

« قبل نشوب الحرب العالمية بمدة قليلة رأى الانكليز ان ينشطوا لنشر دعاياتهم السياسية في جزيرة العرب . ولهذا كلفت الدائرة السياسية الانكليزية في مصر التي يرأسها السر الذن غورست اثنين من رجالها السريين هما الشيخ رشيد رضا وعزة الجندي ليقوما بدعايات لها في الجزيرة العربية وغيرها من المناطق . وقد قاما فعلا بما امرتهما به الدائرة السياسية خير قيام ، فقابلا مبارك الصباح ومحمد الادريسي وغيرهما من امراء العرب ، وفاوضا الامام يحيى حميد الدين . فسايرهما بعض هؤلاء الامراء غير ان الامام يحيى بن حميد الدين رد عليهما بكتاب مؤرخ في ١٧ جمادي الآخر سنة ١٣٣٢ جاء فيه : « وانا لنرجو الله سبحانه ان يجعله فاتحة خير لجمع كلمة الموحدين واعزاز جامعة المسلمين ونؤمل خاصة ان لا يبقى اثر للاختلافات الداخلية الناشئة عن الاغراض والاحقاد الشخصية التي جلبت على الدولة العلية والبلدان الاسلامية ما قد علم من العلل والامراض الخ . . .

اي ان سمو الامام يحيى بن حميد الدين أدرك حقيقة هذه الامور فعارض هؤلاء بعملهم ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

ان الامام الذي رفض أن يناوىء الدولة بتلك المؤامرات الاجنبية ، ظل محافظا على استقلاله و بأتت بلاده البلاد الوحيدة الممكن ان يقال عنها انها بعيدة عن تدخل الاجانب ، بعكس بقية الامارات العربية التي ساعدت الانكليز والاعداء فباتت مستعمرة لها بعد ان كانت تتمتع في زمن السلطنة العثمانية باستقلال ونفوذ لا تحلم به فيما بعد .

وهكذا كان موقف الصحافة المؤيدة للسياسة العثمانية فعدت خائنة مارقة من الوطنية في نظر الاحزاب المحلية اما المؤيدة للسياسة الافرنسية الانكليزية والمؤيدة لفصل لبنان عن السلطنة فقد عدت وطنية مخلصة .

ولكن ايتها كانت على صواب ؟ الاولى ام الثانية ؟

هذه امور لا علاقة لنا فيها في الوقت الحاضر وانما نحن نصور في مذكراتنا هذا الموقف في البلاد في العهد الذي كنا فيها .

اما الان فعلي ابناء تلك البلاد انفسهم ان يحكموا في اية الصحافتين كانت على صواب .

العثمانية على نوعين — والصحافة العثمانية على نوعين في سوريا منها ما هو مؤيد للدولة ، ومنها ما كان يعمل للاحزاب السياسية المؤلفة في الدولة ، والفئة الثانية هي التي تساعد استبداد عبد الحميد مقابل المال كما تؤيد الائتلافيين اذا عاضدوها ثم تعود وتذمهم في حال طلب الاتحاديين منهم مهاجمة الائتلافيين وهذ الفئة المنحطة من الصحافة لا مجالى لذكرها في مذكراتنا هذه ، لانها لم تعش طويلا ولم تكن في وقت من الاوقات تحترم نفسها ليحترمها الغير ولهذا نطوي ذكرها خصوصاً وان المعلومات الموجودة لدينا تدل على انها اندرست من البلاد المنسلخة من السلطنة العثمانية ولم يبق لها اثر .

بقيت امامنا اذاً الصحافة المؤيدة للدولة وهي :

اولا — جريدة « البلاغ »

ثانيا — جريدة « جورنال دي بيروت »

ثالثا — جريدة « الاقبال »

رابعا — جريدة « ابابيل »

خامسا — جريدة « المقتبس »

سادسا — جريدة « الشرق » التي اسسها احمد جمال باشا .

وقد لعبت هذه الصحف الست ادواراً هامة في السياسة العثمانية قبل الحرب حتى بعد الحرب و كانت في الحقيقة جد امينة في مباديها العثمانية الاسلامية التي تأسست لاجلها

والى القراء معلوماتنا عن هذه الصحف

« البلاغ » — كصحافي ان جريدة « البلاغ » لم تكن الجريدة الجامعة الراقية الا انها بالنسبة الى محيطها وعدد قرائها كانت لا بأس بها فهي جريدة عثمانية اسلاميه قبل كل شيء ترى فيها الابحاث والمقالات المتعددة عن العالم الاسلامي و كنت اعتقد ان صاحبها شيخ معمم يزيد عن الخمسين ولهذا كنت اطالع جريدته قبل نشوب الحرب كما اطالع كتابا دينيا الفه احد رجال الدين ولما تعرفت به في فندق بسول عندما جاءني مسلما على احمد جمال باشا وقد رأيته يحادث الشيخ اسعد الشقيري عندما دنوت منهما وذلك في شهر تموز سنة ١٩١٥ حملقت فيه لانني رأيت نفسي امام شاب في العقد الثالث من عمره نحيف البنية اسمر الوجه لطيف الحديث يرتدي بزة رسمية فالتفت وقلت

حقا ما كنت اعتقد انك صاحب « البلاغ » لانني مثلتكم في المخيلة كالشقيري افندي

فابتسم وابتسمت معه

و كان احمد جمال باشا نفسه يري في الباقر نفس رأيي . ولذا كان يتحاشاه في بادىء الامر لانه وان كان يحترم رجال الدين الا انه ما كان يريد أن يسيطروا وحدهم على مقدرات الرأي العام ، بل كان يرغب في ان يرى الشباب مندفعا الى الامام يعمل على تأييد بلاده الا انه بعد اجتماعه به سر منه كثيراً وقال



الاستاذ محمد بك الباقر صاحب جريدة « البلاغ »

لي بعد مدة :

— ان الباقر شاب لبق في مقدوره ان يكون صحافيا راقيا لو كان في غير هذا المحيط

اي ان احمد جمال باشا يعتقدان الصحافي في البلاد العربية لا يقدر على الخروج عن تطرفه الاسلامي اذا كان مسلما وانه لا يستطيع أن يقتبس عن الاور بين حضارتهم وان يدفع الشباب الى الرقي واتباع الحضارة الحديثة ولهذا رأي نطاق « البلاغ » يضيق عن مثل هذه الامور

ان محمد الباقر عرف في مدة قصيرة كيف يكتسب ليس صداقة احمد جمال باشا فحسب بل صداقة الولاة و كبار اركان معيتهم . نفوذ لدى احمد جمال باشا صاحب الكلمة التي لا ترد في السلطنة العثمانية وفي البلاد العربية بوجه خاص ، ونفوذ لدى عزمي بك وغيره ومع هذا لم يستفد لنفسه حتى ان احمد جمال باشا قال لي في احد الايام .

— لا اعرف كيف اعلل موقف هذا الشاب تراه يندفع في تأييدنا وتأييد الدولة العثمانية ومع هذا لا يتقدم الينا بطلب .

— نعم ان احمد جمال باشا كان يقدم له بعض التخصيصات لتأمين معيشته ومعيشة العمال الذين يشتغلون في جريدته الا انه كان في امكانه ان يفعل كغيره فيطلب من الباشا ما يشاء كاولئك الذين ينشدونه الاشعار و يطلبون ثمنها قمحا لا لقوت اهلهم بل لبيعه من الناس والاستفادة من ثمنه . اما الباقر فلم يطلب شيئاً و لو طلب لقدمه له الباشا ، لكان تمتع بثروة طائلة و بات مثريا كبعض من اثروا في خلال الحرب العالمية

ان الباقر كان بطبعه خجولا عفيفاً ، يأنف من الطلب حتى انه لفت نظري بعد تعارفنا لامر اثنين من عماله يرجو مساعدتهم على تأمين معيشتهم فقلت له .

— هيا بنا لنعرض الامر على احمد جمال باشا وانا الكفيل لكم بانه يقدم لكم ما تريدون

الا انه رفض ذلك وا كتفى بالشيء القليل لهؤلاء العمال وله .

— ان الباقر ا كتفى بمثل هـذه الامور من الاتراك و بهذا حافظ على سمعته وكان نزيها .

انني اعرف الكثير من الكتاب اللبنانيين الذين كانوا يفاخرون بلبنانيتهم يتزلفون اليه ليكون وسيطا لهم لدى الباشا فساعدهم وحرم نفسه .

كتاب جمال لانور — ان جمال باشا كافأ الباقر بكتاب بعث به الى انور باشا بتاريخ ١٠ شباط سنة ١٩١٦ هذا نصه :

« ان ثقتنا بمحمد الباقر عظيمة وفي امكاننا الاعتماد عليه في توحيد الصفوف التي حاول بعض الخونه تفريقها وفي زيارتكم غداً لبيروت يمكنكم ان تقدروا هذه الثقة التي نحملها للمشار اليه .

ان كتابكم فيما يتعلق بتأسيس جريدة عربية تدافع عن نظريتنا وتقرب بين الترك والعرب قد لاقى الاهمية لدينا ونعتقد ان في امكاننا ان نعتمد على محمد بك الباقر في تكبير جريدته وجعلها تتكلم بلساننا . وقد بينت ذلك امس لعزمي بك فاجاب ان اصدار مثل هذه الجريدة ضروري وانه يؤيد رأيي في ان يكون الباقر بك المشرف على شؤونها » .

هذه خلاصة الكتاب الذي بعث به احمد جمال باشا الى انور باشا وهو على كل حال يدل على مقدار الثقة التي تمتع بها السيد الباقر لديه والتي لم يحسن — كما قلت ان يستفيد منها لنفسه .

ان الباقر لم يكن محبوبا من حزب الاصلاح السوري ومن دعاة اللامركزية لانه لم يسايرهم في مطالبهم ولانه رفض ان يتناول الاموال الاجنبية التي عرضوها عليه ثم قاموا بعدئذ يتهمونه بالخيانة لوطنه و بلاده الا انه في الحقيقة كان اكثر امانة منهم فهو لم يشترك معهم ولكنه كان يعرف اسرارهم وفي التقرير الذي رفعه والي بيروت الينا بتاريخ ١٢ تموز سنة ١٩١٥ على اثر توقيفات صيدا يقول :

« ان لدي محمد الباقر معلومات قيمة عن مؤامرات هذه الفئة ودسائسها



الاستاذ الشيخ عبد الباسط افندي الانسي صاحب جريدة الاقبال

الا انه يرفض الادلاء بها لانه يرى عمله هذا وشاية ينزه نفسه عنها وفي مقدوركم الاستفادة من معلوماته اذا ما دعوتموه اليكم » .

وكان احمد جمال باشا شديد النقمة على هؤلاء وكنت لا اعرف الباقر ولهذا عرضت هذا التقرير بما فيه من معلومات مفصلة على احمد جمال باشا فكان جوابه :

— اني احترم هذا الشاب وما دام انه لم يشترك في مؤامرات هذه الفئة فانا لا اريد احراج موقفه بطالب مثل هذه المعلومات منه ولو كانت تنير لي السبل التي اسير عليها جميعها .

وفعلا لم يستدع احمد جمال باشا الباقر اليه كما انه منع والي الولاية وكان يومئذ بكر سامي بك من ان يتحدث بوجود هذه المعلومات عند الباقر .

وكان رجال الصحافة يومئذ جميعا وفيهم الباقر تحت المراقبة الشديدة وقد رفعوا منذ ذلك الوقت المراقبة عنه .

الاقبال — يحررها الشيخ عبد الباسط الانسي وهو رغم كونه شيخاً معمما كما تصوره لي المخيلة الا انه ليس بالشيخ الجاهل الذي تعمم ليجر منفعة مادية من وراء العمة .

فالشيخ عبد الباسط الانسي كان جد مخلص لاسلاميته وكثير التمسك بعرش الخلافة ولم يسبق له ان قام بعمل ما يؤدي الى نقمة الدولة عليه فلم ينضم الى الاصلاحيين لانه لم يجد في مباديهم الخدمة الوطنية كما انه لم يرض ان يكون آلة بيد الاجانب يدفعونه كما يريدون مثلما فعل غيره من اصحاب الصحف المتعممين وهو لو فعل ذلك لكان في امكانه ان يدفع جريدته الى الامام الا انه انف وهو المسلم المتمسك بمباديه الاسلامية ان يدفع في جريدته الى خدمة الاجانب وان يجعلها لبنانية مسيحية كما فعل زميله المتعمم صاحب الاتحاد العثماني .

وقد ظل الانسي مخلصا لدولة الخلافة حتى ما بعد الحرب العالمية حيث الف في العهد الافرنسي جمعية الهلال الاحمر التي ساعدت الحركة الوطنية الكمالية مساعدات جمة والانسي كزميله الباقر لم يغتنم فرصة تقربه من رجال الحكم في الحرب

للاثراء او الاستفادة من المراكز بل ظل منزويا متواضعا يخدم عقيدته باخلاص يشكر عليه .

ابابيل — وصاحب ابابيل الشيخ حسين افندي الحبال الذي تعرفت اليه في رياق وهو في طريقه الى استمبول لمشاهده الساحة الحربية في المضايق كبير الدهاء والمرونة وكاتب يعرف كيف يكتب دون اقل ملاحظة وكان في امكانه لو تولى تحرير احدى الصحف الكبرى ان يبرز بها ويكون ذا مكانة سامية الا انه كان فقيراً وفقره لم يمكنه من ان ينهض بجريدته ويجعلها في المكانة التي تستحقها وكان اذا تلقى اعانة من احمد جمال باشا صرفها في سبيل عائلته لا في سبيل جريدته ولهذا ظل على حاله لم يتقدم .

وكان احمد جمال باشا يساعده ويعطف عليه وقد قال لي .

— لو سنحت لي الظروف واردت انشاء جريدة مؤيدة لي لما وليت غير الحبال رئاسة تحريرها لانه كاتب مرن جميل الاسلوب فلو تولى هو رئاسة تحرير الجريدة كما يتولى الباقر ترتيبها وادارتها لسارت هذه الجريدة الى الامام ونجحت نجاحا باهراً .

ان الحبال كان صريحاً في كتاباته متمسكا بعقيدته ولو اراد ان يسير على الخطة التي سار عليها غيره من الصحفيين الذين باعوا ضمائرهم من الاجانب لنجح الا انه لم يفعل لانه كان ذا عقيدة اسلامية ثابتة .

ولئن كان الحبال حاول استرضاء احمد جمال باشا لمساعدة بعض افراد عائلته الا انه في الحقيقة لم يتلمس هذه المنفعة الا لمجرد حبه لهم لا لمنفعة نفسه وجر المغنم .

المقتبس — كانت جريدة المقتبس اسلامية عثمانيـة وصاحبها وان لم يكن ثابتاً تمام الثبات في مباديه الحزبية الا انه عثماني مؤيد لدولة الخلافـة على كل حال وكان احمد جمال باشا يحبه ليس لانه عثماني فقط بل لانـه عالم مشهور واديب كبير ولهذا اظهر له كل مساعـدة وكان يعطف بوجه خاص على اخيه احمد كرد علي .

جورنال ده بيروت

هي جريدة حكومية

نعم ان جورنال دي بيروت جريدة الحكومة لانها كانت تصدر في بيروت باموال الحكومة

فجورج بك حرفوش كان صديقا حميما لطلعة باشا عندما كانا معا في سلانيك يشكوان جور الاستبداد وعسفه. قد عملا معا في سبيل تركيا الفتاة وبات جورج بك من اركان حزب الاتحاد له الكلمة والمكانة السامية فيه

وجورج بك كان عفيفا نزيها قوم بدافع عن عقيدته باخلاص في الصحف الثلاث التي اصدرها في العاصمة العثمانية وعفته واستقامته جعلاه يخسر في صحفه كلها ويعطلها

جورج بك في بيروت -- تولي طلعة بك وزارة الداخلية في العهد العثماني

فوجد ان زميله السابق عادل بك وسع الخرق في بيروت بالحرية الواسعة التي اعطاها للسوريين ولهذا صرف جهوداً خاصة في هذا السبيل فاوفد امين السر العام للحزب مع عبد الكريم الخليل الى باريس لاقناع مسلمي سوريا بالا يشتركوا في مؤتمر باريس كما حل الجمعية الاصلاحية التي الفها بعض المعارضين للدولة في سوريا

وكانت الصحف الافرنسية الصادرة في بيروت تشتغل ضد الدولة العثمانية وتعمل على تسميم افكار ابناء هذه البلاد

وجاء احد الصحافيين المعروف بتطاوله في كتاباته واسمه فسيه الى بيروت لافساد الافكار فرأى الحزب ان يقاوم هذه الدعايات بطريقتين الاولى ان يصدر جريدة افرنسية في استمبول والثانية في بيروت وقد تقرر ان تكون الاولى نسخة عن جريدة طنين وقد عهد بتحريرها الى المحامي الاستاذ شارل الدباس الذي كان مخلصا للاتحاديين او الذي كان يظهر اخلاصه للاتحاديين في المقالات التي كان يرسلها في جريدته «لاليبرته» كما ستبينه في فصل خاص من هذه

وتقرر ان تنشأ الثانية في بيروت باموال الاتحاديين وان يعهد برئاسة تحريرها الى جورج بك حرفوش صديق طلعة باشا والعضو المخلص لجمعية الاتحاد والترقي وقد دارت مفاوضات طويلة في هذا الامر قبل في نهايتها جورج بك ادارة هذه الجريدة وكان خير صديق مخلص ليس لدولته فحسب بل لامته العربية

ان جورج بك حرفوش كان مخلصا كبيراً رغم الصداقة التي تربطه بسيد تركيا الكبير وضحى بكل فائدة في سبيل صالح الحزب الذي ينتمي اليه

ففي ايلول سنة ١٩١٥ عندما صدرت الاوامر بانتخاب نواب عن جبل لبنان لمجلس المبعوثان العثماني بعد الغاء امتيازاته اراد طلعة باشا واحمد جمال باشا معا ان يرشحاه للنيابة عن جبل لبنان او عن بيروت فرفض قائلا:

— ان هناك من يطمع بالنيابة وفي امكان الدولة مساعدتهم للوصول الى هذه الكراسي لانهم يصبحون قوة الى جانبها اما هو فانه دوما بجانبهم يعمل على تأييدهم

وفي هذا الجواب تضحية لا تراها من ابناء تلك البلاد حتى ولا من ابنائنا الاتراك

وظل في الحرب العالمية مخلصا للدولة العثمانية صديقا يبين باخلاص تام الحالة في هذه البلاد حتى كان احمد جمال باشا يعتمد عليه في الشؤون الصحفية وفي الشؤون السياسية ايضا

ولما جاء الشريف فيصل «جلالة الملك فيصل اليوم» في ايلول الى القدس لزيارة احمد جمال باشا ابرق احمد جمال باشا الي جورج بك حرفوش يدعوه الى القدس لحضور هذه المقابلة والوقوف على حديث الشريف فيصل ثم صحبه معه الى بئر السبع مع الشريف فيصل حيث احتفل بحضور رئيس المهندسين ميسنر باشا بافتتاح خط بئر السبع ووصول السكة الحديدية اليها

ان جورج بك حرفوش يحمل اعظم اوسمة حملها صحافي في العاصمة العثمانية واخلص رجل لحزب سياسي وجد في العالم

ساعد وجود « جورنال دي بيروت » خلال الحرب العالمية على افهام الرأي العام في اوروبا واميركا حقيقة الموقف في البلاد وحقيقة المؤامرات التي دبرها الحلفاء في المنطقة العثمانية ولهذا ساعده احمد جمال باشا وقنصل المانيا مساعدة قيمة

وجورج بك حرفوش وان كان يتقاضى راتبا معينا الا انه استفاد كثيراً من اموال الاعاشة وانقذ بعض اقاربه من الجندية حتى انه كان ذا نفوذ مطلق في مقدوره ان يستفيد اكثر من غيره في هذا الشأن، وكان الالمان انفسهم يريدون ان يولوه مركزاً ساميا الا انه رفض ذلك لانه كان يعتقد ان هذه البلاد يجب ان لا تكون آلة بيد الالمان

جريدة الشرق — صدرت هذه الجريدة في دمشق سنة ١٣٣٤ ماليه ولهذا لا يصح ان نبحث عن ماضيها لانها صدرت باموال احمد جمال باشا او باموال الدولة وقد اعطي امتيازها لخليل الايوبي الانصاري وعين مديراً مسؤولا لها الشيخ تاج الدين الحسني نجل المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني.

الفصل العشرون

البارون او بنهايم

للالمان مطامع بعيدة المدى في البلاد العربية بدأت في اوقات مختلفة وقد عرف المشتغلون بالسياسة العثمانيه ادوارها

فقد كان الالمان يطمعون في ان يسيطروا على البلاد العربية واراد امبراطورهم غليوم الثاني الذي يعمل على منافسة انكلترا ان يبسط نفوذه على البلاد فبدأ ذلك بزيارته الاولى لتركيا سنة ١٨٩٨ وفي هذه الزيارة استمال اليه السلطان عبد الحميد وجعله يعتقد بحسن نيته ثم حصل بهذه الواسطة على امتياز سكة حديد بغداد ومنذ ذلك الوقت اتسعت مطامع الالمان في السلطنة العثمانية فرأيناهم ينالون امتيازاً من السلطان عبد الحميد لجعل جزيرة فرسان قاعدة لاسطولهم وتموينه بما يحتاجه

من الفحم ثم يقيمون المستعمرات في فلسطين وبيروت ويعممون الثقافة الالمانية في البلاد العربية

وكانت لهم دعايات واسعة في هذه البلاد سنذكرها في الفصل الخامس المتعلق بالجاسوسية الاجنبية في البلاد العربية

لاستمالة المسلمين — ووقعت الحرب العالمية وانضمت الدولة العثمانية الى الدول المتفقة وارسلت الحملة العثمانية لفتح مصر في الظاهر ولكن الحقيقة هي من اجل تحويل بعض القوات الانكليزية عن الجبهة الحربية الى مصر

وفكر الامبراطور في استمالة مسلمي البلاد العربية اليه فاشار عليه المستشرق الالماني البارون « او بنهايم » ان يقدم هدية الى ضريح السلطان صلاح الدين الايوبي وفي ذلك اهمية سياسية كبرى لان صلاح الدين الايوبي هو البطل العربي الذي حارب الصليبيين ودحرهم عن البلاد بعد معركة « حطين » المشهورة

وقد اراد الامبراطور ان يعيد الى الاذهان ذكرى ذلك البطل العربي ليحمل ابناء العرب على الاقتداء به والمبادرة الى محاربة الحلفاء وهم احفاد الصليبيين الذين جاءوا البلاد لانتزاعها من يد المسلمين وهكذا حسنت هذه الفكرة في عين الامبراطور الالماني الذي اوصى معامل بلاده على صنع ثريا ثمينة ليقدمها الى مقام السلطان العربي وانتدب البارون او بنهايم نفسه ليوصل هذه الهدية الى دمشق ويعلقها بالنيابة عنه .

والبارون او بنهايم ليس بالمستشرق العادي الذي يشتغل في سبيل العاديات الشرقية وعلومها فحسب كلا بل انه يمتهن هذا العمل ستاراً لتحقيق مطامع مولاه الاستعمارية فقد لعب هذا الرجل قبل الحرب العالمية دوراً خطيراً في المنطقة الممتدة من شمالي حلب الى الموصل دارساً احوال قبائلها ورجالها ليمهد لمولاه خطته الاستعمارية بجانب خط بغداد الحديدي كما لعب عشرات الادوار في مختلف الجهات العربية قبل الحرب واثناءها وسأذكر ذلك في الفصل الخاص عن الجاسوسية الاجنبية في البلاد العربية .

والمهم الان ان البارون او بنهايم وصل الى بيروت في اليوم العشرين من شهر تموز سنة ١٩١٥ ! ومعه الثريا الثمينة استعداداً لتعليقها في دمشق وحال وصوله الى بيروت عقد اجتماعا في فندق « دوتشر هوف » حضره قنصل المانيا و بعض اركان الجالية الالمانية وتذاكروا في مسألة تنظيم الدعاية للحفلة المقبلة والخطة الواجب اتباعها في هذا السبيل ، فصدرت جريدة « جورنال ده بيروت » وغيرها من الصحف في اليوم الثاني وفيها نبأ قدوم البارون حاملا الهدية الثمينة من الامبراطور الالماني وان الاستعدادات اتخذت لان تكون الحفلة ضخمة للغاية .

نصيحة ثمينة — وكنا في الوقت الذي وصل فيه البارون الى بيروت في شهر رمضان وكان من رأي البارون او بنهايم وقنصل المانيا في بيروت ان تعلق الثريا في مقام السلطان صلاح الدين الايوبي في اول شهر شوال اي بعد حفلة عيد الفطر ولكن الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ عبد القادر الخطيب عارضا في هذا الامر قائلين -- ما دام تقرر تعليق هذه الثريا وما دامت وصلت الى بيروت فمن الضروري والحالة هذه تعليقها والاحتفال بتنويرها ليلة ٢٧ رمضان اي ليلة القدر وان في هذا لفألا حسناً للمسلمين .

وقد سر البارون او بنهايم من هذه الفكرة التي جاءت مطابقة لما اراد وتقرر ان تعلق الثريا المذكورة ليلة القدر .

تعلق الثريا — ووقعت ليلة القدر في ٦ آب سنة ١٩١٥ وفي المساء نفسه احتفل في دمشق بحضور اركان السلطتين التركية والالمانية بتعليق هدية الامبراطور الالماني و بهذه المناسبة القا البارون او بنهايم و بعض المشائخ الدمشقيين خطبا وكانت الحفلة في الحقيقة شائقة تغنى خلالها الجميع باعمال صلاح الدين الايوبي الباهرة واعمال جمال باشا الحاضرة وانه سيكون خير خلف لخير سلف وان هذا الاحتفال في هذه الليلة المباركة سيجعل النصر مؤكداً بجانب جمال الدين (اي جمال باشا) تيمنا باسم صلاح الدين .

وهكذا اسدل الستار على الرواية !! .

شبلي ملاط — شبلي افندي ملاط شاعر لبناني كان ينشد الباشا الشعر لسبب و بدون سبب وقل ان لا نراه في احد الاحتفالات العمومية لا يقترب من الباشا منشداً اياه القصائد والابيات شاكراً له مساعيه واعماله المجيدة

وفي احد الايام كنا في حفلة خيرية اقامتها احدى السيدات المسيحيات في بيروت فتكلم فيها شبلي ملاط منشداً مطرباً الباشا و كنت واقفا يومئذ بجانب جمال باشا فالتفت الي مبتسما وقال :

— انني عندما اطالع هذه القصائد اتصور ان الشاعر يخاطب غيري وهذا هو الخطأ الذي يرتكبه ابناء هذه البلاد حيث لا يهمهم الا رصف الكلام وارساله بسبب و بدون سبب فاذا ما طالعت قصائدهم خيل لي انها مرسلة الى احد الفاتحين ورحت اسائل نفسي عما اذا كنت املك حقيقة هذه الصفات وقد اغتر في بعض الاحيان فاخادع نفسي بنفسي

وابتسم الباشا وابتسمت معه ثم قال :

— كم ترى ثمنا لهذه القصيدة

فقلت : وهل لها ثمن ايضا ؟

— نعم

وعندئذ اقترب الباشا من شبلي افندي ملاط وقال :

— كيف الحال ياحضرة البك

— حسنة يامولاي بظل دولتكم

— وانت

— انني بفضل نعمة مولاي مسرور ولكن ..

— انك بحاجة الى شيء من القمح لعائلتك

— انني يا مولاي

وهنا التفت الباشا الى مرافقه وامره ان يقدم الى شبلي بك وثيقة بكمية من القمح لم اعرف مقدارها . ولست لاعرف ما اذا كان هذا القمح وصل الى دار

الشاعر اللبناني ام تسرب الى السوق الا ان الذي اعرفه ان شبلي بك اظهر سروره من المنحة وذهب بعد استلامه الوثيقة الى السيدة صاحبة الدعوة يشكر لها جهودها

شبلي بك في الوظيفة — وكان احمد جمال باشا يحب شبلي بك ملاط ويعتقد ان في امكانه الاستفادة منه في تحقيق رغباته في مسألة لبنان وكان خليل بك الخوري ترجمان القسم العربي في متصرفية جبل لبنان قد طلب احالته الى التقاعد لانه لم يرض ان يظل في وظيفته بعد الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل وبعد ان بات القابضون على زمام الحكم فيه لا ينظرون اليه نظرة حسنة

والحقيقة هي ان خليل بك الخوري رجل مستقيم اظهر مدة وجوده في منصبه اخلاصا ودراية ولم يكن في وقت من الاوقات جاسوسا الا ان بعض اللبنانيين من خصومه صوروه لاحمد جمال باشا بانه كان عاملا لحساب فرنسا يرسل اليها التقارير عن كل حركة تجرى في المتصرفية حتى انه ظل على اتصال مع الافرنسيين والجماعة الذين يشتغلون معهم مدة طويلة . ولكن الحقيقة ما لبثت ان كذبت هذه الوشايات التي لو اراد احمد جمال باشا ان يستند عليها لكان نصيب خليل بك الخوري الاعدام

الا ان هذه الوشايات اثرت نوعا ما في نفسية احمد جمال باشا الذي امر بقبول استقالته وعين مكانه شبلي بك ملاط الذي استلم مركزه هذا في شهر آب سنة ١٩١٥ ولا تسل بعد ذلك عن قصائد الشكر التي بدأت تنهال على المتصرف والباشا جزاء هذا العمل او اجرة تعيينهما اياه في هذه الوظيفة .

فخر الدين باشا ووحيد بك — ونقل مركز القائد فخر الدين بك باشا الى بيروت في الوقت الذي كان فيه احمد جمال باشا يعمل على احتلال لبنان والغاء امتيازاته وقد حضر فخري باشا الى بيروت يوم السبت في ٣١ تموز سنة ١٩١٥ واستلم مهام وظيفته الجديدة فيها وتولى في الوقت نفسه القيادة العامة للقوات العثمانية في لبنان والبلاد الساحلية الممتدة من حيفا حتى اللاذقية وفي الوقت نفسه صدرت اوامر قائد الجيش الرابع بتولية وحيد بك قائد درك سوريا قيادة قوات الدرك

في لبنان . ومفهوم ان احمد جمال باشا كان قد بدأ يبسط نفوذه الفعلي على الدرك اللبناني منذ ان اصدر الاوامر بالغاء اللباس اللبناني كما بيناه في فصل سابق وجعله يرتدي البدلات الخاصة برجال الدرك العثماني في سائر الولايات التركية .

ثم رأى ان ينتزع هذه القيادة من اللبنانيين وقد قيل له حينئذ ان يسند هذه القيادة الى حليم بك شقير ولكنه ابى ذلك لانه اراد ان يوليها لقائد ينتسب الى الادارة العثمانية المباشرة ولهذا استدعى اليه وحيد بك قائد درك ولاية الشام المعروفة في ذلك الوقت بولاية سوريا وولاه قيادة الدرك اللبناني بعد ان اوصاه ان ينتزع من اللبنانيين وجنودهم الفكرة اللبنانية المتطرفة وان يجعل من الجيش اللبناني او دركه قوة تعتمد عليها الدولة .

ولم يرض احمد جمال باشا ان يستبدل الضباط اللبنانيين بل بالعكس زاد رواتبهم واقطعهم تخصيصات من ادارة المنزل اسوة ببقية الضباط العثمانيين في سائر منطقة الجيش الرابع وبذلك استمال هؤلاء الضباط اليه وجعلهم يعملون معه يداً واحدة واقول هنا بصراحة ان الضباط اللبنانيين اظهروا خلال الحرب العالمية مقدرة فائقة واخلاصا في العمل كان في امكاننا ان نستفيد منهم فائدة كبرى لو كانوا من ضباط الدرك العثماني لانهم فئة يقظة مخلصة ...

الفصل الواحد والعشرون

قبل ان تنفذ احكام الاعدام السياسي في لبنان نفذت عدة احكام عادية كانت نتائج لحوادث سابقة ففي اليوم الثاني عشر من شهر تموز سنة ١٩١٥ تلقينا لائحة اولى باحكام غير سياسية صادرة بحق اللبنانيين وهذه هي :

اولا — عبدو المتني شاب في الثلاثين من عمره ومن سكان قرية سن الفيل حكم عليه بالاعدام لجناية قتل

ثانيا — يوسف موسى نصري شاب في الـ٢٨ من عمره ومن سكان قرية فالوغا حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

ثالثاً — يوسف خليل ابو نادر في الخامسة والثلاثين من عمره من اهالي قرية المتين حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

رابعا — صعب فارس الدبس رجل في العقد الرابع من عمره ومن اهالي مدينة زحلة حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

خامساً — جرجس بن الشيخ اسعد زخريا شاب في الثلاثين من عمره من اهالي (المعرب : لم نتمكن من قراءة اسم القرية أو البلدة التي ينتسب اليها هذا الرجل) حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

سادساً — سعيد احمد حلاوي من اهالي بيروت في الـ٣٢ من عمره حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتها

سابعا — عبد الباسط حسن كوا شاب في الخامسة والثلاثين من عمره ومن اهالي بيروت حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

ثامناً — ٢٢ حكما بالاشغال الشاقة من ثلاث سنوات الى ١٥ سنة لاجرام مختلفة ارتكبها المحكوم عليهم بها

تقديم الاوراق لجمال — وقد كانت الاوامر الصادرة الي توجب ان اعرض الاوراق الصادرة بهذا الشأن على المستشار القضائي وآخذ رأيه بها ثم عرضها مع رأي المستشار القضائي على الباشا

وللمرة الاولى منذ استلامي العمل مع الباشا تلقيت هذا العدد الكبير من احكام الاعدام والاشغال الشاقة في يوم واحد وكان علي في هذه الحالة ان اعرض خلاصة الاحكام كما صنفتها اعلاه على سبيل الاطلاع على الباشا الذي عارض بذلك وامرني فوراً باحضار سائر الاوراق

المصادقة على الاحكام — والمعروف ان الباشا مزود بصلاحية واسعة تخوله حق تصديق احكام الاعدام وتنفيذها ثم عرض الكيفية على الحكومة المركزية ولهذا صدعت بالامر واتيته بالاوراق فتناولها واخذ يحرر على كل واحدة منها بالحبر الاحمر كلمات « نظر ، فصدق ، جمال » ويدفعها لي الواحدة تلو الاخرى

فقلت — ان في هذه الاوراق احكاما باعدام سبعة اشخاص وبسجن ٢٢ شخصا اخرين

— وماذا يهم ؟

— قد تكون المحكمة يادولة الباشا اخطأت في هذه الاحكام وقد ترى في هذه القضايا ما يوجب تخفيف هذه الاحكام الا ترون دولتكم ان تؤجلوا التصديق عليها ولو يوما واحداً ريثما يتسنى لنا درس هذه القرارات ؟

— وهل انت اعرف من هيئة المحكمة في مثل هذه الامور ؟

— كلا يادولة الباشا وانما قد تكون هناك خطيئات ارتكبت او ان المجرم اقدم على جريمته مدفوعا بغير عامل الاجرام والشقاوة

— هذا لا يهم فهؤلاء الاشخاص مجرمون ومن الضروري ردع غيرهم من المجرمين ولهذا صدقت هذه الاحكام وعليك ان تجهز القرارات المتعلقة بتصديق هذه الاحكام وتقدمها لي للتوقيع بعد ظهر اليوم

— امر كم مولاي

قلت الجملة الاخيرة وانصرفت متاثرا ليس لحكم الاعدام نفسه لاني من القائلين بوجوب تطبيق الاحكام الشديدة بحق المعتدين على الارواح والاعراض الا انني كنت ارغب التمييز بين المجرم الحقيقي والبريء . فهناك من يكون قد اقدم على الجريمة اما دفاعا عن نفسه او عرضه او عزة نفسه كما ان هناك من يقدم عليها لمجرد حب الجريمة نفسها وما دام الامر على هذا المنوال فمن الضروري والحالة هذه الرأفة بالفئة الاولى وتنفيذ الشدة بحق الفئة الثانية

وقبل شروق شمس ١٥ تموز سنة ١٩١٥ اعدم صلبا هؤلاء السبعة وقد تبلغنا في صباح اليوم نفسه نبأ تنفيذ الاعدام بهم

....

في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٩١٥ صدرت الارادة السنية بمشترى الخطوط الحديدية التي تمتلكها الشركات الافرنسية في السلطنة العثمانية في جهات سوريا والفت لجنة لمشتري هذه الخطوط الحديدية حيث بدأت بوضع يدها على الخطوط المذكورة باعتبار ان الدولة اشترتها ثم وضع قرار اصدره السلطان ينص على ان الخطوط الوارد ذكرها وتفصيلها ادناه قد الغي امتيازها وباتت خاضعة لادارة سكك حديد الدولة العثمانية ، وهذا بيانها :

الخطوط الاولى — الخط الاول هو المعروف بالخط الضيق وعرضه متر واحد وطوله ٢٤٧ كيلومترا ويمتد من بيروت الى رياق فدمشق فالمزاريب وقد اعطي امتيازه الى احدى الشركات الافرنسية بدون تامين او ضمانة كيلومترية وقد منح هذا الامتياز على مرتين الاولى في سنة ١٣٠٧ لمدة ستين سنة على القسم الممتد منه من الشام الى المزاريب والثانية في سنة ١٣٠٨ لمدة ٩٩ سنة على القسم الممتد من بيروت

-- رياق — شام

الخطوط الثانية — اما الخطوط الثانية فهي الخطوط العريضة البالغ طولها ٣٣٠ كيلومترا والممتدة من رياق الى حمص وحماه وحلب وقد اعطي امتيازها في ايار سنة ١٣٢١ لمدة تسعين سنة ذات ضمانة كيلومترية

وقد نص الاتفاق المنعقد بين الدولة والشركة على ان الضمانة الكيلومترية هي (١٣٦٠٠) فرنك

وقد تبين لنا من التقارير الرسمية الموجودة لدى وزارة المالية وادارة مراقبة الشركات صاحبة الامتيازات ان الحكومة دفعت الى الشركة سنة ١٩٠٩ مبلغ ٢٢١٨٧٢٧ فرنكا ثم نقص المبلغ الذي دفعته سنة ١٩١٠ الى ١٩٧٣٤٤١ فرنكا وقد دل هذا الامر على ان الاقبال على السكة الحديدية في هذه المنطقة لم يكن كافيا لان ايرادات السكة الحديدية من هذا الخط كانت في سنة ١٩٠٩ ٢٢٧٠٧٣٠ فرنكا اي ان نصيب كل كيلو متر من الايراد ٦٨٨١ فرنكا وهو ما يعادل نصف الضمانة الكيلومترية المحددة بالاتفاق وقد اخذت هذه الضمانة تتناقص حتى ان احمد جمال باشا في ابحاثه مع المسيو ديكمان الالماني رأى ان في مقدور الدولة اذا ما هي وضعت يدها على هذه الخطوط ان تستفيد منها فائدة كبرى من وجهة النقليات العسكرية وفي الوقت نفسه لا تتكبد الخسائر التي تقدمها للشركة .

وقد رأى المسيو ديكمان ان هذه الخسائر ناجمة عن مطامع الشركات ما دامت الضمانة الكيلومترية تضمن لها الربح حتى اذا كثرت ديونها على الدولة عمدت الى اقتناص امتيازات اجنبية جديدة

الخطوط الثالثة — اما الخطوط الثالثة فهي الخطوط الممتدة من طرابلس الى حمص والبالغ طولها ١٠٢ كيلومتر وهي خطوط نالت الشركة امتيازها سنة ١٣٢٤ لمدة ٩٠ سنة وبدون ضمانة كيلومترية وقد بلغت ايرادات هذا الخط في سنة ١٩١٩ مليون و ٢٠ الف فرنك وفي السنة التالية مليونا و ٨٥ الف فرنك

وفي سنة ١٩١١ بلغت ١١٦٥٠٠٠ فرنك اي ان معدل الايرادات كانت عشرة الاف فرنك عن كل كيلو متر و بزيادة الفي فرنك عن كل كيلو متر من الخط العريض الاخر الممتد من رياق الى حلب

الخطوط الرابعة — اما الخطوط الرابعة فهي الخط الحديدي الممتد من يافا الى القدس والبالغ طوله ٨٦ كيلو متراً وهو من النوع الضيق وهذا الخط رغم صغره فهو ذو اهمية كبرى من الوجهة الاقتصادية لانه الخط الوحيد الموجود في هذه المنطقة المعروفة اليوم بالبلاد الفلسطينية

الترام اللبناني — وعدا هذه الخطوط يوجد خط اخر عرف باسم الترام اللبناني اعطي امتيازه سنة ١٣٠٩ لمدة اربعين سنة وهو بطول ١٩ كيلو متراً

مجموع الخطوط — وعلى هذا يكون مجموع الخطوط الحديدية في لبنان وسوريا عند دخول الدولة الحرب العالمية ٧٨٤ كيلو متر منها ٢٤٧ كيلو متراً خط بيروت — رياق — شام — مزاريب و ٣٣٠ كيلو متراً رياق — حمص — حماه — حلب — و ١٠٢ طرابلس — حمص و ٨٦ يافا — قدس و ١٩ الترام اللبناني هذا ما عدا الخط الحجازي الذي هو ملك الدولة

و كان اوفر هذه الخطوط ربحاً الخط الممتد من بيروت الى دمشق فان هذه الخطوط التي كان ايراد الكيلو متر منها في سنة ١٨٩٧ مبلغ ٩٧٥١ وفي سنة ١٨٩٩ مبلغ ٩٨١٠ فرنكات وقد زادت سنة ١٩٠٩ الى ١٨٦٧٥ فرنكا وسنة ١٩١٠ الى ١٨٨٩٠ فرنكا وهذا ما يدل على مقدار النجاح الذي احرزته هذه الشركات في هذا الخط .

بلاغ الحكومة عنها — وفي ٢٩ حزيران سنة ٩١٥ اذاعت الحكومة بلاغاً رسمياً هذا نصه :

ان الخطوط الحديدية القائمة في سوريا والبالغة مساحتها ٧٨٤ كيلو و ٥٠٠ متر تقرر مشتراها ومشتري هذه الخطوط الحديدية سيكون من اهم التوفيق الذي

احرزته الحكومة في ادارتها السياسية بعد الغائها العهود القديمة التي كبلت البلاد بقيد حديدي ثقيل .

ان العهود القديمة كانت قيداً خطراً يكبل و يشل حياتها . ولما كانت الخطوط الحديدية هي منابع حياة للبلاد ولا يمكن الاستغناء عنها كان من الصعب ابقاؤها على حالها في سوريا تلك المنطقة التي هي عضو نافع في جسم السلطنة و يعتمد الاغيار بواسطتها الى نشر الدعايات المضرة ولهذا قررت الحكومة مشترى هذه الخطوط الحديدية و بدأت ذلك بوضع يدها عليها

هذا عن الخطوط الحديدية الموجودة في البلاد السوريه قبل الحرب العالمية ولمحة عن تاريخ امتيازها

و كان اركان الحكومة المركزية يظهرون اهتماما خاصا بأمر هذه الخطوط حتى اننا عند وصولنا الى سوريا تلقينا برقية من انور باشا يعلمنا فيها انه اوفد الى سوريا مايستر باشا الالماني ليكون تحت اشراف قائد الجيش الرابع لدرس مشروع ربط الخط الحجازي من محطة سباستيا بيافا

وقد قام الباشا بمساع جمة في هذا السبيل فباشر العمل في اوائل كانون الاول سنة ١٩١٤ في محطة المسعودية وفي ٢٠ نيسان سنة ٩١٥ تمكن من مد ٨٠ كيلو متراً من الخطوط الحديدية وصلت الى الرملة وفي ايلول سنة ٩١٥ وصل هذا الخط الى بئر السبع فيكون مايستر باشا مد من اول كانون الاول سنة ٩١٤ الى اخر ايلول ١٧٠ كيلو متراً من الخطوط الحديدية

خطوط المواصلات — وجدت قيادة الجيش الرابع ١٠٠٣ كيلو مترات من طرق المواصلات باتت كلها صالحة للعمل هي :

اولا — طريق شام — قنيطرة — جسر بنات يعقوب — طبريا — ناصرة — عفولة .

وهذه طريق مستحدثة في الحرث وطولها ١٧٠ كيلو متراً

ثانيا — طريق عمان — اريحا وهي طريق مستحدثة وطولها ٥٥ كيلو متراً

ثالثاً – طريق خليل الرحمن – بئر السبع – وهي طريق مستحدثة بطول ٥٥ كيلو متراً

رابعاً – طريق بئر السبع – حفير العوجه – بئر الحسا – جفجافة وهي طريق مستحدثة بطول ١٨٠ كيلو متراً

خامساً – طريق القدس – يافا وطولها ٦٢ كيلو متراً وشام بيروت وطولها ١١٢ كيلو متراً وطريق زحلة بعلبك وطولها ٢٠ كيلو متراً و بوزانطي – طرسوس وطولها ٧٨ كيلو متراً وهذه الطرق قديمه الا انها كانت غير صالحة للسير وجري تعميرها

سادساً – احدثت طريق جديدة تربط رياق بطريق بيروت وطولها ١١ كيلو متراً

سابعاً – حلب – اسكندرون طريق حديثة طولها ١٤٠ كيلو متراً

ثامناً – طريق عثمانية – اينتلي – اصلاحية – راجو – قاطمة طريق مستحدثة طولها ١٢٠ كيلو متراً

الفصل الثاني والعشرون

جمال السفاح !

جمال الظالم !

جمال الطاغية !

جمال مجوع البلاد !

جمال هاتك الاعراض !

جمال ! جمال ! جمال ! ...

مثل هذه النعوت الصقت بقائد الجيش الرابع احمد جمال باشا حتى ان من يختلط بالشعب السوري – اللبناني عقب الاحتلال لا يسمع الا مثل هذه المظالم التي تسند للباشا والفظائع التي ارتكبها

انني في الفصول التي اكتبها اتحدث الى القراء بالحقيقة فانصف البريء واحكم على الظالم .

ان جمال باشا لم يكن جديراً بهذه النعوت لانه لم يشنق البريء ولم يسيء الا للظالم .

ان جمال جاء سوريا كتركي عهد اليه بانفاذ مهمة فنفذها باخلاص ولهذا لا يصح ان يمنح هذه الالقاب الطائشة

ولكن هناك من كانوا سببا بالصاق هذه التهم بالباشا وهم احق من غيرهم بهذه النعوت

اخبارية سرية ! — في اليوم العاشر من شهر ايار سنة ١٩١٥ تلقينا تقريراً سرياً بالعربية هذا نصه حرفيا :

انني شاب مسلم من ابناء بيروت احب دولتي و بلادي باخلاص تام وأربأ بها ان تكون العوبة بيد بعض ابنائها الذين لا ضمير لهم يدفعونها الى يد الاجانب

« سمعت منذ ايام ان موءامرة يديرها بعض من لا اخلاق لهم ضد حكومة مولانا الخليفة المعظم وضد صاحب الدولة قائدنا المحبوب احمد جمال باشا امد الله بعمره وابقاه ذخراً للدولة والامة وقد علمت ان هذه المؤامرة مدبرة بيد احد كبار رجال الادارة في بيروت وهو عبد الوهاب بك الانكليزي حيث علمت ان عدة اجتماعات عقدت في منزله و كان من ابطالها عبد الكريم بك الخليل وغيره من رجالات هذا البلد البائس بهم (كذا) ولهذا جئت اطلع دولتكم على هذه الحقيقة حتى اذا وجدت اقبالا منكم بادرت الى التحقيق بها مولاي

الامضاء : احمد سعيد العاملي

لم يظهر احمد جمال باشا اقل اهتمام بهذا التقرير الذي ورده الا انه عملا بالاصول احاله الى بكر سامي بك والي بيروت ليحقق فيه

وفي اليوم الخامس عشر من الشهر نفسه تلقينا برقية من بكر سامي بك يقول فيها

« انه لم يجد في بيروت رجلا باسم احمد سعيد العاملي و يعتقد ان الاسم مستعار ولهذ يعرض الكيفية »

الا اننا في اليوم الذي تلقينا به رد الوالي على هذا التقرير السري تلقينا من صاحب التقرير تقريراً ثانيا يقول فيه ما نصه :

« بلغني انكم احلتم التقرير الذي قدمته لصاحب الدولة والفخامة احمد جمال باشا وزير البحرية الفخيمة وقائد الجيش الرابع الهمايوني الاعظم الى والي بيروت بكر سامي بك ، ولما كان الوالي نفسه غير مخلص لصاحب الفخامة والحزب

الاتحاد والترقي الموقر و كان يرغب في طمس الحقائق المعروفة منه جئت لافتا نظركم لايضاح الكيفية لصاحب الفخامة احمد جمال باشا وانا على استعداد للقدوم الى القدس لايضاح المعلومات التي لدى مولاي

الامضاء : احمد سعيد العاملي

بدء اهتمام الباشا — وقد اهتم احمد جمال باشا في هذه المرة الكتاب (احمد سعيد العاملي) هذا لانه جاء محققا لعدم ثقته بوالي بيروت ولهذا طلب الى ان ابرق الى مدير شرطة بيروت محي الدين بك ان يحقق سراً عن هذا الرجل و يرسل اليه النتيجة وفي الوقت نفسه ابرق الى قائمقام صيدا ضيا بك يطلب اليه نفس الطلب لان كلمة (العاملي) المصاحبة لاسم احمد سعيد دعت القائد يعتقد بان الرجل من جبل عامل وانه تكنى بالعاملي نسبة الى جبل عامل

وكم كان استغراب الباشا عظيما عندما ورده الجواب بعد يومين يفيدانه ليس في بيروت وصيدا من يعرف باسم احمد سعيد العاملي ولهذا صرف النظر عن الرجل لعله يأتيه منه تقرير ثالث يوضح له هذه الحقيقة التي غمضت عليه

تقرير ثالث — وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ٩١٥ تلقينا تقريراً ثالثا بامضاء احمد سعيد العاملي هذا نصه :

« جاء الى بيروت منذ يومين عبد الكريم بك الخليل موضع ثقة احمد جمال باشا والعامل سراً على مقاومة نفوذه وقد قابل اول امس مفتش الملكية عبد الوهاب بك الانكليزي وتباحثا معا في تنظيم الحركة الثورية في البلاد ومن ثم توجه عبد الكريم الخليل الى قريته برج البراجنة في ضواحي بيروت وفيها اجتمع مع بعض الرجال السريين وتباحثوا في الموقف والتدابير الواجب اتخاذها لاحداث الثورة المنتظرة

والذي علمته ان عبد الكريم بك الخليل مسافر الى صيدا لاجل الاجتماع مع اركان الحزب المؤيد له وفي مقدمته نائب صيدا السابق رضا بك الصلح و بعض الزعماء المعروفين

ان هؤلاء الاشخاص يشتغلون ضد الدولة و يريدون احداث ثورة في هذه البلاد بجانب الدول الاجنبية عدوة امتنا الاسلامية والدولة العلية

الامضاء : احمد سعيد العاملي

ان الرجل في تقريره هذا يأتينا بحوادث جديدة و يذكر لنا بعض الاسماء الا ان هويته لا تزال مجهولة لدينا وقد كنا حاولنا معرفة الرجل بواسطة التنبيهات، التي وزعناها على دوائر البريد بضرورة اخذ اسم كل من يرسل تحريراً الى قائد الجيش الرابع الا ان هذا التحرير وضع في صندوق البريد ولهذا لم تعرف حقيقة مرسله

تقرير قائمقام صيدا — وفي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩١٥ تلقينا برقية شيفرة من قائمقام صيدا هذا نصها :

صيدا في ٢ حزيران سنة ١٣٣٢ (١٦ حزيران سنة ١٩١٥) رقم ٨٩١ — ١٠٣

لصاحب الدولة قائد الجيش الرابع الافخم

وصل عبد الكريم بك الخليل الى هنا ونزل ضيفا على الشيخ رشيد عسيران (المعرب ان المذكرات مكتوبة بالحروف اللاتينية ولهذا لم نتمكن من معرفة ما اذا كان الاسم راشد او رشيد)

وقابل في اليوم الثاني لوصوله رضا بك الصلح المعروف بنزعته غير المستحبة نحو الدولة العلية وتناول ظهرا طعام الغداء على مائدته وقد حضر هذه المأدبة عشرة اشخاص من ابناء هذه المنطقة فصلت لكم اسماءهم مع البيان المتعلق بهم في التقرير اليومي .

وقد حضر عندي اليوم عبد الكريم بك الخليل وسألته عن الغاية من هذه المقابلات فأفاد انه قدم لرؤية اهله في بيروت ولما كان عائداً الى القدس لمقابلة دولتكم اغتنم هذه الفرصة ليجتمع ببعض اصدقائه القدماء في صيدا وانه بشر الموجودين بتحسن الموقف في البلاد وعن نيات فخامتكم الحسنة نحو الامة السورية

العربية .

ولم اجد في حركات الرجل ما يريب خصوصا وانني اعرض الكيفية يوميا على مقام الولاية الجليلة تفضلوا الخ ...

قائمقام صيدا — ضيا

تقرير والي بيروت — وتلقينا في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه تقريراً برقيا من والي بيروت تحت رقم ١٠٢٥ — ٩١٧ شيفرة يشير فيه الى المعلومات التي تلقاها من مديرية الشرطة العامة في بيروت عن حركات بعض المسيحيين والتي يوجد فيها ما يستحق الذكر الا انه اهمل في هذه البرقية ذكر رحلة عبد الكريم بك الخليل واجتماعات في بيروت وصيدا مع ان القيادة العامة اوجبت عليه الاهتمام في هذه النقطة

تقرير رابع للعاملي — وفي ١٨ حزيران سنة ١٩١٥ تقريراً رابعا من احمد سعيد العاملي يقول فيه ان اجتماعا عقد في دار الشيخ راشد عسيران حضره عبد الكريم بك الخليل والشيخ محمد ابراهيم والشيخ احمد رضا ورضا بك الصلح وعقبه اجتماع اخر عقد في دار الجوهري حضره زهاء ٣٠ شخصا وان الغاية من هذه الاجتماعات تمهيد الطرق لاحداث ثورة واسعة النطاق في البلاد تبدأ من تلك المنطقه و يلفت نظر الباشا للتحقيق في هذه القضية بشدة قبل ان يستفحل الامر في تلك المنطقة .

ومع ان هذا التقرير جاء مؤيداً المعلومات الخاصة الواردة الى رئاسة شعبة الاستخبارات الا ان والي بيروت لم يهتم للامر ولم يرض في ان يدلي الينا بمعلومات عن حقيقة هذه المؤامرة الواسعة

ابتداء حل المشاكل — و بعد هذا الحادث بيومين تلقينا من قائمقام صيدا برقية شيفرة موجهة في هذه المرة الينا وهذا نصها :

« لقد عرضت في برقياتي السابقة على مقام الولاية الجليله ومنها لمقام صاحب

الفخامة قائد الجيش الرابع حقيقة المناورات الحزبية الموجودة في هذه المنطقة والتي ترمي استئثار بعض هذه العائلات بالنفوذ لاذلال الفئة الثانية قصد جر مغنم او التمتع بنفوذ لا تتمتع به الكتلة الثانية وبهذا كثرت الوشايات وعمت المفاسد في البلاد .

انني اتلقى يوميا جملة اخبار من مختلف الحزبين او الكتلتين المتعاديتين وفي اخبار كل فئة منها مفاسد ومطاعن بالفئة الثانية الامر الذي يتركني في حيرة من تعرف الحقائق من وراء كل هذه الامور ولهذا اكتفيت في التقارير التي ارسلها يوميا الى مقام الولاية الجليلة بنقل سائر الاخبار الواردة الي من مختلف الجهات وهي وان كانت في معظم فصولها تشتمل على مفاسد ومحاولة حط كل فئة من مقام الفئة الثانية الا ان في الامكان استجلاء بعض الحقائق من ورائها .

ولهذا يمكنكم الرجوع الى التقارير التي ارسلتها الى مقام الولاية الجليلة والتي اعتقد انها ارسلت اليكم وفيها ما ترغبون معرفته عن هذه الامور .

وتفضلوا الخ ...

قائمقام صيدا ـ ضيا .

وفي شهر حزيران سنة ٩١٥ وفي الوقت الذي كنا فيه نتلقى هذه التقارير الغامضة جاءنا الشيخ اسعد الشقيري وقال

انكم تثقون جداً بعبد الكريم بك الخليل ورفاقه مع ان الرجل يعمل مع عدو الدولة رضا بك الصلح على اثاره فتنة قوية في البلاد السورية مغتنما فرصة انهماككم هنا في مسألة القناة وغيرها .

وقد جاءني كتاب من كامل بك الاسعد « ان هذه المؤامرات اشتدت وطأتها حتى ان المتامرين باتوا يستعدون لاحداث ثورة قريبة وانه على استعداد لان يثبت هذه الامور لاحمد جمال باشا اذا دعاه الى ذلك »

دعوة كامل بك الاسعد — وكامل بك الاسعد شخصية معروفة في جبل عامل فهو نائب هذه المنطقة في مجلس المبعوثان العثماني ومتمتع بثقة ابنائها كما يتمتع

بثقة رجال الحكم في تركيا لانه اظهر في مختلف الاوقات رغبة واخلاصا في ادارة امور هذه البلاد وخدمة للدولة العثمانية .

وقد امر احمد جمال باشا باستدعائه الى القدس فوافاه وكان برفقته كل من محمد بك التامر والحاج ابراهيم العبدالله ومحمود بك امين من وجهاء تلك المنطقة

كامل الاسعد في القدس ـ امرني احمد جمال باشا ان استقبل كامل بك الاسعد واقدمه فور وصوله اليه وكنت ارى الباشا في ذلك الوقت كثير الاهتمام والانهماك في الاخبار المتوالية التي بدأت ترده عن منطقة صيدا وتوابعها بشأن المؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة ٩١٥ (١٠ حزيران سنة ١٣٣٢) وصل الى القدس كامل بك الاسعد فاستقبلته بحفاوة حسب امر الباشا واركبته سيارة سارت بنا الى قصر الطور الذي اتخذه احمد جمال باشا مقراً له

وكان من عادة الباشا الا يستقبل احداً الا بعد ان يدعه ينتظر في الخارج مدة طويلة حتى اذا استقبله جعله يقف امامه مدة طويلة يكون خلالها قد تميزه لكي يجعله يرهب جانبه

وهذه العادة وان لم تكن معروفة بالباشا ايام كان في محافظة استمبول او غيرها من الوظائف التي شغلها في البلاد التركية الا انه اتبعها في منطقة الجيش الرابع وهو يعتقد ان ابناء هذه البلاد لا يرهبون الا من يظهر نحوهم السيادة اما اذا كان متواضعا لينا ولوه اقفيتهم وكادوا له وانه لهذا يجب عليه ان يكون شديداً في مظهره ذا عظمة واقدام

ولهذا قال : انني عندما وصلت الى هذه البلاد كان في نيتي ان اكون مسالما شفوقا على ابنائها ولهذا رفضت اقتراح والي سوريا خلوصي بك بشان تسليم الوثائق التي عثرنا عليها في القنصلية الافرنسية الى الديوان الحربي العرفي جزاء تساهلنا هذا دخولنا في المأزق الجديد ، ولو تبعنا الشدة من الاول لما تجاسر هؤلاء على ان يكيدوا لنا ونحن نعمل هنا في سبيل الذود عن بلادهم وابعاد

العدو عنها »

هذه كانت عقيدة وافكار احمد جمال باشا في هذا الشأن الا انني لما بلغته قدوم كامل بك الاسعد ووصوله الى قصر الطور لم يدعني اوقفه مدة بل امرني فوراً باستدعائه إليه ولما دخلت عليه مع كامل بك وجدته واقفا وسط الغرفة الفسيحة المطلة على القدس فرحب ترحيبا حاراً بكامل بك وتقدم اليه مصافحا ثم دعاه الى الجلوس بجانبه

وقد كانت الحفاوة التي ابداها احمد جمال باشا لكامل بك الاسعد بالغة حدها الاقصى تدل على الشعور الحقيقي الذي يختلج في قلب الباشا لمعرفة حقائق ما يجري في صيدا

احمد جمال و بكر سامي — وقبل ان نأتي على ذكر الحديث الذي دار بين احمد جمال باشا و كامل بك الاسعد نقول ان احمد جمال باشا ما كان يحب قط بكر سامي بك ولا كان يعتقد به الاخلاص والعمل الوفي للدولة ولا لحزب الاتحاد حتى انه كان يقول عنه في كثير من الاوقات «ان بكر سامي بك رجل طيب القلب الى درجة البلاهة ولهذا لا يصلح لان يدير شؤون ولايـة كبرى كبيروت ليس لانها كبيرة من وجهة المساحة وعدد السكان بل لما فيهـا من المؤامرات الداخلية والدسائس الخارجية و بكر سامي بك الذي هو عبارة عن رجل بسيط (حاجي بابا) لا يجوز الا ان يكون موظفاً مرؤوساً لا رئيساً في مثل هذه المنطقة ولهذا كانت تدبر المؤامرات ضده في هذه المنطقة وهو غير شاعر بها»

هذا هو شعور احمد جمال باشا نحو بكر سامي بك الا ان هناك عوامل اخرى تحمله على عدم الثقة بالرجل فان التقارير التي كانت ترده من مختلف الجهات تدل ان بكر سامي بك الذي عين في ولاية بيروت في ظروفها الحرجة عمد الى مسايرة بعض الطبقات المسيحية وتعرف بها في الاجتماعات وموائد القمار فكان صديقاً لها ، وان هذه الصداقة وطيبة القلب التي هي ميزته كانت من الاسباب

الرئيسية لان يلعب هؤلاء في مقدرات الولاية دون ان يدرك الوالي من امرها شيئا .

ثم ان لبكر سامي بك مزية ثانية لا تؤهله لان يكون واليا على بيروت فقد كان يحب المظاهر والحفلات فبات شديد الاختلاط بالفئات الاجنبية والفئات الميالة الى الاجانب وهذا الاختلاط لا يتوافق قط مع ادارة البلاد في ايام الحرب ان الظروف الاستثنائية الموجودة فيها الدولة يومئذ توجب على والي بيروت ان يكون اداريا حازما وقاسيا في وقت معا فوالي بكر سامي بك لم يكن متحلياً بهذه الصفات كما انه لم يكن قادراً على ادارة الحركات السياسية التي قررت حكومة الاستانة تنفيذها .

وهناك نقطة اخرى اوجبت تباعـد احمد جمال باشا عن بكر سامي بك وهي ان الوالي كان يكره الوشايات والسعايات وهذا الكره ابعده عن معرفة الحقائق لانه كان يهزأ في كل اخبار سياسي يرد اليه مع ان بعض هـذه الاخبار صادق وهزؤه بها جميعها هو الذي اضاع عليه معرفة الحقيقة الناصعة وقد عرف المتآمرون هذه الجفات به فلعبوا عليه في بيروت وصيدا وهو يهزأ بالاخبار التي ترده بذلك ولو لم يفضحها اولا احمد سعيد العاملي ذلك الرجل السري المجهول لدينا وقتئذ ثم كامل بك الاسعد لاتسع نطاقها وعمت الثورة البلاد السورية .

وهكذا يمكننا ان نقول ان بكر سامي بك ابله لا (حاجي بابا) كما لقبه الباشا واليك الايضاح

تقدم كامل بك الاسعد من احمد جمال باشا وقال :

— تدور منذ مدة دعايات واسعة لاحداث ثورة في المنطقة السوريـة تبدأ في وقت واحد من جهتين من صيدا ومن زحلة فجماعة الجمعية اللبنانية يشتغلون في منطقة زحلة وجماعة الحرب اللامركزي السوري يشتغلون من جهة صيدا .

جمال باشا — وهل الحزبان اللبناني والسوري يعملان يداً واحدة في هـذا السبيل مع اختلاف نزعاتها السياسية ؟

— نعم انهما يشتغلون معا فهم يعتقدون ان من الواجب تحقيق هدفها الاول وهو مقاومة الدولة العثمانية واحلال فرنسا مكانها .

— اذا هما لا يعملان في سبيل استقلال هذه البلاد بعد فصلها عن السلطة العثمانية

— كلا

— وما هي مساعيها الجديدة ؟

— ان عبد الكريم بك الخليل يعرف حق المعرفة حقيقة موقف القوات العثمانية في هذه البلاد وهو يري ان الموقف الحاضر خير مساعد للحركة الثورية التي يعمل في سبيلها .

ان الحلفاء يعتقدون انه ليس في مقدورهم مهاجمة هذه السواحل مهما بذلوا من جهود لسببين الاول لخوفهم من القوات الموجودة وعدم فتح جبهات جديدة والثاني لعدم ثقتهم بالاهاين ولهذا ارادوا ان يهيئوا الموقف منذ الان حتي اذا قام الشعب بثورة هذه عمدوا الى العمل .

وعبد الكريم بك الخليل الذى ادخلتموه المعسكر وعرف حقيقة قواتكم ادرك ان الموقف الحاضر — خصوصا بعد ارسال نجدة من قواتكم الى المضايق — ان الوقت موافق لهذه الحركة ولهذا قام يطوف على انصاره في صيدا و بيروت يدعوهم الى الثورة

— وهل لديكم ما يؤيد هذه الامور ؟

— ان لدي دليلين على هذا الامر

الاول — الاشاعات المتواترة عن مهمة عبد الكريم الخليل في هذه المنطقة واجتماعاته المتوالية برضا بك الصلح وعبد الوهاب الانكليزي ورفاقه

الثاني — التصريحات التي ادلى بها الشيخ محمد ابراهيم .. فقد جاءني محمد عبد المنعم وهو من اهالي انصار وافادني ان الشيخ محمد ابراهيم من سكان قرية انصار صرح امامه وامام كثيرين من سكان القرية الذي زاروه ان عبد الكريم بك الخليل اجتمع به واعلمه انه يعمل في سبيل احداث ثورة وقال حان وقتها وانه

قريبا ستندلع نيران هذه الثورة وان بين الذين سمعوا هذا الحديث من عبد الكريم الخليل كلا من الشيخ رشيد عسيران والشيخ احمد رضا والشيخ احمد عارف الزين وان شركاءه هم رضا بك الصلح (ورفاقه الذين لا اذكر اسمائهم الان)



الشهيد عبد الكريم الخليل

وقد افاد كامل بك الاسعد جمال باشا ان في امكانه ان يتأكد هذه الحقيقة من قائمقام صيدا ضيا بك لانه سبق وعرض عليه هذه القضية وان محمد عبد المنعم كرر هذه التصريحات امامه مرة ثانية

وقد دارت في ذلك الوقت احاديث مختلفة بين احمد جمال باشا و كامل بك الاسعد تتعلق في موقف قومه تجاه الدولة العثمانية فاكد البيك ان مواطنيه هم من الدولة العثمانية قلبا وقالبا وانه اذا سمح له الباشا عاد الى موطنه والف هناك فرقا من المتطوعة تعمل على مقاومة ارباب الفساد والذود عن حياض الوطن فلا يكون لعبة في ايديهم يستخدمونها في سبيل خدمة الاجنبي وتحقيق مطامعه الاستعمارية في هذه البلاد .

وقد شكره احمد جمال باشا على شعوره الوطني هذا ووعده بالمعاضدة

وفي المساء نفسه عقد اجتماع في غرفة احمد جمال باشا حضرته مع علي فؤاد بك رئيس اركان حربه وفؤاد بك سليم رئيس شعبة الشؤون المصرية وفيه تقرر توقيف جميع الاشخاص الوارد ذكرهم في افادة كامل بك الاسعد وفي تقرير ضيا بك قائمقام صيدا وتحري دورهم وسائر الدور والمكاتب المشتبه بها واحالة الجميع الى الديوان الحربي العرفي في عاليه .

وفي الوقت نفسه طيرت برقيات الى مدير شرطة بيروت ومختلف الجهات بمراقبة بعض الاشخاص المشتبه بهم وتوقيف فئة اخرى من هؤلاء .

وقد تمت هذه التوقيفات جميعها فوراً وارسل الموقوفون مع الاوراق التي وجدت معهم الى الديوان الحربي العرفي في عاليه للبت في هذه القضية مع جميع القضايا التي تفرعت منها وفي اليوم الخامس عشر من شهر اب سنة ١٩١٥ اصدر الديوان الحربي العرفي قراراً يتضمن الحكم بالاعدام على الاشخاص الاتية اسماؤهم :

المحكومون بالاعدام

ان الديوان الحربي العرفي المؤلف في عاليه حكم عملا بالمادة ٥٤ من قانون الجزاء باعدام كل من عبدالكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي وسليم الاحمد عبد الهادي المحامي وعضو مجلس ادارة جنين ومحمد محمود المحمصاني ومحمود العظم (تاجر) ونور القاضي وعبد القادر الخرسا ومحمد الارمنازي (صحافي وصاحب جريدة نهر العاصي) ونايف تلو من مأموري التحصيل في المالية ومحمد مسلم عابدين مامور اوقاف اللاذقية وصالح حيدر رئيس بلدية بعلبك وحافظ سعيد من وجهاء يافا ونايب القدس السابق في مجلس المبعوثان العثماني والشيخ سعيدالكرمي مفتي بني صعب

وحكم بالاعدام غيابا على كل من رفيق العظم ، حقي العظم ، رشيد رضا ، داود بركات ، فارس نمر ، شبلي شميل ، خليل مطران ، وجورج عبدالمسيح

جبرائيل اصفر ونجيب عازوري والفرد عازوري وجورج بحري وعزيز بحري الامير خليل ابي اللمع ، خليل بولاد ، هنري حبيب بولاد ، نجيب بستاني ، يوسف بستاني ، فيليب شيحا ، نجيب قطان ، نجيب قريصاتي ، جورج دوماني ، جورج قريصاتي ، كاميل اده ، جان عبيد ، نجيب غناجه ، الدكتور غرزوزي



الشهيد محمد المحمصاني

نعمة الله غانم ، روفائيل غره ، ميشال لطف الله ، الدكتور يوسف كحيل ، الشيخ يوسف الخازن ، جورج خير ، رشيد خياط ، ادمون ملحمه ، الدكتور خليل مشاقة ، يوسف سمعان صيدناوي ، الياس زنانيري ، سليم شميل ، يوسف زنانيري ، الياس زهار ، الفونس زينية ، قسطنطين يني ، عبد الغني العريسي ، عمر حمد ، حسن حماد .

وبالسجن المؤبد على عدد آخر وفي مقدمتهم رضا بك الصلح ورياض بك الصلح واسعد بك حيدر والدكتور حسين بك حيدر

قرار الحكم عند جمال — لم يعمد احمد جمال باشا هذه المرة الى التصديق على احكام الاعدام فوراً كما فعل مع المحكومين العاديين السبعة الا انه قسم هذه اللوائح الى قسمين الاول يتعلق بالمحكومين غير الموقوفين والاخر يتعلق بالمحكومين

الموقوفين فمع الفئة الاولى اكتفى بتلاوة اوراق الحكم الصادرة من الديوان الحربي العرفي فقط فقدمنا اليه الاوراق على الوجه التالي :

اولا — قرار الديوان العرفي اي قرارات الاتهام التي وضعها الديوان الحربي العرفي في عاليه

ثانيا — قرار الحكم مع حيثيات الحكم

ثالثا — تقرير دائرة الاستخبارات عن شخصية كل فرد من المحكومين غيابا تتضمن خلاصة تاريخ حياته السياسية والعادية ، مولده وصنعته وعمره والوقت الذي غادر فيه البلاد وعمله قبل مغادرته البلاد

ثم لائحة باسماء اقاربه المقربين الموجودين في الوقت الحاضر في البلاد السورية — اللبنانية

وقد قدمنا هذه كلها الى احمد جمال باشا بعد ظهر اليوم نفسه ولما قدمتها اليه بنفسي فقال لي :

— وهؤلاء ماذا تريد ان افعل بهم ؟

— مولاي

— لم ارك تدافع عنهم هذه المرة مع انهم من وجوه هذه البلاد والمتنفذين فيها

— نعم يا مولاي الا ان هؤلاء بعيدون عن هذه البلاد واذا انتهت الحرب العالمية تبدل الموقف واعلن العفو العام وفي امكانه ان يشملهم ولهذا لم ار ما اعترض به على هؤلاء

— اذاً انت تعتقد انه ليس في امكاننا ان نطالهم لينفذ بهم القانون ؟

— مولاي !

— سأطالهم فان لم يكن هنا ففي مصر عندما تدخلها قواتنا وسيري هؤلاء من يكون الفائز منا في هذا الباب

— هذا ما ارجوه يا دولة الباشا الا ان الذي لم يدعني ابدي رأيي في الامر هو ان هؤلاء الاشخاص ليسوا موجودين هنا

يوقع الاوراق فوراً — وعند ذلك تناول احمد جمال باشا قلمه وغمسه في الدواة المركبة من الحبر الاحمر واخذ يوقع على الاوراق قائلا :

— ان كل نقطة من هذا الحبر الاحمر تذكرني بدمائهم التي ستسفك لخيانتهم امتهم ودولتهم



الشهيد محمود المحمصاني

وكان يوقع على هذه الاوراق بانفعال زائد كانه كان يتشفى بالتصديق على احكام الاعدام الصادرة بحقهم

نظمنا اللائحة الثانية المتعلقة باسماء المحكومين وجاها بالاعدام ثلاث نسخ كما هي العادة في مثل هذه الاحكام

الاولى — تتعلق بالاحكام الصادرة من الديوان الحربي العرفي مع بيان الفذلكة التي وضعها المجلس

والثانية — المتضمنة قرار الهيئة القضائية التي يستشيرها عادة احمد جمال باشا في مثل هذه الامور

والثالثة — تقرير دائرة الاستخبارات عن كل هؤلاء المحكومين بالاعدام

وهذا نص اللائحة الاخيرة كما وضعناها ورفعناها الى قائد الجيش الرابع بتاريخ ١٩ آب سنة ١٩١٥

قيادة الجيش الرابع

شعبة الاستخبارات

عمومي ٩١٧٥

ان الاشخاص الوارد ذكرهم ادناه قد حكم عليهم الديوان العرفي بالاعدام للاسباب الموضحة في بيانه المقدم انفا الى جانب قيادة الجيش الرابع الجليلة وهم :

اولا — عبد الكريم الخليل تظاهر بالصداقة للدولة العثمانية والاخلاص لصاحب الدولة احمد جمال باشا الا انه كان يعمل سراً مع رضا بك الصلح على اثارة الفتن في البلاد واضرام نار الثورة ضد السلطنة العثمانية و كان عضواً عاملا في الجمعية المركزية مع انه كان يتظاهر بسخطه على الدسائس والدعايات التى تقوم بها هذه الجمعية ضد صاحب الدولة قائد الجيش الرابع

ثانيا — سليم الاحمد عبد الهادي من اهالي جنين وعضو مجلس ادارة المنطقة المذكورة

ليس للرجل في الحقيقة اقل تدخل في شؤون هذا الحزب الا الكتاب الوارد من مصر والذي يثبت انه معتمد الحزب في جنين

عرف الرجل بتقربه من الدولة الا انه كان نفوراً من متصرف اللواء ولهذا دخل في الحزب ولا توجد ادلة راهنة ضده

ثالثا — محمد المحمصاني — كان كثير الاندفاع في تأييد اللامركزية في بيروت وهو من اعضائها المؤسسين وعدو لدود للدولة العثمانية واعماله وتصريحاته المختلفة تدل على انه كان عدواً مخيفاً لتركيا لا يتأخر بوجه من الوجوه عن الكيد للاتراك والعمل على جلب الاذى اليهم وقد اعترف في الديوان الحربي العرفي بانه كان يكره الترك وانه كان يعمل بكل قواه في سبيل مقاومة ظلم

الاتراك وتقلص ظلهم عن البلاد العربية

وهو رجل شديد الخطر على كيان الدولة وعامل قوي في سبيل التفرقة وعدم الاتحاد .

رابعا — محمود المحمصاني

المعرب — ردد بحق هذا الشهيد عين الاقوال الواردة بحق اخيه الشهيد محمد المحمصاني دون زيادة شيء عليها »



الشهيد نور القاضي

خامسا — محمود العجم — تاجر من اهالي بيروت كان عضواً في الجمعية اللامركزية الا انه لم يكن في حقيقة الامر من الاعضاء العاملين فهو شاب متحمس من اهالي بيروت دخل في سلك هذه الجمعية وعمل على تأييدها و كان يدفع العائدات المترتبة عليه كل شهر الا انه لم يكن ليعمل في هذه الجمعية عملا جديا ولم يكن هناك اقل خطر منه على الدولة

سادسا — نور القاضي — كان عاملا مضراً من اركان هذا الحزب فهو الذي كان وسيط المخابرات والعامل في سبيل نقل الاوراق بين الفريقين والوسيط في

ارسال التحارير في البريد الاجنبي

ان الرجل وان لم يكن عاملا قويا في ادارة هذه الحركات الفسادية وذا تأثير في البلاد الا انه على كل حال كان ذا تأثير في الوسط الذي وجد فيه وساعد على تامين طرق المخابرات بين اعضاء هذه الجمعية عاملا قويا على ازدياد الانشقاق بين الترك والعرب ساعيا في سبيل تأييد النفوذ الافرنسي في البلاد ومقاومة الدعايات العاملة على توطيد الالفة والاتحاد بين العنصرين التركي والعربي

سابعا — عبد القادر الخرسا — وجيه من وجهاء بيروت دفعه انصاره واصدقاؤه في مصر لان يكون من اعضاء هذه الجمعية فكان منها وهو وان كان قد حمل مخابرات الحزب من مصر وان كان عضوا في فرع بيروت الا انه لم يكن يهتم كثيرا لهذه الامور وهو لم يكن عدوا للترك وان كان يتظاهر بعدم محبته لهم

ان عبد القادر الخرسا ليس عنصرا خطرا على سلامة الدولة في الوقت الحاضر

ثامنا — نايف تللو — موظف في ادارة المالية في البقاع وعضو عامل في الجمعية يعتمدون عليه في كثير من المواقف ولهذا رأيناهم يعينونه معتمدا لهم عاملا في سبيل تنشيط هذه الجمعية وزيادة اعضائها في المنطقة الموجود فيها

ان هذا الرجل الذي استخدم نفوذه في مركزه كمأمور تحصيل قام يندد باعمال الدولة مبينا ان الاموال التي تجبى ترسل الى الترك قصد استعمار العرب ابديا وفي مثل هذه الدعايات وغيرها تمكن في المنطقة الموجود فيها من ان يوجد جواً غير صاف ضد الدولة وضد الترك بوجه خاص

وهو رجل عدو للدولة العثمانية يكره الاتراك ويعمل في سبيل تفرقة العرب عن الترك ، ولهذا فهو شديد الخطر

تاسعا — محمد مسلم عابدين مامور في ادارة اوقاف اللاذقية وان الادلة اثبتت انه لم يكن عضواً في الجمعية اللامركزية ولا قام باي عمل ما في منطقته او غيرها في سبيل تأييد هذا الحزب او غيره والرجل وان كان متمسكا في دفاعه عن اللغة

العربية الا انه لم يقم بعمل ما تشتم منه علاقته في الاعمال العدائية ضد الدولة العثمانية او اثارة النعرات بين الترك والعرب

ان الرجل صديق قديم لحقي بك العظم وبينهما مخابرات قديمة وهذه الصداقة هي التي دعت حقي بك لان يحرر له بعض المكاتيب داعيا اياه للاشتراك



الشهيد عبد القادر الخرسا

في الحزب وهذه التحارير وحدها هي الدليل على الرجل وسبب الحكم عليه بالاعدام

ان الرجل لم يكن عدواً للدولة ولا عاملا بين الساعين في اثارة الفتن بين الترك والعرب ولهذا لا يوجد ما يخشى منه في هذا الوقت

عاشراً — صالح حيدر — كان رئيسا لبلدية بعلبك وهو ذو نفوذ وسطوة في المنطقة التابع لها وجوده على رأس بلدية بعلبك ساعده على تعزيز موقف الجمعية ونشر الدعايات لها

وصالح حيدر كان عاملا خطراً ضد الدولة العثمانية ومن اكبر المساعدين على ايجاد التفرقة بين الترك والعرب ومن العاملين في سبيل الجامعة العثمانية واحداث فتنة في المنطقة البقاعية والبعلبكية

ان الرجل خطر شديد على سلامة الدولة والبلاد

١١ – حافظ السعيد -- وجيه من يافا خدم بلاده بامانة واخلاص وانتخب نائبا عن القدس في مجلس المبعوثان العثماني الا ان لطفي وفكري بك اثر عليه في رحلته الاخيرة فجعله عدواً للاتحاديين ولهذا نقم عليهم ووجوده معتمداً للحزب في يافا لا يكون خطراً على سيادة الدولة خصوصا وان اهله من اصدقاء الدولة المخلصين

١٢ – سعيد الكرمي – مفتي بني صعب لم يكن مندفعا في تأييد اللامركزية وهو وان كان معتمداً لها في بني صعب الا انه لم يكن عدواً يخشى خطره على سيادة الدولة

وقد اظهر في الديوان الحربي وفي مختلف الادوار رغبة اكيدة في خدمة الدولة وتأييد اواصر الصداقة بين الترك والعرب »

تصديق حكم الاعدام – هذه هي الاوراق التي رفعناها الى احمد جمال باشا عن قضية اعدام هؤلاء الاشخاص

قد ظلت اكثر من ٢٤ ساعة لديه تحت الدرس وفي النهاية صدق احكام الاعدام على تسعة اشخاص فقط واستبدل حكم الاعدام بالنفي المؤبد على كل من صالح حيدر ، رئيس بلدية بعلبك ، وحافظ بك السعيد والشيخ سعيد الكرمي

وكانت للشيخ اسعد الشقيري مساع جمة في سبيل انقاذ الشيخ سعيد الكرمي فنجح .

وفي ٢١ آب نفذ حكم الاعدام بهؤلاء الاشخاص وفي اليوم نفسه نشرت الصحف بلاغا او منشوراً من القائد العام يتضمن قرار الحكم المذكور والاسباب التي دعت الى تنفيذ هذه الاحكام

الاحزاب الوطنية

عرف من الفصول السابقة الادوار التي لعبها دعاة اللامركزية في البلاد وما كان من تأسيسهم الجمعية الاصلاحية ومساعيهم في مؤتمر باريس ولكن الذي

لم يعرفه القراء الان هو ما يعني جمعيتي اللامركزية والنهضة اللبنانية وهذا ما نريد ان نبسطه لهم بصدد المؤامرة الاخيرة

اللامركزية

في سنة ١٣٢٨ قامت فئة من العرب تعمل في مصر لحساب الاجانب



الشهيد نايف تللو

فان السر آلدن غورست قام بعد الحرب البلقانية يعمل في سبيل تحقيق المشروع الواسع الذي تطمع به بريطانيا وحليفتها فرنسا وهو يقضي ، كما تبين من افادة عبد الغنى العريسي التي نشرت في الصفحة ٤٤ من الكتاب الذي نشرته قيادة الجيش الرابع ، الى تقسيم البلاد العربية فقد صرح عبد الغنى العريسي قائلا :

« يذكر لي رشيد رضا منذ سنتين ونصف السنة انه فهم من مصدر رسمي كبير (يعني به الخديوي) ان نتيجة الحرب البلقانية ستكون تقسيم الدولة العثمانية وان سوريا ستكون من نصيب فرنسا من خط حيفا الى اسكندرون ولانكلترا من حيفا الى مصر مع جزيرة العرب ويتصل حكم انكلترا من مصر

الى الهنـد ماراً بالقسم الجنوبي من ايران الذي هو تحت نفوذ الانكليز وتمد انكلترا خطا عريضا حديديا من مصر الى فلسطين فباديه الشام فالعراق ومنها الى العجم والهند .

فهذه التصريحات التي أدلى بها عبد الغني العريسي دلت على مقدار اهتمام الحلفاء في شؤون البلاد العربية ولهذا رأيناهم يشجعون حقي العظم وعبد الحميد الزهراوي ورفيق العظم والشيخ رشيد رضا على توسيع منطقة نفوذهم حتى اذا كان عام ١٣٣٠ ه الفوا « حزب اللامركزية الادارية العثمانية » وهذا نص قانونه :

المادة الاولى — الف حزب سياسي باسم حزب اللامركزية الادارية العثماني

المادة الثانية — القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات اجناس ولغات واديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية

المادة الثالثة — ليس هذا الحزب خفيا وليس فيه ما يعد من الاسرار فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهراً وعلانية دون الخشية من احد لاعتقاده يقينا ان الدولة لا تبقي في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها على اساس اللامركزية الادارية

هذه هي المواد الاساسية لحزب اللامركزية ومع ان هذا الحزب تألف رسميا في اوائل عام ١٣٣٠ اي ١٩١٢ فانه في اشهر قليلة لقي رواجا عظيما في البلاد العربية فتأسست له الفروع والشعب في مختلف الجهات العربية

نقمة جمال على اللامركزيين

وقد تبين لنا من الوثائق والمعلومات الواردة الينا من الوكالة العثمانية في مصر ان هناك شبه اتفاق بين اللامركزيين وجماعة حزب الحرية والائتلاف وقد بدا لنا ما يلي :

اولا — وجود اتفاق خطي بين صادق بك زعيم حزب الحرية والائتلاف ورفيق بك العظم زعيم حزب اللامركزية

ثانيا — ان الفريق الاول وعد بمعاضدة الفريق الثاني لتحقيق مشروعه في سبيل اعطاء البلاد العربية حقوقها المعينة في منهاج الحزب على ان تظل تابعة لامركزيا الى الدولة العثمانية



الشهيد عبد الغني العريسي

ثالثا — في حال عودة حزب الحرية والائتلاف الى الحكم في السلطنة العثمانية . وبعد قبولهم منح الولايات العربية اللامركزية الواسعة يتعهدون باعهاد الحكم الى شفيق بك المؤيد العظم

رابعا — يتعهد اللامركزيون في مصر وانصارهم في البلاد العثمانية بمقاومة الاتحاديين وتاييد نفوذ حزب الحرية والائتلاف بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق هذه الغاية

خامسا — ايد هذه العهود نفسها كامل باشا الذي كانوا يريدون توليته الصدارة العظمى في السلطنة العثمانية

حقد جمال عظيم ، . . — وشاءت الاقدار القاسية ان يكون احمد جمال باشا افظا عسكريا لاستمبول عند ما شرع حزب الحرية والائتلاف بتنفيذ مؤامرته لاتفاق مع اللامركزية والتي قتل فيها محمود شوكة باشا وحضر فيها كامل شا الى استمبول فان احمد جمال الذي كان يحب محمود شوكة باشا الدرجة العبادة الذي كان اتحاديا قحا وعدوا لدودا للائتلافيين لم ترقه مساعي اللامركزيين عرب مع حزب خصومه ومنذ ذلك الوقت بدأت خصومته مع هؤلاء او بدأ قده الشديد عليهم

ان العنفوان والاباء اللذين اظهرهما نواب العرب ورجالاتهم في استمبول منذ ادثة عزيز علي بك المصري ضد انور وطلعت وجمال كانت من الاسباب ئيسية التي زادت في حقد هؤلاء الذين باتت مقدرات البلاد بيدهم على العرب

عرف القراء مما تقدم شيئا عن حزب اللامركزية وكيف تألف وعلاقاته حقد احمد جمال باشا عليه منذ تولى حاكما عسكريا في العاصمة

وقد كان الاتحاديون يعلمون ان هناك دعايات شديدة تقام في البلاد الخارجية على الاخص في باريس بواسطة جماعة تعرف باسم «جمعية تنشيط الطلبة المسلمين عرب في اوربا» كانت في الحقيقة تعمل ضد الدولة العثمانية ولهذا قررت جمعية لاتحاد والترقي ان تعمل على مقاومة هذه الجمعية فخصصت في موازنتها مبلغ الف رة ذهبية في العام لناد اسسته في العاصمة الفرنسية اطلقت عليه «نادي الاخوة لاسلامي» ووضعته تحت حماية السفارة العثمانية مباشرة

ان اعضاء النادي الاول يقولون انهم اسسوا ناديهم هذا في سبيل معاونة ابناء عرب في مختلف الاقطار العربية وانه لم تكن لديهم دعايات مضرة بالدولة ، ولو كانوا صادقين في مدعاهم ، فلماذا لم ينضموا الى نادي الاخوة الاسلامي وهو يملك ا. فسيح الاركان ويحوي على سائر المعدات الموجودة في الاندية الراقية

انهم يعلمون ان هذا النادي موضوع تحت اشراف السفارة العثمانية مباشره هذا الاشراف هو الذي ابعدهم عنه وان يكونوا يدا واحدة ضده مع الدول المتحالفة

مؤتمر باريس

والوثائق الموجودة لدينا تدل على ان الوساطات الافرنسية او التدخل الافرنسي المباشر في شؤون اللامركزيين بدأت يوم عيد رأس السنة عام ٩١٣ فان شفيق بك المؤيد في الوقت الذي كان يتفق فيه مع الائتلافيين لتوطيد مطالب الحزب فيما اذا عادوا الى مقاعد الحكم ، قابل السفير الافرنسي في استمبول المسيو بومبار وباحثه في الاصلاحات الواجب تنفيذها في اصول ادارة سوريا وعن اللامركزية وعن قلب ولايات سوريا الثلاث الى امارة

وقد ايد هذه الحقيقة كتاب السفير الافرنسي الذي وجد في اوراق القنصلية كما ان التقارير السرية الواردة من الشعبة المصرية دلت على ان الرجل خابر السفير في مسألة اسناد الامارة اليه اذا تحققت هذه المطالب

وهكذا لعب شفيق بك وانصاره الموجودون في مصر على الحبلين بواسطة فرنسا وانكلترا التي تؤيد حزب الحرية والائتلاف وهو كان يساوم في ذلك الوقت على امارة سوريا الفريقين الافرنسي والانكليزي فاي منهما عضده وعمل معه .

مؤتمر القاهرة

ولكن التصريحات التي ادلى بها عبد الغني العريسي عن تقسيمات سوريا في الحرب البلقانية كانت حقيقية وقد ايدها الخديوي عباس حلمي باشا بواسطة فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري لانور باشا عندما ساله عنها في شهر ايلول سنة ١٩١٥ حيث اكد فريد بك هذه الحقيقة واكد وجود اتفاق بين الافرنسيين والانكليز على هذه القسمة ولهذا رأينا الافرنسيين يعملون على نشر دعاياتهم في المحيط السوري

وقد تلقينا ونحن في مديرية الامن العام في استمبول تقريراً من المفوضية

العثمانية في القاهرة هذا نصه :

القاهرة في ٢٢ مارت سنه ١٣٢٩ «أي في ٥ نيسان سنة ٩١٣»

رقم خصوصي — ٤١٧

رقم عمومي ١٠٨١٧ — ٩٨٢٠

شيفرة جد مستعجل

جوابا على برقيتكم المؤرخة في ١٨ مارث (اذار) سنة ١٣٣٩ :

لا يزال شفيق بك المؤيد يعمل بكل قواه في سبيل تحقيق فكرته وقد قابل الخديوي عباس حلمي باشا ثلاث مرات خلال هذين الشهرين ومع ان الخديوي نصحه في ان لا يركن الى الانكليز في خططه التي يعمل لاجلها الا انه لم يعارضه في مسألة اتصاله بالافرنسيين

ان رسلي السريين افادوني ان شفيق بك كان على اتصال دائم مع ممثل فرنسا السياسي في القاهرة وقد زاره في هذا الشهر ثلاث مرات وكان برفقته في المرة الثانية الشيخ عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون وفي المرة الثالثة زاره لوحده الا انه كان هناك السيد التويني احد وجهاء بيروت وترجمان القنصلية الافرنسية في بيروت

وفي ١٨ اذار عقد زعماء اللامركزية اجتماعا في منزل اسكندر عمون تراسه الشيخ عبد الحميد الزهراوي وتذاكروا في القضية السورية

وقد افهمني مخبري وهو من المتصلين بالجماعة ومن اركانهم ان الحكومة الافرنسية افهمت المجتمعين انه ليس في امكانها في الوقت الحاضر ان تتدخل في شؤونهم مباشرة مع انها تعاضدهم عمليا وان في امكانها تحقيق هذه المساعدة الفعلية اذا هم عقدوا مؤتمراً في باريس وطلبوا معاضدتها في سبيل تحقيق مطاليبهم والمخابرات التي دارت بين هؤلاء الاشخاص والقنصلية الافرنسية هي لافهامهم خطة العمل .

وفي الاجتماع الذي عقدوه في بيت اسكندر عمون اتخذوا مقررات جديده

وهذا ما علمته عنها :

اولا — عقد مؤتمر عام في باريس يمثل سائر البلاد العربية التي تعمل في هذا السبيل

ثانيا — سلخ البلاد السورية عن جسم السلطنة العثمانية

ويقول محدثي ان في النية جعل هذه البلاد امارة على ان يتولاها شفيق بك المؤيد الذي سعى بواسطة الممثل السياسي لفرنسا في القاهرة على تحقيقها

ثالثا — ابلاغ الخطة المذكورة الى الحكومة الافرنسية

رابعا — السعي لحمل الحكومة الافرنسية على القبول بحماية هذه البلاد

خامسا — القبول بضم جبل لبنان الى الامارة السورية

اعمال المتآمرين

هذا هو التقرير الذي وردنا يومئذ من المفوضية العثمانية في القاهرة والذي اهتم له كثيراً اركان حزب الاتحاد والترقي وقرروا ان يعملوا على مقاومة هذه الفكرة بواسطة امين سر الحزب العام وعبد الكريم بك الخليل اللذين اوفدوهما الى باريز .. وفي باريس كانت مساع اخرى تبذل في سبيل مؤتمر باريس يدير شؤونها الاستاذ شارل دباس الذي يتولى اليوم رئاسة الجمهورية اللبنانية

وهذه المساعي بدأت بمنشور وزع هذا نصه:

دعوة الى ابناء الامة العربية

نحن الجالية العربية في باريس قد اوقفتنا مناظرات الجرائد الاوربية ومغامز السياسة في الاندية العمومية الى استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشان البلاد العربية واخصها زهرة الوطن سوريا ولم يبق بين جمهور الناطقين بالضاد من لا يعلم ان ذلك نتيجة سوء الادارة المركزية

فحدا بنا الامر الى الاجتماع ، وعددنا ينيف عن الثلاثمائة في هذه المدينة فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الارض ، المترعة بدم الاباء العظاء ورفات الاجداد الاباة ، من عادية الاجانب وانقاذها من صيغة التسيطر والاستبداد

واصلاح امورنا الداخلية على ما يتطلبه اهل البلاد من قواعد اللامركزية حتى يشتد بها ساعدنا وتستقيم قناتنا فينقطع بذلك خطر الاحتلال او الاضمحلال وتنقى مذلة الرق وتخفق نقمة الاستعباد ويظهر لاعين جميع الشعوب اننا امة عيوفة الضيم لا تستنيم لذل ولا تستكين لمسكنة

وبعد المداولة تقرر عقد موتمر للعرب يقوم به السوريون في اواخر شهر ايار القادم فتفد اليه وفود اكابر البلاد العربية وعقلاء افاضل من السوريين المهاجرين لمصر واميركا الجنوبية واميركا الشمالية والبلاد الاوربية فتمثل فيه الامة العربية المنتشرة في اقطار الارض وتحقق كلمة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الامة في هذا المؤتمر حيث نبسط للامم الاوربية اننا امة مستمسكة ذات وجود حي لا يضمحل ومقام عزيز لا ينال وخصائص قومية لا تتزعزع ومنزلة سياسية لا تقرع

وعندها نصارح الدولة العثمانية بان اللامركزية قاعدة حياتنا وان حياتنا اقدس حق من حقوقنا وان العرب الشركاء في هذه المملكة، شركاء في الحرية شركاء في الادارة، شركاء في السياسة واما في الداخلية فهم شركاء انفسهم

ومن ثم انتخبت الجالية لجنة ادارية (وهي الموقعة على هذا) لتقوم بالعمل فوضعت خطة المؤتمر وما سيجري فيه من المباحث على مشهد من ابناء الوطن المجيد وبعض من كبار الاوربيين وممثلي الصحف الاوربية والاميركية

وهذه هي المسائل التي ستكون اساس المذاكرات

اولا — الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال

ثانيا — حقوق العرب في المملكة العثمانية

ثالثا — ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية

رابعا — المهاجرة من سوريا والى سوريا

ومتى تمت المناقشات حمل المؤتمر قراراته الى حيث يتحتم عليها التصديق ويحق التنفيذ

وبعد فاننا ندعو كل من يخفق قلبه لامة العرب صغيراً او كبيراً ان يابي

داعي الوطن لا سيما ارباب الزعامات في مقاعد الجمعيات فعليهم نعتمد واليهم نتجه، فاما ان ينضموا الى وفود المؤتمر واما ان يبعثوا اليه بالرسائل البرقية او الكتابية يظهرون فيها ارتياحهم لنيل الغاية واشتراكهم في شريف المقصد حتى يدلي المؤتمر لدى الامم بحجته ويستوثق بقوة امته.

وهناك ينشق اليقين فيطل على هذه الامة فجر الحياة من بين ركام الظلمات.

وسلام على من تلقى هذا النور فما اعشاه ومن عرف واجبه فاداه.

لجنة المؤتمر العربي السوري

عوني عبد الهادي، ندره مطران، عبد الغني العريسي، شكري غانم، جميل معلوف، محمد محمصاني، شارل دباس، جميل مردم بك.

المراسلات تكون باسم كاتب اللجنة وهذا عنوانه عبد الغني العريسي.

١٧ شارع كلود برنار ١٧ — باريس.

فشل موتمر باريس — وقد اجتمع موتمر باريس في الوقت المعين الا انه لم يكن ناجحا النجاح الذي سعى اليه هؤلاء لان الحكومة اوفدت مدحة شكري بك وعبد الكريم بك الخليل وحملا المندوبين المسلمين على عدم الاشتراك في المؤتمر.

وهكذا كانت جلسات المؤتمر التي دامت ستة ايام لا قيمة لها قط والى القراء المقررات التي اتخذها.

اولا — ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب ان تنفذ بوجه السرعة.

ثانياً — من المهم ان يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بان يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعلياً.

ثالثاً — يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها.

رابعاً — كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في

٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٢ باجماع الاراء وهي قائمة على مبدأين اساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين اجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين .

خامساً — اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية اللغة الرسمية في الولايات العربية

سادساً — تكون الخدمة العسكرية محلية في الولاية العربية الا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى .

سابعاً — يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها .

ثامناً — يصادق المؤتمر و يظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية .

تاسعاً — سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة السنية العثمانية

عاشراً — وتبلغ ايضاً هذه القرارات للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية

الحادي عشر — يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها .

ووضع ذيل لهذه القرارات هذا نصه :

اولا — اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول اي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها .

ثانياً — ستكون هذه القرارات برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة اي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

هذه هي المساعي التي بذلت في سبيل المؤتمر في باريس ومجل ونحن لا نريد ان نعود الى بحثها لاننا فصلناها في الاقسام الاولى من هذه المذكرات الا

اننا نريد ان نروي بعض معلومات عن الذين دبروا مؤتمر باريس وعلاقة في اعدام الشبان اللبنانيين والسوريين بعد ما بينا ان مساعي هؤلاء بالاشتراك مع الجمعية اللبنانية والجمعية اللامركزية سبب هذه الحوادث .

تعرفت الى شارل الدباس في ظروف خاصة ، فقد كنت في ادارة الامن العام عند ما جاء المشار اليه الى العاصمة العثمانية مندوباً من قبل حزب الاتحاد والترقي لتحرير القسم الافرنسي من جريدة طنين .

فان الاتحاديين الذين رأوا الدعايات الواسعة تقوم بها الصحافة الاجنبية ضدهم في البلاد والخارج وارادوا ان يدافعوا عن انفسهم و يظهروا حقيقتهم للاوربيين لم يرضوا ان يكون هذا الدفاع عن طريق الصحف الاجنبية او المحررين الاجانب بل عن طريق صحفهم ومحرريهم ولهذا استدعوا اليهم الدباس من بيروت ليحرر هذا القسم الذي لم يصدر من « طنين » .

كيف تعرف المؤلف بالدباس — وفي يوم دعاني طلعت باشا اليه واعلمني بوصول الدباس وقال :

— انهم في الحقيقة استدعوا الرجل من بيروت الا انني لا اثق به واخشى ان تتحول السياسة في الجريدة الى ما يريده الافرنسيون ولهذا فاننا نطلب مراقبته بدقة زائدة ومعرفة الاشخاص الذين يتصل بهم .

وكانت نتيجة المراقبة التي قام بها رجالي انه ثبت لي ان الدباس كان على اتصال بابناء وطنه السوريين وفي مقدمتهم الوزير الاتحادي سليمان افندي البستاني وآخر يدعى امين افندي تقي الدين (وهو الاستاذ امين تقي الدين المحامي والشاعر المعروف) الا انه كان بعيداً عن الاختلاط بالفئات العربية التي كانت تشتغل في سبيل القضية العربية .

وكان في الوقت نفسه يتردد على السفارة الافرنسية الا ان تردده هذا لم يكن ذا اهمية لان الدباس لم يكن في ذلك الوقت ذا نفوذ في بلاده حتى يهتم بمقابلته السفير او نهتم نحن من هذه الوجهة

وقد قادتني رغبة التعارف الى ان اجتمعت به في مكتب حسين جاهد بك الذي قدمني اليه ولما كان يجهل التركية التفت الي معتذراً عن عدم امكانه الافصاح عن فكره بالتركية واخذنا نتبادل الحديث معاً بالافرنسية .

شعور المؤلف في شارل دباس — ان مجرد نظرة على شارل الدباس لا تمكنك من معرفة حقيقته فهو غامض مكتنف بالاسرار لا يدل مظهره على حقيقته قط .

عند ما اجتمعت به سألته رأيه في حزب الاتحاد والترقي فقال :

انني اؤيد مناهجه واستحسنه لان فيه كثيراً من الفائدة للبلاد ، الا ان هناك نقطة لم يعرف اركان الحزب ان يستفيدوا منها وهي تقريب العرب منهم واعتقد ان الوقت يتسع لهم لكي يصلوا الى هذه الغاية !

— ومع الخارج ؟

— اعتقد ان من الواجب التفاهم مع الافرنسيين .

— اي انك تريد منا ان نضع يدنا بيد الافرنسيين ونسلمهم اقتصاديات البلاد ؟

— كلا ليس هذا ما اعني وانما اري ان التفاهم مع الافرنسيين خير للبلاد العثمانية

— ومن اعلمك ذلك ؟

— ان صداقتي مع بعض رجالهم افهمتني هذه الحقيقة .

— اذا لقد كنت صديقاً للافرنسيين والآن تريد ان نكون صديقنا

— انكم تذهبون بعيداً في تفسير قولي ، فانا وان كنت صديقاً لبعض الافرنسيين بواسطة جريدتي التي كنت اصدرها في بيروت الا ان هذا لا يعني ما تذهبون اليه فانا اليوم فرد من رعايا الدولة العثمانية .

— اذاً في امكان حزب الاتحاد والترقي ان يعتمد عليك ؟

— بدون شك

عواطف شارل دباس — هذه خلاصة الحديث الذي كان مطولا والذي دار بيني وبين شارل دباس بحضور حسين جاهد بك واحد محرري جريدته احساس

بك . الا ان الذي تبينته ان الرجل ليس في امكانه ان يكون مخلصاً للدولة العثمانية فهو وان كان قد تظاهر بهذا الاخلاص بهذه المهارة الا انه كان متشربا بمبادي، التمسك بمحبة الاجانب كارها للدولة .

وقد تأكدت لي هذه الحقيقة بعد ايام قليلة حيث ابلغني احد رجالي بان شارل دباس صرح في « سركل دوريان » امام موسى بك سرسق وشفيق بك المؤيد « انه ما قدم استمبول الا لخدمة امته و بلاده وانه سوف لا يمكث في استمبول الا في سبيل تحقيق هذه الغاية » اي ان الرجل يريد ان يمثل دور العدو الصديق معنا .

ولكن ظنونه هذه لم تحقق لان امره ما لبث ان عرف من اركان الحكومة **تقرير ضد الدباس** — وفي هذه الاثناء وردنا تقرير من احد اللبنانيين المتصلين بنا هذا نصه :

«ان شارل الدباس يعمل مع سليمان افندي البستاني وامين تقي الدين والدكتور اسعد حيدر في سبيل احداث فتنة في البلاد اللبنانية تمهيداً لحمل الافرنسيين على احتلال هذه البلاد ، وقد زار الدباس في هذا الاسبوع السفارة الافرنسية ثلاث مرات الاولى صباح الثلاثاء في الساعة العاشرة وظل هناك الى الساعة الحادية عشرة .

والثانية في الساعة الرابعة من بعد ظهر الاربعاء .

والثالثة الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم (السبت) .

والذي علمته من احد المقربين اليه ان زيارات الدباس تنحصر في المسائل المتعلقة بالحركة السورية اللبنانية وفي محاولة تنظيم جمعية سرية في استمبول » .

ان هذا التقرير الذي جاء بعد الاخبار المذكورة احدث بعض الاستياء في نفوس رجال الحكم الا ان سليمان افندي البستاني الرجل المحترم من اركان الحزب والصديق الوفي لهم وللدولة ما لبث ان سئل واظن بعد اسبوع ، عن حقيقة ما جاء في هذا التقرير فأفاد قائلا :



المرحوم سليمان افندي البستاني

انني اعرف جيد المعرفة شارل الدباس لانه مواطني وهو شاب نابه ذكي افتخر به واتمنى له مستقبلا باهراً . الا ان الرجل لم يحادثني في محاولته تأليف جمعية ضد الدولة ولا اعتقد انه يقدم على مثل هذا العمل » .

ولم يرد طلعت باشا ان يبين لسليمان افندي حقيقة هذا التقرير الذي قدمه الينا مخبرنا وهو من كبار المقربين من سليمان البستاني .

وانا وان كنت لا اعتقد في صحة اشتراك البستاني في هذه المؤامرات فلم اكن اعتقد باخلاص الدباس للاتحاديين وامكان العمل معهم ولهذا قلت لطلعت باشا :

— ان في امكاننا اذا اردنا ان نعمل على اصدار نسخة ان نستدعي غيره و بين المسلمين من هم اكثر اخلاصاً للدولة منه ، واذا كان لا بد ان يكون المحرر مسيحيا فهناك صديقنا جورج بك حرفوش الذي في امكانه ان يحقق هذه الغاية اذا اسعف بالنقود اللازمة .

وقد اقتنع طلعت بهذه النظرية وقرر عدم استخدام الدباس في هذه المهمة فيما بعد وقد وردتنا تقارير يومية ضد الدباس اليك بعضها :

لا اعتقد دائمًا في نزاهة المحررين الذين تستخدمهم الشعب السياسية في الدولة العثمانية وهم في الاكثر على قسمين :

الاول — المتطوعة الذين يتقدمون باخبارهم للوشاية بخصومهم السياسيين او لمجرد مداهنة للاركان الحربية .

الثاني — فئة النفعيين .

فالفئة الاولى لا تستند في اخبارها الا على العاطفه العدائية فقط لا علاقة لهم في مصلحة الدولة ولا يهمهم الا الكيد لخصومهم وهؤلاء كانوا سبباً رئيسياً للمصائب التي احاقت بالبلاد و بهم معاً .

اما الفئة الثانية فقد كانت على عكس الفئات التي تستخدمها الدول الاوربية ان الذين يلدستسدمن في دوائرنا اما ان يكونوا من الفئة التي بلا عمل وهذه لا فائدة منها قط لانها لا تكون على اتصال باحد من الذين يراد مراقبتهم او من

بعض الدساسين وهؤلاء لا يهمهم الا تلفيق الاخبار واملاء التقارير سواء كانت حقيقية او غير حقيقية فاذا صدق ان جاءنا تقرير حقيقي فهم يبنونه على الظواهر دون ان يتكبدوا مشقة معرفة الحقيقة ، بعكس دوائر الاستخبارات الاجنبية التي نرى من رجالها عظماء ذوي مكانة ونفوذ في البلاد يطلعونها على ادق الاسرار واخفاها

وهذه الفوضى الموجودة في بلادنا هي التي جعلتنا دائماً نتلقى الاخبار غير حقيقية .

فلمجرد اعلامنا اثنين او ثلاثة من رجالنا بضرورة مراقبة شارل الدباس والمتصلين به كانت تردنا منهم يومياً اخباراً متناقضة عن حركات الرجل واعماله فاحدهم وهو المعروف عند الدائرة بذكائه واقتداره جاءنا يوماً يقول :

« ان شارل الدباس حاول الانتحار » ولكن الرجل لم يعرف لماذا حاول الانتحار خصوصاً وقد كنا نستبعد الرواية العربية التي رواها لنا عن هذا الحادث .

وجاء غيره يقول في اليوم الذي جاءنا به الاول بروايته : « انه شاهد الدباس مع احدى السيدات في نزهة في محلة بك اوغلو » ومن البديهي ان نستغرب هذه الرواية ايضاً لانه كيف يعقل ان الرجل الذي تسيطر على دماغه فكرة الانتحار يكون في الساعة نفسها يتجول مع سيدة في « بك اوغلو »

ثم جاء الثالث يقول انه امضى نهاره بطوله في دار سليمان البستاني مع صديقه امين تقي الدين

ان هذه الروايات الثلاث المتناقضة حيرتني وبت غير قادر على نقل هذه المعلومات الى وزارة الداخلية ومركز الحزب ولما استجوبت هؤلاء المخبرين الثلاثة كل على حدة كما يوجب الامر ، اقسم كل منهم على صحة روايته وانه شاهد وسمع الامر بنفسه

تسمم الافكار — الا ان هذه الامور قد اضعفت الثقة بالرجل وجعلت

ار كان الاتحاديين يبتعدون عنه رغم الوساطات التي كان يبذلها سليمان افندي البستاني حتى انه طلب ان يعين الدباس كاتباً في احدى السفارات العثمانية فرفض طلبه هذا وقد سافر الدباس الى باريس

الدباس في باريس — وفي باريس بدأت ترد الاخبار ضده من شعبة الاستخبارات الموجودة هناك فقد اكدت جميع التقارير التي وردتنا انه بات يعمل يداً واحدة مع الافرنسيين وانه على اتصال دائم مع وزارة الخارجية الافرنسية يعمل معها في سبيل اثارة سكان سوريا ولبنان ضد الدولة العثمانية وانه كان الوسيط بين جمعيات الطلاب ووزارة الخارجية الافرنسية في تكوين عنصر معاد للدولة العثمانية في باريس وهو الذي حرض الموجودين هناك على عقد مؤتمر باريس وهذ نص التقرير الذي وردنا من باريس في هذا الصدد:

تقرير باريس ضد الدباس

باريس في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٥

رقم عمومي ٨٤٥ — ١٢٥٠

رقم خصوصي ٦٧

شيفرة .

قبلت في هذا اليوم زيارة جميل معلوف احد الشبان العاملين في جمعية الطلاب التي انشئت في باريس وافادني ان الطلاب العرب لا يعملون هنا في سبيل مقاومة الدولة العثمانية انما ليحصلوا على حقوق لهم في هذه البلاد وقد زاد على ذلك قائلا « انه يجب ان يصارحني بصفتي ممثلا للدولة العثمانية ان السياسة التي تسير عليها الحكومة المركزية ستكون من الاسباب الرئيسية في تباعد العرب عن الترك وتمسكهم في معاضدة احدى الدول الاجنبية »

وقد فسر لي هذا الامر بان الحكومة الافرفرنسية اعلنتهم بواسطة المسيو مارجيري ان وزارة الخارجية الافرنسية مستعدة لمعاضدة السوريين العرب اذا هم عقدوا مؤتمراً في العاصمة الافرنسية وطلبوا مساعدتها الرسمية والفعلية ايضاً

ان جميل المعلوف على اتصال دائم باثنين من المتصلين بالسلطات الافرنسية والعاملين على تأييد سياستها وهما شارل الدباس الذي هو على اتصال دائم مع المسيو مارجيري و جميل مردم بك من شباب دمشق وقد حاولت الاتصال بالاول بطريقة غير مباشرة الا ان الذي علمته من السيدة زهية مطران انه ليس هناك كبير فائدة من هذا الاتصال لان الرجل ناقم جد النقمة على رجال الحكومة المركزية وهو في الوقت الحاضر يؤيد المعارضة لانه لقي حفاوة لم يلقها في عاصمتنا وقد اضافت السيدة زهية مطران على ما تقدم انه ليس هناك كبير خوف من المؤتمر الحاضر لان القائمين به ليسوا ذوي نفوذ في بلادهم وانه في امكانها ان تعطينا التأمينات الكافية على ذلك

الا ان مخبرينا افادونا ان اخاها السيد ندره مطران بين المشتركين في هذه المؤامرة .

وامس قابلت المسيو مارجيري في وزارة الخارجية الافرنسية ففاتحني في الاصلاحات المطلوبة لبيروت وقال « انه يرى في مصلحة تركيا ان تعمد الى الاتفاق مع ابناء سورية »

وقد تجاهل المسيو مارجيري المساعي التي يبذلها في سبيل عقد مؤتمر باريس واثارة شعب في البلاد ضدنا

وعند خروجي من غرفة المسيو مارجيري شاهده شكري غانم يستعد للدخول الى غرفته وهو من العاملين ضد الدولة العثمانية ومن الذين يشتغلون مع الدباس وجميل مردم بك في مؤامرتهم ضد الدولة العثمانية

ان الافرنسيين يبدون اهتماما عظيما للمسألة السورية ويعتقدون انه لا بد من حل القضية الاصلاحية — كما يسمونها — في اقرب وقت ممكن والا فان العاقبة تكون سيئة — على اعتقادهم — من جهتهم لانهم يخشون ان يعود التفاهم ثانيا بين الترك والعرب »

هذا التقرير الاول الوارد من سفارة باريس واليك التقرير الثاني

باريس في ٢ ايار سنة ٩١٣
السفارة السلطات العثمانية

رقم عمومي

رقم خصوصي ٧٣٨

شيفرة

ان المعلومات الواردةالى السفارة تدل على ان شارل الدباس يعمل معوزارة الخارجية الافرنسية في سبيل عقد موءتمر باريس يساعده بذلك جميل مردم بك بصفته منتسبا الى عـائلة معروفة في دمشق وقد قابل جميل مردم بك برفقة شكري غانم المسيو مارجيري في وزارة الخارجية الافرنسية وبين له اماني امته وبلاده معلنا ان السوريين المسلمين لا يكرهون قط الدولة الافرنسية وان في الامكان حملهم على مصافاتها ومصادقتهـا اذا ما اقدمت فرنسا على مساعدتهم في سبيل تحقيق مطالبهم السياسية فوعده المسيو مارجيري بالمساعدة التامة

ان بضعة اشخاص اجتمعوا اول امس ووضعوا منشوراً ليوزعوه على البلاد العثمانية يدعون فيه الى الموءتمر وهو المنشور المرسل طيه

المعرب — المنشور في مكان اخر

وهم وان كانوا يقولون بانهم يمثلون جميع العرب الموجودين في باريس الا ان الحقيقة انهم لا يمثلون الا انفسهم والجمعيات المعادية للدولة الموجودة في خـارج السلطنة العثمانية

ان الاشخاص الموقعين على هذا المنشور لا قيمـة لهم في المحيط السوري في باريس الا ان الموجودين هنا وجلهم من كارهي السلطنة العثمانية لا يعارضونهم لاعتقادهم انهم يعملون لحساب الدولة الافرنسية ولهذا ترى ان لموءتمرهم هذا قيمة واحدة وذلك من جهة انهم يعملون لحساب الدولة الافرنسية

جاء عندي اليوم عبد الغني العريسي احد الموقعين على المنشور المذكور وافادني انه لا علم له بعلاقة فرنسا بهذا الموءتمر الا انه يدري ان الحكومة الافرنسية

تعطف على القائمين به ولا تعارضهم في شوءونهم السياسية ولم يسمع من احد من اعضاء الموءتمر ما اذا كانت الحكومة الافرنسية وعدت فعلا بمساعدته

اما جميل معلوف فافادني ان شارل الدباس وشكري غانم وجميل مردم بك على اتصال بالمسيو مارجيري الذين ايدهم في فكرة الموءتمر

حزب النهضة اللبنـاني — جئنا بهذه المعلومـات المختصرة لنبين لمتتبعي هذه السلسلة من المذكرات بعض المعلومات عن حزب اللامركزية الذي تأسس في خارج البلاد والذي ذهب بعض افراده ضحية هذا العمل وقد رأى القراء ان محمود المحمصاني وعبد الغني العريسي اللذين وقعا على النداء الاول للموءتمر الاول كانا بين الذين نفذ بهم حكم الاعدام في ٢١ اب

بقي لدينا الان ان نعرف القراء بالحزب الثاني الذي له دخل في هذه المأساة وهو حزب النهضة اللبناني الذي تأسس في لبنان بصورة خفية من قبل ال الخازن وما لبثت ان اتسعت برعاية قنصل فرنسا في بيروت الذي كان يمد هذه الجمعية بالاموال اللازمة واوجدت لهامناصرين واعضاء لفرع بيروت في مقدمتهم دعيس المر ، ورزق الله ارقش وخليل زينيه ويوسف الغلبوني وغاية هذه الجمعية العمل على تكبير لبنان والحاق مدينة بيروت بالجبل ووضع هذه البلاد تحت الحماية الافرنسية .

غاية الجمعية — ان الوثائق التي وقفنا عليها اثناء الحرب اثبتت ان جمعية النهضة اللبنانية كانت عبارة عن ستار وطني يستتر تحته بعض اللبنانيين العاملين في سبيل خدمة المصالح الافرنسية واخراج هذه البلاد ليس عن حظيرة السلطنة العثمانية فحسب بل سلخها ايضا عن البلاد العربية وايجاد حكومة مسيحية في تلك البقعة تكون خاضعة للنفوذ الافرنسي

ان الوثائق الموجودة لدينا اثبتت ان اعضاء هذه الجمعية سواء كانوا في بيروت او في لبنان ام في غيرهما من البلاد الخارجية كانوا يتلقون مساعدات مالية من الحكومة الافرنسية

اركان الحزب — وللحزب المؤسس في لبنان او في القنصلية الافرنسية
بيروت فروع ثلاثة :
اولا — في بيروت — بادارة دعيبس المر ، رزق الله ارقش ، خليل زينيه
يوسف الغلبوني ، سعيد عقل
ثانيا — مصر — بادارة اسكندر بك عمون ومن بين اعضائه البارزين داود
بركات ، داود عمون ، شبلي شميل ، الشيخ يوسف الخازن ، يوسف صيداناوي
الفونس زينيه ، سليم شميل
ثالثا — في باريس — اما في باريس فيرأس هذه الجمعية شكري غانم وامانة
السر فيها خير الله خير الله ومن اعضائها شارل الدباس والكونت قريصاتي

اتحادها مع اللامركزية — وهكذا يرى القراء ان هذه الجمعية التي تشتغل
لحساب فرنسا في البلاد اوجدت لها علاقات مع اعضاء حزب اللامركزية الذين
يدعون انهم عاملون في سبيل خدمة بلادهم ، فمن جهة كان رزق الله ارقش
وجورج رزق الله وخليل زينية اعضاء فرع بيروت ، يعملون مع الاصلاحيين
ودخلوا في الجمعية الاصلاحية التي تأسست في بيروت بواسطة القنصلية الافرنسية
وتمكن هؤلاء من الاتصال بالحزب اللامركزي في مصر بواسطة اسكندر
بك عمون الذي جمعهم في بيته لعقد مؤتمر باريس وحضر هذا الاجتماع نخله بك
التويني ترجمان القنصلية الافرنسية الفخري في بيروت الذي كان صلة بينهم
وبين السفارة الفرنساوية في مصر

واتصلوا بواسطة شكري غانم وشارل الدباس ورفاقهما ببقية السوريين
وحملوهم على عقد المؤتمر الاول

تقارير والي بيروت

ان المعلومات الواردة في تقارير ابي بكر حازم بك والي بيروت السابق
تدل على ان السوريين اعضاء الجمعية الاصلاحية كانوا يعلمون بوجود الجمعية
للبنانية ومساعيها في سبيل وضع البلاد تحت النفوذ الافرنسي فكيف نوفق بين

هذه المعرفة وادعائهم فى التحقيق انهم يعملون في سبيل تحرير بلادهم واستقلالها ؟
ثم ان هناك ثلاثة من الشبان المسلمين انضموا الى اللجنة التحضيرية التي الفها
شكري غانم وشارل الدباس لعقد مؤتمر باريس وهم جميل مردم بك والمحمصاني
وعبد الغني العريسي ومعهم جميل معروف وهل جهل هؤلاء الشبان علاقات
اركان الجمعية اللبنانية ورغبتها في وضع البلاد تحت الحماية الافرنسية

كلا فهم يدرون هذه الحقيقة والسفير العثماني في باريس اكدها في تقاريره
الرسمية التي بعث بها الى الحكومة المركزية

وعلى مثل هذا كان جماعة مصر فان الجميع كانوا يعرفون هذه الحقيقة وهي
ان فرنسا تساعد هذه الاعمال وهم يريدون مساعدتها

الدليل على ذلك — والان نختم هذا الفصل في نشر هذه الوثيقة التي تؤيد
نيات المذكورين وقد نشرت في الكتاب الذي اصدره احمد جمال باشا خلال
الحرب العالمية تحت عنوان « ايضاحات — عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها
بديوان الحرب العرفي المشكل بعاليه » وهذا نصها :

قنصلية الشام الافرنسية

دمشق في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٣

الخلاصة بحق نخله باشا المطران من بعلبك

جناب المسيو بومبار

ان نخله باشا المطران وهو من ذوي النفوذ في بعلبك ومن طائفة الروم
الكاثوليك زارني في اواسط الاسبوع الماضي مرتين وقد كان كاتبا في سفارة
باريس العثمانية قبل سنتين او ثلاث

وبهذه الوسيلة يعرف الكثيرين من رجال سياستنا وافادني انه ليس له صلة
بجمعية الاتحاد والترقي مع انه من المنسوبين اليها و بحث للداعي عن وهن ارتباطه
بها مصرحا بافلاس سياسة جمعية الاتحاد والترقي و يأس شبان الترك

وكانت زيارته بمناسبة حضوره الى الشام لملاحقة مصالح بعض اخوانه في

العدلية وكان حديثه معي في هذا الاجتماع يتعلق بالقضية اللبنانية فقد صرح انه ورفاقه اللبنانيين قرروا الحاق بعلبك وسهل البقاع بلبنان لان هذه الاراضي بحسب التقسيمات الجغرافية تابعة للجبل ، و بعد ان بين لي هذه الامور قال :

الا اننا مع هذا باحتياج الى حماية حكومة فرنسا لاجل تحقيق غايتنا ونحن عموم المسلمين والمسيحيين متفقون على ذلك وقد تقررت خطتنا منذ زمان

وقد اتفقنا انا واسعد بك حيدر زعيم الشيعيين واعظم ارباب النفوذ في البلدة وعبد الغني (الروقة) زعيم المسلمين السنيين على الحاق بلدتنا بلبنان رضيت الحكومة العثمانية او لم ترض ، وسنذهب الى بيروت للمفاوضة بهذا الخصوص مع المسيو كوجه الذي له اهتمام بمسائل لبنان غير ان بعلبك داخل منطقتكم واري من الواجب ان اطلعكم على هذا باسمي واسم زميلي اسعد بك وعبد الغني افندي

و كنت احدث نخله باشا المطران بتمام الحيطة الا انني اوليته اهتماما زائداً فلما زارني للمرة الثانية صرح لي مجدداً بثقته بفرنسا وافهمني انه رهين امري بكل ما يتعلق باحوال بلدته

هذه هي اللائحة باماني البعلبكيين واليك لائحة بيروت وفيها ما يدل على فكرة القوم وقد نشرت ايضا في الكتاب الذي اصدره جمال باشا في الحرب العالمية

بيروت في ١٢ اذار سنة ٩١٣

الى جناب المسيو كوجه قنصل فرنسا العام في بيروت

حضرة القنصل العام

ان الاعضاء الموقعين ادناه من اللجنة التنفيذية للهيئة العمومية المنتخبة من جميع الطوائف لتنظيم اللائحة الاصلاحية لولاية بيروت يعدون فرنسا حامية النصارى العثمانيين ولذا كان لهم الشرف بعرض المطالب الاتية على نظر قنصل فرنسا في بيروت وهي :

أولا — موقف النصارى العثمانيين

ثانيا — اللائحة الاصلاحية التي نظمتها الفرقة

ثالثا — امال نصارى سوريا ومطالبهم

فيرجون من القنصل العام تبليغ هذه المطالب الى الحكومة الافرنسية واستخدام نفوذه بذلك

موقف النصارى العثمانيين

ن موقف النصارى العثمانيين في المملكة العثمانية كان في جميع الازمان موقف الالم والحزن وبعد الحرب البلقانية وهزيمة الاتراك ازداد الموقف تحرجا بسبب زيادة الويركو وازدياد نفوذ المسلمين وتشويق نصارى سوريا على الهجرة .

ان حكومة الاتراك ستضم التكاليف المرتبة على ولاياتها في اوربا الى ولايات آسيا وقد باشرت بذلك من الان ومن يعلم ظلم الاتراك وقسوتهم وتطرف ادارتهم بخصوص قرض الاعشار وجبايتها لا يشك في ان العبء الجديد سيوضع على اعناق النصارى خاصة وان تنفذ المسلمين عامل عظيم على ازدياد الاستياء من رجال ادارة الاتراك

انهم يعدون الحرب البلقانية حربا دينية ولهذا يظن المسلمون ان وجود النصارى في الدولة العثمانية انما هو السبب الوحيد لانحطاطهم وانهزامهم ويرون النصارى العثمانيين هم العدو الالد والسبب الاصلي بهذه المصيبة التي وقعت على السلطنة العثمانية وحينئذ اصبح النصارى من كل الوجوه هدفا للظلم والجور والجفاء وهذا الغدر لم يكن صريحا وظاهراً الى درجة تستدعي التدخل الاجنبي بل هو غدر خفي امتازت به ادارة الاتراك الذين يفسرون القوانين عما يلائمهم

ان قدراً وافيا من مسلمي مكدونيا شرعوا منذ بدأت الحرب البلقانية يهاجرون الى سوريا وبيروت والحركة تزداد بتشويق الاتراك وهذه كانت سببا لازدياد هجرة النصارى الى اميركا

لائحة الاصلاحات — ان المسيو بوانكاره رئيس الوزارة اذ ذاك القي

خطابا ، وفي اليوم الثاني دعا الحكومة التركية الى اجراء الاصلاحات في ولايات آسيا فاجابته الحكومة بانها باختيارها على اهبة لاجراء الاصلاح في ولاياتها وانها امرت الولاة بان يدعوا الاهالي لتنظيم لائحة اصلاحية غير ان النصارى نظراً لما مضى لهم من التجارب يعلمون مقدار ما يجوز ان يجعلوه اعتمادهم من صداقة الحكومة .

على انه اذا كلفت اوربا الحكومة العثمانية يوماما باجراء بعض الاصلاحات فتكون هذه اللائحة — لدى الحاجة — ترسا يجعل ذلك التكلف عقيما

ويلاحظ ان اللائحة الاصلاحية من وضع الاهالي الا انها في الحقيقة نظمت بتلقين الحكومة وسيكون للوزارة التركية درع فيها للتخلص ولرد مطالب اوربا بصدد الاصلاحات فتدعي ان تلك لم تكن في اللائحة الاصلاحية التي وضعها الاهالي المطالب

ومع هذا فان نصارى بيروت اشتركوا مع المسلمين في تنظيم اللائحة الاصلاحية وذلك ناتج عن اغفال الحكومة العثمانية الرأى العام واظهارها اللائحة الاصلاحية كانها ذات قيمة حقيقية

آمال النصارى ومطالبهم — لو فرضنا ان الاصلاحات طبقت سواء كان بمساعدة اوربا او بغير مساعدتها فان حل الامور على هذا الوجه لا يوافق رغبات نصارى سوريا الحقيقية لانهم مرتبطون مع فرنسا بصورة لا تقبل نقضا ، ولا ينسون في وقت ما انهم معجبون بمدنيتها وانهم مدينون لشفقتها واهتمامهم بهم ايام ادبر طالعهم

فكان من اكبر آمال النصارى في سوريا ان تستولي فرنسا على البلاد الشامية .

وعليه كان الاعضاء الموقعون على اللائحة الاصلاحية يقولون باسم نصارى بيروت ان الافضل في حل المسألة حلا يوافق سوريا سياسيا ان تجري الامور على الوجه الاتي :

اولا — استيلاء فرنسا على سوريا

ثانيا — اعطاء بيروت استقلالا تاما تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل

ثالثا — ان تكون بيروت ولبنان تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل

التواقيع : ميشال التويني ، يوسف الهاني ، بترو طراد ، ايوب ثابت ، خليل زينية ، رزق الله ارقش

. . .

يرى من هذه الفصول ان هذه الخطة من الشدة التي اتبعها احمد جمال باشا بدأت في تموز وانتهت في اب سنة ١٩١٥ ففيها اعدم سبعة من المجرمين العاديين والقافلة الاولى من المجرمين السياسيين وحكم باعدام العشرات من السوريين « غيابيا » ونفى غيرهم وخلال هذه المدة الغيت امتيازات جبل لبنان

الدروز يكرمون جمالا

واحمد جمال باشا بعد زياراته التي قام بها الى جونيه وجبيل والبترون وبكركي وصيدا وتوابعها اراد ان يزور دروز الجبل ولكنه لا يريد ان تكون هذه الزيارة بشكل خاص كي لا يستاء بقية سكان لبنان من الموازنة

وكان الامير شكيب ارسلان دوما بجانب احمد جمال باشا وقد ادرك ما يقصده فاراد ان يمهد له سبيل هذه الزيارة

لماذا دبر شكيب الزيارة — كانت الظروف حرجة في لبنان في شهر اب لان اللبنانيين لا يزالون متأثرين او مدهوشين من الصدمة التي صدمهم بها قائد الجيش الرابع ولهذا لم يكن هناك من المتنفذين المقربين من الباشا الا الامير شكيب ارسلان المستشار الوحيد الذي يدلي اليه بالاراء الصائبة عن الخطة الواجب اتباعها في السياسة اللبنانية ولست لاروي حادثا جديداً اذا قلت ان المشاريع التي نفذت في ذلك الوقت كانت بناء على نصائح الامير شكيب ارسلان وارشاداته المتعددة .

بين المؤلف والامير

و كنت في ذلك الوقت اعد لائحة باسماء زعماء البلاد وقادة الرأي فيها بناء على امر الباشا لانه احب ان تكون لديه هذه القائمة ليعرف ارباب النفوذ في البلاد حتى اذا حصل ما يخل بالامن العام اعتبرهم المسؤولين عن الحوادث الممكن وقوعها .

وقد ساعدني الامير شكيب في هذه المهمة مساعدة جلي وهي وان كانت مستندة في بعض الظروف على حزازات شخصية ونزعات حزبية الا انها كانت مفيدة على كل حال

وفي احدى هذه الاجتماعات دار بيننا حديث حول احكام الاعدام التي صدرت من الديوان الحربي العرفي والتي لم تنفذ بعد فقال :

— انني لو كنت مكان احمد جمال باشا لاوقفت غيرهم واعدمتهم لان في هذه البلاد اشخاصا مفسدين يستحقون عقابا صارما اكثر من هذا

— ولماذا ؟

— انني شخصيا اكره الاجانب وكرهي لهم منبعث عن اعتقادي في انهم لا يسايرون ابناء هذه البلاد الا قصد استعمارها ولهذا فانا امقت واحتقر كل شخص يعمل ضد بلاده وفي سبيل خدمة الاجانب

— اذن تعتقد ان الحكم باعدامهم عدل

— ليس في امكاني ان احكم على هؤلاء بمجرد الظن الا انني لا اتأخر عن الحكم على كل مجرم تثبت خيانته لوطنه

— ولكن ابناء هذه البلاد لا يرون في عمل هؤلاء خيانة ، فبماذا نفسر ذلك ؟

— كلا بل يعتقدون انها خيانة

— عجيب

— وسترى ذلك

— كيف

— انهم سيدعون احمد جمال باشا الى حفلة تكريمية

— من ؟

— ابناء هذه البلاد

— وجثث المشنوقين

— انهم خونة

— ايه ! . .

— . . .

هذا هو الحديث الذي دار بيني وبين الامير شكيب ارسلان بحضور علي فؤاد بك « باشا » ومرافقي ممتاز بك

ونفذ الامير شكيب ارسلان وعده هذا باجتماع الباروك الذي وقع في اليوم الثالث لاعدام القافلة الاولى من ابناء البلاد

كيف دبرت الحفلة — اراد الامير شكيب ارسلان في حفلة الباروك ان يمثل روايتين الاولى لمداهنة احمد جمال باشا وحمله على الاعتقاد بصداقته واخلاصه له ليؤمن فوزه في مضمار السياسة اللبنانية ولتعيين اخيه الامير عادل ارسلان في قائمقامية الشوف والثانية ليبين للباشا انه رجل ذو نفوذ مطلق على اخوانه الدروز في الجبل وعلى غيرهم من سكان الجبل الموارنة ، ولهذا رأيناه يبث رسله بين عائلات الجبل الدرزية ليوعوه مع احمد جمال باشا الى حفلة تكريم تقام له في الباروك .

الوفود لدي جمال باشا — وفي يوم الخميس ٢٣ اب اي بعد يومين من اعدام القافله الاولى من رجالات سوريا جاء الى صوفر لتحية احمد جمال باشا وفد من دروز الجبل يتقدمهم كل من عجاج بك العماد وتامر بك وفرحان بك ابي علوان وقابلوا الامير شكيب ارسلان ثم قصدوا معه غرفة احمد جمال باشا الذي انبئ قبلا بواسطتي عن قدوم هذا الوفد فاستقبلهم الباشا بحفاوة زائدة وفي هذا الاجتماع اعرب

الوفد لجمال باشا عن محبة الدروز لشخصه وتعلقهم بالسدة السنية ودولة الخلافة العثمانية ورجوه ان يقبل دعوتهم بحضور الحفلة التكريمية التي ستقام خصيصا في الباروك نهار السبت في ٢٥ اب فوعدهم خيراً ثم اختلى احمد جمال باشا بالامير شكيب ارسلان بضع دقائق فلما خرج الامير اعلن الوفد ان الباشا قبل الدعوة

وفي اليوم المعين اقيمت في الباروك حفلة تكريم احمد جمال باشا حضرها جمهور كبير من الدروز ووجوه تلك المنطقة تليت فيها القصائد والخطب الترحيبية بالقائد الكبير

وقد تكلم في هذه المأدبة الامير شكيب ارسلان شاكراً لاحمد جمال باشا مساعيه وخدماته العديدة في سبيل الوطن العثماني ومحافظته على استقلال البلاد واعلن في الوقت نفسه انه ليس بصفته ممثلا لدروز حوران بل باسم دروز الجبل اللبناني يشكر لاحمد جمال باشا مساعيه العديدة في سبيل لبنان والغاء الامتيازات الاجنبية التي كانت تحول دون تمسك لبنان بعنصريته العثمانية وانه بهذه المناسبة يرفع ايات الشكر لصاحب الدولة احمد جمال ولصاحب الجلالة الخليفة وار كان الحكومة المركزية لضم جبل لبنان الى اقسام السلطنة العثمانية

وتكلم في الحفلة نفسها عجاج بك العماد مؤيداً اقوال الامير شكيب ارسلان وتعلق الدروز بالدولة العثمانية

تعليق على حفلة الباروك — كانت حفلة الباروك فخمة جداً تناول خلالها احمد جمال باشا وار كان معيته والامير شكيب ارسلان ورجاله للطعام على نبع الباروك ذلك الموقع الجميل الخلاب من اقسام الجبل اللبناني

وقد كنت في ذلك الوقت اتساءل : هل يجوز لهؤلاء ان يقيموا مثل هذه الحفلة في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ البلاد

انهم يمدحون احمد جمال باشا ويكيلون له الثناء جزافا نهار السبت في ٢٥ اب وقبل اربعة ايام اي — في ٢١ اب — اعدم عدد من كبار رجالهم ونفى العدد الاخر

انني كثر كي اعتقد ان هؤلاء المعدومين جماعة خانوا بلادهم ومالأوا الاجنبي

ولكن هل هذا هو اعتقاد الامير شكيب ارسلان ورفاقه ؟

قد يكون هناك من يقول ان الامير شكيب ارسلان يكره الاجانب ولا يعتبر المعدومين انهم ابناء وطنه

ولكن كيف نجمع بين موقفه ذاك وموقفه اليوم الذي يعتبر فيه هؤلاء من شهداء بلاده

ان الامير شكيب ارسلان رجل لبناني وكان عليه وهو اللبناني المولد ان لا يقيم مثل هذا الاحتفال لاحمد جمال باشا في الاسبوع الذي اعدم فيه ابناء وطنه

مقابل ذلك ! ... — ولكن للامير شكيب ارسلان عذراً في ذلك وردناه في غير هذا القسم من المذكرات فهو يطمع في ان يسود في المنطقة الدرزية من لبنان على غيره من زعماء الدروز ولهذا سعى باستمالة احمد جمال باشا اليه وكان من نتيجة سعيه ان استحصل له احمد جمال باشا في شهر ايلول على الوسام المجيدي من الدرجة الثانية وفي الرابع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥ عين اخاه الامير عادل ارسلان قائمقاماً للشوف ...

وهكذا نال الامير شكيب ارسلان بعض ما اراده من الرغبات في استمالة احمد جمال باشا

. . .

بدأت الازمة الاقتصادية تؤثر على ابناء البلاد في السلطنة العثمانية والمال الذي اخذته الدولة من فرنسا نفذ مع الاموال التي اخذتها من المانيا وفكرت الحكومة في ايجاد حل لهذه الازمة فلاح لها في اصدار نقود جديدة ولهذا قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥ اصدار اوراق نقدية جديدة تحل مكان النقود الذهبية والفضية التي باتت قليلة

وفي اوائل آب سنة ٩١٥ صدرت هذه الاوراق بسعر ليرة عثمانية ذهباً لكل ليرة نقدية وقد راجت هذه الاوراق في بادىء الامر لمدة محدودة جداً الا ان

أسعارها تدنت حتى باتت في آخر الحرب العالمية تساوي مابين عشرة غروش و ١٢ غرشا اي ان كل ٩ ليرات نقدية بليرة عثمانية ذهبا

رواج هذه العملة ! — لم ترج هذه العملة في سائر مناطق الجيش الرابع لان الفلاحين وأصحاب الأراضي رفضوا قبولها حتى ان أحمد جمال باشا عندما طالبهم بكمية من الحبوب لاحتياجات الجيش رفضوا بيعها له الا اذا نقدهم ثمنها عملة فضية او ذهبية ومثل هذا الامر كان مع سكان المدن الداخلية حتى اننا كنا نضطر أن نأخذ العمله التي نتقاضاهامن رواتبنا الى السوق لنستبدلهابنقود فضية لكي نتمكن بهذه الواسطة من مشترى حاجاتنا

وعجز قائد الجيش الرابع عن اجبار الاهالي على قبول هذه العملة فهم يحتجون بان الفلاح يرفضها واجبار الفلاح قد يؤدي الى اخفائه محصوله أو تمرده على الدولة وتلك الظروف الحرجة التي كنا فيها لا تساعدنا قط على اجبار الاهلين واكراههم

واذا كانت هناك مدينة تتعامل بالعملة النقدية التركية فهي بيروت وحدها التي كانت مظلومة بكل شيء

فهي والحقيقة تقال ظلمت في الاوراق النقدية !

ظلمت في الاعاشة !

ظلمت في استبداد الموظفين بها !

ظلمت في شبابها !

ظلمت في أخلاقها

ظلمت أعيانها

ظلمت في فئة من المحتكرين ما كانوا ليراعون حقوقها

نعم ان بيروت وحدها منيت بكل هذه المصائب وتبعها في ظلمها جبل لبنان الفقير بكل شيء

ولهذا كانت حصة الجيش الرابع من الاوراق النقدية العثمانية التي صدرت

التعامل بالذهب — ومع هذا فقد قامت فئة في البلاد تعمل للاتجار سرا بالذهب و كانت تجارتها هذه من الاسباب الرئيسية التي ساعدت على سقوط النقد الجديد ولهذا أصدر أحمد جمال باشا مقررات عن العمله ومجازاة الذين يتجرون . ولكن دون جدوى لان التعامل بها ظل مستمراً بسبب الارباح التي كان يجنيها المتعاملون وبسبب رشوتهم رجال الشرطة والموظفين المحتاجين

دفع رواتب ذهبية — والدولة نفسها كبدت هذه العملة خسائر جمة فان تمنعها عن اجبار المزارعين والعربان على قبول الورقة النقدية زاد في سقوط هذه الورقة حتى اضطرت الحكومة في النهاية الى مشترى الحطب من تجاره في الداخلية بنقود فضية والى دفع قسم من رواتب موظفي الداخلية ذهبا

بناء سوق الهال

الحروب خلقت الدمار ولكن احمد جمال باشا يريد أن يحولها للعمران ولهذا رأيناه في الوقت الذي يعمل فيه على خراب البلاد من جهة يعمل على عمرانها من ثانية . وقد بدأ عمله هذا بانشاء الهال المعد لبيع الخضر فقد وجد ان بيروت بحاجة ماسة الى هذا العمل خصوصا وان لديها من الاراضي البور ما يصلح لتحويل هذه المدينة الى جنات تجري من تحتها الانهار ، فوقع اختياره على ساحة السور لتشييد الهال المذكور ، وهي ساحة وسيعة كائنة على بعد ٣٠٠ او ٤٠٠ متر من ساحة البرج المتوسط في مدينة بيروت وبين هذه الساحة ودار الحكومة المعروفة هناك بقشلاق رشيد باشا ولهذا وضعت خارطة هذا الهال دائرة هندسة الجيش الرابع التي يرأسها أحد الالمانيين على الطريقة الالمانية

وضع الحجر الاساسي — وعين اليوم الثالث والعشرين من شهر اب سنة ٩١٥ موعداً لوضع الحجر الاساسي لبناية الهال الجديد وقد كان أحمد جمال باشا يومذاك في صوفر و كان في نيته حضور هذه الحفلة الا أن ظروفا قاهرة حالت

دون قيامه بهذه المهمة ثم انه كان يرغب في أن يقرب صديقه عزمي بك من أهالي بيروت بصفته واليا عليها ففوض اليه هذه المهمة

وفي اليوم المذكور اقيمت الحفلة لوضع أساس البناء برئاسة والي بيروت عزمي بك وحضور اركان الحكومة المحلية ورئيس مجلس بلدية بيروت واعضاء البلدية وهيأة مجلس ادارة بيروت

الدعايات الالمانية

ان الامة الوحيدة ، والحكومة الوحيدة من حكومات العالم التي لا تحسن الدعايات لنفسها هي الحكومة العثمانية

فان سيطرة الاجانب على مدرات الامور في السلطنة العثمانية لم تدع مجالا لان تفكر في الدعايات حتى ولا ان تفكر بالرأي العام العثماني وهو في نظرها مهمل للغاية

ان السلطان عبد الحميد باشرافه الدائم على اقسام السلطنة العثمانية ظل عارفا موقف كل قسم من اقسام هذه الدولة وطبائع سكانها والطرق التي يمكنه ان يتخذها في سبيل استمالة هذه الشعوب وقد مكنته هذه السياسة من معرفة كل شيء ومقاومة كل فكرة ثوروية يمكن ان تدور في خلد احد من الزعماء المتنفذين .

وموقف السلطان عبد الحميد هذا وان لم يكن جائزاً دوليا الا انه على كل حال كان احسن من موقف الحكومات الدستورية التي لم تكن تملك معلومات راهنة عن حالة البلاد الموجودة تحت نفوذها حتى انك اذا اردت الحصول على معلومات من وزارة الداخلية عن حالة سوريا مثلا وهي اقرب البلاد العثمانية تناولا من العاصمة عن غيرها من البلاد العربية لما وجد فيها شيء واف عن تلك البلاد ولا عن اشخاصها ولهذا سارت من سيء الى اسوأ دون ان تشعر الحكومة بامرها .

ووقعت الحرب العالمية وجاء وقت الدعايات ورأينا كل امة من الامم المحاربة

تعمل على نشر الدعايات لها .

ولكن دولتنا لم تفكر بذلك

رب قائل يقول انها اسست شعبة الاستخبارات العثمانية الا ان هذه الشعبة ما كانت تملك الوسائل الكافية لهذه المهمة كما انها ما كانت تعلم قط الطرق الواجب سلوكها ولهذا رأينا الالمان يسيطرون على الموقف ويسخرون ليس الشركات البرقية فقط لدعاياتهم بل الصحافة ايضا حتى انك لا تفتح جريدة من الجرائد العثمانية الصادرة خلال الحرب العالمية الا وتراها مملوءة بالدعايات والبرقيات الالمانية الحاملة اخبار الانتصارات الوهمية التي احرزها الالمان

مطامع الالمان في سوريا

وللالمان مطامع في البلاد السورية بدأت منذ زيارة الامبراطور غليوم الى تلك البلاد سنة ١٨٩٨ فان الالمان كانوا يعتقدون كغيرهم من الدول الاوربية ان السلطنة العثمانية مصيرها الى الاضمحلال فاذا خرجت ظافرة من الحرب العالمية بسط الالمان والنمساويون نفوذهم على البلاد العثمانية واذا خرجت مندحرة كانت هذه البلاد من حصة الحلفاء

ولهذا قام الالمان في مختلف فروع الجيش والادارة يبسط نفوذهم عليها

فالالمان ادركوا انه ليس في مقدور المدارس العثمانية سد الفراغ الذي احدثته المدارس الاجنبية وعلى الاخص مدارس الارساليات الدينية ثم رأوا انه ليس في مقدور الاتراك استمالة سكان البلاد من المسيحيين وحب الافرنسيين والروس متمكن من قلوبهم ولهذا قاموا بنشر الدعايات لهم في البلاد العربية فأسسوا مكاتب استخبارات خاصة بهم مستقلة عن الاستخبارات العثمانية ، وبات في مقدورهم معرفة ما يريدونه من اسرار البلاد واحوالها ومساعي ابناء البلاد فيها واسرار دوائرنا الاستخبارية جميعها حتى وقفوا على كل سر من اسرارها وزادوا على ذلك انهم استخدموا بعض رجالنا من ضباط وجنود في سبيل التجسس على ضباطنا وقوادنا وتمكنوا من استمالة احد مرافقي جمال باشا لمعرفة حركات

الباشا واستمالوا وصيفته لمعرفة اسرار العائلة

مقتطف الاخبار — ورأي الالمان ان يوسعوا طريق الدعاية لرجالهم فانشأوا ناديا في « ساحة البرج » في الجهة الشرقية منه . اطلقوا علية اسم « مقتطف الاخبار » وهو بناء مدخله شبه مخزن الا انه يتسع في الداخل عن صالون ذي بابين الاول مطل على ساحة البرج والثاني يطل على شارع بسول وقد اقاموا وسطه مائدة طويلة وصفوا عليها الجرائد والمجلات وزينوا جدران هذه الدائرة بصور الرسوم لامبراطور المانيا وامبراطور النمسا وسلطان تركيا وقائد الجيش الرابع وغيرهم من قواد الدول المتفقة ومعاركهم وانتصاراتهم . وكانوا قد اصدروا في بلادهم مجلات خاصة تكتب بالالمانية والتركية والعربية يرسلونها خصيصا الى هذه البلاد

افتتاح مقتطف الاخبار — وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر اب سنة ١٩١٥ افتتحوا هذا النادي الذي عهدوا بادارته الى احد البيروتيين المعروف بموالاته لحزب الاتحاد وهو محمد افندي الريس وبرئاسته الى احد كبار جواسيسهم في بيروت الهر كارل هوبل وقد عاش هذا النادي او « مقتطف الاخبار » الى اخر الحرب العالمية

التخصيصات المالية — كانت الدعايات الالمانية كثيرة في البلاد وعلى الاخص في المحيط البيروتي والفلسطيني لاستمالة اليهود والمسلمين وبعض العناصر المسيحية في بيروت

والمعلومات الراهنة الموجودة لدينا تدل على ان شعبة الاستعلامات السرية الموجودة في بيروت كانت تدفع شهريا مئة الف مارك ذهبا الى جواسيسها وعملائها السريين وتصرف هذه الاموال بواسطة مصرف « دوتش اوريانت بنك » على الوجه التالي :

اولا — عشرة الاف مارك ذهبا مصارفات دائرة « مقتطف الاخبار » مع

مصارفات خمسة من الجواسيس الذين يترددون على هذه الدائرة ويقدمون لها المعلومات الرسمية

ثانيا — خمسة الاف مارك ذهبا الى اصحاب الصحف البيروتية والى ثلاثة من المحررين

ثالثا — ٥٠ ماركا ذهبيا الى كل من الثمانية المخبرين التابعين للدائرة المذكورة والمجموع ٤٠٠ مارك شهريا

رابعا — ٢٠ الف مارك الى المؤسسات الالمانية الموجودة في بيروت والتي تشتغل لصالح المانيا

خامسا — سبعة الاف مارك الى الكنيسة البروتستانتية والى بعض رجالها مقابل تاييد الدعاية الالمانية

سادسا — ١٣٦٠٠ مارك الى شعبة الاستخبارات الالمانية في الجهات اللبنانية التابعة لمركز بيروت

سابعا — ٢٤ الف مارك الى الجنود والضباط العثمانيين المستخدمين في المنطقة بصورة سرية لاطلاع الشعبة على ما تريده من اخبار عن حركة احمد جمال باشا وكبار القواد الاتراك والخطط التركية السرية

ان هذا المبلغ الذي تدفعه ادارة الاستخبارات الالمانية والذي نقلناه عن احدى الاوراق التي عثرنا عليها والمؤرخة في ٤ شباط سنة ٩١٦ رقم ١٨٥٠ و ٦٣٥٩ مع مذكرة دوتش اوريانت بنك المؤرخة في ٣٠ كانون ثاني سنة ٩١٦ رقم ١٨٠ تدل على مقدار اهتمام الالمان في هذه الامور والتجسس علينا

ضرب السواحل

وفي هذا الوقت الذي كان فيه احمد جمال باشا منهمكا في القضية اللبنانية كانت الدارعة الافرنسية « جان دارك » تقوم بمطاردة السواحل اللبنانية فقد بدأت حركتها هذه بضرب ساحل اسكندرون يوم ١٨ اب سنة ١٩١٥ والقت ٢٠ قذيفة من مدفعيتها على هذا الساحل وقد قتل ثلاثة من الاهلين كانوا مارين صدفة

واكتفت بذلك وتابعت سيرها الى مرفا انطاكية القريب من ازمير فالقت عليه ٣٠ قذيفة احدثت بعض الاضرار في ابنية الحكومة المحلية وفي مخفر الدرك الذي هدمته وقد نتج من جراء هذا الحادث ان قتل خمسة من الجنود وجرح ١٢ جراحا بالغة ثم تابعت الدارعة سيرها الى «رشادية» فالقت عليها ١٢ قذيفة ثم الى فارغي فالقت عليها ٢ قذيفة ثم الى «بابابروتي» فالقت عليها خمس قذائف ومن ثم عادت الى السواحل اللبنانية وقد كانت الخسائر في المراكز الاخيرة طفيفة جدا الا تتعدى قتيلا وثلاثة جرحى

ان هذه المناورة التي قامت بها الدارعة الافرنسية «جان دارك» كانت ترمي الى الاستكشاف فقط ولا غاية احتلالية لها

تدابير سريعة — ومع هذا فقد اتت هذه الحادثة بالفائدة التي يرجوها العدو وهي تحويل قسم من القوات التركية الى السواحل لان القيادة العامة اعتقدت ان العدو يقصد من وراء محاولاته هذه اخراج قوات جديدة من جنوده في السواحل اللبنانية او الاناضولية

وقد كان الخوف في بادىء الامر ان يقدم العدو على اخراج قوات من جيشه في الاسكندرونة بحيث يقطع خط الرجعة بين البلاد العربية وتركيا من اسكندرون الى حلب فالموصل حيث يتصل بالقوات الانكليزية ولهذا اتخذت الاستعدادات اللازمة لهذا الامر حتى اذا نشبت ثورة اورفه الارمنية التي دبرها الحلفاء لهذه الغاية واخمدت عاد الحلفاء وعدلوا عن هذه الخطة على امل اجرائها في جهات مرسين

ومضت الايام ولم يقع الاخراج المنتظر في تلك الجهة ايضا وكان من جراء ذلك ان حدثت عدة حوادث مؤسفة هناك دون فائدة وان ارسلت القيادة العثمانية قوة من رجالها وضعتهم طيلة الحرب العالمية لحماية السواحل خشية انزال قوات فيها

الدفاع ؟ . . . — ويهمنا في هذا الصدد ان نقول هل يجوز والحالة هذه ان

تضع القيادة العثمانية قوات من جيشها لحماية السواحل اللبنانية والاناضولية ؟

من المؤكد ان السواحل السورية المطلة على الجبل اللبناني هي اكثر البلاد مساعدة للدفاع ومع هذا لم يكن في مقدورنا قط ان ندافع عن تلك الجهات لان اقل حركة انزال كافية لان تقيم سكان البلاد ضدنا وبذلك نصبح بين نارين نار العدو ونار ابناء البلاد من الداخل وفي ذلك قسط كبير على جميع الجنود الموجودة في البلاد

لهذا لم يقدم احمد جمال باشا على اقامة تحصينات وافية في منطقته وانما اكتفى بادخال الرعب في قلوب السكان فقط

وهذه الخطة هي التي حفظت سلامة الجيش الى اخر الحرب ولو ظل احمد جمال باشا في سوريا الى النهاية لما وقعت الفواجع التي اصابت القوات التركية حين تراجعها عن سوريا

نفي الايطاليين — دخلت ايطاليا الحرب العالمية ضد حليفاتها وانضمت الى دول الحلفاء وفي اليوم الاخير من شهر اب سنة ١٩١٥ اصدر قائد الجيش الرابع تعميما على جميع رؤساء البوليس في المناطق التابعة له بتوقيف رعايا ايطاليا الموجودين في منطقة الجيش الرابع وابعادهم الى — اورفه — اذ تقرر جعل هذه المدينة منفى لهم وفي الوقت نفسه صدرت الاوامر بمصادرة جميع المؤسسات الايطالية .

انتحار غالب بك — وفي الاسبوع الثاني لاعدام اولاد المحمصاني اقدم غالب بك المدير العام للبرق والبريد في ولاية بيروت على الانتحار بان اطلق رصاصة على صدغه اودت بحياته وقد سكت يومئذ عن سبب انتحاره فقيل ان نوبة عصبية أصابته ادت به الى الانتحار وقيل ايضا انه تلاعب بالاموال المودعة اليه كاد ينفضح فحمله على الانتحار على ان الحقيقة بعيدة عن هذا وذاك فالرجل اقدم على الانتحار لاسباب سياسية لان توقيف المحمصاني وجلبه امام القضاء جعل سبيلا الى ان يتهم احمد جمال باشا غالب بك بانه لم يحسن القيام في وظيفته وطلب ابعاده عن مدينة

بيروت .

وغالب بك كان تركيا الا انه من طراز والي بيروت يومئذ بكر سامي بك محب للعرب كثيراً فقد كان يبتعد كثيراً عن تنفيذ واجبه في مراقبة التحارير والبرقيات وقد دارت عدة مخابرات سرية في دائرته بين بعض الموظفين والخارج فكان يهمل هو الامر ليس عن خيانة لوطنه بل لاعتقاده ان سكان هذه البلاد على حق في عملهم هذا وقد اكتشف احمد جمال باشا هذه الحالة وامر بنقله فاقدم على الانتحار وعين بدلا منه توفيق بك وهو من اصدقاء احمد جمال باشا .

الكتابة الاجنبية ـ وفي هذا الوقت صدرت الاوامر من نظارة البوستة والتلغراف في استمبول الى جميع دوائر البرق والبريد بوجوب نزع الكتابات الافرنجية عن شبابيك دوائر البريد مثال ذلك ان النافذة المعدة لاستلام التحارير المضمونة كان مكتوبا عليها بالتركية والافرنسية انها تقبل التحارير المضمونة فحذفت الجملة الافرنسية واستبدلت بالعربية والتركية ومثلها على بقية النوافذ وهذا العمل كان مقدمة لالغاء اللغات الاجنبية في الدوائر والمؤسسات الرسمية .

تجنيد اللبنانيين

الغي في آخر تموز سنة ١٩١٥ الامتياز او الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني الا ان هذا الالغاء الذي حصر فقط في حق تعيين المتصرف والاشراف على الادارة الرئيسية لم يغير بقية الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني فقد ظل اللبنانيون معفيين من الخدمة العسكرية ومن دفع بقية الضرائب التي يدفعها سكان الولايات العثمانية

ولكن رئاسة شعبة اخذ العسكر في بيروت ارسلت تسأل قيادة الجيش الرابع عن التدابير الواجب اتخاذها تجاه اللبنانيين الموجودين في بيروت وفي بقية انحاء الولاية فردت عليها القيادة العامة بتحرير هذا نصه :

قيادة الجيش الرابع

رئاسة اركان الحرب

شعبة المخابرات

رقم عمومي ١١٧٥

رقم خصوصي ٩٢٩

في ٥ اب سنة ٣٣٢ (١٨ اب سنة ٩١٥)

لرؤساء شعب اخذ العسكر العامة

ج . على سؤالكم الرسمي المؤرخ في اول اب رقم ٩٧٨١٢٠

لما كان المرسوم الشاهاني الصادر بالغاء العهود القديمة المتعلقة بمتصرفية جبل لبنان المستقلة قد حفظ اللبنانيين حقوقهم المنصوص عنها في الاتفاقات الدولية الملغاة .

ولما كانت وكالة القيادة العامة في منشورها العام الصادر في ٢٠ تموز الماضي قد وافقت على استثناء اللبنانيين من الخدمة العسكرية

بناء على ما يراه الجيش الرابع ووزير البحرية يلزم العمل على الوجه التالي :

اولا ـ ان اللبنانيين يعفون تماما من الخدمة العسكرية طيلة النفير العام

ثانيا ـ ان اللبنانيين الموجودين بصورة موقتة في الولاية يعفون من الخدمة العسكرية .

ثالثا ـ ان اللبنانيين الساكنين بصورة غير موقتة في الولايات يعتبرون كسكان الولاية ويخضعون للخدمة العسكرية

رئيس الاركان الحربية

في الجيش الرابع

علي فؤاد

وبعد اسبوع تلقت قيادة الجيش الرابع سؤالا ثانيا من رئاسة شعبة اخذ العسكر تحت رقم عمومي ٩٤٧٠ رقم خصوصي ١٢٠ تسأل فيه عن رأي قيادة

الجيش الرابع في الموظفين اللبنانيين فردت عليها قيادة الجيش الرابع بموجب قرار رقم عمومي ٢٠٠٢ وخصوصي ١٠٢٥ جاء فيه ما يلي :

اولا — ان الموظفين في المؤسسات غير الحكومية يخضعون للاوامر الصادرة في التعميم الماضي

ثانيا — ان اللبنانيين المستخدمين في دوائر الحكومة والمؤسسات الرسمية وان كانوا من سكان الجبل يعتبرون كانهم من ابناء الولاية ويخضعون للخدمة العسكرية الاجبارية

ثالثا — تطبق بحق هؤلاء الوارد ذكرهم في الفقرة الثانية من هذا الامر سائر القوانين المتعلقة بالموظفين العثمانيين الخاضعين للخدمة العسكرية من جهة الراتب والتخصيصات التي تعطى لهؤلاء

وقد نفذت هذه الاوامر كما هي ولم يؤخذ طيلة النفير العام احد من اللبنانيين الساكنين في الولاية بصورة موقتة الى الخدمة العسكرية

. . .

اعدام !! اعدام !!

لم ينته شهر اب بهدوء ولم تقتصر حوادث الاعدام فيه على المجرمين السبعة الذين اعدموا في اوله والمجرمين السياسيين الذين اعدموا في اواسطه بل انتهت أيامه ايضا بعدة حوادث اعدام وقعت في مختلف البلاد العربية واليك هي :

اولا — في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ٩١٥ نفذ حكم الاعدام في بعلبك بقاسم سيف الدين من أهالي بريتال لانه أقدم قبل شهر واحد على قتل احد مواطنيه

ثانيا — اعدم في اليوم الثامن والعشرين من شهر اب نفسه في يافا اسماعيل علو، وداود الدبس من اهالي يافا لاقدامهما على قتل قائد دركها الامير عارف

ثالثا — وفي اليوم الاخير من شهر اب اعدم في محلة المزة في دمشق محمد حمد سريول من اهالي دوما لقتله أحد مواطنيه

اعدام الفارين — وفي هذا الشهر اعدم اخرون لفرارهم من الخدمة العسكرية .

فالعرب الذين اندفعوا في بدء الحرب العالمية الى التطوع في الخدمة العسكرية أو دخول السلك عند طلبهم منقادين اخذوا في الاشهر القليلة التي مرت على اعلان الحرب يفرون من صفوف الجندية

لقد قالوا أن الاتراك ظلموهم ولكن الامر عكس ذلك لانه في الوقت الذي نسرد هذه الحوادث كان الترك يدافعون عن أستقلال البلاد في الجبهة الحربية في المضايق وكان ابناء العرب في بلادهم وبين نسائهم ولهذا رأينا العجب عندما تردنا الاخبار بان ابناء العرب كانوا يفرون الواحد تلو الاخر من الخدمة العسكرية

الامر الذي دعا القيادة العامة ان تصدر الاوامر اللازمة للتشديد على الفارين الا ان هذه الاوامر لم تفد شيئا ولم ترد هؤلاء عن تعنتهم فاضطرت القيادة العامة الى تطبيق اشد احكام القانون وهو الاعدام بحق الفارين من الخدمة العسكرية

وفي اليوم التاسع والعشرين من اب ٩١٥ نفذ في بغداد حكم الاعدام بالاشخاص الاتية اسماؤهم :

اولا — خضر عباس من مواليد سنة ١٣١٣ من اهالي بغداد لارتكابه جرم الفرار من الفيلق المعسكر في كوت العمارة مع سلاحه وبيعه السلاح الى بعض العربان بعشر ريالات مجيدية

ثانيا — سعيد عبد القادر من اهالي الموصل ومن مواليد سنة ١٣١٤ فر من الجندية في الجبهة العراقية عند الشروع في الهجوم وقد اخذ معه ثلاث بنادق له ولرفاقه وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم الثامن والعشرين شهر اب

ثالثا — حنا عبد الغفار من اهالي البصرة ومن مواليد ١٣١٤ فر من الجبهة قبل دخول المعركة بعد ان اخذ بندقيته الحربية واسلحته الاخرى وهو يحاول اجتياز الجبهة ليستسلم الى العدو وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم التاسع والعشرين من شهر اب

رابعا ـ مصطفى بو مصلح من اهالي المنتفك ومن مواليد سنة ١٣١٣ فر من الجيش مرتين وقد عفي عنه للمرة الاولى للبسالة التي ابرزها في معركة ٧ تشرين ثاني الماضي الا انه في هذه المرة فر من الجندية بسلاحه وحاول ان يحرض بقية رفاقه الجنود العرب على الفرار معه فاعدم في اليوم التاسع والعشرين من شهر اب .

خامسا ـ عبد الستار ال قاسم من اهالي بغداد ومن مواليد سنة ١٣١٥ فر من الجبهة بعد ان سرق من المعسكر عشر مسدسات باعها بـ ٢٠ ريالا مجيديا وحاول الالتجاء الى البادية وقد اوقفته دورية البادية ونفذ به حكم الاعدام في اليوم السابع والعشرين من شهر اب

سادسا ـ عبد الستار بن احمد من اهالي بيروت ومن مواليد سنة ١٣١٣ فر من الجبهة في « قلعة النخل » التابعة فلسطين مع بندقيته وخمسمائة خرطوشة ولما حاولت دورية الجيش توقيفه اطلق عليها الرصاص فقتل احمد الاطنه لي وجرح يوسف كمال وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم الاخير من شهر اب

سابعا ـ صفوت الادهم من اهالي الشام ومن مواليد ٣١٢ فر من الجبهة الحربية في قلعة النخل وحاول الالتجاء الى العدو بسلاحه الحربي فاعتقل واعدم في اليوم السابع والعشرين من شهر اب

ثامنا ـ احمد مصطفى الصائغ من اهالي دمشق ومن مواليد سنة ١٣١٢ فر من الجبهة الحربية في منطقة غزة على زورق تداركه محاولا الالتجاء بسلاحه الى دوارع العدو وقد اطلق الرصاص من بندقيته على دوريات الساحل حتى اضطر المدفعية العامة الى اطلاق عشرات من قنابلها على البحر ظنا منها بوجود العدو فيه وقد اعتقل على اثر ذلك ونفذ به حكم الاعدام في اليوم الاخير من شهر اب

الفصل الثالث والعشرون

لعبت الجاسوسية في لبنان دوراً هاما ولست مغاليا اذا قلت ان سكان هذه البلاد من غير المسلمين هم اعداء للدولة الداء يعملون بكل ما في قواهم في سبيل معاكسة الدولة العثمانية والكيد لرجالها

وفي مقدمة الجواسيس الذين اشتغلوا لحساب فرنسا واتعبونا كثيراً بشاره البواري فان هذا الرجل الذي خدم الافرنسيين خدمات جلي عظيمة لعب دوراً خطيراً في الجاسوسية ففي الوقت الذي كانت قواتنا السرية والنظامية تطارده في جونيه كنت تراه قد وصل الى هدفه عن غير هذه الطريق وعاد هازئا بالجميع كانه لم يكن مطارداً ، وهذه جرأة عظيمة لا تثمن بثمن

ففي اليوم العاشر من شهر اذار سنة ٩١٥ تلقينا اشعاراً سريا من مديرية شرطة بيروت يفيد ان بشاره البواري الذي فر الى جهة العدو قد عاد الى بيروت واجتمع ببعض الاشخاص فيها وانه على اثر هذا الاجتماع ارسلت قوة من الشرطة لتوقيفه ولكنها لم تجده قطلان الرجل اختفى بصورة فجائية مع ان ٣٠٠ جندي اقيموا في ذلك الوقت على جميع المناطق الساحلية لتوقيفه ففشلوا في مسعاهم هذا وعاد الرجل الى البحر تحت حماية الافرنسيين دون ان يخشى امراً

التعميم بقتله — وفي اليوم اليوم السابع من شهر ايار اصدرت القيادة العامة بلاغا سريا الى مديرية الشرطة ورؤساء خفر السواحل تحت رقم ٨٢٥ جاء فيه ما يأتي :

«ان من يتمكن من توقيف بشاره البواري وارساله الى القيادة العامة يتناول جائزة قدرها مايتا ليرة مع ترفيع رتبته فوراً»

الا ان هذا البيان لم يفد شيئا لان الرجل تمكن من دخول البلاد والخروج منها بكل سهولة حتى اضطرت القيادة بموجب الامر الذي اصدرته بتاريخ ٢٠ ايار ٩١٥ رقم ١٢٦٧ سريا ان تضاعف الجائزة الى خمسماية ليرة تركية مع ترقيته فورا رتبتين اذا هو نجح في توقيف الرجل

وفي الامر السري الذي اصدرته بتاريخ ١٨ حزيران سنة ٩١٥ رفعت الجائزة لمن يوقف الرجل حيا الى الف ليرة تركية وفي الوقت نفسه هدرت دمه ومنحت كل من يأتيها بجثته خمسمائة ليرة تركية

اعدام البواري — وفي الوقت الذي اباحت فيه القيادة العامة دم بشاره البواري ارسلت اوراقه الى الديوان الحربي العرفي في عاليه تتهمه بالجاسوسية فحاكمه الديوان الحربي العرفي غيابيا في اليوم الثالث من اب سنة ٩١٥ فحكم عليه بالاعدام غيابيا وبمصادرة جميع امواله واملاكه واعطائه مهلة عشرة ايام وذلك لتسليم نفسه .

وفي اليوم السادس من شهر اب سنة ٩١٥ اصدرت القيادة العامة في التقرير اليومي الامر التالي :

«بناء على قرار الديوان الحربي العرفي المؤلف في عاليه باعدام بشاره البواري اللبناني الفار من وجه العدالة

ولما كان بشاره المرقوم رجلا شديد الخطورة يهدد دوما سلامة الدولة والجيش معا

فانا يجب على كل من يطلع على تقريرنا اليومي هذا توقيفه حيا او ميتا وارساله الى النيابة العامة في الديوان الحربي العرفي في عاليه فوراً

ويجب ان يحيط العموم علماً بان القيادة العامة قد عينت جائزة قدرها الف ليرة تركية لمن يأتيها به حيا وخمسمائة ليرة لمن يأتيها به ميتا»

اهتمام الجنود — ولكن كل هذه المساعي لم تات باقل فائدة لان مقاومة الجاسوسية وتوقيف الجواسيس لا يمكن ان يتم قط على هذه الصورة التي ارادتها القيادة العامة لان رجلا ذكيا يقظا كبشارة البواري له رفاق ومناصرون في داخلية البلاد لا يمكن توقيفه قط على هذه الصورة فهو وان كان لا يعرف مكان الجنود الا ان هناك من يرشده الى اماكنهم ولهذا ففي مقدوره والحالة هذه ان يتجنبهم تماما

لقد كان من الواجب على الدولة في مثل هذه الاحوال ان توجد شبكة قوية لمقاومة خطة الجواسيس

ان احمد جمال باشا في مساعيه هذه اعتمد على بعض المخلصين له من الضباط اللبنانيين وفي مقدمتهم حنابك الضاهر الا ان هذا القائد وان كان قد اظهر اخلاصا ومقدرة في كثير من المواقف قد كان والحالة هذه عاجزا عن مطاردة البواري الذي كان يسرح في منطقته دون ان يتمكن من توقيفه مع انه كان شديد الرغبة في ذلك ، ولهذا عرضت على احمد جمال باشا فكرة تاسيس شعبة لمقاومة الجاسوسية وقد رفض هذا الامر لانه وجد ان هذه الشعبة التي اقترحتها تكلفه خمسة الاف ليرة في الشهر مع ان الذي علمته من القواد الالمانيين ان مثل هذا المبلغ يدفعه الالمان لاقل من رجل من الرجال الذين يشتغلون في شعبة مقاومة الجاسوسية في المانيا معتقداً ان جواسيسه الذين وعدت بالكلام عنهم في فصل خاص قادرون على تحقيق ما يريده

الشرطي الجاسوس — كنت مع احمد جمال في صوفر اتلو عليه التقارير الواردة من مختلف الجهات عن اعمال الجاسوسية التي يرد في اكثرها ذكر بشاره البواري فالتفت الي محدقا وقال :

— من هذا المخلوق القذر (كذا) الذي لم تتمكنوا من توقيفه

— لقد بينت امره الى دولتكم

— نعم ولكن بتقارير لا فائدة منها

— وهذا ما اعتقده انا ايضا لان هؤلاء الجواسيس لا يعرفون شيئا فهم يجلسون في المقاهي والاندية العمومية يلتقطون من الناس ما يرددونه وهذا لا فائدة منه والجوهري ان يطاردوا هؤلاء الجواسيس مطاردة فعلية

— هذا امر يتعلق بك وليس بي

— نعم ولكن جواسيسنا لا يتناولون الا رواتب ضئيلة ومن الضروري انشاء شبكة لمقاومة الجاسوسية وهذه يلزمها المال

— عدنا الى المال !

— نعم هذا هو الحل الوحيد في هذه البلاد

— ولكن هناك من يتطوع لهذه الخدمه بدون مال

— ماذا

— ولماذا تعجب ؟

وحقي اني اعجب لانني لم اعتقد قط ان في سوريا ولبنان ، من يخدم الدولة لمجرد كونها دولته فالمسلمون لم يكونوا كثيري الاخلاص لهذه الدرجة والمسيحيون معرفون بعدائهم للدولة ، ولهذا وقفت تجاه جمال باشا حائراً ولكنه لم يدعني طويلا في حيرتي ودعا مرافقه نصرت بك وقال :

— دع الرجل يدخل علي

وبعد دقيقة دخل علينا شاب في منتصف العقد الثالث من عمره وانحنى الى الارض امام جمال باشا وبعد ان قام بمراسم التعظيم وقف جانباً وانا والباشا نتفرس فيه ثم بادره الباشا قائلا :

— اسمك ؟

— عبد الله رشيد يامولاي من مرتبات شرطة بيروت

— معلوماتك !

— بلغني ان بشاره البواري يتردد الى بيروت ويخرجه نقولا ربيز الى البر و يساعده في مقاصده وقد كان هنا في الاسبوع الماضي وتتبعت آثاره الا انني لم

اتمكن من توقيفه اذ لم يكن معي سلاح

— ولماذا لم تعد لمطاردته؟

— لانني خاضع يامولاي لاوامر رؤسائي لا يسمحون لي بالتغيب عن مركز وظيفتي كما انني غير واثق من رئيسي الذي اخشى اذا فاتحته بالامر الا يسمح لي بمتابعة مهمتي هذه فاضطر والحالة هذه الى . . .

— نعم الى مشاركته في الجائزة الموضوعة لهذه الغاية

— كلا يامولاي فانا اقوم بخدمة دائرتي وبلادي باخلاص لا اطلب على ذلك ثمنا .

— حسن والان ماذا تريد

— ان تعطني مأذونية اكون فيها حراً في عملي هذا

— انك حر اذهب وقم بواجبك على أن تأتيني بالنتيجة القريبة

ذهب الشرطي عبد الله رشيد من حضرة جمال باشا معتزما المضي بوظيفته وهي القبض على بشاره البواري الذي تعبنا في حوادثه الجاسوسية التي قام بها في لبنان .

وفي اليوم الثاني لذهابه تلقيت اشعاراً هذا نصه :

« ان بشاره البواري يصل هذا المساء سأتابع مطاردته واخباركم بامره

ولكن عبد الله رشيد لم يتمكن من توقيف البواري في ذلك اليوم حيث جائني مساء وقال :

— ذهبت الى جونية نهار امس فوجدت الخوري بولس (كذا) يحمل رزمة كان قد اتى بها من بكركي هي على ما اعتقد صورة عن مخابرات نقلها الى الافرنسيين بواسطة بشاره البواري ولكن الخوري بولس يدري ان الرقابة الشديدة عليه موجودة ولهذا سلم هذه الرزمة الى ساسين جرجس من اهالي بيت مري وقد جاء الرجل الى بيروت و بات فيها و بقيت في مراقبته واعتقد انه يعرف تمام المعرفة مقر بشاره البواري ولهذا اردت أن الحق به وقد جئت الان لاعلامكم بالامر

حذاقة الشرطي رشيد – وقد كانت معلومات هذا الشرطي قيمة في الحقيقة لانه عرف كيف يتتبع خطوات الرجل وكان في امكانه ان يصل الى النتيجة في اقرب وقت ، بعكس بقية الجنود ورجالنا السريين المنتشرين بالعشرات على طول الخط دون ان يتمكنوا من القيام باي عمل كان فيه خدمة للدولة ولهذه الدائرة ولهذا نقدته ٥٠ ورقة تركية لاشجعه على متابعة عمله ومراقبة الرجل بدقة زائدة وصرفته بعد ان طلبت اليه موافاتي يوميا باخباره في أي وقت كان عن المسائل الهامة الممكن ان تقع

الشرطي في بيت مري – وفي صباح اليوم الثاني تلقيت من الشرطي مذكرة هذا نصها :

« ان ساسين جرجس حضر في مساء امس الى بيت مري وقد زار بعد وصوله بساعة دار خليل العازار ومكث فيها ساعتين »

وبعد الظهر تلقيت منه اشعاراً ثانيا هذا نصه :

« قرعت اليوم باب خليل العازار مدعيا انني رجل فار من الجندية وطلبت منه مساعدته الا ان الرجل رفض السماح لي بدخول منزله مع ان عادة اللبنانيين اكرام الضيف والعطف عليه وقد رأيت في نظراته الى ربة المنزل التي دخلت بعد مشاهدتها اياي ما يريب خصوصا وانني كنت قد سمعت حركة في داخل المنزل تلاشت عقب دخول السيدة اليه . ... أتابع المراقبة بدقة زائدة واخبركم النتيجة فيما بعد . »

وفي صباح اليوم الثاني تلقيت منه مذكرة هذا نصها :

« في الساعة الثامنة لم اجد شيئا مريبا حول منزل خليل العازار الا انه في الساعة الثامنة والنصف حضر الى زيارة المنزل راهب القرية وساسين جرجس و يوسف عبد الله

ورغم اننا في اواخر فصل الصيف والهواء عليل فان نوافذ المنزل المطلة على الطريق كانت مقفلة وفي الجهة الثانية منه كانت زوج الرجل وثلاثة من الاولاد

يسهرون الواحد تلو الآخر كأنهم يتولون المراقبة وقد حاولت تسلق المنزل في الساعة التاسعة والنصف لارى من فيه الا انني لم اتمكن من ذلك وفي الساعة العاشرة والنصف رأيت الراهب يخرج لوحده الا ان أمره رابني لانني وجدت في مشيته شيئا غير عادي فلحقت به فوجدت ان هناك من يتعقبني واعتقدت انهم شعروا بي ولهذا تواريت عن انظارهم ولم اتمكن من متابعة الرجل لمعرفة ما اذا كان هو الراهب أو غيره

والحركة التي شعرت بها بعدئذ دلتني على ان الجماعة قد شعروا بانها تحت المراقبة ولهذا قررت ان لا أظهر لهم في النهار على ان اهاجمهم في الليل واري ان ترسلوا الاوامر الى قائد قوة بيت مري لمساعدتي عند اللزوم

وعلى اثر هذا التقرير ارسلت امراً الى قائد قوة بيت مري هذا نصه :

« عليكم بمساعدة الرجل الذي سيتقدم اليوم أو غداً باسمي وتنفيذ سائر الاوامر التي يعطيكم اياها حرفيا وافادتي بالنتيجة »

ومضى ذلك اليوم وليله ولم اتلق اشعاراً جديداً من الشرطي عبد الله رشيد مع انه كان من واجبه أن يرسل تقارير خلال هذه المدة وفي صباح اليوم التالي تلقينا برقية هذا نصها :

« وجدت جثة رجل قد مزقها الرصاص ملقاة على قارعة الطريق العام في بيت مري وقد وجدت في جيوبه اوراق هويته التي تدل على انه الشرطي عبد الله رشيد »

والدرك اللبناني الذي ارسل هذا التقرير عن الحادث باعتباره جريمة عادية لم يقدر خطورة هذا الاخبار الذي نهتم به مع القائد العام احمد جمال باشا ولهذا امرت باعداد السيارة وذهبت بنفسي الى بيت مري لاجراء التحقيق عن الحادث بعد ان اعلمت الباشا تلفونيا به فاستاء استياء شديداً واصدر الي اوامر مشددة لو عمدت الى تنفيذها لكان من الواجب توقيف معظم سكان بيت مري والقاؤهم في غياهب السجون لمعرفة حقيقة هذه الجناية الفظيعة

الا انني لم اعمد الى هذه الخطة القاسية التي طلب الباشا الي تنفيذها بل استدعيت الي عقب وصولي الى بيت مري زعماء القرية وامرتهم باظهار القاتل في مدة عشر ساعات والا فاني مضطر الى توقيفهم جميعا واعتبارهم مسؤولين عن قتل احد رجال الشرطة بتلك الصورة الفظيعة

ثم استجوبت بعض الموجودين عما اذا كان احدهم رأى الشرطي قبل مقتله ومن بينهم خليل العازار وساسين جرجي فانكر رؤيته الا انني بعد ان وصفت لهم كيفية مقابلتهم اياه وكيفية ابعاده عن المنزل عاد خليل العازار واعترف برؤيته الا انه انكر معرفة اسباب قتله

وعندئذ امرت بتوقيفه مع ساسين جرجس وارسلتهما الى الديوان الحربي العرفي بعاليه بتهمة قتل الشرطي عبد الله رشيد واخفاء الجاسوسين نقولا ربيز وبشاره البواري وبذلك انهيت التحقيق في الفصل الاول من هذه الروايه المؤلمة !!...

لم نتمكن من توقيف بشاره البواري ورفيقه نيقولا ربيز وقد زادت جهودهما بان انضم اليهما ايوب ثابت (وهو غير الدكتور ايوب ثابت وزير الداخلية السابق) وايوب البواري وقد صدرت على هؤلاء وغيرهم من الذين اشتركوا مع بشاره البواري عدة احكام بالاعدام غيابيا دون فائدة لانهم ظلوا على اتصالهم الدائم مع العدو يروحون و يجيئون دون ان نتمكن من توقيفهم كما سيجيء ذلك في سياق سرد حوادث هذا الشهر

جاسوس اخر -- ولم تكن حركة الجاسوسية مقتصرة على بشاره البواري وحزبه او رفقته كما يتبادر الى اذهان القراء بل ان سكان لبنان كانوا بأجمعهم ضدنا لا يتاخرون قط عن التجسس علينا لحساب العدو لانهم يعتقدون اننا اعداء الداء كما يرون بالافرنسيين اصدقاء حماة لهم في هذه البقعة العثمانية

الا ان اللبنانيين ينقسمون في هذه العاطفة الى فئتين فئة تعتقد بحماية الافرنسيين لها وترى واجبا عليها خدمة الافرنسيين ولو بطريق التجسس على الدولة التي تدافع

عن استقلال بلادها

وفئة ثانية تعمل لحساب الافرنسيين لجر مغنم مادي ومن هذه الفئة بشاره البواري ورفاقه الذين كانوا يندفعون في محاربتنا والتجسس علينا ولو دفعت لهم الحكومة العثمانية يومئذ الاموال لما تاخروا قط عن التجسس لها ضد الافرنسيين انفسهم

ومن هؤلاء الجواسيس عبده جوزيف من اهالي قرية بدره اللبنانية

فقد تلقينا اشعاراً من قائد مخفر (العبدة) يفيد ان زورقا عاديا رسا على الساحل في تلك الجهة ونزل منه احد البحارة المدعو يونس سمعان ولدى استجوابه افاد انه يذهب في بعض الايام الى الجهة الشمالية من الساحل حيث يري بانتظاره احدهم فينقله بزورقه الى احد المراكب الاجنبية الواقف بانتظاره وافاد انه رغم معرفته الاكيدة بان في هذا العمل خيانة للدولة فانه قبل به لانه بحاجة الى المال لاطعام عياله

وفي الحال اصدرت الاوامر الى قائد مخفر العبده بان لا يحرك ساكناً وان يحتفظ بالرجل الى ان ارسل اليه احد رجالي

وفي الوقت الذي ارسلت فيه هذا الامر استدعيت احد رجالي الاذكياء الملازم عثمان جمال وهو حلبي الاصل ووجهته التحقيق في هذه القضية وقد قام بمهمته هذه وارسل الي التقرير التالي :

(في اليوم الخامس من شهر آب اجتمعت في مخفر العبدة بالجاويش بيروتلي كمال فعلمت منه ان يونس سليمان لم يكن الاسم الحقيقي للرجل الموقوف لان التحقيقات التي اجراها بصورة سرية اثبتت له ان الرجل يدعى عبده جوزيف من اهالي بدره وانه لم يفاتحه بالامر قط وانما تحراه مع زورقه بدقة فوجد فيه ورقة ذات طبقتين فيها ما يلي النصف الموجود يحمل ثلاثة ارقام غير تامة وفي الاعلى رسم بشكل زاويتين يرجح انهما حرف (م) الافرنسي والثاني باسفله رقم ١٢ بالافرنسية وفي الاسفل حرفي ل . ي متصلين الامر الذي دلني على ان هذه

القسيمة المقسومة شطرين هي كلمة التعارف مع الخارج حتى اذا جمعت مع رفيقتها تعارف الجميع

ولهذا اردت استخدام هـذه القسيمة للوصول الى مراكب العدو ومعرفة حقيقة الامر

وفي مساء اليوم السادس من شهر اب شاهدت على بعد ثلاثة اميال من الساحـل باخرة افرنسية بادرتني باشارات لم افهمها ورأيت الباخرة تقترب مني و يسألني ركابها عن حالي فقلت انني يونس سمعان فاذا هو الاسم المتعارف به مع الرجل واذ ذاك خاطبني احدهم باللغة العربية سائلا عن سبب عدم اعطائي الاشارة المتفق عليها بالنور فاجبته ان العياء الشديد قد نال مني فنمت ولم افق الا والباخرة بالقرب مني فصدقوا مني هذه الرواية واصعدوني الى الباخرة و يظهر ان هذا الترجمان جاء للمرة الاولى و كان لا يعرف الجاسوس الحقيقي

وطلبوا مني القسيمة وجمعوها الى قسيمة ثانية كانت مع الربان فكانت الحروف التالية (م) و ١٢ ١١ ولبنان و بعد التعارف سألني الربان عن الموقف وعن القوات الجديدة التي ارسلت الى المضايق وعن موقف جمال باشا وعن التدابير المتخذة في البلاد فبينت له هذه الامور كما اريد ورأيت موافقا لمصلحة البلاد والجيش معا ثم زودني بمعلومات جديدة تلخص بما يلي :

اولا — مقابلة الخوري يوسف واعلانه ان الجماعة ينتظرون تعليماته

ثانيا — معرفة القوات الحقيقية الموجودة في السواحل بين طرابلس واللاذقية

ثالثا — اخذ رسوم الاستحكامات الحربية

رابعا — معرفة موقف احمد جمال باشا

خامسا — موقف الشريف فيصل من احمد جمال باشا والاتراك وذلك بواسطة الاب يوسف

فوعدتهم خيراً ثم تناولت من الربان خمس ليرات عثمانية ذهبية ولعلها لقاء خدماتي او الاخبار التي قدمتها له

ومن ثم عدت الى الزورق دون ان يشعروا بحقيقة امري حتى اذا وصلت الى الساحل بادرت الى ارسال هذا التقرير على ان ارسل لكم غداً تفاصيل مقابلتي للجاسوس ومعرفة هذا الخوري الذي يساعده في مهمته هذه وحمله على الاعتراف بجاسوسيته التي اقترفها)

وقد كان هذا التقرير كثير الخطورة لانه دلني على ان الضابط الذي اوفدته لهذه الغاية كان ذكيا يعرف كيف يطارد هؤلاء المجرمين

وفي ٧ اب تلقيت منه ما نصه :

« بعد عودتي من الباخرة استدعيت الى منزلي يونس سمعان وقلت له

— والان هل تريد ان تعترف لنا بالحقيقة

— هي التي قلتها لك قبلا وانا لا اعرف من امر الرجل شيئا

— حسن ولكن اتعلم بانك ستقاد الى الديوان العرفي وربما الى المشنقة بتهمة الجاسوسية وانت بريء منها

— رحمة انني رب عائلة . .

— اعرف ذلك ياعبده

لفظت هذا الاسم وانا اتفرس بالرجل فرأيت الاضطراب يعلو محياه ثم غيرت فجأة موضوع الحديث وقلت:

— لقد استدعينا امس الخوري يوسف فقال انك رجـل شقي تستحق العقاب الصارم

— وهل جرى كل ذلك

— وهل تعرف انت الخوري يوسف

— نعم اعرفه وهو كاهن قريتنا !

— وهل هو الذي دفعك الى الجاسوسية

— مولاي

— لا لزوم الى الانكار فانا اعرف الحقيقة كلها فانت من اهالي بدره وتشتغل

جاسوساً لحساب فرنسا واسمك مسجل عندهم تحت رقم ١١١٢ وشعار التعارف بينكما ثلاثة انوار متقطعة واسمك مع بيان القسيمة

— مولاي وهل انت معهم

— صه انني لست خائن لبلادي مثلك

— مولاي ان الحاجة هي التي دعتني الى ارتكاب هذا الجرم

وبعد هذه المحاورة التي اعترف بها الرجل بكل هذه الحقيقة استدعيت الجاويش كمال البيروتي والاونباشي حسن الزين فاعترف امامهما ايضا بهذه الحقيقة ثم وقع عليها ببصمة اصبعه وسارسله اليكم مخفوراً بعد ظهر اليوم تاركا امر الخوري يوسف اليكم (مولاي)

الامضاء : عثمان جمال

لم اجد من لزوم لتكرار استجواب الجاسوس الذي احيلت اوراقه حسب الاصول الى الديوان الحربي العرفي فحكم على عبده يوسف من اهالي (بدره) بالاعدام ونفذ به حكم الاعدام في اليوم الثالث من شهر ايلول سنة ١٩١٥

جاسوس علوي -- ولاسباب ضرورية لم نر في ذلك الوقت ان نوسع التحقيق مع الخوري يوسف الذي اكتفينا بابعاده الى الاناضول كي لا تتكرر منه هذه الخيانة وفي الوقت نفسه اوفدت الملازم عثمان جمال افندي لمتابعة البحث في في قضية الجواسيس الذين يشتغلون لحساب فرنسا فتمكن من معرفة جاسوس اخر هو محمد الياس العلوي فاوقفه ونفذ به حكم الاعدام في اليوم العاشر من شهر ايلول سنة ٩١٥

حادثة مضحكة — ووقعت حادثة اخرى ادت الى نتائج غير مستحبة فقد ذهب عثمان جمال لمطاردة جاسوس ثالث يعمل في المنطقة ذاتها وفيما هو يطارد الرجل في زورق امام الساحل القريب من بانياس اذا بقوة من خفراء الساحل تعتقله وتقوده الى بانياس بصورة محزنة ، فعثمان جمال لم يكن يحمل في ذلك الوقت اوراقه الحقيقية كما انه ليس من الصواب ان يحمل هذه الاوراق وضباط الساحل لا يعرفون من امره شيئاً مع ان الواجب يقضي ان يكونوا على علم بهذا الامر او على

الاقل ان ترسل الى قوادهم اشارة يتعارفون بها معه ولكن القيادة العامة لا تثق بهؤلاء الذين لا يتأخرون عن بيع هذه المعلومات الى العدو بقطعة فضية لا ذهبية

لاقى الملازم عثمان جمال بك مشقات عظيمة جداً كانت سبباً في توقيفه بالسجن طيلة ذلك الليل والنهار الثاني ثم ارسل مخفوراً الى طرابلس وفيها عرفت حقيقته واخلي سبيله

وكانت هذه المدة كافية لفرار الجاسوس الذي كان يطارده عثمان جمال وافلاته من حبل المشنقة

جاسوس اخر — ولكن اذا افلت ذلك الجاسوس من يد عثمان جمال بك فانه لم يفلت منه غندور يوسف سعيد من اهالي بيروت فانه بعد حادثة توقيفه على تلك الصورة المؤسفة غادر طرابلس قادما الى بيروت وركب عربة لاحدى الاهلين وعند وصوله الى جبيل طلب اليه احدهم ان يركب معه العربة ومع انه كان متأثراً فقد استقبل هذا الضيف بسرور لانه سيمكنه من المحادثة معه وتمضية الوقت

ولكن كم كانت دهشة الضابط عندما رأى جليسه يحادثه بامر اعتقاله ويسأله عن نجاته فاعلمه انه نجا لانه بريء فابتسم جليسه وقال :

— اعرف مقدار براءتك فنحن اذا خدمنا الافرنسيين فلاننا نعتقد بان خلاصنا عن يدهم بعكس اولئك الاتراك الذين يعتقلوننا لمجرد اننا عرب فلو كنت انت تركيا لما اعتقلت

فقال عثمان جمال : صحيح

— والان ماذا تريد ان تعمل

— ذاهب الى بيروت

— انك مسلم وفي امكانك ان تخدمنا في محيطك

— وكيف ؟

— ساقول لك ذلك فيما بعد والان فكلا

ـ ولكن كيف اعرف مقرك

تحضر لعندي الى محله مار الياس في بيروت

وقد عرف عثمان جمال بك ان الرجل يدعى عندور يوسف سعيد من اهالي بيروت ومن مواليد سنة ١٩١١ وهوارثوذ كسي اي انه الجاسوس الارثوذ كسي الاول الذي تراه في صفوف الاعداء وقد تمكن عثمان جمال من توقيفه في اليوم التاسع عشر من شهر ايلول سنة ١٩١٥ بعد ان اتفق معه على ان ينزلا البحر من جهة رمل بيروت وهو ينقل معه عشرة رسوم لبعض المراكز العسكرية والتدابير المتخذة في جهات طرابلس وطرطوس تمكن من الوصول الى اخذها بمهارة زائدة وقد اعتقل على الشاطيء هو والضابط نفسه كي لا يرتاب به كما ان عثمان جمال بات معه في السجن يومين اخذ منه خلالها بعض المعلومات القيمة عن الجاسوسية واعمالها وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الاول اعدم غندور يوسف سعيد شنقا بناء على قرار الديوان الحربي العرفي الذي اثبت جاسوسيته ضد الجاسوسية — وقد انصرف عثمان جمال منذ ذلك الوقت الى مطاردة الجواسيس في البلاد وقد طلبنا اليه في الوقت نفسه ان يعمل على مطاردة بشاره البواري الذي اتعبنا وذهب ضحيته احد رجال الشرطة وقد تمكن خلال شهري ايلول وتشرين الاول من مطاردة هؤلاء الجواسيس مطاردة فعلية وتوقيف خمسة جواسيس وسوقهم الى المشنقة وهذه هي اسماؤهم مع التهم الموجهة اليهم :

اولا — يوسف ضحى من اهالي صيدا ومن مواليد سنة ١٣١٢ اعتقل قرب الدامور وقد صودرت منه مذكرة تحوي بعض تعليمات عسكرية كما انه وجدت في جيبه ثلاث ورقات من فئة الالف فرنك من طبع الحرب ووجدت معه قسيمة تثبت علاقاته بالجاسوسية الافرنسية

نفذ به حكم الاعدام شنقاً في اليوم الاول من تشرين الاول سنة ١٩١٥

ثانيا — بطرس بن حنا مارون من اهالي جونيه ومن مواليد سنة ١٨٨٢ اوقف وهو عائد من مقابلة العدو في الدارعة (ارنست رينان) وقد صودر منه ٥٠٠

دولار اعترف باخذها من الدارعة الا انه صرح بان ربان الدارعة سلمه هذا المبلغ بعد ان اوقفه وهو يصطاد السمك وطلب اليه ارسال هذا المبلغ الى اصحابه في الجبل وسلمه لائحة باسماء هؤلاء الا ان هذه اللائحة فقدت منه

وقد ثبت لدى التحقيق ان الرجل قام بعدة جولات في البحر رغم الاوامر الصادرة بمنعه عن ذلك وان المال مرسل الى مصدر اخر امتنع عن ذكره وقد تثبت الديوان الحربي العرفي في عاليه من هذه التهم فحكم على الرجل بالاعدام ونفذ به حكم الاعدام في اليوم السادس من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥

ثالثا — عبد المنعم محمد المصري من اهالي القاهرة حضر على الدارعة «دوستره» وقد تمكن عثمان جمال بك من مشاهدته وهو ينزل على صخور محلة المنارة فلحقه الى ان وصل المدينة ونزل في دار عبد السلام الصيداني في محلة حمام الصغير فتركه هناك ثم اوقفه صدفة في اليوم الثاني بواسطة الشرطة فانكر انه جاء حديثا وادعى انه موجود منذ القدم في بيروت الا ان عثمان مالبث ان اثبت جاسوسيته وحكم عليه مع عبد السلام الصيداني بالاعدام فنفذ بهما حكم الاعدام في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥

رابعا — طانيوس حنا مارون من اهالي راشيا ومن مواليد سنة ١٨٨٠ اوقف في جهات صور بينما كان يحاول ركوب زورق يخص عبد الحسن الصوري ليذهب الى ملاقاة باخرة العدو الراسية بالقرب من تلك الجهة وقد وجد معه ثلاثة مكاتيب بدون توقيع اثبتت ان الرجل كان يحمل معلومات عن الحالة في منطقتي صور وصيدا وجهات جبل عامل الا ان الرجل انكر معرفته الاشخاص الذين سلموه هذه التحارير ولست انكر هنا ان الرجل لاقى مشقات عظيمة اثناء التحقيق في الديوان الحربي وفي التحقيق الابتدائي الا انه كان مصراً على السكوت لا يريد ان يبوح بشيء عن مرسلي هذه التحارير حتى انه لما نفذ به حكم الاعدام صباح تشرين الاول قدم عنقه الى الموت مختاراً دون ان ينبس ببنت شفة

خامسا — سعد الدين مصطفى رضوان شاب من اهالي يافا ومن مواليد

سنة ١٣١٣ اوقف في جهات عكا حيث كان يتجسس على اعمال الفرقة فيهـا وعلى الموقف العسكري هناك

وقد اوقف على الشاطىء في جهة (قيسارية) حيث كان يعطي الدارعـة الحربية اشارات بالنور بواسطة فانوس كان يحمله بيده وقد شوهدت الدارعة ترد على اشاراته وعلى اثر ذلك ارسل الى الديوان الحربي الذي حكم عليه بالاعـدام ونفذ به حكم الاعدام في الساعة الخامسة من صباح ٢٠ تشرين الاول سنة ٩١٥

. . .

في بيروت فئة لا تعرف مقدار خطورة الموقف وتعتقد ان ظروف البلاد الاستثنائية هي نفس الظروف التي كانت قبل الحرب ولهذا لا تمتلك عاطفتها لمجرد اختلاف بسيط يقع بينها وبين احد لمجرد حادث بسيط

وحالة (القبضايات) في بيروت سيئة جداً فترى الواحد منهم يقدم على قتل رفيقه لا لشيء الا لان ذلك الرفيق التفت اليه شزراً او لم يلق عليه التحية

وكان سليمان حسين من هؤلاء القبضايات الذين يعتقدون ان كل شيء يجب ان يسير حسب مشيئتهم

وسليمان حسين الجويني شاب في العقد الثالث من عمره من اهالي الشيـاح او برج البراجنة لا اذكر تماماً ، الا انه عرف في محيطه بشراسته وهو بدلا من ان يذهب الى الجبهة ليدافع عن بلاده وحريتها واستقلالها كان يسرح ويمرح في بيروت لانه لبناني ومتمتع بامتياز الاعفاء من الخدمة العسكرية

وفي اليوم العشرين من شهر ايار جاء سليمان الى بيروت ولما وصل الى فرن الشباك وقف في منتصف الطريق على خط الترامواي يتطلع الى السماء لانه سمع ازيز احدى الطيارات فوقف يتطلع اليها وهو غير حافل بالقطار القـادم الى جهته وكان سائقه يقرع بالجرس ليبعده عن الخط الحديدي

ولما اقترب القطار منه وهو واقف في مكانه شتمه سائق الترامواي لذهوله قائلا له :

— هل انت حيوان لا تسمع

ماذا ؟ ايجرؤ السائق ان يقول له حيوان وهو ذلك (القبضاي) الذي يجب ان يخضع له الجميع . ولهذا ما كاد يسمع هذه الجملة حتى ثارت ثائرته وتناول مسدسه وافرغ رصاصاته على السائق فلم يصبه الا ... بجرح بسيط

في الديوان الحربي -- وهكذا ادى نزق (القبضايات) بالرجل الى اطلاق الرصاص في الوقت الذي كانت فيه الطيارة على مقربة منه وعلى علو قريب جداً حتى ان من في الطيارة سمعوا دوي الرصاص بدليل ان الطيـارة ارتفعت بصورة فجائية ثم ذهبت وبعد نصف ساعة عادت ومعها سرب من الطيارات اخذت تحوم فوق المنطقة التي اعتقد ان الرصاص كان موجهاً اليها وكان في نيته ان يقوم بمحاولة عدائية لو تكرر اطلاق الرصاص

ولا تسل ساعتئذ عن التأثير الذي احدثه هذا الحادث فى المعسكر العام وفي الجيش فان عشرات التلفونات ارسلت الى مدير شرطة بيروت للقبض على سليمان حتى اذا حل مساء اليوم نفسه كان سليمان الجويني في سجن الديوان الحربي العرفي في عاليه

استجواب الجويني — عندما استجوب سليمان الجويني لدى الديوان الحربي العرفي بصورة سرية قال :

— ان السائق قال انه سيرى هذه الطيارات تنقذ البلاد قريبا من الدولة العثمانية وانه تأثر منه لقوله هذا فاراد ان يسقط الطيارة بمسدسه

— ولكن هل في امكانك ان تسقط الطيارة بمسدسك

— نعم

— واذا اسقطتها ماذا تكون نتيجة ذلك — ننتقم من بعض اعدائنا الذين فيها

— ولكن هذا العمل قد يؤدي الى اعتداء العدو بقوة كبري على بيروت

— لم يخطر لي هذا الامر في بال وقد تأثرت من رؤية طيارات العدو تحوم فوق سماء بلادي فاردت الانتقام منها وكنت اعتقد ان عملي هذا سيلاقي تنشيطا

من دولتي وتعمد الى مساعدتي

ـ ولكن الا تعلم ان الدولة حظرت اطلاق الرصاص على طيـ ارات العدو واطلاق أي نار حين مرورها فوق سماء البلاد

ـ كلا لا علم لي بشيء من هذا

ـ انك مخطيء في عملك

ـ كلا

ـ ولماذا اطلقت الرصاص على السائق

ـ لانه حاول ان يهين بلادي

ـ ولكن المعلومات الرسمية تدل على عكس ادعائك

ـ ان المعلومات الرسمية تخطي دوما وانا فيما اقوله لكم صادق واقسم على ذلك بشرفي

الحكم على الجويني - ولكن هذه المحاولة في التخلص من الجريمة لم تنقـذ الرجل من الحكم الصارم ! الذي صدر باعدامه في اليوم الثاني من شهر حزيران سنة ٩١٥ وفي اليوم نفسه ارسلت اوراقه الى قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا الذي اقر الحكم فوراً وفي صباح اليوم الثالث من شهر حزيران نفذ به حكم الاعدام بعد ان علقت على صدره لائحة بيضاء كتب عليها ان الرجل اعدم لانـه حاول باطلاقه الرصاص على احدى طيارات العدو احداث شغب في البلاد فنفذ به حكم الاعدام وهكذا ذهب هذا الشاب المتهوس ضحية غروره وعدم تمسكه بالقوانين الحربية الصارمة الموجودة في البلاد في تلك الظروف الاستثنائية الحرجة

اعدام اخر — وفي هذه المناسبة نروي حادثا ثانيا وقع بعد شهرين فان شابا من اهالي بيروت او من ولاية بيروت لا اذكر بلدته تماما يدعى عبد الحفيظ سعيد الصاوي اوقف على رمل بيروت حيث القى طور بيلا في البحر لصيد السمك ولسوء حظ هذا الشاب البالغ من العمر ٣٠ سنة انه عندما اطلق هذا الطور بيل في البحر كانت ثلاث طيارات افرنسية تحوم في سماء بيروت جفلت

حين سمع من فيها دوي الطور بيل فذهبت وصادف اذ ذاك مرور احـدى مفرزات الحـدود فلحقت بالشاب الذي القى الطور بيـل فاوقفته وقادته الى الديوان الحربي .

ورغم ان الجميع مقتنعون بحسن نية هذا الشاب و بانه ما أقدم على هذا العمل الا املا باصطياد قليل من السمك يعول به والديه وزوجته وأولاده الذين لا معين لهم فقد حكم عليه بالاعدام ونفذ به الحكم في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩١٥ لانه على زعم القابضين على ازمة الحكم حاول في عمله هذا اثارة فتن في البلاد باطلاقه ذلك الطور بيل

الفصل الرابع والعشرون

اليهودية الحسناء

عين جواد رفعت بك رئيساً للشعبة الاولى في الاستخبارات وبعد اسبوع من استلامه وظيفته تلقيت منه تقريراً هذا نصه :

« لفت نظري بوجه خاص فتاة اسرائيلية حسناء تدعى المدامواز يل سيمون تتردد على ضباط المعسكر العام فان هذه الفتاة الحسناء التي تعرف بها ضباط الاركان الحربية في القدس عند ما كان المعسكر هناك انتقلت معهم الى دمشق وباتت معشوقة الجميع على اختلاف رتبهم والتحقيقات التي قمت بها دلتني على ان هذه الفتاة رغم ظهورها بمظهر البنات غير الشريفات فانها تقصر علاقاتها على ضباط الاركان الحربية في المعسكر العام فهي من جهة تقيم لهم الحفلات البهجة الفخمة في ردهات فندق دامسكوس بالاس مدخلة على قلوبهم الفرح والغبطة تقيم لهم من جهة ثانية حفلات سرية غامضة في بعض الدور في الحي الاسرائيلي في دمشق وبات وجودها في دمشق مدار غبطة وسرور ومرح لسائر ضباط المعسكر

وقد حاولت بواسطة رسلي السريين ان احملها على استقبال بعض المثرين او الضباط غير التابعين للاركان الحربية فذهبت محاولاتي سدى مما زاد في انتباهي الى تمسك هذه الفتاة في امر ضباط خاصين

وقد زاد اهتمامي بامر هذه الفتاة الحديث الذى ادلى به اليوزباشي احسان بك اذ جاءني قائلا :

— هل صدر الأمر بسفري الى الجبهة ؟

— لا ادري . . . ولماذا ؟

— سأنتدب لتفتيش المدفعية فيها ومعرفة التبديلات الواجب ادخالها

— ومن اين لك ان تعرف هذه الحقيقة

— عرفتها من المدموازيل سيمون

— اه . وهل تعرف هذه الفتاة حتى هذه الامور الدقيقة

— انها جميلة فتانة وانتم لم تشاهدوها بعد وهي معبودة الجميع وتعرف كل شيء . لاننا نحبها جميعنا وهي صديقة مخلصة لنا

— وهل سبق لها ان عرفت مثل هذه الامور

— دوما .

نعم ان هذه الاسرائيلية الحسناء كانت تعرف كل شيء ومعرفتها متى يسافر هذا الضابط الى الجبهة ومتى يعود منها والمهمة الذاهب بها اليها يدلني على ان الفتاة كانت تعرف كل شيء وفي امكانها معرفة ما تريده من اسرار المعسكر العام

ولهذا اردت ان اضع رقابة جديدة حول هذه المرأة على ان اتولى معظم شؤون هذه المراقبة بنفسي

وفي اليوم نفسه ابرقت الى جواد رفعت بك اطلب اليه صرف جهوده لمعرفة سر هذه الفتاة فجاءني منه في اليوم الثاني تقرير هذا نصه :

« في الوقت الذي كنت اواصل فيه بحث قضية الفتاة والتدابير الواجب اتخاذها لمعرفة اسرارها جاءني ياسين بك الجابي ضابط التبليغات (امر ضابطي) في الفيلق الموجود في دامسكوس بالاس وطلب الي مرافقته في ذلك المساء الى حفلة ساهرة ستقام في فندق دامسكوس بالاس وتحضرها الانسة سيمون ومع انني كنت شديد الرغبة في حضور هذه الحفلة لمعرفة اسرار الفتاة الا انني اجبته بلهجة لا تجلب انتباهه وقلت :

— ان هذه الابواب ضيقة علينا ياعزيزي لانه ليس في امكاننا برواتبنا الضئيلة

هذه ان ندخل مثل هذه المحلات الفخمة

وهنا ابتسم لكلامي وقال :

ــ وماذا يهم ياعزيزي مرة في العمر علينا ان نغتنم الفرص لنعيش حياة سعيدة وغداً سنموت ولا يعود في امكاننا والحالة هذه ان نعيش اكثر من ذلك اتريد ان نترك ثروتنا لغيرنا

ــ ولكن ؟

ــ لا اعرف ذلك فانت ضيفي في هذا المساء ولا اقبل لك عذراً

فتظاهرت بالرضوخ لحججه وقبلت الدعوة وساحضر سهرة هذا المساء

ان حديث ياسين بك ادخل في نفسي شبهة جديدة لانه من اين لهذا الضابط ان يقيم هذه السهرات التي تكلفه الاموال الطائلة ؟ هذا ما سابحثه وانقله اليكم في تقاريري التالية»

قال جواد رفعت :

«لما دخلنا الى ردهة الطعام في فندق دامسكوس بالاس لم نجد فيها الا ضابطين شابين جالسين لوحدهما على مائدة منفردة احدهما سري بك وهو اليوم رئيس اركان حرب فيلق استمبول (البنباشي سري بك) والثاني كامل بك (وهو اليوم قائد فرقة السيارات في استمبول) والاول يشغل احدى مفرزات الهجين والثاني ضابط الامر في معسكر الفرقة

ثم اخذ الضباط يتوافدون الى القاعة وقد مضى وقت الطعام وليس فيه اقل حادث وبعد ان انتهينا من الطعام جلسنا ندخن فاذا بي ارى رفيقي ياسين بك يضطرب وتسقط السيكارة من يده فالتفت الى الجهة الثانية فاذا بي احد الاسرائيلية الحسناء تتقدم منا فوقفنا لها وعرفني بها وقد ادركت من اول هذه المقابلة انها ذات دهاء خصوصا وانها كانت تظهر انها بعيدة عن عالمنا مظهرة الكبر والخيلاء ملتفتة الى المائدة منتقدة قلة الترتيب والنظام بهاو بعد ان انهت هذه الامور الطفيفة التفتت الى ياسين بك واخذت تحادثه بالعربية واغتنمت هذه الفرصة ووجهت

الي سؤالا عما اذا كنت اعرف اللغة العربية فاجبتها اعرف من اللغة العربية بضع كلمات لا تمكنني من محادثتها

ــ اذاً باية لغة يمكنني محادثتك وانا اجهل التركية

ــ اعرف قليلا اللغة الافرنسية

ــ هذا حسن وفي امكاننا والحالة هذه ان نتفاهم باللغة الافرنسية فابتسمت وابتسمت ومضت هذه السهرة بسرور حتى اذا انتهينا قامت تودعنا الواحد تلو الآخر وابقتني الى الاخير حتى اذا صافحت يدها مودعا التفتت الي قائلة :

ــ انني جد مسرورة من هذه المقابلة واؤمل ان تشرف منزلي

ثم التفتت الى رفيقي ياسين بك وقالت :

ــ ارى ان تأتي في احد الايام لزيارتي مع رفيقك هذا وارجو ان يكون بعد غد نهار السبت في الساعة التاسعة والنصف ، فاحنى رأسه دليل الطاعة وانصرفنا

وفي اليوم الثاني استدعيت معاوني الملازم الاول شريف افندي ورئيس دائرته ضابط الاحتياط سيف الدين افندي

وكان الاول قد رفع الى قائد فيلق دمشق لائحة جديدة باسماء بعض الدمشقيين الذين يرى وجودهم خطراً على سياسة الدولة في دمشق طالبا ابعادهم الى خارج حدود سوريا اي المنطقة الاناضولية فسألته عن السبب الذي حدا به الى طلب تهجير هؤلاء الاشخاص وهم ابناء عائلات معروفة ومحترمة في دمشق فاجاب قائلا :

ــ ان وجودهم خطر على الفيلق الثامن ومن الضرورة تهجيرهم من بلادهم

«الا انني لا ارضى في هذا الامر ولست من الاشخاص الذين يسخرون ضميرهم في سبيل القيام بعمل مضر مثل هذا ولهذا اصريت عليه بطلب الدليل على اسباب طلبه نفي هؤلاء فقال :

ــ ان ايجاد ادلة واثباتات على خيانة هؤلاء صعبة جداً الا انني اعرف ان

وجودهم خطر على سلامة البلاد وهذا كل ما لدي من ادلة كان يقبلها سلفكم واصف صفا بك

-- انني لا اقبل قط مثل هذه الامور فاذا كان واصف بك قد خالف ضميره فانا لا اقبل

ولما سكت مزقت هذه اللائحة التي يريد بها نفي بعض المظلومين وسألته عن حركة الجواسيس في دمشق فقال انه لا يعرف عنها شيئا وعندها امرته بكتابة ما يلي :

« الانسة سيمون في باب توما زقاق المحمودية المنزل رقم ٥٣ » وقلت ان قيادة الفيلق تعتقد بان هذه الفتاة جاسوسة لحساب العدو والذي نطلبه منك ان تحقق عن هذه الفتاة وتاتينا بكل المعلومات عنها ولكن على شرط ان تكون سرية جداً وحياتك هي الضمان على كتمان السر ، قلت ذلك وامرته بالانصراف ثم استدعيت رفيقه ضابط الاحتياط سيف الدين ايضا فاعطيته نفس العنوان والتعليمات واوصيته بالكتمان حتى عدم ذكر مهمته للملازم شرف بك ثم سألته اين ينام فقال في المعسكر فقلت

انك منذ اليوم ستنام خارج المعسكر وعليك ان تذهب الى محلة باب توما وتستأجر منزلا او غرفة في دار احدى العائلات اليهودية لمراقبة الآنسة سيمون وزائريها وفي امكانك طيلة مدة وظيفتك هذه ان تتغيب عن المعسكر العام وتقدم الي تقريرك مساء الى مقهى (زهرة سوريا) حيث تتظاهر انك شاهدتني صدفة وتزودني بمعلوماتك التامة وسيدفع لك رئيس لوازم الفيلق نصرت بك ما انت بحاجة اليه من مال وقد امرته بان يدفع لك الان على الحساب خمس ليرات ذهبية

هذا هو الموقف الاول وفي اليوم الثاني قصد جواد رفعت بك دار اليهودية حيث سمعها تسأل ياسين بك عن موعد سفر الفيلق الثامن الى معان الامر الذي اثار شبهته فعاد الى المعسكر وكتب ما يلي :

لما عدت الى المعسكر استدعاني رئيس اركان حرب مصطفى عزت بك وافادني بان القائد واركان حربه سيقومون برحلة تفتيشية حتى معان

وهنا ادركت الخطر !

نعم لانني تخيلت هذه الفتاة اليهودية التي لم تغادر في ذلك اليوم منزلها وهي تسأل رفيقي عن ميعاد سفر اركان الحرب الى معان ونحن رؤساء الشعبة الاستخبارية نجهل ذلك ؟

فمن اين لهذه الفتاة معرفة هذا الامر ؟

ومن الذي اطلعها على ذلك ؟

هذا ما اعمل على درسه والحقيقة هي ان هذا من الخطورة بمكان لان هذه الرحلة التفتيشية ستبدأ نهار الجمعة صباحا وتبلغ في اليوم نفسه ببرقية شيفرة الى قائد الفيلق الثامن نفسه فكيف عرفت به هذه الفتاة في مساء ذلك اليوم ؟

ان الفتاة عندما القت سؤالها على جواد رفعت بك لم تود التحقق مما اذا كان المعسكر العام متنقلا ام لا بل تريد معرفة اليوم الذي ستبدأ به هذه الرحلة التي هي على تأكد منها

والرحلة ستبدأ نهار الثلاثاء والتقرير وصلني الاثنين ومن الضروري والحالة هذه اتخاذ تدابير سرية لحماية الموقف

وعلى اثر هذا تلقيت برقية من جواد رفعت بك هذا نصها :

« قابلت رئيس اركان الفيلق الثامن مصطفى عزت بك وبينت له ضرورة ارسال قطار حربي مصفح لحراسة القطار الحديدي وتفحص الخطوط قبل سير قطار القيادة فضحك وقال انه لا يرى هناك اقل خطر يوجب هذا الامر الا انني افهمته ان اورانس بعد تغلغله بين العشائر بات خطراً علينا وان من الضروري اتخاذ هذه التدابير فوافق عليها

وبعد ساعة استدعاني اليه جمال باشا وقال :

« لا اعتقد ان هناك موجبا لزيادة الاهتمام بالمحافظة على حياتي فانا جندي

وسأقتل سواء أكان في الحرب ام في القطار

الا انني لم اوافقه على فكرته هذه ورجوته ان يترك لي امر اتخاذ هـذه التدابير التي اراها ضرورية فابتسم وقال : « افعل ما تريد شرط ان لا تهتم كثيراً بامر حياتي »

لورانس في الشام

وقد كان اسم لورانس في ذلك الوقت مالئاً تقارير دوائر اركان الحرب فان هذا الضابط البريطاني الذي جاء الى جزيرة العرب حاملا معه مئات الالوف من القطع الذهبية الوهاجة تمكن من استمالة ليس عرب البادية وامرائها فحسب بل انه الف العصابات السرية في داخل منطقة الجيش الرابع وتمكن حسب التقارير التي تثبتناها من الوصول الى دمشق قبل اعلان الثورة العربية وبعد اعلان هذه الثورة وكان في مقدوره عندما يقصد دمشق ان يجد في (غوطتها) وبساتينها عشرات من المنازل يقطنها رجاله من ابناء هذه البلاد فيزودونه بما هو بحاجة اليه من المعلومات ويسهلون له السبيل الى الهدف الذي يريده

وكنا نحن نعرف هذه الحقيقة الا ان ردائة المصلحة الاستخبارية الموجودة لم تكن تمكننا قط من معرفة الرجل وتوقيفه ولا من معرفة الذين يساعدونه من ابناء البلاد وقد رأى القراء كيف تمكن هذا الضابط الفطن جواد رفعت بك في مدة اسبوعين من الوصول الى الحركة الاولى من اعمال هذه الجاسوسة باكتشافه العنصر الخطير

ولهذا اسرعت الى دمشق فوصلتها في منتصف الليل وكأن قلبي كان يحدثني بضرورة الحضور الى دمشق لاسمع بالفاجعة المؤلمة التي وقعت بعدئذ ونسف فيها القطار

سفر قائد الفيلق الثامن — وباكرنا صباح اليوم الثاني الى محطة القدم لوداع قائد الفيلق الثامن واركان حربه ومع اننا وصلنا الى هناك باكراً جداً فقد وجدنا هناك مفرزة من الجند مصطفة لوداع القائد وترافقها موسيقاها وجمهور من كبار

رجال الملكية والعسكرية وبعد دقائق حضر القائد مع اركان حربه وبعد ان تفقدوا القطار وصافحوا الحضور استقلوا القطار الخاص الذي اعد لهم وسافروا

كانت الساعات القليلة تمر وانا اشعر بانقباض في نفسي وانا جالس في قشلاق المشيرية اترقب النتيجة وانباء الفاجعة التي كان قلبي يحدثني بوقوعها .

وكنت اذهب في كل ساعة الى غرفة الشعبة الاولى اترقب الاخبار الى ان رن جرس الهاتف فتناولته بسرعة ولهفة بعد ان وقف جواد رفعت بك على السماعة الثانية فاذا صوت عامل السنترال في الجيش يقول .

ألو . هنا سنترال الجيش الرابع ان محطة درعة تطلبكم فتكلموا معها .

ألو . هنا الفيلق الثامن الشعبة الاولى ماذا تريد .

— هنا سنترال درعا ان الملازم الاول نيازي بك يريد محادثتكم .

— ألو انا الملازم نيازي ان القطار المقل قائد الفيلق الثامن واركان حربه انقلب عن الخط عند الكيلومتر الرابع والتسعين على اثر انفجار قذيفه ميكانيكية وضعت في طريقه فقتل الياور الاول حسن بك والجندي احمد اونباشي وجرح قائد الاستحكامات مخلص بك وخمسة من الجنود . وقد سافر قائد فرقة الخيالة حامد فخري بك مع رجاله على قطار النجدة الى محل الحادث . ان قائد الفيلق سيتابع رحلته في طريقه ، وقد امر باقامة احتفال فخم للشهيدين والاعتناء التام بالجرحى نظموا اعمالكم عملا بهذا الامر وضاعفوا جهودكم في اكتشاف هذه الدسيسة»

بعد الفاجعة — هذا هو الامر التلفوني الذي تلقيناه والموجه الى رئيس الشعبة الاولى في الفيلق الثامن وقد وقفنا تجاه هـذه الحادثة المؤسفة التي ذهب ضحيتها ثمانية اشخاص بينهم اثنان من كبار ضباطنا وقد توجهت تواً الى محل الحادث في الكيلومتر ٩٤ فتبين لي ان الذين اقدموا على وضع هذه القذيفة هم من عرب قبيلة « عودة ابي تاية » وقد تمكنت من اعتقال احد هؤلاء البدو وكان من المعتدين وهو البدوي حمد وتحت تأثير الوعد والوعيد قال :

انني بريء لان عودة هو الذي امرنا بان تستعد لان نذهب معه فلبينا الامر

وكنا ٢٥ خيالا ومعنا عودة بو تايـه وذلك الرجل الانكليزي الذي ما كاد يستعرضنا حتى فتح كيسه ونقد كل منا ليرتين ذهبيتين فهتفنا له جميعنا وسرنا الى ان اقترب بنا من الخط الحديدي فاوقفنا على مقربة منه بعد ان امرنا بالسكوت التام ثم تقدم مع ضابط حضري كان معه ، اخذا يحفران تحت الخط الحديدي مـدة قصيرة وعادا الينا فسألهما عودة عما صنعا فاجابه رفيق الانكليزي قائلا :

— لقد تم كل شيء

ثم امرونا بالتراجع الى الوراء حيث انتظرنا هناك مقدار نصف ساعة ثم رأينا القطار يندفع بسرعـة الى تلك الجهة حتى اذا وصلها سمعنا دويا عظيما ارتج له الفضاء فحاولنا الاسراع الى محل الحادث لنهب القطار الا ان الانكليزي منعنا عن ذلك فاضطررنا الى العودة ادراجنا وقد ارسلوني انا وعماد لمعرفـة مايجري هناك فقتل الجنود رفيقي واعتقلوني .

— ومتى اتى هذا الانكليزي الى القبيلة ؟

— منذ يوم مع ذلك الشامي الحضري وكان قبلا اتى لوحده منذ يومين وهو ياتي لمقابلة ابي تايه من وقت لآخر

وهنا وصف لي البدوي بقدر مايحده عقله الصغير هيأة هذين الرجلين واعتقد ان الآخر الذي يلقبه بالشامي هو احد جواسيسه الذين تمكنوا من دخول دمشق والاخر هو لورانس الانكليزي

ثم ارسلت الرجل الى الديوان الحربي العرفي في دمشق فحكم عليه بالاعدام واعدم

لمقاومة الجواسيس

وعلى اثر اشتداد حركة التجسس التي كثرت في المدة نفسها استدعيت ثلاثة من الضباط السوريين وهم عارف وسامي ونصرت وعينتهم لمراقبة الانديـة الاسرائيلية بعد ان امرتهم بخلع ملابسهم العسكرية واستبدالها بملابس مدنيـة وابرقت يومئذ الى قائد منطقة فلسطين يونس حيدر بك برقية هذا نصها :

« ان قيام احدى الدوارع الانكليزية في كل يوم لترصد منطقتكم في ساعة

ووقت معين لامر يوجب الشبهة ويتركنا نعتقد انها قادمة لامر معين

ان قدوم هذه الدارعة الى منطقة واحدة وفي ساعة معينة يدلنا على ان قدومها ليس لترصد عسكري بل لاجل اخذ تعليمات من الجواسيس اليهود الكثيرين في منطقتكم

لذلك يجب اتخاذ التدابير اللازمة لاكتشاف هذه الاسرار وافهامنا النتيجة

ان شريف وسامي وعارف واحمد عهد اليهم في هذا ووضعوا تحت تصرفكم فيجب ان تقدموا لهم التسهيلات اللازمة واعلامنا بما يجد فوراً

وقائد هذه المنطقة يونس حيدر بك من الرجال المخلصين الغيورين فهو لا يمضي وقته في النزهة والراحة بل كان دوماً يجتهد في سبيل اكتشاف الاعمال الجاسوسية ولهذا استقبل الضباط الاربعة الذين اوفدتهم اليه وقام معهم يعمل بجد واجتهاد عظيمين في سبيل معرفة اسرار هؤلاء الجواسيس حتى تمكنوا من ذلك والى القراء تقريرهم

« بينما كان الدركي محمد اوغلو خليل ابراهيم من اهالي قرية « الاطرون » التابعة للقدس ماراً من امام قرية « زمارين » اليهودية في احدى الليالي شاهد على الشاطيء البحري وميض نار وتبين له على ضيائها خيال واقف على الساحل يشعل عيدان الكبريت من وقت الى آخر فاشتبه الدركي الامين بهذا الرجل واختلس الخطوات حتى صار على قرب معه فتطلع الى البحر فاذا بـه يجد سفينة مظلمة لا تحمل الا ضوئين خفيفين الاول في مقدمتها والثاني في مؤخرتها ولما كان هذا الدركي خير مستخدم في الاستخبارات لهذا لم ينتظر النتيجة ليعرف ما سيجري لانه لم يتمكن من تمالك شعوره وانقض على الرجل وضربـه بعقب بندقيته على رأسه فالقاه فاقد الرشد على الارض ثم اخذ في جره الى ان احضره الى مقر قائد الطقم وقد تبين انه يدعي يعقوب ابراهيم وهو يهودي وقد حاول الرجل رشوة ذلك الدركي الفقير الباسل فرفض بشهامة تامـة مصراً على تسليمه وبذلك قام الجندي بواجبه خير قيام .

وارسل لنا يونس حيدر بك البرقية التالية :

الى قيادة الفيلق الثامن

بينما كان احد انفارنا ذاهبا الى مركزه في الطقم شاهد على الساحل القريب من زمارين شخصا مريبا كان يعطي بعض الاشارات بواسطة عود الثقاب فاوقفه فوراً واحضره الى المركز وعرف انه يدعى يعقوب ابراهام خابون ثم ارسل الى المعسكر

وفي افادته الاولى التي ادلى بها الينا وانكر كل شيء واصر على القول بانه اشعل اعواد الثقاب لمجرد اللعب فقط

ان محاكمة الرجل في ديوان حربي خاص يؤلف في هذه المنطقه لاستجوابه واظهار شركائه بالجريمة امر نتركه الى دولتكم

استرحم صدور اوامركم بهذا الشأن مولاي

القائمقام — يونس حيدر

وقد احال قائد الفيلق الثامن هذه البرقية فوراً الينا لاخذ رأينا في هذه القضية فرأينا ان نوافق على اجراء التحقيقات فقط وابرقنا بما نصه:

الى القائد يونس حيدر بك

ان توفيق يعقوب ابراهيم خابون الذي هو فرد من عصبة واسعة النطاق تعمل لحساب العدو ضد الجيش في تلك المنطقة امر يساعد هذه القيادة على معرفة اسماء بقية المتآمرين

فمن الضروري والحالة هذه اجراء التحقيقات الاولية في منطقة الناصرة وتوقيف شركاء الرجل وسوقهم الى الديوان الحربي العرفي في الشام لمحاكمتهم

في انتظار ورود تعليماتكم المفصلة عن نتيجة هذه المفاوضات تفضلوا ..

وابرق قائد الفيلق الثامن الى القائد يونس حيدر بك بما نصه:

الى القائد يونس حيدر بك

ان قائدة الفيلق رغم الاعذار الواهية التي يظهرها الرجل يعتقد اعتقاداً

وطيداً بانه يعمل مع عصبة قوية في الناصرة وضواحيها ويتجسس علينا لحساب العدو

فمن الضروري والحالة هذه استعمال الشدة مع الرجل الموقوف ومعرفة جميع شركائه وارسالهم فوراً الى دمشق

يصل اليكم علي رضا بك معاون ورئيس الاطباء البيطريين توفيق بك ليساعدكم مع مندوبينا الاولين في هذا الامر

بلغونا نتيجة مساعيكم في هذا الشأن فوراً

قائد الفيلق الثامن

توسع الحركة — ويتبين للقراء من هذه المعلومات والبرقيات التي تبودلت ان الموقف تبدل وانني وصلت الى الهدف الذي عملت لاجله في سبيل ايجاد شبكة منظمة ضد الجاسوسية فتعيين حيدر رفعت بك في الشعبة الاولى في الفيلق الثامن ثم انتداب هذا بعض رجاله للعمل سراً في دمشق ثم انتدابنا ستة ضباط اخرين للعمل في منطقة الناصرة .. كل ذلك تدابير حازمة كان في الامكان ان تعود علينا بفوائد جمة وتقطع دابر الجواسيس لو اننا عمدنا الى تنفيذها في بدء الحرب الا ان رفض القيادة يومئذ اقتراحي هذا لم يحل دون اتمامه في المدة الاخيرة فحولت منطقتي الشام والناصرة الى منطقتين قويتين لمقاومة الجواسيس بعد ان تسلمت انا بنفسي ادارة مثل هذه الاعمال في بيروت وفي المنطقة اللبنانية

عود الى الآنسة سيمون

والان لنعد ونبسط للقراء ما كان من امر الاسرائيلية الحسناء الآنسة سيمون .

فقد تبين من التحقيقات التي اجريت فيما بعد ومن اعتراف الانسة سيمون نفسها انها كانت من اشد مندوبي عصبة «إرانسون» .

ولهذا كنا نراها في دمشق تنصرف الى الاجتماع بالضباط الالمان والاتراك التابعين للاركان الحربية وقد ساعدها جمالها الخلاب وتكاوينها الجذابة وحديثها

الطلي فمدت سيطرتها على الجميع واستدراجهم باحاديثها وو بهائها و بجاذبيتها على معرفة ما تريد من اسرار دون ان يفطن لامرها احد

من المؤكد ان الحب الزائد الذي اظهرته الانسة سيمون للضابط ياسين بك ليس الا لين ملمس الافاعي فان هذه الفتاة التي عرفت الشاب عندما كان ضابط الامر في الفيلق الثاني ثم عند ما كان رئيسا لدائرة الاستخبارات فلعبت دورها معه بمهارة زائدة و كان من واجبه ان يبعد هذه الفتاة عنه كرئيس فرع من فروع الاستخبارات ولكنه لم يقو وزادت هذه الحسناء بانها اخذت تسرق منه الاسرار العسكرية التي لا يجوز لضابط ان يبوح بها

ان الضابط ياسين بك العربي كان يعطيها كل ما تطلبه من ايضاحات وليس في امكاني الجزم اذا كان يعطيها هذه المعلومات عن اتفاق سابق وعلم بوظيفتها الشائنة ام عفواً الا انه على كل حال قد ارتكب جناية عظيمة في رده على اسئلتها .

ولهذا أخذت من يد الرجل شؤون الاستخبارات واودعت لعهدة غيره

خائن آخر

ولم تقف الخيانة في معسكر الفيلق الثامن عند حد هذا الضابط العربي ياسين بك ولئن كانت القيادة العامة تثبتت من خيانته الا انني لا ارى ثمة خيانة لان الرجل كان يجيب على اسئلة توجهها اليه الفتاة مندفعا بعامل الحب الذي اعماه عن معرفة الواجب .

ولكنني ارى الخيانة مجسمة فيمن كان يعطيها المعلومات عن معرفة بمركزها الشائن وهو احد ضباطنا الاتراك جو بان اوغلو زكي بك من كبار ضباط اركان الحربية في الفيلق الثامن فان هذا الضابط الكبير الذي يتمتع بثقة رؤسائه و بمركزه السامي كان يبيع كل هذه الامور في سبيل ليلة يقضيها مع الاسرائيلية الحسناء وهو عارف باعمالها الشائنة ودناءتها وخيانتها لوطنه فهو خائن اكثر منها .

انني على ثقة تامة بان الضابط العربي ياسين بك لم يكن خائنا وانما اندفع وراء غرامه بسرد معلومات يعتقد انها بريئة اما ذلك الخائن فهو ذلك الضابط التركي جو بان اوغلو زكي بك فان هذا القائد هو الذي اخبر الجاسوسة الحسناء بعزم قائد الفيلق الثامن وار كان حربه السفر الى معان

ولم تكن الحسناء لتثق به لانها على اعتقاد تام — وهي على حق في اعتقادها هذا — ان من يخون امته و بلاده يجب ان لا يؤمن جانبه ولهذا كانت تأخذ معلوماته وتعمد الى تمحيصها ولهذا القت ذلك السؤال على ياسين بك عما اذا كان حقيقي ما بلغها عن سفر قائد الفيلق الثامن الى معان ذلك السؤال الذي القته على ياسين بك امام جواد رفعت بك بتلك اللهجة التي حاولت ان تتعمد بها البراءة والذي كانت ترمي من ورائه للتأكد من اخبار جاسوسها زكي بك

وانا على ثقة تامة بان ياسين بك عند ما رد عليها كان بريئا من معرفة حقيقة امرها لانه لو فطن اليه او كان على معرفة من حقيقة امرها لكان على الاقل قد نبه اخاه رئيس مرافقي قائد الفيلق اليوزباشي حسن بك الذي ذهب ضحية القنبلة التي وضعها لورانس في طريق القطار

فهل يعقل والحالة هذه ان يعرف ياسين بك هذه المؤامرة المدبرة او يعرف حقيقة هوية المرأة و يسكت وهو يعرف بان القطار الذي يقل قائد الفيلق يقل اخاه ايضا

ان الرجل تالم كثيراً عند ما بلغه نبا مصرع اخيه في القطار حتى انه سقط في اليوم الثاني مريضا ولازم فراشه مدة ولما عاد الى صحته ومزاولة اعماله ذهبت منه نفسه تلك الروح المرحة وتلك الرغبة في ارتياد الملاهي والحفلات حتى ان حيدر رفعت بك دعاه في احد الايام للنزهة بعد انتهاء عمله فاجاب لقد حرمت علي الراحة والنزهة بعد فقد سندي واخي

— ماذا صار يا صديقي هل خربت الدنيا وكلنا سنسير على هذه الطريق السنا ضباطا معرضين في كل ساعة للموت في ساحات القتال

— انك على حق في اننا كلنا سنموت ولكن هل تعتقد ان من كان مثلي في امكانه ان يفرح بعد المصاب الذي الم به فقدت اخا كالطود الراسي مملوءاً حياة وعافيه انني ارى الدنيا باجمعها قد انهارت بي ولم تعد لي من رغبة في شيء ، ان من كان هذا شعوره كما وصفه لي زكي بك لا يصح ان يكون خائناً بل هو عاشق قد افقده العشق معرفة الحقيقة

ولهذا لم يشركه الديوان الحربي في هذه القضية

الجواسيس اليهود — رفض يعقوب ابراهيم خابون ان يصرح بشيء عن رفاقه الجواسيس اليهود الذين يساعدونه في مهنته السافلة ولهذا قصدت الناصرة لحمله على الاقرار الا ان جهودي ذهبت هدراً لان الرجل اصر على الادعاء ببراءته وانه ضحية الافتراء

وفي اليوم الثاني لوصولي الى الناصرة استدعيته ثانية وحاولت انتزاع الحقيقة منه دون فائدة وعندئذ قلت له :

— انك ستعاد الان الى السجن ولديك مهلة حتى الغد ففتكر جيداً فاذا كنت تريد حقا انقاذ نفسك من الموت فعليك ان تعترف بالحقيقة التامة والا فان دماءك تهدر وتكون انت السبب فيما يصيبك . وكن على ثقة تامة بانه ما من مجال للنجاة الا بالاعتراف بالحقيقة

ثم امرت الرجل بالانصراف فاخذه الجنديان الى السجن الخاص

اعتراف الرجل — وفي اليوم الثاني اعلمني الضابط خليل بك ان مدير السجن يسأل عني بالتلفون فدخلت غرفتي وتناولت السماعة فاذا المدير يقول : « ان المتهم يريد الاعتراف بالحقيقة فماذا تأمرون » .

— سأحضر فوراً .

ثم قصدت السجن وامرته باحضار السجين الذي ما كاد يراني حتى بادرني قائلا :

— اذا رويت لك الحقيقة هل تعفو عن حياتي ؟

اذا رويت لنا الحقيقة التامة فاساعدك على نوال العفو ولكني اعدك اذا رويت

الحقيقة بالامان على حياتك .

— انني رجل بريء وذو اولاد وعيال ولست مجرما قط فاذا كان مولانا الباشا يعفو عن حياتي فانا اعترف بالحقيقة والا فافضل السكوت .

وعندها تناولت آلة التلفون وخاطبت بها احمد جمال باشا الذي وافق على حفظ حياة الرجل شرط ان يعترف بالحقيقة التامه وعندها التفت اليه وقلت .

— ان الباشا يعطيك وعداً بالعفو عن حياتك شرط ان تعترف بكل شيء بصراحة تاما ووضوح .

— الرحمة ايها السادة ، لقد قلت بانني ساقول لكم الحقيقة اي الحقيقة التي أعرفها وهذا ما سافعله فهناك من يعطوننا التعليمات و يستخدموننا كالعبيد دون ان تعرف من امرهم شيئا وكل هذه المصائب التي تحيط بنا منهم فاذا لم ننفذ نحن البؤساء اوامرهم يطردوننا و يقطعون ارزاقنا . ولهذا نخاف منهم .

فاذا انت تعتقد ان هؤلاء الناس هم اقوى من الحكومة والقانون ؟

— كيف يمكن ان يكونوا اقوي من الحكومة ، الا انهم اخذونا تحت اداراتهم ووضعونا بقبضة ايديهم ولهذا ليس في امكاننا معارضتهم والحكومة نفسها لا تسمع كلامنا اذا شكوناهم وانما تسمع كلامهم

— حسن جداً من هم هؤلاء الاشخاص الذين تعنيهم ، اذكر اسماءهم تخلص حياتك وتراهم بين يدي الحكومة والقضاء .

وعندها اعدت الرجل الى سجنه وامرت بتوقيف الرجلين

— جوزيف طوبين ونعمان باكند . . .

تنفيذ هذا الامر -- وفي اليوم نفسه نظم يونس حيدر بك قائد منطقة الناصرة قوة من جنوده المشاة والدرك وغادر بها ليلا المنطقة ولم يفطن لامره احد لان وجودنا في ذلك الوقت بحالة حرب وانتقال الجنود من مراكزها بصورة دائمة لم تلفت الانظار قط ولهذا سارت هذه الجنود دون ان تعرف الغاية من حركتها الى ان وصلت قرية زمارين المعروفة لدي اليهود باسم زيكرون جاكوب وعند

منتصف الليل كانت محيطة بالقرية من سائر جهاتها وليس في امكان اي كان الدخول او الخروج منها دون ان يشاهده الجنود

وفي ذلك الوقت تقدم القائد يونس حيدر بك ومعه ٢٥ دركيا الى القرية فايقظوا المختار وطلبوا منه ان يقودهم الى دار نهمان بلكند فقادهم اليه وفيه اوقفوه و كان غارقا في نومه فايقظوه وتحروا منزله وصادروا ما وجدوه من اوراق ومن ثم ذهبوا الى منزل جوزيف ظوبين واوقفوه و كان نائما ايضا وتمت عملية توقيف الرجلين بكل هدوء وسكينه دون ان يشعر بها احد وعمد يونس حيدر بك الى استجواب الرجلين الذين انكرا كل شيء واصرا على انهما بريئين وعلى هـذا لم يتمكن من معرفة شركائهما وا كتفى بسوقهما الى الناصرة

في دمشق -- وفي اليوم الذي سبق توقيف هذين الرجلين اضطررت ان اغادر فلسطين الى دمشق لحادث هام وقع هناك ولهذا تلقيت فيها برقية من يونس حيدر هذا نصها :

« بناء على اوامركم الصادرة تمكنا من توقيف جوزيف طوبين ونهان بلكند وقد اصرا على الانكار وانهما بريئين من التهمة التي وجهت اليهما وانه ليس لهما شركاء الا اننا تمكنا من الحصول على اوراق ووثائق قيمة والات فوتوغرافية عديـدة قيمتها ٣٠ الف ليرة وقد افادا انهما يستخدمان هذه الالات في التجارة ولكن سكان المنطقة ينكرون اتجار هذين الرجلين بهذه البضاعة

بانتظار اوامركم تفضلوا ...

وعلى اثر ذلك ابرقنا الى القائد بما نصه :

يجب ارسال جوزيف طوبين ونهان بلكند تحت خفارة قوة من الجند الى دمشق مصحوبين بجميع الوثائق والادوات التي صودرت من منزليهما »

و بعد ثلاثة ايام كان الرجلان في دمشق و بدأنا باستجوابهما .

جوزيف طوبين -- ونرى الآن ان نعرف القراء بهذين الرجلين الذين لعبا

دورا رئيسيا خطيراً في الجاسوسية ضدنا في فلسطين فاولهما جوزيف طوبين رجل معتدل القامة ذو عينين شهلاوين يظهر في مظهر الذوات ، ليس في حركاته وسكناته ما يريب فهو ساكن يجيد تمثيل دوره كامهر الممثلين ، ينظر الينا عندما نحقق معه كصديق له معرفة قديمة بنا ، وله اسلوب في الكلام والحديث حتى ان من يسمعه لا يعتقـد انه امام جاسوس حقير بل تجاه شخصية بارزة ذات افكار عالية .

الا ان هذا الرجل الذي ظهر في هذا المظهر العظيم لم يتمكن من تمثيل دوره الى النهاية لاننا ما لبثنا ان حملناه على الاقرار حتى تبـدلت لهجته فخفت صوته و كسرت معنوياته واحنى ظهره و بات في حالة يؤسف لها ، فقد عرف كيف يمثـل دور العظمة والغرور والاباء ، كما عرف ان يمثل في النهايـة دور الذل والانكسار . هذا هو جوزيف طوبين احد رؤساء الجواسيس .

نهمان بلكند -- اما الثاني نهمان بلكند فقد كان غير الاول ومن غير طرازه . فهو دائم الحركة طويل القامة معتدل الجسم ذو رأس كبير وعينين تتحركان مع تحرك جسمه و يلعب بجفنيه بصورة متمادية و بحركة سريعة دائمة يتكلم و يظهر الكلام من حنجرتـه وليس هو كجوزيف طوبين حاكما على ارادته

وفي الوقت الذي نرى فيه الاول يقدم على مجابهتنا كاصدقاء له نرى هـذا يضطرب و يكاد يسقط من شدة خوفه ، ينظر حوله باضطراب وخوف يخاطبنا كما يخاطب كل جندي رئيسه الاعلى وهذا هو الزعيم الثاني الخطير لعصبة الجواسيس اليهود في منطقتنا

وسلم هذان الرجلان الى الديوان الحربي العرفي في عاليه الذي شرع يحقق معهما كما تولينا نحن من جهة اخري التحقيق معهما فاذا كان احدهما في الديوان الحربي العرفي كان الاخر في دائرتنا وهكذا عملنا معا في سبيل معرفة الحقيقة منهما وقد استدعينا في باديء الامر جوزيف طوبين الذي دخل الى دائرتنا وهو

رافع الرأس منتفخ الأوداج وما ان دخل حتى تقدم اليناجنطي هادئة كانه صديق
قدم الى زيارة صديقه ووقف امام المكتب محاولا ان يمد يده لمصافحتنا مبالغة في
تمثيل دوره الا اننا امرناه بالجلوس وسألناه

— جوزيف طوبين افندي من اي بلاد جئت الى هذه البلاد

— من روسيا

لماذا غادرتم مسقط راسكم

— لاننا مهاجرون

— ولماذا هاجرت

— تعلمون الغاية : وهي الهجرة الى مسقط رأس اجدادي في فلسطين

— وهذه البلاد لمن ؟

— للدولة العثمانية

— وهل اعطوكم اراضي فيها

— نعم

— انكم والحالة هذه جئتم الى هذه البلاد واقطعتم الاراضي والارزاق و بتم
تملكون الدور والحقول والمزارع وانتم في رفاه من العيش اليس كذلك ؟

— نعم وشكراً لله وللجلالة مولانا السلطان الذي ندعو الله ان يطيل عمره

— شكراً لله وللجلالة السلطان هذا امر لا ينتظر منكم . الا ان الذي اطلبه
منكم ان تجاوبوا على اسئلتي

الستم اكثر سعادة ورفاهية في هذا الوطن من وطنكم الاصلي ؟ اما تتمتعون
فيه بخيرات لا يملكها ولا يحلم بجزء منها ابناء هذه البقعة من العرب التعساء
ان ابناء هذه البلاد فتحوا امامكم ابواب بلادهم واكرموكم فامتلكتم الاراضي
والمزارع والثروات، أليس كذلك ؟

— هذا بفضلكم

— اذاً لماذا خنتمونا ؟

ان ابناء هذا البلد من العرب اكرموكم فانتزعتم اللقمة من افواههم ، ثم تقولون
لنا ان حياتكم هنا وتمتعكم بهذه السعادة بفضلنا فلماذا خنتمونا اذاً ؟

— ليس لنا اقل خطيئة ولم نخنكم قط

— اذاً لماذا هذه الآلات الفوتوغرافية وتوابعها

— هي امانة عندنا

— لمن ؟

— هي لبعض التجار النمساويين جاءوا بها للبيع في فلسطين ولما نشبت الحرب
العالمية خشوا ان تصادرها السلطة فاودعها مندوبهم امانة لدينا

— ومن هو هذا المندوب ؟

— اهر باناق

— من هذا الرجل وما هو عنوانه وما هي جنسيته واين هو الان وما هي
معلوماتكم عنه ؟

— لا اعرف عنه شيئاً .

— كيف لا تعرف عنه شيئاً وانت تقول انه اودع عندك مثل هذه الكمية
الهائلة التي يقدر ثمنها بثلاثين الف ليرة تركية

— اقسم انني لا اعرف غير اسمه فقط

— ولكن كيف يترك عندك مثل هذه الثروة ولا تعرف غير اسمه

— لا اعرف

— اذاً من هم التجار النمساويون اصحابها الاصليين

— لا اعرفهم

— اذا انت يا جوزيف افندي لا تريد ان توضح لنا ادوار هذه الجناية التي
ارتكبتها ولا تريد ان تعرفنا عن حقيقة اخوانك

— لا توجد ادوار كي اعرفك عنها وانا رجل بريء .

— انا اعرف بان هناك جناية فظيعة انت متهم بها فاذا كنت لا تريد ان

تحدثنا عنها بهذا الاسلوب الحسن الذي نكلمك به فان هناك العصي الضخمة والكرباج وغير ذلك مما سيكرهك على الاعتراف بالحقيقة

— انني بريء واطلب العدالة وهي خير حام لي

الاعتراف — لم تبدأ طريقة التعذيب لحمل هؤلاء الجواسيس على الاعتراف بحقيقة جرمهم واخراجهم عن حد قولهم « لا نعرف شيئا » بل بطريقة اخرى فقد اقترح رئيس اطباء الفيلق نديم بك ان نجرب طريقة الايبنوتيزم العلمية والفنية لحملهما على الاعتراف فاعلمنا بالامر رئيس اطباء الجيش الرابع نشأت عمر بك فوافق واوصانا بمراجعة استاذ الامراض الداخلية والعصبية في كلية بيروت الطبية الدكتور البيسكولوجي عبدي مختار بك وعلى اثر ذلك ابرقنا الى الاستاذ الطبيب واستدعيناه من بيروت الى دمشق حيث احتل غرفة مستشار الفيلق الثامن العدلي خليل رفعت بك (المعرب : اليوم في دمشق) واخذ في استجواب الجواسيس دون ان يحضر جلساته هذه احد منا وكان استجوابهما بالطريقة العلمية والفنية بعد ان فشلنا نحن في استجوابهم بالحسنى

ان هذه الطريقة العلمية والفنية التي اتبعها الدكتور عبدي مختار بك وان كانت لم تأت بالفائدة التامة المطلوبة الا انها على كل حال لم تكن خالية من الفائدة فانه تمكن من حل عقدة لسانهم

وكان اول من دخل على الدكتور عبدي مختار بك نهمان بلكند الذي اعترف بما يلي

انه يحب فتاة اسرائيلية من قريته حياجنونيا وقد تواعدا على الزواج وفيما هو يستعد للزواج ويعد معداته وقعت الحرب العالمية فغادرته الفتاة وفرت مع غيره فاستاء من هذا الامر وقام يتحرى اثرها قرية فقرية ومزرعة فمزرعة وقد قادته خطواته الى منطقة اشتغال العدو فوقع اسيراً بيده واوضح لهم الغاية من رحلته والاسباب التي ادت به الوصول الى حدوده وصدق الانكليز ما قال لهم واشفقوا عليه وسمحوا له بالعودة الى بلاده على شرط ان ينقل اليهم عن المنطقة التركية

حركات الترك العسكرية وموقفهم والموقف في مؤخر الجبهة الانكليزية فوعدهم بتحقيق ما ارادوه وعاد الى المنطقة التركية الا انه لم يقم بما وعد به الانكليز من المعلومات

هذه هي التصريحات التي ادلى بها نهمان بلكند الى الدكتور عبدي مختار بك والتي اعتقد ان في امكانه ان يبلفنا بها ويبرر الاسباب التي دعته لان يتجسس علينا

اما رفيقه جوزيف طوبين فانه لم يصل في تصريحاته الى صد رفيقه والاعتراف بالجاسوسية وتبرير موقفه بل اصر على براءته وعدم معرفته شيئا من كل هذه الامور التي يسأل عنها

الوثائق المثبتة — ولكن هذا الانكار لم يفد الرجل شيئا لاننا في الوقت الذي كنا نجرب فيه هذه الطريقة الجديدة تلقينا اشعاراً من قائد منطقة الناصرة يفيد انه عاد وكرر تفتيش منزل جوزيف طوبين فاشتبه بصندوق خشبي كان الرجل يحفظ فيه ثيابه فاذا به يجد في هذا الصندوق طبقة خشبية ارضية غير ظاهرة فانتزعها ووجد ضمنها وثيقتين كتبتا بخط الرجل ولم يتمكن في ذلك الوقت من ارسالها فاخفاها في هذا المكان السري من الصندوق وهذا نص احدهما :

« وصل انور باشا وزير الحربية الى الشام ومن هناك توجه الى لبنان فبيروت . لم يرقه وجود القطع المؤلفة من اكثرية عربية . وقد سافر انور باشا مع قائد الجيش الرابع جمال باشا الكبير وقائد الفيلق جمال باشا الصغير على القطار الحجازي الى المدينة

ان هذه الرحلة ذات علاقة بموقف المدينة والجلاء عنها الا ان قائد الحامية هناك فخر الدين باشا معارض في الجلاء عن المدينة وقد صرح لهم بانه مستعد للدفاع الى آخر نفس والى آخر جندي موجود تحت امره .

والمظنون ان وكيل القائد العام وبقية القواد ميالون الى فكرة الجلاء عن المدينة . تزداد حركة الاستياء في المدن والمجاعة يستفحل امرها كثيراً .

هذا هو التقرير الاول الذي وجد في صندوق الرجل والذي اعتقدنا لاول وهلة انه كتب بقلم احد ضباط اركان حرب الجيش لانه تضمن معلومات خطيرة بالنسبة لذلك الوقت ومن المؤكد ان محتويات هذا التقرير كانت مضبوطة وعلى الاخص فيما يتعلق بالمدينة المنورة وافكار القواد انور والجمالين وفخر الدين باشا .

وكانت هذه المعلومات معروفة من هؤلاء القواد ومن رؤساء اركان حربهم فقط حتى ان الكثيرين من ضباط اركان الحرب كانوا يجهلون حقيقة ذلك فمعرفة الرجل هذه الحقيقة وكتابتها في تقريره امر يدل على مقدار غفلتنا لان امثال هذه الاخبار غير معروفة الا في المركز الرئيسي في دمشق فكيف عرفها هذا الجاسوس بتلك الصورة المضبوطة وهو في الناصرة ؟

وهذه هي الوثيقة الثانية :

« ان الآلاي ١٣٧ الموجود في لبنان والذي لم يشترك بعد في المعارك الحربية وصل الى الناصرة قادما عن طريق صيدا — طبريا وبعد ان يستريح افراده سيتوجه الى الرملة ومنها الى غزة

ان قائد هذا الآلاي هو عبد القادر بك طرابلسي عربي ، وقائد الطابور الاول هو البكباشي حسني وهو تركي ، وقائد الطابور الثاني هو البكباشي لطيف بك من بغداد وقائد الطابور الثالث هو ضيا بك من الشام عربي . ان ٦٥ بالمائة من افراد هذا الآلاي من الجنود العرب . ويظنون انه ليس لهذا الطابور اقل قيمة او اهمية حربية

وقد كثرت حوادث الفرار من هذا الطابور حتى بلغ عدد الجنود الذين فروا منه منذ مغادرتهم المنطقة اللبنانية حتى وصولهم الى الناصرة ٢٠٠ جندي

الوثائق الاخرى — ولم تقتصر الوثائق التي عثرنا عليها على الوثيقتين المار ذكرهما بل عثرنا على عشرات من الخرائط والخطط التي رسمها هؤلاء والتي تبين مواقع قواتنا وحركاتها وعلى اثر وصول هذه الوثائق لدينا استدعينا جوزيف طوبين وعرضنا عليه هذه الوثائق وسالناه رأيه بها وقلنا :

— جوزيف افندي هل رأيتم هذه الوثائق ؟ وهل تتصورون بعد هذا ان هناك من فائدة لكم بالانكار والاصرار على عدم الاعتراف بالحقيقة ؟

— هذا ما قدره لنا الله

— وما العلاقة بين مقدرات الله عز وجل وخيانتكم للامة والبلاد التي اوتكم واكرمتكم .

— هذا جزاء اعمالنا .

— نعم هذا حقيقي الآن في امكانكم ان تحصلوا على شيء من الامل اذا ما ادليتم الينا بالمعلومات الممكن ان تؤدي الى معرفتنا جميع ادوار هذه القضية مع تفرعاتها

— لم يعد من مجال للانكار فنحن الذين ارتكبنا هذا العمل وقد ادى سوء طالعنا الى كشف هذه الحقيقة

— هل انتم وحدكم في هذا العمل ام ان هناك من يقود خطاكم ؟ ومن هم رفاقكم ؟

— ان الرئيس الاعلى لنا هو اراتسون

— اين هو هذا الرجل ؟

— هو الآن بالجانب الانكليزي

— كيف تؤمنون علاقاتكم ومخابراتكم معه ؟

— تمر في كل مساء احدى القطع الحربية الانكليزية من المنطقة الساحلية فنشير اليها من المنطقة الخالية من السكان فتقف الدارعة عند هذه النقطة حيث نلقي اليها تقاريرنا ضمن زجاجات مختومة ترسل زورقا فيلتقطها

— الا يوجد غيركم في القرى والمناطق التابعة لنفوذنا اليوم

— . . . .

— لا مجال للسكوت ومن الواجب ان تذكروا اسماءهم لانه لا فائدة لكم من الانكار الا زيادة الجرم المرتب عليكم فذكر اسماء هؤلاء خير لكم

وهنا اخذ جوزيف يفرك راحتيه واظهر شيئا من التردد ثم أخذ يقترب منا يتزلف محاولا تقبيل ايادينا والارتماء على الارض وهو يردد طلب الرحمة والشفقة راجيا ان نعفو عن حياته واعدا انه سيقول كل شيء فلاطفناه وهدأنا خوفه فسكت بضع دقائق ثم قال :

— لا اريد منكم شيئا الا ان لا تفرطوا بحياتي ، اسجنوني قدر ما تريدون اما حياتي فاحفظوها لي

— اذا رويت لنا الحقيقة التامة الناصعة رجونا القائد العام ان يعفو عن حياتك

— استحلفكم بالله وبنبيكم الكريم وبرأس اولادكم وبمن تحبون ان تعدوني بحفظ حياتي وانا اقول لكم كل شيء

— جوزيف افندي اننا لا نملك الصلاحية التامة للعفو عن حياة من كان مثلك متهما بمثل هذه التهمة الشنعاء على انه اذا كشفت الحقيقة وافدتنا بما كان من ادوار هذه القضية من البداية الى النهاية رجونا القائد العام ان يعفو عنك وقد تتناول عفوه المطلق فاختر لنفسك ما يحلو

تأكيد افادته — وعلى اثر ذلك احالت الرجل الى هيأة تحقيق مؤلفة من رئيس الشعبة الاولى جواد رفعت بك واحمد دورمن بك والمستشار الحقوقي للفيلق الثامن خليل رفعت بك

وقد افادني جواد رفعت بك ان الرجل اكد امام هذه الهيئة ما صرح به امامي واضاف اليه معترفا باسم وكيل ارانسون وهي السيدة سارا التي اوقفت في اليوم الثاني وعلى اثرها تلقينا برقية من يونس حيدر بك يعلمنا بها ان الفتاة غادرت الناصرة بالقطار تحت حماية قوة من الحرس وعلى هذا غادرنا صوفر الى دمشق ونحن على اشد ما نكون شوقا لرؤية هذه الفتاة ومعرفة اسرارها العجيبة

رؤية الفتاة التي قاومت لوحدها مجموع تنظيمات الجيش الرابع وهزأت بها وسارت تتجسس عليها متمكنة من اخفى الاسرار فنقلتها وارسلتها الى الاعداء ، وكان الكل يترقبون مجيء هذه الفتاة الداهية ليعرفوا حقيقتها العجيبة الا ان

آمال الجميع ذهبت ادراج الرياح لان الفتاة انتحرت قبل ان تصل الى دمشق وهذا ما نقدمه الينا اليوزباشي نجم الدين بك عن الحادث قال :

كيف انتحرت الجاسوسة

عهد الي والى الملازم الاول مظهر بك بحراسة الفتاة من الناصرة الى الشام وكانت جالسة بجانبي من جهة النافذة ورفيقي مظهر بك جالسا على المقعد المقابل .

وكانت الفتاة وديعة مطيعة لنا تتودد طيلة الطريق ولا يظهر منها اقل علائم النفور حتى انها اخذت تحدثنا خلال الطريق باحاديث نسائية مسلية وتنشدنا بعض اغانيها اللذيذة دون ان يظهر عليها اقل دليل على نيتها الهائلة .

وكانت في بعض الاوقات تستأذن بالذهاب الى المرحاض فنظل نراقبها عن بعد فتعود مبتسمة ودخل بنا القطار وادي الشهبا وهو يسير مندفعا فاستأذنتنا الفتاة ودخلت المرحاض وجلست وانا ورفيقي نتطلع الى ذلك الوادي الهائل الذي هو عبارة عن صخورة نائته حادة وفجأة رأينا جسما يندفع من باب العربة الى الصخور النائتة واذا به جثمان الجاسوسة التي انتقت مكانا خطرا جدا والقت بنفسها على اطرافه النائتة فمزقتها وتركتها جثة هامدة .

وعلى الاثر اوقفنا القطار فاذا بالفتاة مقطعة اربا وهكذا ضحت هذه الاسرائيلية الحسناء بنفسها في سبيل القضية التي تشتغل لاجلها وكي لا تفشي الاسرار التي تحيطها وهي لو وصلت سالمة الى الشام لكان في امكاننا ان نأخذ منها اسرارا عظيمة اكثر من هذه ولكان في امكاننا ونحن ندون هذه الحقائق في مذكراتنا ان ننقل الى الناس معلومات قيمة وخطيرة عن عشرات الجواسيس الذين اشتركوا معها الا ان الفتاة ضحت في حياتها لتنقذ رفاقها ولتسدل الستار على اعمال الجواسيس الذين يعملون تحت ادارتها .

بقية الجواسيس — وفي هذا الوقت الذي وقعت فيه حادثة الانتحار كان الديوان الحربي العرفي في دمشق يحقق مع جوزيف ظوبين ونعمان بلكند والهيئة المنتدبة من قبله تحقق في حيفا مع بنجامين وروتنبرغ وجول وايزاك

وايرن الذين اوقفوا في الجاعونة مشـددة عليهم الخناق لمعرفـة الاسرار التي يخفونها .

وقد كان من نتيجة هذه التحقيقات الدقيقة التى قامت بها الهيئتان ان بدأ هؤلاء يعترفون باسماء رفاقهم الجواسيس الذين يشتغلون معهم واوقف في «طبريا» انسول وفي « كفر قنه » وايتبرغ

وهذه الاسماء التي ذكرنا الان وقبلا هي اسماء رؤساء اليهود الذين كانوا يشتغلون بالجاسوسية في بلادنا .

وقد زاد عـدد هؤلاء الجواسيس واتباعهم الذين اوقفوا في مختلف جهات فلسطين على المئات حتى لم يبق في سجون دمشق مكان لهم فاضطرت القيـادة والحالة هذه الى وضعهم في مراكز اخرى تحت المراقبـة الدقيقة ، حتى ان والي دمشق تحسين بك راجع القيادة العامة يشكو اليها امتلاء السجون بهؤلاء اليهود وازدحام كل قطار قادم من حيفا بالعشرات منهم معلنا انه بات يخشي نتيجة هذه التوقيفات المستمرة راجيا وضع حد لكل هذه الامور خوف ان يستفحل الامر و يقوم هؤلاء بالاتفاق مع العرب بحوادث مؤسفة

وقد أحالت قيادة الجيش الرابع هذه الملاحظة الى قائـد الفيلق الثامن جمال باشا الصغير موجبة عليه الاسراع في حل قضية الجواسيس

في الوقت الذي تلقينا فيه ملاحظة والي سوريا تحسين بك التي يشكو فيها من توالى توقيف اليهود وامتلاء السجون بهم كان في سجون دمشق قيد التحقيق ٨٧٣ سجينا من اليهود اتهموا جميعا بالاشتراك في حركات الجاسوسية ولكن ماذا كان في امكاننا ان نعمل وحادث توقيف هؤلاء الجواسيس كان في اشد ايامنا محنة وفي الوقت الذي ثار به العرب ضدنا وقاموا يؤلفون العصابات الثائرة لقض مضاجعنا

ولهذا اعلمنا الوالي تحسين بك بواسطة مرافقه العسكري نامق بك انه فـي حال الاستمرار على هذه الحركات المشتبه بها والخطرة التي تهدد سلامه الجبهـة

الخلفية فاننا مضطرون الى اتخاذ تدابير اشد واقوى من التدابير المتخذة حاليا وان سلامة الجبهة توجب علينا حتما اتخاذ هذه التدابير القاسية

الحالة في دمشق

كانت الشام ساهرة لان هذه المدينة التي هي مركز القواد تشاهد في كل يوم حركة نقل الجواسيس ومحاكمتهم من جهة وتشاهد من جهة ثانية حركة فوق العادة في مقر القيادة بسبب انهماك القواد

ورغم فوزنا في القضاء على هذه العصبة وتوقيفنا معظم افرادها فان حركات الخيانة في هذه المدينة الدائمة الحركة لم تنقطع قط

فالمساعي مبذولة بهمة شديدة في سبيل انقاذ الزعماء من الموقوفين وترى فئات مختلفة تعمل في سبيل انقاذهم مضحية في ذلك كل مرتخص وغال

واليهود يعرفون مقدار قوة المرأة واهميتها ولهذا استخدموا كل ما في مقدورهم بواسطة النساء لانقاذ هؤلاء الجواسيس الادنياء من ايدينا

الآنسة سيمون

وفي الوقت الذي تمت فيـه حوادث الجواسيس اليهود وفي الوقت الذي انتحرت فيه السيدة سارا رأيت ان اشدد الرقابة على الآنسة سيمون اذ من يؤكد لي ان هذه الفتاة الجميلة الخلابة لا تكون اكثر خطراً من السيدة سارا خصوصا وانها كثيرة الاختلاط بضباط اركان حرب الفيلق الثامن ولهذا اصدرت الاوامر بضرورة الاطلاع على اسرار هذه الفتاة وهذا ما كتبه لنا جواد رفعت بك رئيس الشعبة الاولى عنها

« اعتنت الآنسة سيمون هذا المساء بغرفتها اعتناء شديداً حتى من يراها تلك الليلة يعتقد انها عروس تستعد لاستقبال عريسها ، فقد ازدانت الغرفـة بالازهار البديعة الخلابة ورصفت الاقداح على مائدة مجللة بالبياض وقد جلست معها جنبا الى جنب وتناولت كثيراً من العرق كما اكثرت من الاناشيد العربية التي احبها كثيراً وقد اشفقت عليها من نتيجة الافراط في الخمرة ونهيتها عنها فقالت :

وايرن الذين اوقفوا في الجاعونة مشـددة عليهم الخناق لمعرفـة الاسرار التي يخفونها .

وقد كان من نتيجة هذه التحقيقات الدقيقة التى قامت بها الهيئتان ان بدأ هؤلاء يعترفون باسماء رفاقهم الجواسيس الذين يشتغلون معهم واوقف في «طبريا» انسول وفي « كفر قنه » وايبنبرغ

وهذه الاسماء التي ذكرنا الان وقبلا هي اسماء رؤساء اليهود الذين كانوا يشتغلون بالجاسوسية في بلادنا .

وقد زاد عـدد هؤلاء الجواسيس واتباعهم الذين اوقفوا في مختلف جهات فلسطين على المئات حتى لم يبق في سجون دمشق مكان لهم فاضطرت القيـادة والحالة هذه الى وضعهم في مراكز اخرى تحت المراقبـة الدقيقة ، حتى ان والي دمشق تحسين بك راجع القيادة العامة يشكو اليها امتلاء السجون بهؤلاء اليهود وازدحام كل قطار قادم من حيفا بالعشرات منهم معلنا انه بات يخشى نتيجة هذه التوقيفات المستمرة راجيا وضع حد لكل هذه الامور خوف ان يستفحل الامر و يقوم هؤلاء بالاتفاق مع العرب بحوادث مؤسفة

وقد أحالت قيادة الجيش الرابع هذه الملاحظة الى قائـد الفيلق الثامن جمال باشا الصغير موجبة عليه الاسراع في حل قضية الجواسيس

في الوقت الذي تلقينا فيه ملاحظة والي سوريا تحسين بك التي يشكو فيها من توالي توقيف اليهود وامتلاء السجون بهم كان في سجون دمشق قيد التحقيق ٨٧٣ سجينا من اليهود اتهموا جميعا بالاشتراك في حركات الجاسوسية ولكن ماذا كان في امكاننا ان نعمل و حادث توقيف هؤلاء الجواسيس كان في اشد ايامنا محنة وفي الوقت الذي ثار به العرب ضدنا وقاموا يؤلفون العصابات الثائرة لقض مضاجعنا

ولهذا اعلمنا الوالي تحسين بك بواسطة مرافقه العسكري نامق بك انه في حال الاستمرار على هذه الحركات المشتبه بها والخطرة التي تهدد سلامه الجبهـة

الخلفية فاننا مضطرون الى اتخاذ تدابير اشد واقوى من التدابير المتخذة حاليا وان سلامة الجبهة توجب علينا حتما اتخاذ هذه التدابير القاسية

الحالة في دمشق

كانت الشام ساهرة لان هذه المدينة التي هي مركز القواد تشاهد في كل يوم حركة نقل الجواسيس ومحاكمتهم من جهة وتشاهد من جهة ثانية حركة فوق العادة في مقر القيادة بسبب انهماك القواد

ورغم فوزنا في القضاء على هذه العصبة وتوقيفنا معظم افرادها فان حركات الخيانة في هذه المدينة الدائمة الحركة لم تنقطع قط

فالمساعي مبذولة بهمة شديدة في سبيل انقاذ الزعماء من الموقوفين وترى فئات مختلفة تعمل في سبيل انقاذهم مضحية في ذلك كل مرتخص وغال

واليهود يعرفون مقدار قوة المرأة واهميتها ولهذا استخدموا كل مافي مقدورهم بواسطة النساء لانقاذ هؤلاء الجواسيس الادنياء من ايدينا

الآنسة سيمون

وفي الوقت الذي تمت فيـه حوادث الجواسيس اليهود وفي الوقت الذي انتحرت فيه السيدة سارا رأيت ان اشدد الرقابة على الآنسة سيمون اذ من يؤكد لي ان هذه الفتاة الجميلة الخلابة لا تكون اكثر خطراً من السيدة سارا خصوصا وانها كثيرة الاختلاط بضباط اركان حرب الفيلق الثامن ولهذا اصدرت الاوامر بضرورة الاطلاع على اسرار هذه الفتاة وهذا ما كتبه لنا جواد رفعت بك رئيس الشعبة الاولى عنها

« اعتنت الآنسة سيمون هذا المساء بغرفتها اعتناء شديداً حتى من يراها تلك الليلة يعتقد انها عروس تستعد لاستقبال عريسها ، فقد ازدانت الغرفـة بالازهار البديعة الخلابة ورصفت الاقداح على مائدة مجللة بالبياض وقد جلست معها جنبا الى جنب وتناولت كثيراً من العرق كما اكثرت من الاناشيد العربية التي احبها كثيراً وقد اشفقت عليها من نتيجة الافراط في الخمرة ونهيتها عنها فقالت :

— ان وجداني ومعنوياتي غير مرتاحة ولهذا اثركني هكذا لارى ما يكون من امري

— كيف يمكن لفتاة جميلة جذابة مثلك ان تكون معذبة في وجدانها ومعنوياتها

— ستعرف ذلك ، ستعرف كل شيء ، ستعرف كم انا تعبة معذبة

قالت ذلك واجهشت في البكاء ثم لما هدأت ثائرتها اخذت تروي لي حكايتها وليس في امكان المرء مهما كان قاسيا ان يسمع حديث حياتها الحزينة وذكرياتها المؤلمة و يقف هادئا غير متأثر

ولا انكر انني شعرت باضطراب وآلام محزنة تمزق قلبي وانا اسمع لها وصف تلك الحياة المعذبة الشقية وقد كنت من جهة اشفق عليها باعتبار انها تروي لي الامها الحقيقية ومن جهة ثانية كنت متردداً افكر فيما اذا كانت هذه الحوادث عبارة عن رواية منظمة تمثلها امامي ، ومع هذا فقد كانت الفتاة في هذا المساء ثائرة القلب تردد كل ما في امكانها قوله ثم قالت :

— ان الله وهبني هذا الجمال الخلاب الذي يسحر الكل لخدمتي ولكنه لم يعطني معه حظاً

نعم انني جميلة الا انني فتاة سيئة الحظ مجهولة الابوين وهنا اضطرب جسمها واصفر وجهها وقالت بصوت مؤثر :

— وقد اكون ايضا لقيطة

— هدئي من روعك يا سيمون

— استمع لي ولا تقاطعني

— انني فتاة لا اب لى وقد اكون لقيطة ومن ثمار الفحشاء ، والذي اعرفه ان امرأة تدعى مدام رابينو فتش التقطتني وربيتني

(المعرب : ان مدام رابينو فتش سيدة معروفة في بيروت معزوجها يديران اليوم فندقا في محلة الزيتونة قرب مربع الكيت كات)

وقد ربتني هذه السيدة تربية حسنة وعلمتني في القدس تعليما راقيا ولم اشعر خلال وجودي تحت ظلها بضيق الحياة او الاحتياج الا انني ما لبثت ان وقعت في شوء والام ، فقد احببت بروتشتاين وهو نسيب مدام رابينو فتش

وقد اعرب الشاب في باديء الامر عن حبه لي وانا خلية فتملك حبه من قلبي حتى بتنا مرتبطين بحب مكين لا يمكن ان يفرقه الا الموت

ولكن الحرب العالمية فرقت بيننا وما كادت اوروبا تدخل الحرب حتى غادر الشاب هذه البلاد تلبية لنداء الجمعية الصهيونية وسافرت عائلة رابينو فتش الى بيروت و بقيت انا في القدس وهناك بدأ عذابي لان جمالي جمع حولي الضباط الاتراك والالمان الذين اخذوا يحومون حولي وقد عرف مسيو رابينوفتش التابع مصلحة الاستخبارات البريطانية تأثيري على هؤلاء الضباط الذين كنت ابتعد عنهم فامرني بان اظل على تماس معهم لاتمكن من اخذ المعلومات العسكرية منهم واعطائه اياها .

وقد حاولت الامتناع الا انه ذكرني بفضله علي وانه سبب حياتي وسعادتي ووجودي ، ثم اخذ يهددني بالموت اذا انا لم اواصله بالمعلومات فقبلت باديء بدء قصد اظهار معرفة الجميل والان باتت حياتي بيد غيري وصرت مجبورة ان اتجسس لولي نعمتي والا كان الموت نصيبي

— ولكن الا يوجد حكومة تشكين لها امرك وهل نحن في رؤوس الجبال

— صحيح ولكنهم لا يخافون الحكومة بل لا يخافون الله نفسه فاذا اراد هؤلاء الجواسيس اليهود التابعين لمصلحة الاستخبارات الانكليزية الخلاص من احد الذين يخونهم لا يخشون احداً ويقضون عليه دون ان يعرف بامره انسان

— حسنا ياسيمون ، تكلمي فانا اسمع حديثك

— كن على ثقة تامة بانني لم اخن هذه البلاد ولم اقم تجاهها بعمل شيء فانا لم اعط هؤلاء الاشخاص سراً ولا معلومات تفيد . نعم انني اجتمعت في

القدس والشام ومصايف لبنان ببعض ضباطنا الاتراك والالمان ولكن كن على
ثقة تامة بانني لم افكر في وقت من الاوقات باخذ اي خبر من هؤلاء الضباط
ونقله الى تلك الشبكة الواسعة من الجواسيس اليهود . حتى انني احببت احد
هؤلاء الضباط . ماذا تريد ان يكون من امر ضابط شاب وفتاة فتية جميلة غير
ان يتحابا وهي سنة الله في خلقه

— لماذا اخفيت عني كل هذه الامور الى الان هل كنت تشكين بي

— ما كنت لاشك انما اخاف

— ممن ؟

— من كامباس ذلك المصور الموجود اليوم في دمشق والذي يدخل في
كل مكان والذي هو مندوب رابينوفتش او مندوب الجاسوسية اليهودية السري
في دمشق

— لي سؤال اخر اريد القاءه عليك، فهل في امكانك افهامي علاقتك بياسين
بك (المعرب ياسين بك الجابي)

— تعرفت بياسين بك في فندق فاست بالقدس حيث اجتمعنا صدفة في ذلك
الفندق. وتعددت زيارتنا وهو شاب لطيف وكنت اشعر بمودة خاصة له
واستلطفه الا انه ما لبث ان اكثر من تردده علي حتى بات لا يفارقني صباحا
ومساء وبتنا في النهاية صديقين

— والان لا يزال يتردد عليك

— الغريب انه بعد ان عرفني بك بات كثير الابتعاد عني حتى انه اصبح لا
يرد لي التحية واذا صادفني في الطريق يتظاهر بعدم معرفتي

— والى ماذا تعزين السبب

— . . .

ان الآنسة سيمون تعرف تماما ان انقطاع ياسين بك عن زيارتها وتحيتها لم
يكن لغيرته عليها ولرؤيته اياي بجانبها وانما نظراً للحوادث التي بدأت في ذلك

الوقت باكتشاف عصابات التجسس اليهودية وخوف ياسين بك من ان تعرف
علاقاته الخاصة مع الآنسة سيمون اذ تبين انها جاسوسة يهودية ، والآنسة سيمون
وان كانت تعرف هذه الحقيقة فانها لم تجب الا بالسكوت ولهذا عدلت السؤال وقلت

— كيف يمكن ان تنقطع هذه الصداقة الطويلة دفعة واحدة الم تتحري
السبب في هذا الانقطاع .

— والله لا اعرف ! انت بدأت في التردد علي وهو قطع علاقاتي بي

— هل اعطاك ياسين بك المعلومات التي توافق خطتك

— يعني

— مثلا الحوادث التي تجري في المعسكر وحركات قائد الفيلق واركان
حربه وغيرها من المسائل العسكرية الاخرى

— كن على ثقة تامة انه لم يعطني شيئا من هذه الاخبار . ومن المؤكد
لدي ان ياسين بك رجل لا يحب الاتراك وهو يضمر في قلبه حقداً لهم وهو لا
يبغض الاتراك فحسب بل يبغض الضباط الاتراك الذين يشتغل معهم في معسكر
واحد وهو وان كان لا يظهر لكم شيئا من حقده عليكم الا انه قلبيا عدو
لدود لكم

— اعتقد يا آنسة سيمون انك فهمت عزم قائد الفيلق الثامن واركان حربه
السفر الى عمان في سفرتهم الاخيرة من هذا الضابط اليس كذلك

— نعم الا انه لم يبحث لي في ذلك عن قصد خاص كما انني لم اسأله بقصد
خاص فقد كنا نتحدث فاخذ اثناء الحديث من هنا وهناك يروي لي عن فراغ
المعسكر العام قريبا من الضباط وعن سفر قائد الفيلق الثامن الى الجنوب ، الا
انه روى لي هذه الاخبار بصورة غير مباشرة وبطريقة لم استدرجه اليها و يجب
ان لا يغرب عن بالك ايضا ان اخاه سقط قتيلا في هذه الحادثة

اننا لذلك الوقت لم نعين موقف ياسين بك من هذه الحادثة بصورة قطعية .
نعم ان بعض الضباط في معسكر الجيش الثامن وانا منهم كنا نشك في هذا

الضابط (ضابط الامر في الفيلق الثامن) والذي يعتمد عليه قائد الفيلق جمال باشا المرسينلي اعتماداً كليا ولكن لم يتيسر لنا اقل دليل الى ذلك الوقت لاتهام الرجل في هذا الحادث الفظيع . والذي كنا نعتقده به ، نحن الضباط الاتراك ، ان الرجل عربي متطرف بعقيدته العربية وعدو لدود للاتراك غير ان هذا الشعور الذي يكنه ياسين بك والذي هو مختمر في رؤوس بقية الضباط العرب لا يكون دليلا يحملنا على اتهاما بتلك التهمة التي قتل فيها اخوه .

والآنسة سيمون نفسها التي كان ياسين بك على اتصال بها والتي كنا نظن انه اعطاها هذه المعلومات ونقلتها الى العدو ما كانت بوجه من الوجوه جاسوسة علينا لان اعترافاتها الصريحة الاخيرة التي ارشدتنا بها الى بواطن الامور تدل بصراحة تامة على ان الفتاة لم تعط العدو المعلومات عن سفر الفيلق الثامن ولا غيرها من المعلومات العسكرية

— واعتقادنا ان هذه الفتاة اشتركت بالجاسوسية عن خوف من مربيها ومن بقية رجال الجاسوسية

وقد يكون شكنا في امر الآنسة سيمون متولدا عن وجودها بين ظهرانينا مدة طويلة تتحدث الى ضباطنا وتأخذ اسرارهم

هذه هي المعلومات التي ادلى بها جواد رفعت بك عن حادثة الآنسة سيمون او الاسرائيلية الحسناء كما كان يلقبها ضباط الفيلق الثامن ، والحقيقة هي ان الآنسة سيمون لم يكن لها اقل دخل في شؤون اليهود ومسائلهم الاستخبارية فهي فتاة عمومية اثرجم لها بالضباط الذين اخذوا يرتمون تحت اقدامها لواحد تلو الاخر حتى عرفت كيف تستفيد من ورائهم في سبيل اقتناص بضع دريهمات أمضت فيها خلال الحرب العالمية اياما زاهرة في الوقت الذي كان فيه مئات بل الوف من اترابها يتضورون جوعا في ذلك الوقت ولا يجدون من يقدم لهم احتياجهم

الا ان الفتاة على كل حال كانت اسرائيلية وكانت تسعى بكل قواها في سبيل خدمة بني قومها وانقاذهم من وهدة الذل والسجن ولهذا توسطت لدى

الذين جوزي بعضهم و يا للاسف العميق بالنقل ، بابا علي ، وطنيتهم واخلاصهم لقضيتهم وقد كانت ادارة اللسان في ذلك العهد بمثابة ناد سياسي عام يرتاده المشتغلون في القضية الوطنية على اطلاقهم و بينهم فريق من عيون اعيان المسلمين واصحاب المكانة والوجاهة والفضل منهم كما يذكر ذلك جيداً كثير من الاحياء في الوقت الحاضر .

ولعل واضع مذكرات الاستخبارات وهو قائد تركي قديم نقر على وتر الطائفية عملا بالسياسة التي كانت متبعة في العهد عثماني البائد وهي سياسة التفريق عن طريق الطائفية عملا بمبدأ (فرق تسد)

بيد ان تلك المذكرات قد اصابت قلب الحقيقة بقولها ان لسان الحال كانت تسعى الى غاية خاصة دون ان يكون لها اقل مأرب مادي كاستفادتها مال يامن الدول الاجنبية . وانها كانت تؤدي رواتب محرريها من صندوقها في سبيل خدمة قضيتها مما جعل جمال باشا يحترمها على كونها مخاصمة ويرسل مرافقه لتعزية آل سركيس بوفاة صاحب هذه الجريدة في ايلول سنة ١٩١٥ كما جاء في المذكرات والصحيح ان مؤسس لسان الحال جاور ربه في ايار سنة ١٩١٥ لا ايلول »

— ٣ —

كلمة الشيخ فؤاد العازار

حضرة الاديب فؤاد افندي ميداني المحترم

تحية واحترام و بعد فقد قرأت في العدد ٢٠٤٩ من الاحرار الزاهرة الصادرة في ٢ الجاري جواب حضرة عزمي بك احد ولاة بيروت اثناء الحرب العالمية على سؤالكم الشفوي المتعلق بقضية سفري الى القطر المصري باواخر سنة ١٩١٧ بمهمة عهد الي بها احمد جمال باشا المعروف والتي بسببها طلب الى الاستانة تحت حجة دعوة امبراطور المانيا المخلوع له لمناولة طعام الغداء على مائدته الامبراطورية و كان ان عقب تلك الدعوة بقاءه بعيداً عن سوريا الى نهاية الحرب مما سأورد تفصيلاته قريبا .

ولقد اضحكني نفي عزمي بك لحادثة القبض علي في جونية كما ضحكت لاعارتكم نفيه جانب الاهتمام الى حد انكم صدقتموه وثبتموه في سياق مباحث المذكرات التي تعربونها لرئيس دائرة الاستخبارات في الجيش العثماني الرابع . والتي بعضها من الاهمية بمكان لتضمنها حوادث تاريخية تزيح الستار عن كثير من الحقائق التي لم يزل كثيرون من اصحاب الغايات يلبسونها الثوب الذي يريدون

وفي معتقدي انكم تدركون فوراً ان عزمي بك لم يكن في وسعه ان يدلي اليكم بغير جواب النفي وانكم انما اثبتم جوابه لتستفزوني الى التعجيل في مناقشته الحساب في هذه القضية وسواها من حوادث وقعت بيني و بينه . وقد كنت اعد لها العدة لاثباتها بعد انجازكم ترجمة سلسلة الاسرار التي باشرتموها . اما وقد اردتم

ذلك معجلا فاهلا بريح من مهب زرود

انني قبل كل شيء ابدى عجبي الشديد من محاولة عزمي بك نفي واقعة يعلمها الخاص والعام . وهي مشهورة حتى عند صبيان الازقة في جونيه يوم اعتقالي و بين افراد الدرك والبوليس الذين كان عزمي بك نفسه قد امرهم بالكمن لي على الطريق العام بين جونيه و بكركي ومحلة الراميه بعد المعاملتين . ولهذا قرأ الكثير من الاحياء هذا النفي وهزأوا به لان الحقيقة لا تزال عالقة بالاذهان

ان عزمي بك بتعقبه لي بالذات بواسطة قومندان درك بيروت ومدير البوليس فيها و بضعة عشر من افراد التحري انما كان يرمي الى تبرئة موقفه السلبي في المذاكرات التي دارت بين قيادة الجيش الرابع و بين ولاة البلاد العربية يوم عهدت اليهم المذاكرة بالمهمة التي قمت بها في القطر المصري . واجتمعوا لاجلها في الشام ونابلس . ووقف عزمي فيها موقف المعارض لاتمام المفاوضات الوديه على يدي لعدم ثقته بي كمسيحي . بل ذهب الي ابعد من ذلك بان طلب اعطاء القرار باعدامي او بتبعيدي الى الاناضول اذلم يرى يومئذ من الحكمة بقائي على الشواطيء البحريه وفي لبنان بعد اتصالي بالفرنسيين وعرفاني منهم اموراً يجب الحذر منها على سلامة الجيش في سوريا ولبنان . وقد دار بينه و بين محمد جمال باشا الذي خلف احمد جمال باشا في القيادة العثمانية العامة في عربستان جدال حاد تدخل فيه تحسين بك والي سوريا اذ وقف كلاهما في وجه عزمي وعاكسا طلبه المتعلق بي وعندها خطرت له احدى خططه الشيطانية فطلب ان يعهد اليه و يؤذن له بمراقبتي — ولكن بلطف وحذر — حتى اذا وقعت بين نابيه متلبسا بجريمة الخيانة لمصلحه الدولة العثمانيه ، على زعمه ، اعدمت او على الاقل ابعدت الى حيث اراد .

وللقارىء ان يتصور مقدار السرور الذي تولى حضرة عزمي بك في تفويض القيادة اليه ذلك التفويض في حقي وكم بات يضع من الخطط للمراقبة والايقاع توصلا من وراء ذلك الى ما هو اثمن من عنقي لديه الا وهو ان يثبت للقيادة العليا في الاستانة ان مقدرته الفكرية فوق احمد جمال باشا ومحمد جمال باشا وسواهما من

القواد العسكريين وانه ادهى في السياسة والحذر من تحسين بك والي سوريا وغيره من عظماء الاداريين المنوطة بهم مصلحة الدولة ، فيكون عند ذلك من مصلحتها ان تعطي اليه — اي الى عزمي بك — سلطة المراقبة العليا على الاحوال العسكرية والملكية في عربستان ولا سيما فيما يتعلق بشؤون الاعاشة العمومية المعهود بها يومئذ الى تحسين بك والي سوريا

وكان اول عمل اتاه من ضروب الرقابة علي ان بعث فاستقدم اليه في بيروت السيد خير الدين عبد الوهاب من طرابلس وناط به مراقبتي واحصاء حركاتي وسكناتي في بيروت ولبنان ودمشق وزحله وطرابلس وخير الدين افندي هذا كان في ساعة القبض علي في جنونيه وهو لا يتأخر عن الجهر بهذه الحقيقة مع ما تقدمها من حركات عزمي بك وملاعيبه في طريقة تعقبي واعتقالي . وفيها قصة شيطانية لا تصدر الا عن دفاع عزمي بك ساذكرها بالتفصيل في مذكراتي الخاصة التي سأباشر نشرها قريبا .

ولما باء عزمي بك بالفشل ولم يجد ما يستند اليه في بلوغ غايته مني عاد يتظاهر بالثقة الى البيكباشي توفيق بك قومندان الشواطيء البحرية اللبنانية يومئذ .

على اني في كل حال احسب الآن لحضرة عزمي بك منة في عنقي انكاره الحالي لحقيقة ما جرى لانه اخرجني به عن خطة السكوت التي لزمتها الى اليوم على تشدقات بعض اخساء الذين تنقصهم المقدرة الشخصية فلا يعتقدون بوجود مقدرة شخصية لسواهم تسهل التقرب من كبار اولياء الامور الا الوشاية والتجسس وكل اناء بالذي فيه ينضح — ولحضرته علي منة كبرى هي ايقافي على حذر منه في خطته العدائية المريبة التي ظهرها نحوي في مواقف كثيرة اراد اتخاذي بها سلما للوصول الى تعليق رقاب الكثيرين من اهل البلاد . ذلك الموقف الخطير شاهد بعضه ويشهد به طبعا سماحة الشيخ محمد الجسر يوم دخل على مكتب عزمي بك في السراي الجديدة التي هي اليوم دار الانتداب وكنت فيها منفرداً مع عزمي بك وهو يرغي ويزبد والنار تقدح من عينيه الى حدانه او عز الى سماحة الشيخ بالخروج من ناديه بالفاظ

احتكرها عزمي لنفسه . ثم هجم على محمود العجوز يصفعه مثنى وثلاثا لتمكينه الشيخ محمداً من الدخول علينا وهو في تلك الحال من الوعيد والانذار يرجو أن ينتزع قسراً من صدري بعض معلومات تتعلق بعلاقة الحلفاء مع ابناء البلاد

ان في مفكراتي كثيراً من مدهشات الوقائع ارجيء نشرها الى ان ينجز تعريبكم لسلسلة المذكرات التي وضعها رئيس دائرة الاستخبارات الذي كان لي ولا ريب محال الصلة والتعارف بحضرته . واعتقد انه لن يهمل ذكري في مذكراته هذه . لانه ان كان هو من عرفت بصفة رئيس دائرة الاستخبارات في الجيش الرابع في الجلسة التي استدعيت اليها رسميا عندما كنت قائمقام الكورة سنه ١٩١٦ وكان الحاضرون فيها علي منيف بك المتصرف يومئذ ووحيد بك قومندان الدرك ورضا باشا قومندان منطقة لبنان العسكري وادهم بك رئيس الديوان العرفي في عاليه وملحم بك حماده احد اعضاء ذلك المجلس فهو سيذكر ما دار بيني وبينه مما اترك البحث فيه مؤجلا الى الاتي القريب

وتفضلوا يا حضرة الاديب بقبول فائق احتراماتي

فؤاد العازار

- ٩ -

رد عبد الرحمن بك النصولي

ما «الاحرار» في هذا البلد الا حديقة ادب غناء غنية بما تحمل بين صفحاتها من روائع النظم والنثر وكل فريد وغريب من حوادث الماضي والحاضر

والطف ما تقع عليه العين تلك الحوادث التاريخية التي يعنى بتعريبها الاديب المعروف السيد فؤاد الميداني والتي كان لها الوقع الجميل في نفوس القراء وخصوصا الذين اشتركوا شخصيا او اطلعوا على هذه الحوادث ومعظمهم احياء يرزقون الا ان ما يعكر عليهم صفاءهم تشويه بعض الحقائق التاريخية عن قصد او غير قصد حتى تكاثرت الردود من بعض السادة الذين وردت اسماؤهم في تلك المذكرات

ولقد احببت كثيراً وانا من الذين عاشوا طيلة الحرب في مقري الفيلق الثامن والجيش الرابع وقد رأيت من الوقائع في منطقته ما يحملني على ان اصحح بعض الحوادث التاريخية على ضوء الحقيقة التي لا يمكن دحضها وخصوصا لانني كنت ملحقا بار كان حربية الشعبة الاولى وهي التي تتفرع منها شعبة الاستخبارات والمراقبة وسواها . وهذا ما يجعل لكلمتي قيمة تاريخية . لان المذكرات التي تعربونها قد اطلعت على حوادثها وعرفت معظم اشخاصها . ولكنني كنت اوثر ان تتم الترجمة وان اعرف اسم المؤلف لكنني وصلت الى نقطة لا يصح السكوت عليها . وهي التي اشرتم اليها في اعدادكم الاخيرة والتي لها علاقة بشاب من خيرة شباننا علما ورقيا واخلاقا واخلاصا . وله صفحات مجيدة من الاعمال الانسانية في اثناء الحرب العمومية يعرفها الكثيرون من ابناء الوطن كلها تدل على شهامة وشجاعة نادرتين واخلاق كريمة فاضلة ولقد قدر فيه جميع

رؤسائه مزاياه السامية فاسندوا اليه ادارة اركان حربية الشعبة الثانية وهي التي تسيطر على القواد والضباط والجنود . فكان كبار الضباط ينظرون اليه بعين الحسد والغيرة .

لم يمر يوم الا وكنت استنجد به لدفع دسيسة تحاك ضد كرام العائلات او لدحض وشاية يقدم عليها جاسوس لئيم ومساعدة الشبان المتجندين والمسجونين الابرياء فكان يهب لمناصرتهم ويبذل جهوداً جبارة لاعانتهم .

هذا هو ياسين بك الجابي كما عرفته اثناء الحرب العظمى وكما عرفه كثيرون ممن كانوا متصلين بالفيلق الثامن المسيطر على مقدرات سوريا وفلسطين ولبنان فلا غرو اذا رأينا من يدعي بانه كان مدير الاستخبارات فيلوث سمعته النقية بناء على تقارير الضابط جواد رفعت بك المغلوطة في مواقع شتى حتى انه يغلب على ظني بان معظم تقاريره مبنية على الخيال والسمع و برهاني على ذلك ما سأبسطه في الاسطر التالية :

ان شعبة الاستخبارات هي فرع من الشعبة الاولى في الاركان الحربية . كان يرأسها في الفيلق الثامن القائد احمد دورمش بك وليس احمد دورمن كما ورد خطأ في المذكرات وكان يعاونه ضابطان احدهما يدعى رشدي بك والثاني هذا الداعي . وذلك اثناء الحوادث التي اتيتم على ذكرها و بما ان معظم ما عربتموه لم يكن مطابقا لما جرى كما يعرف ذلك كل مطلع على الحقائق اتيت راجيا تصحيحه ليبقى كتابكم درسا تاريخيا خليا من الاغلاط تستفيد منه الاجيال القادمة

اكتشاف الجاسوسية -- لم يكن اكتشاف الجاسوسية من بنات الصدف بل بناء على تعليمات سرية وردت من المقر في الجبهة الالمانية الى قيادة الجيش الرابع قسم (الاستخبارات الالماني) وذلك بعد القاء القبض على بعض الجواسيس اليهود في فينا عاصمة النمسا حيث كانوا يسكنون في نزل (اوربا اوتيل) ولقد اعترفوا بان لهم فرعا في فلسطين عندئذ شددت المراقبة واتت بالنتائج التي تفضلتم بتعريبها

ساره ارانسون — انني كنت مثالكم اترجم لجمال باشا قائد الفيلق الثامن

دفترا صغيراً « نوت » وجد بين البسة السيدة ساره ارانسون وفيــه تفصيلات كثيرة عن رحلاتها في منطقة الجيش الرابع بوثيقة رسمية معطاة لها من اخيها المسيو ارانسون الذي كان وكيلا وناظراً لمزارع روتشلد في المستعمرات اليهوديه ولقد قدم الى جمال باشا الكبير في لوكندة فكتوريا في دمشق وذلك حينما انتشر الجراد في سوريا وفلسطين الجواجا ارانسون عالما ومزارعا كبيراً عهد اليه بمهمة ابادة الجراد وسمح له بانتخاب من يريد من الجنود اليهود لمساعدتــه ولم يدر بخلده انه يخاطب اكبر جاسوس وكل له مهمته فحاك من حول الجيش شبكة للجاسوس انتخب رجالها من ذوي الدهاء فانتشروا حيثما انتشر الجراد فارتــدوا بحكم الوظيفة البسة الجنود وكانت تحاريرهم لا تراقب لانها تابعــة لمصلحة الجيش الرابع ، ثم فر ازجل الى سويسرا بطريق الاستانة وبعده افتضح امره ، هــذا ما عرفناه من الجاسوس بلكند وليشانسكي اللذين اعدما في دمشق .

ولقد كان دفتر سارة ارانسون يضم تعليمات كثيرة افادت الاستخبارات فائدة كبرى بينما مدير هذه الدائرة يؤكد انه لم يعثر عندها على اية وثيقة ولقد اهمل ذكر الدفتر الصغير ذي اللون الخمري الذي انار للمحققين طريقهم كما اهمل ذكر هذا الحادث الهام

مقتل ساره ارانسون — وهناك حادث اهم واعظم يذكره كل من كان يسكن في عتيت وزمارين وضواحيها وهو مقتل ساره ارانسون التي يقول مدير الاستخبارات انها القت بنفسها من نافذة القطار وتحطمت الخ ..

انما الحقيقة الثابتة هي : انه بعدما القي القبض عليها التمست من يونس حيدربك قائد فرقة الناصرة وكان اذ ذاك مع جمال باشا وياسين بك وخليل رفعت بك وسواهم من الضباط في منزل مختار قرية زمارين ـ الــتماسا ان تذهب لجمع البســتها استعداداً لسفرها الى سجن الناصرة فامروا الملازم ابراهيم بك بمرافقتها مع كوكبة من الجند . وسمح لها بان تبدل البستها

ولما انفردت بغرفتها اطلقت على نفسها ثلاثة عيارات نارية اصابتها في رأسها وفمهــا فاسرع الحضور لتضميد جراحها وخف على الاثر الضباط المشار اليهم ، فلما وقعت عينها عليهم، ادرتهم بقولها : « انني اسفة لان الرصاصة الاولى لم تقض علي . انا كل شيء في القضية وليس لسواي دخل فيهــا . ووصيتي الوحيدة هي ان لا تمسوا والدي المسن العاجز بسوء . ولقد نقلت الى المستشفى وفاضت روحها بعد ثلاثة ايام من انتحارها

فاين هذا الحادث من ادعاء مدير الاستخبارات بانها القت بنفسها من القطار وماتت على الاثر

ان الذي القى بنفسه من القطار هو رجل من زمرة جواسيس عتليت والثالث شنق نفسه في سجن الناصرة بحزامه الجلدي الاول من عائلة شوارة والثاني لا اذكر اسمه

الآنسة سيمون — اما بيت القصيد او بطلة الرواية الآنسة سيمون التي تغزل بها ضابط الاستخبارات ما شاء له الهوى ثم رمى الضابط ياسين بك بلا اثم ولا حرج بشباك غرامها (يأتمر بأمرها و يقيم الدعوات لرفقائه و يدعوهم لتمضية السهرات وارتشاف كؤوس الانس عنــدها وتحت رعايتها) هي اولا ليست سيمون كوهين بــل سيمي بسماخ كما يعرفها كل اهالي القدس واصلها اسباني من باغادور .

لقــد غلط الصديق جواد بك ليس فقط باسمها بل بتصويره ياسين بهذا الضعف وهو الضابط الذي كان ينفر من كل اجتماع من هــذا النوع لانه كان يراقب بشدة من قبل رؤسائه وخصوصا لانه كان يحمل مفتاح البرقيات الرقمية (الشيفره) وهي حياة الجيش و بيت اسراره و كان يبتعــد عن كل اجتماع فيه عبث ولهو حتى انه كان يمنع سواه من ارتياده

وفضلا عن ذلك فلقد كان صلبا في دينه متينا في عقيدته لم يتناول في حياته

مسكراً بينما الضباط كانوا يغرقون في الدعوات و يسرفون في مشربهم
ومآكلهم . ولقد سافر على صهوة جواده ، و كنا اذ ذاك في بئر السبع ، فحضر
من القدس الى عين هجرة ومنها الى المقر صائما حتى ان القائد لامه والضباط
ضحكوا لشدة تعصبه فقال لهم : هي عادة الفتها ، وعقيدة احب المحافظة عليها .
فرجل هذه اخلاقه ومكانته هل يتنزل الى حب سيمون او سواها وهو لم ينل هذه
المنزلة عند رؤسائه الا بمحافظته على آدابه وقيامه بأمانه على واجبه كما يعرفه حتى اليوم
كل من عاشره واختبره

اما حقيقة الآنسة سيمي او سيمون كما يدعوها المؤلف فكان المعروف عنها
انها صديقة لبعض كبار الضباط في القدس ولذلك وضعت تحت المراقبة وارسلت
الى الشام فاقامت بدمشق مكوس بالاس (كما يعرف اصحابها حتى اليوم وتزوجت
بعد الاحتلال من ضابط بريطاني تعيش معه في القاهرة وهي لو سئلت لاجابت بانها
لم تهوى سوى الدراهم ولم تحب الا اكثر الضباط كرما واكبرهم مرتبة

كانت تساكن امها وشقيقتها في شارع (ماهنا لودا) في القدس . ولم تكن
لقيطة او ربيبة لمدام (رابينو فتش) بل هي كانت تفاخر بجمالها وتباهي باصلها
الاسباني واوراق هويتها وشخصيتها كانت محفوظة في شعبة الاستخبارات . ولقد
كانت تقوم بدور سمسارة تتقاضى من الاهالي اجراً لقاء خدمات تقوم بها ومساعدات
تحمل الضباط على بذلها في سبيل الذين تلتمس لهم مكانا امينا في الجيش او
المستشفيات من المتجندين حديثا او اخذ وثائق لجلب الاعاشة وما شاكل

والظاهر ان معظم تقارير العزيز جودت بك مستمدة من خياله الخصب ولو
كانت تقدمت تقارير من هذا النوع ضد ياسين بك او سواه لكان على الاقل
جوزي بابعاده الى الجبهة الجنوبية . والحال ان ياسين بك بقي يشغل وظيفته في
الفيلق حتى استشهاد المرحوم اخيه الباور الباسل حسن بك ثم نقل الى معية عوني
باشا في المنزل العمومي ملحقا باركان حربية الشعبة الاولى ثم التحق باركان

حربية جيش الصاعقة وهناك سقط اسيراً . انني اؤيد ياسين بك فيما ذهب اليه من
ان واضع المذكرات لم يكن يوما مديراً للاستخبارات في مقر الجيش الرابع
لانني كما قلت في هذه الدائرة في الفيلق الثامن وكان رئيسها احمد دورمش ثم
نقلت الى مثل هذه الوظيفة في الجيش الرابع وكان رئيسها شمسي بك هو اليوم
أميرالاي اركان حرب ورئيس المدرسة الحربية في الاستانة والحوادث التي
صححتها مبنية على الوثائق والمستندات الرسمية التي كانت محفوظة في شعبة
الاستخبارات بدائرة اركان حربية الجيش الرابع

جواد رفعت بك صاحب التقرير — عرفته حينما نقل من الفرقة الـ ٤٣
المعسكرة في عاليه الى مقر الفيلق الثامن ومكثنا سوية في مقر الجيش الرابع حتى
الاحتلال . فهو شاب متحمس ذكي واديب ويعد بين طبقة الكتاب الراقين لذلك
كانت دهشتي عظيمة لارتكابه مثل هذا الشطط في مذكراته . وابى الا ان
يؤيد اقوالي بجملة للحقائق فلقد وصلني منه منذ يومين فقط عدد من مذكراته
يقول : « اتانا يوماً شاب انيق الملبس حسن الهندام يدعى الامير يوسف ابو اللمع
من قرية بكفيا في لبنان ولما علمنا ان هذا الشاب العريق الاصل لديه معلومات
يريد بيانها قبلناه ولقد اعتقد هذا البك الدرزي اي الامير يوسف ابو اللمع ان
اخبار القيادة بامور تتعلق بالجيش شهد وقائعها بنفسه هو عمل شريف . فتحمل
مشاق سفر طويل وانفق مصاريف كثيرة حتى وصل الى دمشق واليكم ماله :
ذهبت الى جونيه لبعض الاشغال فسألني صاحب النزل الذي اقمت فيه المسمى
« نسان » (كذا) من اي البلاد انا ؟ ولما علم باني لبناني ظن انني مسيحي وطلب
مني معلومات عن الجيش الخ .

لو كان لجواد بك الذي يحرر هذه المذكرات كوثائق تاريخية اقل المام
بمعرفة هذه البلاد لكان على الاقل يعرف ان عائلة ابي اللمع الشهيرة هي عائلة
مسيحيه ولعلم بان محدثه مخطيء ولو سألنا الامير يوسف نفسه لانكر هذه التهمة
التي وجهها اليه جواد بك في جريدته

والحاصل لقد رأيت بعدما استشهد بي الاخ يس بك الجابي بوده ان الواجب يقضي بارسال هذا التصحيح خدمة للحقيقة والتاريخ . كما واني عاتبت "جواد بك" على افترائه ولست ادري بماذا سيجيب ولكن كل ما اقوله ان الرجل الذي دافع عن كرام اهل هذه البلاد و كرامتهم خليق بان تحترم كرامته وتصان سمعته السلام

٩ اذار سنة ١٩٣٣ عبد الرحمن نصولي

— ٥ —

رد ياسين بك الجابي

دمشق في ١٧ شباط سنة ١٩٣٣

حضرة الاستاذ الفاضل رئيس تحرير الاحرار الغراء المحترم

تحية واحتراما وبعد فقد نبهني بعض الاخوان منذ يومين الى ما تتضمنه المذكرات التي تنشرها جريدتكم من الحديث "المغلوط عني"، وقبل بيان عورات هذا الحديث ارى حقا علي ان اشكر ناقل تلك المذكرات الى العربية لعنايته باذاعتها على الناس، قبل ان يطوي اللحد حياة الذين شوهت من سيرتهم او حياة معاصريهم وبذلك فقد فسح المجال لتصحيح حقائق كان يحتمل بقاؤها مشوها لولا عمله المذكور

ويؤسفني اني لم اتابع المذكرات من اولها لاعرف صاحبها من اسمه ان كان قد ذكر او من بين طيات اسطره ان كان لم يذكر فان معرفته ذات شان كبير في تفنيد مزاعمه واستجلاء مقاصده وما يوصف به في اعلى الحقول اليومية من المذكرات بانه رئيس الاستخبارات في الجيش الرابع لا يكفي لتعيين شخصه اذ لم يكن يومئذ موظف معين يحمل هذا اللقب على ما اذكر . والذي استطعت تاكده من قراءة الفصول المنشورة في الاعداد الاربعة الاخيرة هو ان صاحب المذكرات اما ان يكون منتحلا صفة العارف المطلع على بواطن الامور واما ان يكون متعمداً الخداع والتضليل لغاية في نفسه اذ لولا ذلك لما وقع فيه من الاخطاء الفاضحة التي كان لا يزال يعرف صحتها عدد وافر من رجال ذلك العهد وموظفيه فالسفر المشؤوم الذي استشهد فيه اخي المرحوم حسن لم يكن معلوما امره

لدى احد من موظفي سوريا لا في الجيش الرابع ولا في الفيلق الثامن ليظن بان خبره اتصل الى الجواسيس من قبلهم ، ولكنه حصل بناء على امر مكتوم ورد بالجفر ليلا من القائد العام انور باشا الى قائد فيلقنا الثامن بلزوم ذهابه الى القدس لتحصينها بعد تقرب الحلفاء منها وفي الصباح الباكر سافر الركب في القطار قبل ان ينتشر الخبر و يتلقفه الجواسيس من احد في سهرة او زيارة

ولم اكن تلك الليلة في حفلة او سواها بل كنت حين ورد الامر في مقر الفيلق اقوم بواجبي وقضيت الليل في تشاحن مع المرحوم اخي فيمن يجب ان يسافر منا اذ كان في دور النقاهة من مرض الم به وكنت ارى صحته لا تحتمل ذلك السفر الشاق ولولا استعانته بجمال باشا لما تركته يسافر ابدا

اما التعرض للقطار فقد كان مدبراً على ما عرف بعدئذ لقطع المواصلات مع القدس على ذلك الطريق ويكاد يكون مؤكداً ان مهاجمي القطار لم يعلموا بوجود ركب الباشا فيه الا بعد مروره بدرعا وحصول الاستقبال الشائق له فيها

كذلك فان المرحوم اخي لم يذهب ضحية نسف القطار مباشرة ولكنه استشهد اثناء الملحمة التي حصلت بعد الانفجار بين المهاجمين و بين ركاب القطار وواضع المذكرات يغفل ذلك بتاتا و يزعم انه لم يحضر بعد الانفجار الا بدويان قتل احدهما واخذ الاخر اسيراً وهذا من الغرابة بمكان

ومتى عرفنا ان الحادث كان على هذا الشكل امكننا ادراك الاختلاق العجيب الذي بنيت عليه الفصول الموضوعة حوله وكنت في غنى عن التعمق في الرد على كل نقطة من نقاط تلك الفصول وعن الاستشهاد بالموجودين من رجال ذلك العهد مثل المشاور العدلي يومئذ خليل رفعت بك النائب العام حاليا في دمشق وقائد موقع دمشق محمد علي بك وعبد الرحمن بك النصولي الموظف في الفيلق الثامن والوجيه المعروف في بيروت وغيرهم كثير .

ولا اريد الاسهاب في نفي ما يصفني به واضع المذكرات من التعلق بحياة المرح واللهو فان اخواني يعرفون الحد الذي ركب عليه طبعي ، هذا عدا ان مثل

تلك الحياة تحول دون بقائي والمرحوم اخي في المركز الذي اشغلناه في الفيلق الثامن في زمن اشتدت فيه النقمة على ابناء العرب بحيث كانت الاوامر تترى بين آونة واخرى بلزوم ارسالنا الى الجبهات القاصية فلم يكن لنا من شفيع الا انصرافنا الى العمل وحرصنا على واجبنا مما نال اعجاب جمال باشا الصغير قائد فيلقنا وجعله يدافع عنا حتى الزمن الاخير كما هو معلوم لدى الجميع .

وعلى الرغم مما اختصني به واضع المذكرات من العطف المتجلي في نفيه الخيانة عني وتحريه اثبات حسن نيتي اجدني مضطراً للعتب عليه لما نسبه الي من الاعمال التي لا تتعادل نسبتها مع دفاعه مهما كان مخلصا ومجيداً .

وليت صاحب الكتاب الذي اشار اليه حضرة الناقل في عدد يوم الجمعة يظهر نفسه لاناقشه فيما ذهب اليه من تاييد المذكرات واز يده من الحجج الراهنة ان كان يرغب بعد هذا البيان من مزيد

وما كنت احب اثارة هذه الذكريات الموجعة ولكن الحقيقة تتطلب منا مناصرتها ولو بايلام نفوسنا ومن اجل الاجيال المقبلة فارجو نشر بياني في اول عدد من جريدتكم الغراء ليطلع عليه قارئوا تلك المذكرات ولكم الشكر ومزيد الاحترام .

ياسين الجابي

- ٦ -

مقال للمعرب في الاحرار

اطلعت في « الاحرار عدد يوم الاثنين في ٢١ تشرين ثاني سنة ١٩٣٢ على المقال الذي بعث به حضرة الامير شكيب ارسلان الى رئاسة التحرير وادرج في الجريدة دون اطلاعي عليه ولذلك اعود اليوم واقول :

بدأ حضرة الامير رده بقوله « وقد رأيت في هذا الكتاب خاطا كثيراً مما يتعلق بالحوادث التي انا مطلع عليها تمام الاطلاع ولم اعجب من ذلك لان مهمة مثل هؤلاء انما هو سوق جميع الاخبار ونقلها بدون تدقيق ولا تمحيص الخ .»

وحضرة الامير يخطيء كثيراً في هذه المقدمة لاسباب :

اولها — ان المؤلف في سرده الحوادث كان يذكر الاسماء والتواريخ وقد تكلم عن مئات من ابناء هذه البلاد فروى الوقائع مع ذكر الاسماء . كنت عندما اقابل احد هؤلاء الذين ورد ذكرهم يصادقون على ما ذكر حتى ان بعضهم راجع مفكرته فوجد ان اليوم والتاريخ الذي عينه المؤلف هو اليوم والتاريخ المذكور في مفكرته ولهذا لا يصح ان يقال « ان في هذا الكتاب خطأ كثيراً

ثانيا — ان ما ذكره مؤلف في صدد مساعدة الامير شكيب ارسلان والمرحوم كامل الاسعد لاحمد جمال باشا فانه مثبوت بمذكرات جمال باشا المرسينلي في الصفحة ٢١٧ ابتداء من السطر العاشر ، وفي مذكرات علي فؤاد باشا منذ الصفحة ١١٢ ، وفي مذكرات احمد جمال باشا نفسه في الصفحة ١٨١

ثالثا — اذا رجع حضرة الامير شكيب ارسلان الى الصحف الصادرة في بيروت في اوائل عام ١٩١٥ وجد فيها ايضا بعض هذه الحقائق وحضرة الاستاذ

محمد الباقر صاحب جريدة البلاغ في قيد الحياة وفي امكانه ان يطلع لنا اعداد البلاغ الصادرة في ذلك الوقت ويأتينا فيها بما يؤيد هذه الرواية

لا نتهم الامير — لم اكن من رجال ذلك العهد لاجادل الامير في رواياته هذه ، كنت حديث السن .

ولست هنا في صدد الدفاع عن المؤلف وهو صديق لي ، حديث ، وصديق قديم للامير ، ولا في صدد احول معه اتهام الامير في مسائل هو براء منها وانما اقول ان الالوف من قراء هذه المذكرات يوافقون على ما فيها ولم احد من يكذبها الا الامير فلماذا ؟ .

لقد قابلني بعض اصدقاء الامير شكيب ارسلان في بيروت وسألوني لماذا احمل على الامير شكيب ارسلان في المذكرات التي اعربها فاجبتهم .

— لا اعرف الامير ولا هو يعرفني وليست بيننا عداوة لا شخصية ولا حزبية وانما اعرب هذه المذكرات باخلاص وامانة ، واعتقد ان المؤلف نفسه قد نقل وسينقل ايضا ما يعرفه بامانة تامة لاننا نراه ينقل سائر الاسماء فيشير الى سيئة الاشخاص وحسناتهم فهو قد دافع عن فرانكو باشا بقوله انه كان مخلصا لامتيازات لبنان ، ودافع عن المثلث الرحمات غبطة البطريرك الماروني ، واشار الى الادوار التي تخللت قضية الغاء امتيازات الجبل فلماذا دافع عن هؤلاء وقال عن الامير وكامل بك الاسعد انهما ساعدا جمال باشا ، وعن الشيخ اسعد الشقيري بانه الواشي على القافلة الاولى من ابناء البلاد وشهدائها فهل كتب ذلك لغرض ؟ .

ثم ان الامير يقول في دفاعه (اني لما انتدبت ١٢ رجلا من جماعتي وذهبت بهم عن طريق معان الى قلعة النخل فالترعة لم اكن اقصد استرضاء جمال باشا ولا كان هذا الامر هو الذي يهمني وانما كنت انا والمرحوم كامل بك الاسعد وغيره من زعماء البلاد والمئات والالوف وعشرات الالوف نخدم في ذلك الوقت دولتنا وملتنا ونحرص على ان لا تطأ ارضنا الاجانب الخ ٠٠ —) .

ونحن لا نريد ان نجاوب على هذا الدفاع باقوال مؤلف هذه المذكرات بل

بما ذكره جمال باشا في مذكراته في الصفحة ١٨٣ حيث قال :

جاءني في احد الايام اسعد الشقيري وبحث معي في بعض الامور المفسدة التي ظهرت في سوريا وقال ان في امكاني التعرف الى الحقائق لو استدعيت الي كامل الاسعد ، فابرقت اليه فوراً وبعد يومين كان عندي في القدس وهو الذي قال « مولاي انكم تظهرون اعتماداً زائداً على هؤلاء الاصلاحيين وتتركونهم احراراً في البلاد وانا اخاف من ان يسيء هؤلاء استعمال هذه الثقة فنائب بيروت السابق رضا بك الصلح يعمل مع عبد الكريم الخليل لاشعال نار الثورة بين صيدا وصور واذا بادرتم فوراً الى اجراء التحقيق ظهرت لكم الحقيقة الناصعة وادركتم خيانة هؤلاء ، وقد ايد الامير شكيب ارسلان اقوال كامل بك فيما تقدم الخ ..» حرفيا — الا يرى حضرة الامير في هذا القول خيانة ؟ فجمال باشا يتهم كامل بك بالسعاية ضد القافلة الاولى من شهداء البلاد وان ذهابه بالمتطوعة للقتال كان في آب وهذه المقابلة وقعت في حزيران فما راي حضرة الامير بذلك؟ ولماذا لم يكذبها وقد قال جمال باشا ان الحديث جرى بحضور الامير

يحصر حضرة الامير رده على الفقرة الصادرة بالعدد ١٩٩٨ من « الاحرار » القائلة « بان احمد جمال باشا راغب في الغاء امتيازات لبنان يظهر فيها ان اللبنانيين هم الراضون ولهذا قام اعوانه يمهدون له السبيل . ففي الوقت الذي كان فيه الامير شكيب ارسلان يعمل على استمالة الدروز الى جانب الباشا الخ ..» والامير في رده ينفي ذلك ويستشهد بدروز لبنان البالغ عددهم خمسين الفا وهو في شهادته على حق لان دروز لبنان لم يرضوا بهذا وهو ونفوذه واموال الدولة لم يتمكن الا من جمع ١٢٠ متطوعا وهذه حقيقة اثبتتها مذكرات علي فؤاد باشا في الصفحة ٨١ ومذكرات المؤلف ومذكرات احمد جمال باشا نفسه

ثم ان الامير يبرر موقفه بقوله « ولقد اتيت في رسالتي السابقة على ذكر التقارير التي قدمتها لطلعت وانور بشان بقاء امتيازات الجبل واستشهدت ايضا بعلي منيف بك » نعم ان الاحرار ذكرت ذلك الا ان الامير لم يرسل نص

هذه البرقيات او بعضها لتؤكدها دفاعا عن الحقيقة

اسئلة نريد جوابها — هذا ما رأينا ان نقوله بصدد دفاع الامير شكيب ارسلان عن فقرة واحدة وردت بحقه في العدد ١٩٩٨ ونحن كلبنانيين نريد من وراء سرد هذه الحوادث ونريد ان نعرف المناقضة بين قول الامير «ولم يعرف هذا المسكين ان صلتي بانور باشا وبرجال الدولة انما كنت احرص عليها لاستعمالها في المحافظة على ابناء وطني وصيانة حقوق بلادي » وبين قول المؤلف

يا حضرة الامير . ان المؤلفين الاتراك يتهمونك بانك كنت عاملا على توطيد نفوذ احمد جمال باشا مساعداً له في الغاء امتيازات لبنان

ان المؤلف في العدد رقم ١٩٩٩ يقول بعد ان يصف مساعي كامل بك الاسعد ما نصه :

ان الامير شكيب ارسلان فقد كانت مطامعه اعم فهو يريد ان يكون المستشار الاول لجمال باشا لكي يصبح السيد المطلق على مواطنيه ما دام غير قادر ان يكون حاكم الجبل او اميره وكان له شيء من النفوذ الموقت الذي احرزه لدى جمال باشا وقد خدم في الوقت نفسه اخاه الامير عادل ارسلان الذي كان مراقبا بسيطا على التحارير في ادارة بريد بيروت . وقد ادى لنا في الحقيقة خدمات جلي في هذه الوظيفه التي توجب عليه قراءة كل تحرير يرد او يصدر واطلعنا في ذلك باخلاص يشكر على كل الاسرار التي وردت له في التحارير عن مواطنيه وكان من جراء ذلك ان جمال باشا ولاه قائمقامية الشوف عقب تعيين منيف بك في المتصرفية . فما رأي الامير بذلك ؟

ان فرانكو باشا رفض المتصرفية وسليمان بك رفض الحاكمية التي عرضت عليه كي لا يفرطا بامتيازات الجبل

فكيف رضي الامير عادل ارسلان ان يكون موظفا بسيطا في ادارة عثمانية مهمتها « تفتيح » المكاتيب ؟

فؤاد ميداني

رد الاستاذ شبلي بك ملاط

حضرة مدير جريدة الأحرار الغراء المحترم

ينبهني اليوم صباحاً احد اصحابي الى الكلمة التي تناولني بها السيد فؤاد ميداني معرب خفايا تاريخ العصر الحديث في نشرة «الاحرار» الصادرة امس الجمعة فاطلعت عليها وكادت «الاحرار» باستنكارها ما حوته تلك الكلمة من التحامل تكفيني مؤونة الرد عليها لو لم اشعر ان ذلك القلم الذي يدعى انه قلم استخبارات في الجيش الرابع قد استقى اخباره من مصادر محلية لا يصح الركون اليها لفرط ما يعتور رواياتها من النقض ومقصور حيناً ومن التصحب والموجدة حيناً آخر وهو الامر الذي يبرأ منه خدمة التاريخ المحققون اذ ان للتاريخ منطقاً جزلا ووتيرة مثلي لا يجوز معها الاسترسال للهوى وحزازات النفوس من اجل ذلك ترى المؤرخين الامناء في سرد الحوادث وذكر الاشخاص اذا كتبوا اوردوا الحقائق بريئة من التزويق والطلاء واحاطوا بها من جميع وجوهها والافما الفرق بين التاريخ والشعر وبين الخيال والحقيقة . على ان ذلك كله موقوف على نزاهة المؤرخ وسعة علمه واطلاعه وتوجيه الصدق وعدم الاستسلام الى النفسيات

ومن المأسوف له ان الكلمة التي خصني بها واضع الاستخبارات في الجيش الرابع لم تكن منطوية على شيء من القواعد التي ذكرتها بل رأيت حضرة الواضع يخبط خبطاً في مغالطه حتى ليشعر القارىء النبيه انه ومخبريه لم يتمخضوا بتلك الكلمة رغبة في خدمة التاريخ وجلاء الحقائق .

من ذلك قولهم وهو لا يدل على شيء من التدقيق ان جمال باشا عينني مديراً للقلم العربي والحقيقة المسجلة هي انه لما احيل المرحوم خليل بك الخوري على التقاعد عهد الي وكيل متصرف لبنان وقتئذ حليم بك بصفتي باشكاتب ذلك القلم ان اتولى ادارته وهو امر بديهي لا جميل فيه لزيد او لعمرو ولا يحتاج الى الاستعانة بجمال باشا الذي لم يكن يتدخل بالتعيين ولا الى تلك القرقعة التي لجأ اليها واضع

تلك الاستخبارات وزعم اننا لاجل ذلك ملأنا الارض والسماء قصائد من الشكر وهو ومن لف لفه لو استقروا الحقائق لعلموا انه لم يكن يوجد واحد ذو شعور في جبل لبنان يزاحم او يخطر بباله مزاحمة المرحوم خليل بك على وظيفته ومثل هذا الامر يعلمه الذين رافقوا حكومة لبنان القديم حقيقة كالامير فائق شهاب مثلا والكولونيل الشيخ خليل الخازن ووديع عقل صاحب الراصد وغيرهم .

ثم ذهب واضع تلك الاستخبارات الى ما يدل على عدم التدقيق ايضاً وهو ان الدولة العثمانية عبثت بامتيازات جبل لبنان في الحرب والحقيقة ان تلك الامتيازات خلا الوجهة العسكرية ومنصب المتصرف وبعض الوظائف لم تتعرض لها الدولة بدليل ان شعبة اخذ العسكر في بيروت لم تكن تتحرش بلبناني يحمل وثيقة لبنانية من مجلس ادارة لبنان وكانت اذا تعرضت للبناني وثبت لمتصرف لبنان التركي انه لبناني ومعه وثيقة ابي تسليمه الى الشعبة المذكورة وقد وقع من هذا القبيل عدة حوادث . ثم لم تضرب الدولة ضريبة ولا عشرت ارضاً في لبنان ولما جرى البحث حول هذا الموضوع في مجلس النواب العثماني قامت البقية المتحركة في لبنان تحتج وفيما اذكره ان متصرف لبنان اسماعيل حقي اوقفني عن تكملة خطابي الاحتجاجي على فكرة الاعشار في احدى حفلات الحكومة اللبنانية الرسمية .

وكنت اود لو ان المشتغلين بوضع تلك الاستخبارات اكثر تدقيقاً وتحقيقاً لا ان يشوهوا وجه الحقائق ويفقدوا ثقة المطلعين وتثور عليهم عواطف التكذيب والتقبيح .

كما اني كنت اود لو كانوا اقل تطبيلا وتزميراً لتلك الوثيقة التي تبرع بها جمال باشا علينا عفواً بلا طلب في الحفلة التي دعته اليها ناشرة لواء الانسانية والفضيلة السيدة لبيبه فيليب ثابت ليرى بأم العين جهود البنات اليتيمات اللواتي كانت ترعاهن السيدة المشار اليها في الشدائد وتدربهن على الاشغال اليدوية .

اجل انها وثيقة تستحق ان يتبطنها التاريخ الحديث لانها بيضة الديك ولانها دفعت ثمناً لاربعة ابيات من الشعر ليس الا قيلت بلسان يعامى المشتغل وبني بها

الشاعر القصور واقتنى البساتين واشترى المركبات والسيارات ؟! الا ترون فتح الله بصائركم اثر النعمى المتلائة علينا ؟؟

ومما لا يحتمل التصديق ان ينسب واضع تلك الاستخبارات الى جمال باشا قولا يكذبه واقع الحال لاننا لم نسأل نحن مرة في قصائدنا ولا هو اعطى بدون سؤال اللهم ما خلا تلك الوثيقة الواحدة التاريخية التي عيرنا بها ذلك الذي كان يدعي انه كان رفيق جمال

و بلغت به القحة ان يتعرض لنا في كيف صرفناها ؟؟

ثم هو يزعم اننا كنا نقول الشعر لسبب و بدون سبب و ينسب هذا القول ايضاً الى الباشا الذي كان يعلم انني لا احضر حفلة من حفلاتهم الا منتدباً رسمياً او شبه رسمي كما هو شأني قبل الحرب وفيها و بعدها اذ لم اتعرض من عند نفسي للقول في حفلة ولا استعفت مرة بتشفيع اليها ولوسائل السواد الاعظم اليوم وقبل اليوم ممن يهتمون باقامة الحفلات اشهدوا بانهم يدعونني مراراً ولا البي دعوتهم الا مرة في الخمسين . وكان الاولى بذلك الواضع ومخبريه اذا ارادوا خدمة التاريخ فعلا ان يكونوا على بينة من تلك الحفلات الكبرى التي حضرها جمال باشا و كنت مندوباً للكلام فيها وهي :

الاولى : في حديقة المرحوم الفرد سرسق وقد شهدها فريق كبير من سراة بيروت رجالا ونساء وذلك بمناسبة عيد الفطر

و كان مطلع قصيدتي : رمضان هلل صائموك و كبروا .

و كان جمال باشا قد تعهد الفقراء بكميات من لوازم المعيشة فقلت منها :

اما نبو الفقراء الالى اسيتهم ... فقد انثنوا وفقيرهم بك موسر
وتعللت اطفالهم وعيالهم ... والله يوصي بالعيال و يأمر
حمل الثناء اليك شاعرهم ولو ... عرض الخطاب مشى اليك المنبر

والثانية في فندق البحار في عاليه وقد اقيمت اكراماً لانور باشا وحضرها جمال ولا اذكر شيئاً مما قلته فيها . والثالثة في دار الحكومة اللبنانية في بعبدا

و كانت اشاعة ان الدولة تنوي سوق ابناء لبنان الى الجندية فقلت :

ما غاب عن لبنان انك ناصر ... لبنان دون تخرص الاضداد
كذب الالى اتهموه وهو كما ترى ... ورأيت صاحب نخوة ومبادي

والرابعة في الحفلة الكبرى في القدس و كنت مندوباً عن لبنان فقلت :

عودة لبنان معروفاً ومكرمة ... واليوم لبنان لا رزق ولا مال
هب المطاعم فيه لا تعد وما ... فيها كفاف فماذا تنفع الحال ؟

ثم هناك قصيدتان احدهما يوم ارسل جمال باشا الى فقراء لبنان نحو مئة وستين قنطار حنطة واربعة آلاف ليرة ومطلعها :

اغلى الثنا في مذهب الشعراء ... ما رصعته مدامع الفقراء
فاملاء به صور الشآم وآية ... قد قدست من زفرة و بكاء

والثانية يوم رجعت من القدس وارسل جمال باشا قنطاراً من الحنطة ليوزع بمعرفة بطريرك الموارنة على فقراء لبنان ولا اذكر منها سوى البيت الاخير هذا :

وان ازدلفت من ياسي ومن جزعي ... يارب عطفاً على الباقي بلبنان

اما الحفلات الخيرية التي لم يحضرها جمال باشا فواحدة في زهرة سوريا والثانية في معهد الآباء اليسوعيين و كانتا تحت رعاية بكر سامي بك صديق البيروتيين الذي دعاني الكلام فيها فقلت من القصيدة الاولى في خطاب بكر سامي :

سرت البلاد بظلمة وسرى بنو ... بيروت فيك بظل ليل مقمر
وتعزت الفقراء انك ركنها ... ومعينها في الموكب المستوعر

وقلت من الثانية و كان الجوع قد بدأ يدب في البلاد :

والفقراء تخترم الاجسام وطأته ... والجوع يلعب فيها دور نيرون
بكت عليها الليالي في تقلبها ... سبا السبايا على اطلال صهيون
لو لم يكن سامي والياً حشروا ... منها المقابر مدفوناً لمدفون
رد المجاعة عنها جهده وسعى ... مسعى ولي على الارواح مأمون

فماذا يقول حضرة الواضع استخباراته هل ماقلناه كان لسبب او كان بدون سبب ؟

بقيت مسألة الطنطنة بمديرية القلم العربي واسدال ستائر الاحاجي حولها وهي التي بينت ظروفها في صدر هذا المقال .

ولو علم اولئك التار يخيون اية رابطة من الصداقة القديمة الموروثة تربطنا بالمرحوم خليل الخوري واسرته لعرفوا موقفنا وموقفهم قديما في حالتي السراء والضراء ، ودرسوا شيئا من مبادئي ومبادئ اخي الذي كان رفيق خليل بك الدائم وصديقه الحميم وسمعوني سنة ٢١ واقفا على قبره ارثيه وابكيه لفهموا اذا كانوا من ذوي الادمغة ان تلك الوظيفة لم تخطر لنا ببال اذ كانت لخليل بك وهو الامر الذي يعرفه اقرب الناس اليه ولا اظن كبيرهم يجهل من كانوا خصوم ابيه ومن هم موتى الضمائر في لبنان؟ اما كلمتنا الاخيرة فهي اننا لم ننكر مرة اننا انشدنا جمالا القصائد في ايام الحرب على ما فصلته واوضحته في رسالتي المسهبة المستفيضة المفخمة التي بعثت بها الى اخواننا في المهجر بتاريخ ٢١ حزيران سنة ٢١ بعنوان « واذا رميت اصابني سهمي » وهي المنشورة في الصفحة ١٠٢ من ديواني فليطالعها من شاء ليعلم عدد الحسنات والخدم التي قام بها هذا العاجز نحو بني قومه من وراء الشعر حسنات وخدم لا أمن بها على احد ولكن احرجني بعضهم قديما فاخرجني ورأيتني مضطراً الى سردها كما احرجت اليوم واضطررت ان اردد تلك النغمة البالية التي لا يفتأ بعض الناعقين في التيه منذ خمسة عشرة سنة يعددون اليها و يقلقون راحتي واعتزالي كلما ثارت موجدة لهم وعجزوا عن غمز قناتنا بما نحن براء منه امام الله والناس

والخلاصة انا حر بشعري و كياني على شرط ان لا يجر ذلك ضرراً بغيري فاذا كان هناك من شخص واحد جانبنا عليه اقل الاذى فليدل الينا ببرهانه القاطع واما ان يرسل القول على عواهنه مبنيا على موجدة بدون برهان فليس لنا الا ان ندفع ترهاته ونقول له كلمة مرة واحده ونمشي ولينعق الناعقون وضعفاء العقول ما شاءوا . ورجائي الخاص الى جريدة « الاحرار » الكبرى ان تتدبر امر تلك النشريات وتعهد باقلامها المثقفة مواضع النقص والخطا فيها رحمة بعباد الله والتاريخ وسلام الله عليها السبت في ١٧ — ١٢ — ٣٢ شبلي ملاط